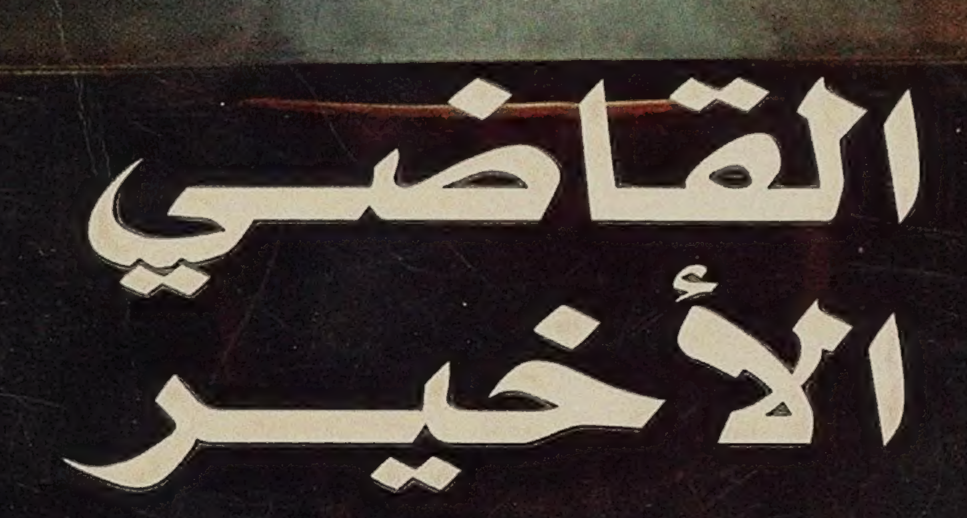
الكاتب # ١ الذي حققت رواياته أعلى المبيعات
طبقاً لصحيفة نيويورك تايمز

جون غريشام



القاضي الأخير

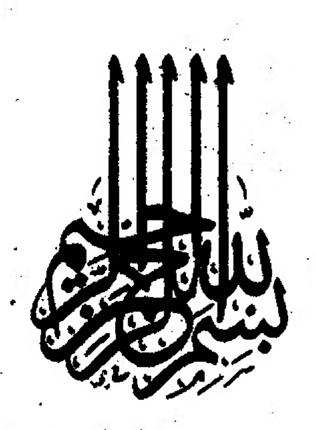
«قد يكون جون غريشام هو أفضل كاتب قصص في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم».
- فيلادلفيا إنكوايرر

الكاتب # ١ الذي حقّقت رواياته أعلى المبيعات طبقاً
لصحيفة نيويورك تايمز

القاضي الأخير

جون غريشام





الكاتب # ١ الذي حقّقت رواياته أعلى المبيعات طبقاً لصحيفة نيويورك تايمز

القاضي الأخير

جون غريشام





المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)	
ص. ب ٣١٩٦	تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
الرياض ١١٤٧١	فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+
المعارض: الرياض (المملكة العربية السعودية)	
شارع العليا	تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
شارع الأحساء	تليفون ٤٧٧٣١٤٠ ١ ٩٦٦+
الحياة مول	تليفون ٢٠٥٧٠١٠ ١ ٩٦٦+
طريق الملك عبدالله (حي الحمرا)	تليفون ٢٧٨٨٤١١ ١ ٩٦٦+
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦)	تليفون ٢٧٥٤٧١٠ ١ ٩٦٦+
القصيم (المملكة العربية السعودية)	
شارع عثمان بن عفان	تليفون ٣٨١٠٠٢٦ ٦ ٩٦٦+
الخبر (المملكة العربية السعودية)	
شارع الكورنيش	تليفون ٨٩٤٣٣١١ ٣ ٩٦٦+
مجمع الراشد	تليفون ٨٩٨٢٤٩١ ٣ ٩٦٦+
الدمام (المملكة العربية السعودية)	
الشارع الأول	تليفون ٨٠٩٠٤٤١ ٣ ٩٦٦+
الاحساء (المملكة العربية السعودية)	
المبرز طريق الظهران	تليفون ٥٣١١٥٠١ ٣ ٩٦٦+
جدة (المملكة العربية السعودية)	
شارع صاري	تليفون ٦٨٢٧٦٦٦ ٢ ٩٦٦+
شارع فلسطين	تليفون ٦٧٣٢٧٢٧ ٢ ٩٦٦+
شارع التحلية	تليفون ٦٧١١١٦٧ ٢ ٩٦٦+
شارع الأمير سلطان	تليفون ٢٣٨٢٠٥٥ ٢ ٩٦٦+
شارع عبدالله السليمان (جامعة بلازا)	تليفون ٦٨٧٢٧٤٣ ٢ ٩٦٦+
مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)	
أسواق الحجاز	تليفون ٥٦٠٦١١٦ ٢ ٩٦٦+
المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)	
جوار مسجد القبلتين	تليفون ٨٤٦٦٧٦١ ٤ ٩٦٦+
الدوحة (دولة قطر)	
طريق سلوى - تقاطع رمادا	تليفون ٤٤٤٠٢١٢ ٩٧٤+
أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)	
مركز الميناء	تليفون ٦٧٣٣٩٩٩ ٢ ٩٧١+
الكويت (دولة الكويت)	
الحولي - شارع تونس	تليفون ٢٦١٠١١١ ٩٦٥+

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :

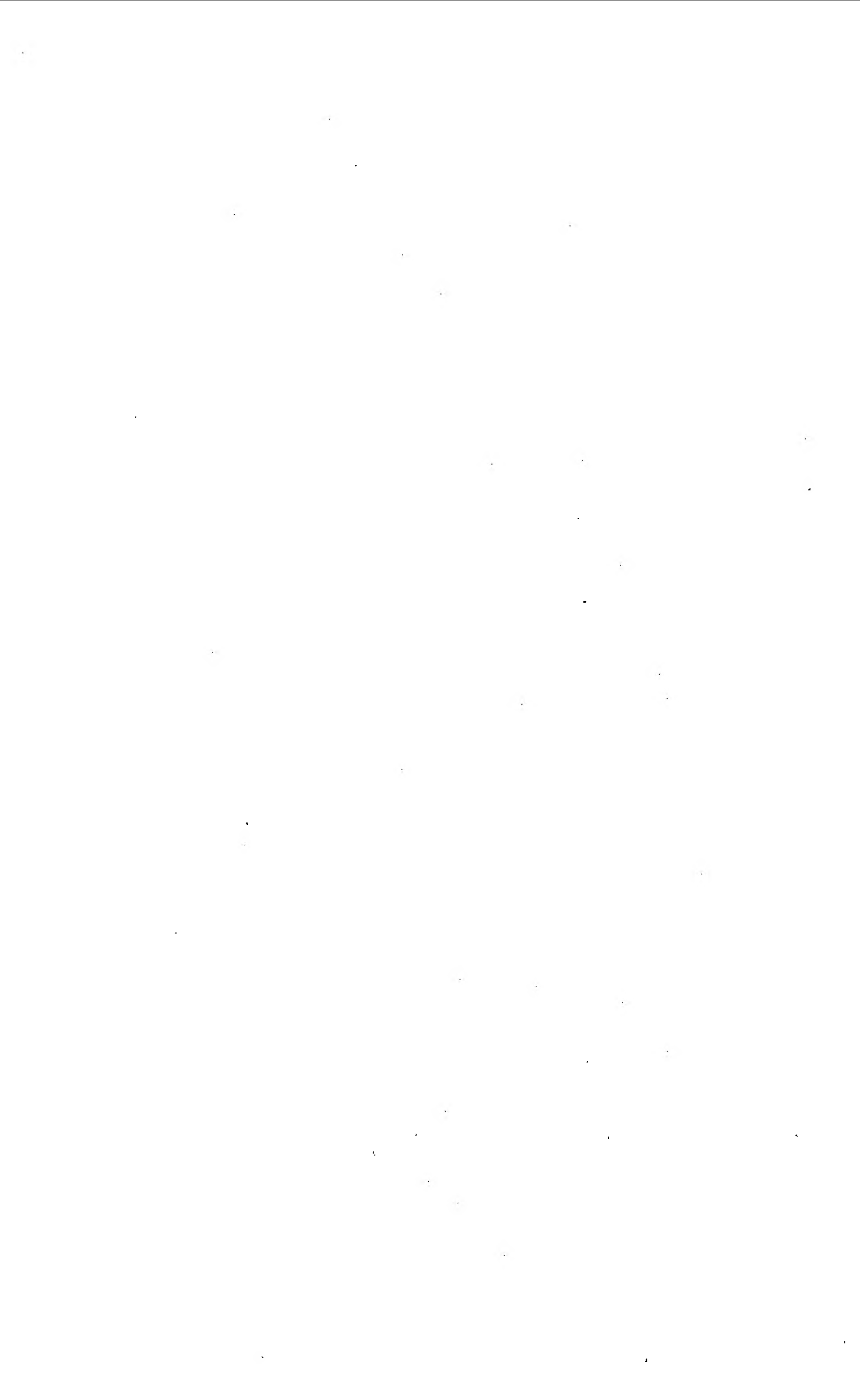
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

THE LAST JUROR

JOHN GRISHAM





الجزء
الأول



الفصل الأول

بعد عقود من المثابرة فى سوء الإدارة والإهمال الذى يكتنفه الحب ، أفلست جريدة " التايمز " بمقاطعة " فورد " فى عام ١٩٧٠ ، وكانت مالكة الجريدة والمسئولة عن نشرها السيدة إيما كاودل ـ والتى تبلغ من العمر ثلاثة وتسعين عامًا ـ ترقد على فراش بإحدى دور المسنين فى توبيلو . وكان محرر الجريدة ـ ابنها ويلسون كاودل فى السبعينات من عمره ولديه شظية برأسه خلفتها الحرب العالمية الأولى . وكانت هناك دائرة كبيرة من الجلد المطعم الداكن تغطى تلك الشظية بأعلى جبهته الطويلة والمنحدرة ، لذا فقد اشتهر طوال حياته كشخص بالغ باسم سبوت . سبوت فعل كذا . سبوت هو من فعل ذلك . ها هو سبوت !

وفى فترة شبابه ، كان يقوم بتغطية اجتماعات المدينة ومباريات كرة القدم والانتخابات والمحاكمات والمناسبات الدينية وجميع أنواع الأنشطة بمقاطعة فورد . وقد كان سبوت مراسلاً جيدًا وحذقًا ومبتكرًا . ففيما يبدو أن إصابة رأسه لم تؤثر فى قدرته على الكتابة ، لكنه فى وقت ما بعد الحرب العالمية الثانية طرأ تغير ما

على الشظية ، وتوقف السيد كاودل عن كتابة كل شيء فيما عدا أخبار الوفيات . فقد كان يعشق كتابة النعى . وكان يمضى ساعات في كتابته . فكان يكتب فقرات نثرية فصيحة يفصل فيها حياة المتوفين بمقاطعة فورد حتى أكثرهم بساطة وفقرًا . وكانت وفاة أحد الأثرياء أو الشخصيات البارزة خبرًا ينشر بالصفحة الأولى وفرصة سانحة لا يفوِّتها سبوت . وهو لم يتخلف قط عن التواجد إلى جوار جثة ميت قبل دفنها أو حضور جنازة ، ولم يكتب قط أى شيء سيئ عن أى شخص . فالجميع كان يحظى ببعض التمجيد فى النهاية . وكانت مقاطعة فورد مكانًا رائعًا ليموت به المرء . وكان سبوت رجلاً ذائع الصيت هناك حتى على الرغم من كونه معتوهًا .

والأزمة الحقيقية والوحيدة التى واجهت سبوت فى حياته المهنية كصحفى كانت فى عام ١٩٦٧ ، فى الوقت الذى بدأت فيه حركة حقوق المدنيين تشق طريقها إلى مقاطعة فورد . ولم تكن الجريدة قبل ذلك الوقت قد أظهرت أدنى إشارة للتعصب العنصرى . نعم لم يكن ينشر أية وجوه سوداء بصفحاتها سوى تلك الخاصة بالمجرمين . ولم تكن الجريدة تنشر أية أخبار عن زفاف السود أو صور المتفوقين من الطلاب أو لاعبى كرة القدم السود . ولكن فى عام ١٩٦٧ قام السيد كاودل باكتشاف شيء مفزع . فقد استيقظ ذات يوم على حقيقة لا مفر منها ، وهى أن السود يموتون أيضاً بمقاطعة فورد ، وأنهم لا يحظون بالنعى المناسب . وهكذا كان هناك عالم جديد وخصب من أخبار الوفيات يلوح أمام سبوت ، والذى قرر أن يخطو على طريق غير مأمون العاقبة ومحفوف بالمخاطر . وفى يوم الأربعاء الموافق الثامن من مارس من عام ١٩٦٧ كانت " التايمز " هى أول جريدة أسبوعية يمتلكها شخص أبيض في المسيسيبى تنشر نعيًا

لشخص أسود . وقد مر هذا الحدث بسلام دون أن يلاحظه أحد تقريبًا .

وفي الأسبوع التالى قامت الجريدة بنشر ثلاثة نعايا ، وبدأ الناس يتكلمون عن هذا الأمر . وبحلول الأسبوع الرابع بدأ الناس يقاطعون الجريدة ، وآخرون يلغون اشتراكهم بها ، ومعلنون يرفضون دفع مستحقاتهم . وقد كان السيد كاودل يدرك ما يحدث ، ولكنه كان سعيدًا للغاية بوضعه الجديد كمؤيد للدمج العنصرى لدرجة جعلته لا يقلق حيال أمور صغيرة كالمبيعات والأرباح . وبعد مضى أربعة أسابيع من نشر النعى التاريخى ، أعلن السيد كاودل عن سياسته الجديدة . وقد شرح للعامة أنه سيقوم بنشر ما يحلو له ، وإن أبدى البعض اعتراضهم على ذلك فسوف يكف عن نشر أية نعايا لهم .

فالموت بطريقة لائقة قد أصبح الآن جزءًا من الحياة بالمسيسيبى سواء بالنسبة للأشخاص البيض أو السود ، وفكرة الذهاب للمثوى الأخير دون الاستفادة بنعى عظيم من سبوت كانت أكثر مما يستطيع البيض تحملها . وقد كانوا يعلمون أن سبوت معتوه بما فيه الكفاية لينفذ تهديده .

وكانت النسخة التالية من الجريدة زاخرة بجميع أنواع النعايا ـ للبيض والسود ـ والمرتبة جميعًا أبجديًا والتى كانت تضع حدًا للتمييز العنصرى . وقد تهافت الناس على شرائها ، وتبعت ذلك فترة من الرخاء .

وقد سمى إفلاسه إلزاميًا ، وكان هناك متطوعون متحمسون أسهموا فيه . وكان يقود تلك الحملة أحد المولين الصحفيين من ممفيس والتى كانت الجريدة مدينة له بستين ألف دولار . هذا ولم

يتلق العديد من الدائنين الآخرين مستحقاتهم طوال ستة أشهر . وكان بنك الائتمان القديم يطالب الجريدة بتسديد القرض .

لقد كنت أحد الموظفين الجدد بالجريدة ، وقد سمعت بالشائعات . وكنت أجلس على المكتب الأمامي بجريدة التايمز اقرأ إحدى المجلات حينما ظهر قزم يمشي متبخترًا عند الباب الأمامي وسأل عن ويلسون كاودل .

قلت له : " إنه بالدار التي تقام فيها الجنائز " .

وقد كان هذا القزم مزهوًا بنفسه بشدة . وكنت أستطيع رؤية سلاح فوق وركه أسفل سترة بحرية فضفاضة ومجعدة ، والذي كان يضعه بطريقة تجعل من السهل على الآخرين رؤيته . وهو على الأرجح لديه تصريح بحمل هذا السلاح ، ولكنه لم يكن بحاجة إليه في مقاطعة فورد ، وخصوصاً في عام ١٩٧٠ . في الحقيقة كان الناس يبغضون التصاريح . قال لي وهو يلوح بمظروف في يده : " يجب أن أسلمه هذه الأوراق " .

ولم يكن باستطاعتي مساعدته ، بيد أنه من الصعب التحدث بوقاحة إلى قزم ، وخاصة إن كان يحمل سلاحًا . قلت ثانية : " إنه بدار الجنائز " .

فقال : " إذن سأترك تلك الأوراق معك " .

وعلى الرغم من أنه لم يمض على تعييني أكثر من شهرين ، وحقيقة أنني درست بالشمال إلا أنني تعلمت بعض الأمور . فقد تعلمت أن الأوراق التي تحمل أخبارًا سعيدة لا تسلم كأمر قضائي ، فهي إما أن ترسل بالبريد أو يتم شحنها أو تسلم يدًا بيد . فكنت أعلم أن وراء هذه الأوراق مشكلة كبيرة ، ولم أكن أرغب أن أكون جزءًا منها .

قلت له وأنا أنظر للأسفل : " أنا لن آخذ هذه الأوراق " .

وقد اقتضت قوانين الطبيعة أن يكون الأقزام سهلي الانقياد وليسوا أناسًا يحبون التحدى ، ولم يكن هذا الفتى استثناء من هذه القاعدة . لقد كان السلاح مجرد خدعة . أخذ يتلفت حوله في الغرفة الأمامية ، ولكنه كان يدرك أن ليس في وسعه شيء . وقد كان الحزن يرتسم على وجهه وهو يضع المظروف بجيبه ثانية ويسأل : " أين دار الجنائز ؟ " .

وصفت له الطريق ، ثم هم بالانصراف . وبعد مضي ساعة دخل سبوت يترنح عبر الباب وهو يلوح بالأوراق ويصيح بهستيرية : " لقد انتهى كل شيء ! لقد انتهى كل شيء ! " . وقد ظل ينتحب بينما أمسكت أنا بإعلان الإفلاس الإلزامي . وقد جاءت السكرتيرة مارجريت رايت والصحفي هاردى من الخلف وحاولا مواساته . جلس على أحد المقاعد وهو يضع وجهه بين يديه ومرفقيه على ركبتيه وأخذ يبكي بشدة . قرأت الإعلان بصوت مرتفع كي يعرف الجميع حقيقة الأمر .

قلت إن السيد كاودل لابد أن يذهب إلى المحكمة بأكسفورد في غضون أسبوع لمقابلة الدائنين والقاضي ، والذى سوف يتخذ قرارًا سواء باستمرار نشاط الجريدة أم لا في حين يتولى وصي زمام الأمور . وقد كان بإمكاني أن أرى أن كلًا من مارجريت وهاردى كانا قلقين على وظيفتيهما أكثر من قلقهما على السيد كاودل وانهياره العصبي ، ولكنهما أتقنا دور الوقوف إلى جواره والتربيت فوق كتفيه .

وعندما توقف عن البكاء نهض فجأة وعض على شفتيه وقال : " لابد أن أخبر أمي بذلك " .

نظرنا نحن الثلاثة إلى بعضنا البعض . فالسيدة إيما كاودل فارقت هذه الحياة منذ سنوات ، ولكن قلبها الضعيف لايزال يخفق

لدرجة أرجأت جنازتها . وهي لا تعلم ولا حتى تهتم بلون الهلام الذى يطعمونها إياه ، وبالطبع لا تكترث لمقاطعة فوردٍ أو جريدتها . كما كانت عمياء وصماء وتزن أقل من ثمانين رطلا ، والآن يرغب سبوت في مناقشة مسألة الإفلاس الإلزامى معها . وفى ذلك الحين أدركت أنه هو أيضًا لم يعد معنا .

بدأ يبكي ثانية ثم انصرف . وبعد مضى ستة أشهر قمت أنا بكتابة نعيه .

ولأنني جامعي ، ولأن الأوراق كانت بحوزتى ، فقد طلب كل من هاردى ومارجريت نصيحتى . وقد كنت صحفيًا ولست محاميًا ، ومع ذلك فقد أخبرتهما بأننى سآخذ الأوراق إلى محامى عائلة كاودل ، وأننا سوف نعمل بنصيحته . وقد ابتسما بفتور وعاودا عملهما .

وفى الظهيرة اشتريت ست عبوات من العصير من محطة كوينسى في لوتاون ـ مستوطنة السود فى كلانتون ـ وذهبت فى رحلة طويلة بسيارتى السبيتفاير . وكنا فى نهاية شهر فبراير وكان الجو دافئًا ، لذا فقد أنزلت سقيفة السيارة واتجهت إلى البحيرة وأنا شارد الذهن كعادتى دومًا كما كنت أفعل تمامًا فى مقاطعة فورد ، بالمسيسيبى .

وأنا قد نشأت في ممفيس ودرست الصحافة فى سيراكيوز لمدة خمس سنوات قبل أن تمل جدتى من دفع ما أصبح بالنسبة لها تعليمًا طويل المدى لا عوز له . وكانت درجاتى سيئة وكان مازال أمامى عام قبل التخرج . وربما عام ونصف . وكان جدتى ـ بيبى ـ تملك الكثير من المال التى كانت تبغض إنفاقه ، وبعد مضى خمس

سنوات قررت أننى قد نلت ما فيه الكفاية من أموالها . وعندما امتنعت عن دفع مصروفات تعليمى أصبت بإحباط شديد ، ولكننى لم أشك لأحد ، وخاصة إليها . فقد كنت حفيدها الوحيد وكل أموالها هذه ستصبح لى فى يوم من الأيام .

وكنت أدرس الصحافة وأنا أعانى دومًا من الشعور بالإعياء الناتج عن الإسراف فى تناول الشراب . وبعد التحاقى بجامعة سيراكيوز مباشرة كنت أطمح أن أصبح مراسلاً صحفياً بجريدة نيويورك تايمز أو واشنطن بوست . فقد رغبت فى إنقاذ العالم عن طريق كشف الستار عن الفساد والعنف البيئى وسلبيات الحكومة والظلم الذى يئن تحت وطأته الضعفاء والفقراء . فقد كانت الجوائز الصحيفة بانتظارى . وبعد عام تقريبًا من هذه الأحلام الوردية والشامخة شاهدت فيلمًا تدور أحداثه حول مراسل صحفى أجنبى يجوب العالم بحثًا عن الحروب والنساء الجميلات ، والذى فى الوقت ذاته يجد ما يكفى من الوقت لكتابة قصص وحكايات تفوز بالجوائز . وقد كان يتحدث ثمانى لغات وله لحية ويرتدى حذاءً ذا رقبة طويلة وبذلة ذات لون كاكى والتى لا تتجعد قط . لذا فقد قررت أن أصبح مثل هذا الصحفى . فأطلقت لحيتى وابتعت بعض الأحذية ذات الرقاب الطويلة والبذلات الكاكى ، وحاولت تعلم الألمانية والتعرف إلى فتيات جميلات . وفى أثناء عامى الأول بالكلية عندما بدأت درجاتى فى الانحدار وأصبحت صاحب أقل الدرجات فى الصف بأكمله أسرتنى فكرة العمل لدى جريدة بإحدى المدن الصغيرة . وأنا لا أستطيع أن أعلل السبب وراء انجذابى لهذه الفكرة سوى أننى فى ذلك الوقت تقريبًا قابلت نيك دينير وكونت صداقة معه . وقد كان من إنديانا الريفية ، وظلت أسرته تمتلك طوال عقود جريدة ذائعة الصيت وتدر ربحا كبيرًا نسبيًا بالمقاطعة . وكان

يمتلك سيارة جميلة من طراز ألفا روميو ، وكان دائماً بحوزته الكثير من النقود . وقد أصبحنا صديقين مقربين .

وكان نيك طالباً نابغاً ويمكنه أن يدرس الطب أو الحقوق أو الهندسة بسهولة . ولكن هدفه الوحيد كان العودة إلى إنديانا وإدارة أعمال أسرته . وقد أربكني هذا حتى تجرعنا الخمر في إحدى الليالى وأخبرني كيف أن والده يدر ربحاً قدره ستة آلاف دولار من وراء جريدته الأسبوعية الصغيرة . لقد كانت بمثابة منجم ذهب ، على حد قوله . وكانت الجريدة تنشر فقط الأخبار المحلية وإعلانات الزواج والمناسبات الدينية وسجلات الشرف والأخبار الرياضية وصور فرق كرة السلة وبعض وصفات الطعام وبعض أخبار الوفيات ، وكانت بعيدة كل البعد عن المعارضة أو الجدال . وقد كانت تحقق أرباحا كبيرة . فقد كان والده مليونيراً . وهكذا فقد كانت أسرته تمتهن دربًا من الصحافة غير مجهد ومربحاً للغاية ، على حد قول نيك .

ولقد راقنى هذا الأمر . وبعد عامى الرابع بالكلية ـ والذى كان من المفترض أن يكون الأخير ولكن كان من الواضح أنه ليس كذلك ـ عملت فترة الصيف في جريدة أسبوعية صغيرة في مرتفعات أوزارك في أركنساس . وكنت أتقاضى أجرًا حقيرًا ، ولكن بيبى كانت منبهرة لأننى توظفت . وكل أسبوع كنت أرسل لها بريديا نسخة من الجريدة والتى كنت أقوم أنا بكتابة نصف ما بها من أخبار على الأقل . فكان مالك الجريدة ومحررها وناشرها رجلا كبيرا رائعًا والذى كان سعيداً للغاية لتعيين صحفى يريد أن يكتب . ولقد كان فاحش الثراء .

وبعد قضاء خمس سنوات في جامعة سيراكيوز ظلت درجاتى على نفس درجة السوء وكان من المتعذر إصلاحها ، وقد نضبت كل

مواردى المالية . عدت إلى ممفيس وزرت بيبى وشكرتها على كل ما فعلته من أجلى وأخبرتها بمدى حبى لها ، فأخبرتنى بأن أبحث لى عن وظيفة .

وفى ذلك الوقت كانت شقيقة ويلسون كاودل تعيش فى ممفيس ، وقد شاءت الأقدار أن تلتقى هذه السيدة بجدتى بيبى بإحدى حفلات الشاى . وبعد إجراء بعض المكالمات الهاتفية حزمت حقائبى وتوجهت إلى كلانتون فى المسيسيبى ؛ حيث كان سبوت ينتظر فى شغف . وبعد ساعة من التوجيهات ، تركنى أتجول كيفما أشاء بمقاطعة فورد .

وفى الطبعة التالية من الجريدة نشر مقالاً لطيفاً مرفقاً بصورة لى يعلن فيه عن انضمامى لفريق العمل بالجريدة . وقد نشر هذا المقال بالصفحة الأولى . ولكن الأخبار كانت بطيئة الانتشار فى تلك الأيام .

وقد اشتمل الإعلان على خطأين فادحين واللذين ظلا يطاردانى لسنوات . وكان أولهما وأقلهما جدية هو أن جامعة سيراكيوز أصبحت الآن إحدى الجامعات العريقة ، على الأقل بالنسبة لسبوت . فهو قد أخبر جمهور قراءه الضئيل بأننى تلقيت تعليمى فى الجامعة العريقة الموجودة فى سيراكيوز . وقد مضى شهر قبل أن يلاحظ أحد هذا الخطأ ويذكره لى . وكنت قد بدأت أومن أنه لا أحد يقرأ هذه الجريدة ، أو الأسوأ من ذلك أن من يقرأها هم مجموعة من الحمقى .

أما الخطأ الثانى فقد غيَّر حياتى . لقد أطلق علىّ والدىّ حين ولادتى اسم جوينر ويليام ترااينور . وحتى بلغت الثانية عشرة كنت أمطرهما بوابل من الأسئلة عن السبب الذى جعل شخصين ذكيين مثلهما يطلقان على مولود صغير اسم جوينر . وقد اتضح لى فى

النهاية أن أحد والديّ ـ وكان الاثنان قد أنكرا مسئوليتهما عن هذا الأمر ـ قد أصر على تسميتي جوينر تودداً لأحد أقربائنا العدائيين والذى كان يمتلك كثيرًا من المال . وأنا لم أقابل هذا الرجل الذى حملت اسمه مطلقاً . وقد مات مفلساً حسبما علمت بعد ذلك ! أما أنا فقد ظللت أحمل اسمه طوال حياتى . وعندما التحقت بجامعة سيراكيوز جعلت اسمي جيه . ويليام ، وهو اسم شديد الوقع إلى حد ما بالنسبة لفتى فى الثامنة عشر من عمره . ولكن حرب فيتنام وأحداث الشغب والثورة التى اندلعت واضطراب المجتمع اقنعونى جميعاً بأن اسم جيه . ويليام يبدو كاسم شخص متعاون وغير مثير للمشكلات . وقد كان الآخرون ينادوننى باسم ويل .

وكان سبوت ينادينى باسم ويل أو ويليام أو بيل أو حتى بيلى ، وحيث إننى كنت أجيب على جميع هذه الأسماء فلم تكن لدىّ أدنى فكرة عما سيطلقون على بعد ذلك . وفى الإعلان وتحت وجهى الباسم كان مطبوعاً اسمي الجديد . إنه ويلى ترواينور . وقد أصبت بالهلع . فأنا لم أتخيل من قبل أن يدعونى أحد ويلى . فقد ذهبت لمدرسة ابتدائية فى ممفيس ثم التحقت بالجامعة فى نيويورك ولم أقابل قط شخصاً يدعى ويلى . وأنا لم أكن فتى صغيراً ، فقد كنت أمتلك سيارة تريومف سبيتفاير ولدى شعر طويل .

ماذا عساى أن أقول لزملائى فى الرابطة الأخوية فى سيراكيوز ؟ ماذا سأقول لجدتى بيبى ؟

وبعد الاختباء بمنزلى لمدة يومين استجمعت شجاعتى وقررت الذهاب لسبوت مطالباً إياه بفعل شىء ما . ولم أكن أدرى ماذا بإمكانه أن يفعل ولكنه هو الذى ارتكب هذا الخطأ ولابد أن يصلحه . دخلت مبنى التايمز وتوجهت إلى دافى بيجماوث باس

المحرر الرياضى للجريدة . قال لى : " يا له من اسم رائع ! " . وقد تبعته إلى مكتبه طالباً نصيحته .

قلت له : " إن اسمى ليس ويلى " .

" ولكنه اسمك الآن " .

" إن اسمى ويل " .

" الجميع سوف يحبونك هنا . شخص ذكى نازح من الشمال لديه شعر طويل ويقود سيارة رياضية مستوردة . فالناس يعتقدون أن الشاب الذى يحمل اسماً كهذا لابد وأن يكون شاباً ظريفاً . فذلك هو ما حدث مع جو ويلى " .

" من هو جو ويلى ؟ " .

" جو ويلى ناماث " .

" نعم ، تذكرته " .

" نعم ، إنه أحد أبناء الولايات الشمالية مثلك ، من بنسلفانيا تقريباً ، ولكنه عندما جاء إلى ألاباما غير اسمه من جوزيف ويليام إلى جو ويلى . وقد كانت الفتيات تطارده بكل مكان " .

وهكذا بدأت أشعر بتحسن . وفى عام ١٩٧٠ كان ناماث هو أشهر رياضى فى البلاد . وقد ذهبت فى جولة بالسيارة وأخذت أردد اسم ويلى . وفى خلال أسبوعين بدأت أعتاد على هذا الاسم . وكان الجميع يدعوننى ويلى ، وبدأت أشعر بمزيد من الراحة لأن لدى مثل هذا الاسم العملى .

وقد أخبرت بيبى أنه مجرد اسم مستعار مؤقت .

وقد كانت التايمز جريدة ذات صفحات معدودة وقد أدركت على الفور أنها غارقة فى المشكلات . كما كانت شديدة التركيز على

أخبار الوفيات ، وقليلة التطرق إلى الأخبار والإعلانات . وكانت تسود حالة من السخط والاستياء بين الموظفين ، ولكنهم كانوا هادئين وأوفياء . فقد كانت الوظائف قليلة بمقاطعة فورد فى عام ١٩٧٠ . وبعد أسبوع كان جلياً حتى بالنسبة لى أنا الصحفى المبتدئ أن الجريدة كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة . ولم تكن الجريدة تتقاضى أجراً مقابل نشر أخبار الوفيات ، ولكن لم يكن هذا هو الحال مع الإعلانات . وكان سبوت يمضى معظم وقته فى مكتبه الذى يعمه الفوضى ، وكان يغفو من حين لآخر أو يذهب إلى دار الجنائز . وفى بعض الأحيان كانوا يتصلون به . وفى أحيان أخرى كانت أسرة المتوفى تأتى إلى الجريدة بعد خروج النفس الأخير للمتوفى بساعات وتسلم سبوت ورقة نثرية طويلة والتى كان يأخذها برقة ويحررها ويعيد كتابتها حتى يؤلف نعياً مثالياً .

وقد أخبرنى بأن لى مطلق الحرية فى تغطية كل أخبار المقاطعة . وكان بالجريدة مراسل عام آخر وهو باجى ساجس ، ذلك الشاة العجوز الذى كان يمضى ساعات فى التسكع حول دار القضاء عبر الشارع للانخراط فى حوارات يتعرف بها على أخبار المجتمع ولشرب الكحوليات مع مجموعة من المحامين العجائز والثملين لدرجة تجعلهم غير قادرين على ممارسة المهنة بعد ذلك . وكما عرفت سريعاً ، فكان باجى كسولاً للغاية ليبحث عن مصادر معلوماتية جديدة أو التنقيب عن أخبار مثيرة ، ولم يكن من غير المعتاد أن يكون مقاله الرئيسى المنشور بالصفحة الأولى مملاً للغاية ويدور حول النزاع حول الحدود أو اعتداء زوج على زوجته بالضرب .

أما مارجريت السكرتيرة فكانت سيدة ذات أخلاق عظيمة والتى كانت تدير المكان ، على الرغم من أنها كانت فطنة بما فيه الكفاية

لتجعل سبوت يعتقد أنه هو من يتولى الإدارة . وقد كانت فى أوائل الخمسينات من العمر وتعمل بالجريدة منذ عشرين عاماً . وكانت هى المرتكز والأساس الذى يقوم عليه المكان وكان كل شىء يدور حولها . وكانت مارجريت تتحدث برقة وخجولة بعض الشىء ، ومنذ يومى الأول فى العمل وهى تخشانى وترهبنى للغاية لأننى كنت من ممفيس وارتدت الجامعة فى الشمال لمدة خمس سنوات . وقد حرصت ألا أرتدى شعار الجامعة هناك ، ولكننى فى الوقت ذاته أردت أن يدرك هؤلاء المسيسيبيين الريفيين أننى حظيت بتعليم راق .

وكنت أنا وهى نتجاذب أطراف الحديث كثيراً ، وبعد أسبوع أكدت لى ما كنت أظنه بالفعل ـ أن السيد كاودل معتوهاً ، وأن الجريدة تواجه أزمة مالية طاحنة . ولكنها قالت إن كاودل يمتلك إرثاً أسرياً !

وقد مضت سنوات قبل أن أفهم هذا اللغز .

ففى المسيسيبى لا يعنى الإرث الأسرى الثروة . فهو ليس له أدنى صلة بالأموال أو الأصول النقدية . فالإرث الأسرى هو منزلة يحظى بها شخص أبيض تلقى تعليماً أعلى من التعليم الثانوى ، وولد فى منزل ضخم ذى شرفة أمامية ـ والتى من المفضل أن تكون من ذلك النوع المحاط بحقول القطن أو فول الصويا ، على الرغم من أن ذلك ليس شرطاً أساسيا ـ وتولت رعايته من جهة مربية لطيفة سوداء تدعى بيسى أو بيرل ، ومن جهة أخرى جدان واللذان كانا فى أحد الأيام يمتلكان جدود بيسى أو بيرل الأعلى ، والذى تربى منذ الصغر على عادات اجتماعية صارمة خاصة بالأثرياء . وبالطبع كانت الأملاك والسندات مهمة إلى حد ما ، ولكن المسيسيبى كانت

مستوطناً للمفلسين الذين يمتلكون إرثاً أسرياً . إنه شيء لا يمكن شراؤه ، بل لابد أن يسلم للمرء عند ميلاده .

وعندما تحدثت إلى محامي أسرة كاودل شرح لى بإيجاز القيمة الحقيقية لإرث أسرة كاودل . قال لى بعدما جلست على مقعد جلدى رث أمام مكتبه العتيق المصنوع من خشب الماهوجنى : " إنهم فقراء للغاية " . كان اسمه وولتر سوليفان صاحب شركة سوليفان آند أوهار الكبرى ، وهى أكبر شركة محاماة بمقاطعة فورد وتضم سبعة محامين . وقد قام بدراسة إعلان الإفلاس وأخبرنى عن عائلة كاودل والأموال التى كانوا يمتلكونها ومدى الغباء الذى كانوا يديرون به ما كانت فى أحد الأيام جريدة ناجحة تدر ربحاً وفيرًا حتى جعلوها تشهر إفلاسها . وقد ظل يمثلهم طوال ثلاثين عامًا منذ أن كانت السيدة إيما هى التى تتولى إدارة الجريدة ، وكان عدد مشتركيها خمسة آلاف مشترك ، وصفحاتها زاخرة بالإعلانات . وكانت هى تحتفظ ببنك الائتمان بوديعة قدرها ٥٠٠٠٠٠ دولار تحسبًا لأى أزمة طارئة .

وبعد ذلك توفى زوجها ، وتزوجت ثانية برجل من البلدة مدمن للكحوليات يصغرها بعشرين عاما . وفى الأوقات التى يكون فيها غير ثمل يكون نصف مثقف ويتخيل نفسه شاعراً معذبًا وكاتب مقالات . وكانت السيدة إيما مفتونة به وتحبه للغاية وعينته كمحرر مساعد ؛ حيث كان يكتب مقالات افتتاحية طويلة يصف فيها كل شيء بمقاطعة فورد . وكانت تلك هى بداية النهاية . فكان سبوت يكره زوج أمه الجديد ، وكان هذا الشعور متبادلاً ، وقد تأزمت علاقتهما تلك فى النهاية بإحدى أدمى المشاجرات فى تاريخ منطقة وسط المدينة بكلانتون . وقد حدثت هذه المشاجرة على الرصيف أمام مكتب التايمز بميدان وسط المدينة وسط حشد كبير

يقف في ذهولٍ . وقد كان العامة واثقين من أن مخ سبوت ـ والذى كان متضرراً بالفعل ـ قد تعرض لمزيد من التلف في هذا اليوم . فبعد تلك المشاجرة بفترة وجيزة تخصص سبوت فى كتابة أخبار الوفيات اللعينة تلك فقط .

وقد هرب زوج الأم بجميع أموال زوجته ؛ الأمر الذى أدى إلى انكسار فؤادها وانعزالها عن العالم .

قال السيد سوليفان : " لقد كانت التايمز فى أحد الأيام جريدة ناجحة . ولكن انظر إليها الآن . لديها أقل من اثنى عشر ألف مشترك وغارقة في الديون ومفلسة ! " .

سألته : " ماذا ستفعل المحكمة ؟ " .

" ستحاول إيجاد مشترٍ لها " .

" مشترى ؟ " .

" نعم ، فشخص ما سوف يشتريها . فالمقاطعة لابد أن يكون لها جريدة " .

وعلى الفور طرأ على ذهنى شخصان ـ نيك دينير وجدتى بيبى . فقد أصبحت أسرة نيك فاحشة الثراء نتيجة الأرباح الهائلة التى حققتها جريدة المقاطعة الأسبوعية . أما بيبى فهى ثرية بالفعل ولديها حفيد واحد تحبه . بدأ قلبى يخفق بشدة عندما شعرت بمدى روعة تلك الفرصة السانحة .

ظل السيد سوليفان يراقبنى وقد كان واضحاً أنه أدرك ما أفكر فيه . قال لى : " يمكن شراؤها مقابل مبلغ زهيد من المال " .

" كم هذا المبلغ ؟ " ، هكذا سألته وأنا تملؤنى ثقة مراسل صحفى فى الثالثة والعشرين من عمره له جدة ترقد فوق كنزٍ ثمين .

" حوالى خمسين ألفاً . خمسة وعشرين ألفاً مقابل الجريدة ، وخمسة وعشرين ألفاً أخرى لتشغيلها . ومعظم الديون يمكن

تسويتها ثم إعادة التفاوض بشأنها مع الدائنين " . توقف عن الحديث ثم اتكأ للأمام ووضع مرفقيه على مكتبه وعقد حاجبيه الرماديين كثي الشعر وكأن ذهنه لا يكف عن العمل والتفكير ، ثم قال : " إنها من الممكن أن تكون منجم ذهب حقيقي " .

لم تستثمر بيبي أمولها من قبل في منجم ذهب ، لكن بعد ثلاثة أيام من صب الماء في المضخة غادرت ممفيس وبحوزتي شيك قدره ٥٠٠٠٠٠ دولار . أعطيته للسيد سوليفان والذي وضعه بحساب ائتماني وقدم التماساً للمحكمة للموافقة على بيع الجريدة . وقد أومأ القاضي - والذي كان يشبه الجثة ومكانه الحقيقي في الفراش بجوار السيدة إيما - برقة وقام بتوقيع اسمه على عجل فوق أمر قضائي جعلني المالك الجديد لجريدة التايمز بمقاطعة فورد .

ولكن لابد أن تكون سليل ثلاثة أجيال على الأقل بمقاطعة فورد حتى يتقبلوك هناك . فبغض النظر عن المال أو التربية ، فالمرء لا يستطيع التحرك هناك واكتساب الثقة بسهولة . فسحابة سوداء من الشكوك تحيط بأي وافد جديد ، ولم أكن أنا مستثنى من هذه القاعدة . وقد كان الناس هناك ودودين وأسخياء ومهذبين ، تقريبًا إلى الدرجة التي تجعلهم شديدي الفضول في صداقاتهم . إنهم يومئون ويتحدثون مع أي أحد يسير بالطريق . إنهم يسألون عن صحتك وحالة الجو ويدعونك إلى دار العبادة . وهم يهرعون لمساعدة الغرباء .

ولكنهم في الواقع لا يثقون بك إلا إذا كانوا قد وثقوا من قبل بجدك .

وبمجرد انتشار خبر شراء شاب غريب من ممفيس للجريدة مقابل خمسين ألفاً أو ربما مائة أو ربما مائتى ألف دولار ذاعت موجة من القيل والقال بالمقاطعة . وكانت مارجريت توافينى دوماً بمستجدات الأمور . ولأننى لم أكن متزوجًا فقد كان هناك احتمال بأن أكون شاذاً . ولأننى كنت طالبًا بجامعة سيراكيوز فهناك احتمال بأننى شيوعى أو الأسوأ ليبرالى . ولأننى من ممفيس فإننى أعزم على إحراج مقاطعة فورد .

ولكن على الجانب الآخر - وكما أذعن الجميع فى هدوء - فأنا الآن المسيطر الأول والأخير على أخبار الوفيات ! لقد كنت شخصاً ذا أهمية كبيرة !

وقد ظهرت صحيفة التايمز الجديدة فى يوم الثامن عشر من مارس عام ١٩٧٠ ، فقط بعد ثلاثة أسابيع من وصول القزم ومعه الأوراق . وكان يبلغ سمكها حوالى بوصة وتحمل عددًا كبيرًا من الصور لم يسبق لأى جريدة أسبوعية بإحدى المقاطعات نشرها من قبل فقد قمت بنشر صور لقوات حرس الشرطة وأعضاء الكشافة وفرق كرة السلة بالمدارس الثانوية والنوادى المفتوحة ونوادى القراءة ونوادى الشاى والجماعات الدينية وفرق الكرة اللينة والنوادى الأهلية . فلقد نشرت عشرات الصور ؛ حيث كنت أحاول أن أدرج فى الجريدة كل كائن حى بالمقاطعة . كما أننا قمنا بتمجيد الأموات كما لم يفعل أحد من قبل . فكانت أخبار الوفيات طويلة إلى درجة مبالغ فيها . وأنا كنت واثقًا من أن سبوت كان فخورًا بالجريدة ولكنه لم يحادثنى قط بعدها .

وكانت الأخبار خفيفة ومرحة . ولم أنشر أية مقالات افتتاحية طويلة . والناس يحبون القراءة عن الجرائم ؛ لذا فقد خصصت باباً للجريمة أسفل الركن السفلى من الصفحة الأولى . ولحسن الحظ فقد

تمت سرقة شاحنتين بالأسبوع الماضى ، وقد قمت بتغطية حادثتى السرقة هاتين كما لو أن فورت نوكس قد تعرض للسلب .

وفى منتصف الصفحة الأولى نشرت عددًا كبيرًا من صور فريق العمل - مارجريت وهاردى وباجى ساجس وأنا والمصور وويلى ميك ودافى بيجماوث باس وميلانى دوجان والتى كانت طالبة بالمدرسة الثانوية وتعمل بدوام جزئى فى الجريدة . وقد كنت فخورًا بفريق العمل هذا . فقد عملنا طوال أربع وعشرين ساعة على مدار عشرة أيام . وقد حققت طبعتنا الأولى نجاحًا ساحقًا ؛ فقد طبعنا خمسة آلاف نسخة وقمنا ببيعها جميعًا . وقد أرسلت صندوقًا من الطبعة الأولى لجدتى بيبى ، والتى كانت منبهرة بشدة .

وفى الشهر التالى بدأت التايمز تتخذ شكلها الجديد وقد كافحت كثيرًا لأحدد الشكل الذى أريدها أن تصبح عليه . ولكن التغيير صعب فى ولاية مسيسيبى الريفية ، لذا فقد قررت أن أجعله تدريجيًا . لقد كانت الجريدة القديمة مفلسة ولكن لم يطرأ عليها سوى تغييرات طفيفة على مدار خمسين عامًا . وقد كتبت المزيد من الأخبار وبعت المزيد من الإعلانات وأدرجت المزيد والمزيد من الصور لمجموعات وفئات مختلفة من الناس . كما أننى زدت من اهتمامى بأخبار الوفيات .

وأنا لم يسبق لى أن أحببت العمل لساعات طويلة ، ولكن حيث إننى مالك الجريدة فقد نسيت أمر الوقت . لقد كنت يافعًا ومشغولاً للغاية بدرجة تبعد عنى الخوف تماماً . فقد كنت فى الثالثة والعشرين من عمرى ، وقد شاء الله ثم التوقيت السليم وثراء جدتى أن أصبح فجأة صاحب جريدة أسبوعية . فلو كنت ترددت ودرست الموضوع وطلبت النصح من أصحاب البنوك والمحاسبين ، فأنا واثق من أن أيًا منهم كان ليحادثنى بالمنطق . ولكن عندما تكون فى

الثالثة والعشرين من عمرك فأنت لا تخشى شيئاً ؛ فليس لديك شيئاً تخسره .

وقد تخيلت أن الأمر سيستغرق عامًا تقريبًا قبل أن تدر الجريدة ربحا وفيرًا . وفي البداية زادت الأرباح ببطء . وبعد ذلك قتلت رودا كاسيلو . وأعتقد أنه من الشائع في مهنة الصحافة بيع المزيد من الصحف بعد ارتكاب أحدهم لجريمة بشعة ، وخاصة حينما تكون العامة راغبة في معرفة التفاصيل . وقد بعنا ألفين وأربعمائة نسخة من الجريدة في الأسبوع السابق لقتلها ، ونحو أربع آلاف نسخة في الأسبوع التالي لقتلها .

فهي لم تكن بجريمة القتل التقليدية .

كانت مقاطعة فورد مكانًا هادئًا يعمه الأمان والسكينة ، ويقطنه أناس محافظون كما يدعون . وكانت المشاجرات باللكمات شائعة دومًا ولكنها كانت في الغالب تنشب بين أبناء الطبقات الدنيا والذين كانوا يتسكعون حول أماكن معاقرة الخمور وما إلى ذلك . وكان يحدث مرة شهريًا أن يصاب رجل أبيض فقير أمي بطلق ناري في حيه السكني أو ربما على يد زوجته نفسها ، كما أنه في عطلات نهاية الأسبوع يطعن شخص واحد على الأقل في أحياء السود . ولكن نادرًا ما يموت أحد في مثل هذه الحوادث .

وقد ظللت أمتلك الجريدة طوال عشر سنوات ـ من عام ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠ ـ غطينا فيها أخبار عدد قليل من جرائم القتل ، لم يكن أي منها بنفس بشاعة حادثة مقتل رودا كاسيلو ، ولم يكن أي منها متعمدًا بنفس الطريقة . وبعد مضي ثلاثين عامًا على هذه الحادثة مازلت أفكر فيها كل يوم .

الفصل الثانى

كانت رودا كاسيلو تعيش في منطقة بيتش هيل ، والتى تبعد اثنى عشر ميلاً عن شمالى كلانتون ، فى منزل متواضع مشيد من الطوب الرمادى على طريق ضيق مرصوف . وكانت المزاهر الموجودة بطول واجهة المنزل خالية من الأعشاب الضارة وتتلقى عناية يومية ، وبينها وبين الطريق مرجة خضراء كبيرة وكثيفة ومشذبة بعناية . وكان الممشى عبارة عن صخور بيضاء مسحوقة . وكان منتشرًا على كلا جانبيه دراجات أرجل وكرات ودراجات عادية . وكان طفلاها الصغيران فى الخارج دومًا مستغرقان في اللعب وأحيانًا يتوقفان لمشاهدة سيارة عابرة .

وقد كان منزلاً ريفيًا صغيراً لطيفًا يقع بجوار منزل السيد والسيدة ديس . وقد مات الشاب الذى اشتراه في حادث سيارة فى مكان ما في تكساس ، وفى سن الثامنة والعشرين أصبحت رودا أرملة . وبمبلغ التأمين على حياة الزوج الذى حصلت عليه الزوجة استطاعت الاحتفاظ بالمنزل والسيارة . وقد استثمرت المبلغ المتبقى لتحصل على دخل شهرى متواضع يساعدها فى النفقات المنزلية

وتربية الطفلين . وكانت تمضى ساعات خارج المنزل تعتنى خلالها بحديقة الخضراوات الخاصة بها وتروى الزهور وتقطع الأعشاب الضارة وتفرش مهاد المزاهر عبر واجهة المنزل .

ولكنها كانت منعزلة . وقد اعتبرتها نساء بيتش هيل العجائز أرملة من النوع التقليدى ، من ذلك النوع الذى يبقى بالمنزل ويبدو حزينًا ويجعل مشاركته الاجتماعية مقتصرة على الذهاب من حين لآخر لدار العبادة . وقد كانت هؤلاء النسوة يهمسن فيما بينهن بأنها يجب أن تكثر من زياراتها تلك إلى دار العبادة .

وبعد وفاة زوجها بفترة وجيزة ، خططت رودا للعودة إلى منزل أسرتها فى ميسورى . فهى لم تكن من مقاطعة فورد وكذلك زوجها . فهما قد انتقلا إلى هناك فقط بسبب وظيفة الزوج . ولكنها كانت تمتلك منزلاً وكان الطفلان سعيدين والجيران ودودين ، وكانت أسرتها مهتمة للغاية بمبلغ التأمين الذى استطاعت الحصول عليه . لذا فقد ظلت فى فورد تفكر دومًا فى الرحيل ، ولكنها لم تفعل ذلك قط .

كانت رودا كاسيلو امرأة جميلة عندما تريد أن تكون كذلك ، ولكنها لم تكن تبدى جمالها هذا كثيرًا . فكانت تخفى دومًا جسدها الجميل تحت ثوب قطنى فضفاض أو قميص واسع مصنوع من الشمبراى والذى كانت تفضل ارتداءه فى أثناء العناية بالحديقة ، وكانت تضع القليل من مساحيق التجميل وتجمع شعرها الطويل كتانى اللون أعلى رأسها . ومعظم طعامها كان يأتى من حديقتها العضوية ، ولهذا السبب فإنها تتمتع ببشرة صحية ناعمة . ومثل هذه الأرملة الجميلة والشابة كانت لتصبح مركز اهتمام الكثيرين بالمقاطعة ، ولكنها كانت تحب الانطواء .

ولكن بعد الحداد بثلاث سنوات أصبحت رودا ناقمة على وضعها الحالى . فهى تتقدم فى العمر وكانت السنين تمر بها سريعًا . وقد كانت صغيرة وجميلة للغاية مما يصعب عليها أن تمضى ليالى السبت وحدها فى المنزل تقرأ قصص ما قبل النوم . فلابد أن تشغل نفسها بشىء ما ، على الرغم من أنه لم يكن هناك شىء لتفعله فى بيتش هيل .

وقد قامت باستئجار فتاة سوداء صغيرة لتجالس الطفلين وقادت سيارتها شمالاً لمدة ساعة على طريق تينيسى ؛ حيث سمعت بوجود نوادى وقاعات رقص محترمة . فربما لن يتعرف عليها أحد هناك . وقد استمتعت بالرقص وانجذاب الرجال لها ، ولكنها لم تشرب الخمر مطلقًا وكانت تعود دومًا للمنزل مبكرًا . وقد أضحت تلك الرحلات من عاداتها الروتينية ؛ فقد كانت تقوم بها مرتين أو ثلاث شهريًا .

وبعد ذلك أصبحت سراويلها الجينز أضيق وأضحت ترقص بنحو أسرع وتغيب خارج المنزل لساعات أطول . وقد بدأت تلفت انتباه الناس إليها وأصبح اسمها يتردد على ألسنة مرتادى النوادى الليلية عبر حدود الولاية .

وقد تبعها إلى المنزل مرتين قبل أن يقتلها . وقد كنا فى مارس وأعطانا حينها الهواء الدافئ أملاً فى بدء مبكر لفصل الربيع . كانت ليلة مظلمة غير مقمرة . وقد اشتمه كلب العائلة الهجين بير بمجرد اختبائه خلف شجرة بالفناء الخلفى . وقد تم تدريب بير على النباح عند الحاجة .

وكان ابن رودا والذى يدعى مايكل فى الخامسة من عمره وابنتها تيريزا فى الثالثة . وكانا يرتديان ردائى نوم متماثلين مطبوع عليهما رسومات كرتونية لوالت ديزنى وكانا يحدقان فى عينى

أمهما البرقاتين وهى تقص عليهما حكاية يونس والحوت . وقد دثرتهما فى الفراش وقبلتهما قبلة ما قبل النوم ، وحينما أطفأت رودا مصباح غرفة نوم الطفلين ، كان بالمنزل بالفعل .

وبعد ساعة أغلقت التلفاز وأوصدت الأبواب وانتظرت بير الذى لم يظهر . ولم تندهش لذلك لأنه عادة ما كان يطارد الأرانب والسناجب بالغابة ويعود للمنزل متأخرًا . وكان بير ينام فى الشرفة الخلفية ويوقظها على نباحه بالفجر . وفى غرفة نومها خلعت ثوبها القطنى الخفيف وفتحت باب الخزانة ؛ حيث كان القاتل مختبأ فى الظلام .

أمسك بها من الخلف وغطى فمها بيده الضخمة والتى تتصبب عرقًا وقال : " لدى سكينٍ . سوف أقوم بتشريحك أنت وطفليك " . وبيده الأخرى رفع نصلاً براقًا ولوح به أمام عينيها .

همس داخل أذنها : " هل تفهمين ذلك ؟ " .

ولقد كانت ترتعد ولكنها نجحت فى أن تومأ بالموافقة وهى لم تستطع أن ترى شكله . ولقد ألقى بها فوق أرض الخزانة التى يعمها الفوضى وجذب كلتا يديها خلف ظهرها ، ثم أخذ وشاحًا بنيًا صوفيًا كانت قد أعطته إياها عمة عجوز ولفه بشدة حول وجهها . ظل يدمدم داخل أذنها : " لا تنبسى بكلمة واحدة ، وإلا فسوف أمزق أطفالك إربًا " . وعندما انتهى من تعصيب عينيها سحبها من شعرها إلى الفراش . وقد ألصق نصل السكين بعنقها وقال لها : " لا تحاولى المقاومة ، وإلا سأستخدم هذا السكين " . وقام بخلع ملابسها الداخلية وبدأ الاعتداء عليها .

وقد كان يرغب فى رؤية عينيها ، تلك العينين الجميلتين اللتين رآهما قبل ذلك فى نوادى الرقص . وكذلك شعرها الطويل . وكان قد اشترى لها مشروبًا ورقص معها مرتين ، وعندما حاول فى النهاية

التودد إليها صدته بشدة . ما رأيك فى هذا يا عزيزتى ، قالها بصوت مرتفع حتى تستطيع سماعه .

فقد ظل هو وجاك دانيال يستجممان شجاعتهما طوال ثلاث ساعات ، والآن ذهب الويسكى بعقله تمامًا . تحرك ببطء فوقها وهو يستمتع بكل لحظة من الاعتداء . ظل يغمغم حيث شعر بأنه رجل حقيقى فاز بما أراده بالفعل .

كانت رائحة الويسكى والعرق التى تنبعث منه تجعلها تشعر بالغثيان ، ولكنها كانت خائفة للغاية أن تتقيأ . فقد يغضبه ذلك ويجعله يستخدم السكين . وبينما بدأت تتقبل هول الموقف شرعت فى التفكير . يجب أن أبقى هادئة ، فلا ينبغى أن يستيقظ الطفلان . وماذا عساه أن يفعل بالسكين عندما ينتهى ؟

أصبحت حركاته أسرع وشرع فى الغمغمة بصوت أعلى . همس ثانية : " ابقى هادئة يا عزيزتى وإلا فسوف أستخدم السكين " . وكان الفراش الحديدى المزخرف يصدر صريرًا ؛ فهو لم يَعتد على هذه الحركات العنيفة . لقد كانت الضوضاء عالية ، ولكنه لم يكترث لذلك .

وقد أيقظت قعقعة الفراش مايكل والذى أيقظ تيريزا بدوره . وقد خرجا من غرفتهما وتسللا خلال الردهة المظلمة ليريان ماذا يحدث . فتح مايكل باب حجرة نوم والدته ورأى الشخص الغريب فوقها ، وقال : " أمى ! " . توقف الرجل عما يفعله للحظة وأدار رأسه ناحية الطفلين .

وقد أصاب صوت الطفل رودا بالفزع والتى اندفعت للأمام ولطمت بكلتا يديها المعتدى محاولة الإمساك بأى شىء . وقد أصابته إحدى قبضتيها فى عينه اليسرى ، الأمر الذى فاجأه . ثم انتزعت عصابة العين وأخذت تركل بكلتا ساقيها . قام بصفعها وحاول طرحها

للأسفل مجددًا . صرخت وهي لازالت تضرب بيديها : " داني بادجيت ! " . صفعها مرة أخرى .

صرخ مايكل : " أمي ! " .

" اهربا يا أطفال ! " . حاولت رودا الصراخ ولكن لطمات المعتدى أعجزتها عن ذلك .

صرخ بادجيت : " اخرسى ! " .

صاحت رودا ثانية : " اهربا ! " ، وقد عاد الطفلان للخلف وركضا فى الردهة ومنها للمطبخ ثم خرجا إلى الشارع حيث الأمان .

وفى اللحظة التى تلت نطقها باسمه ، أدرك بادجيت أنه لا سبيل أمامه سوى إسكاتها للأبد . أخذ السكين وطعنها مرتين ثم زحف من الفراش وارتدى ملابسه .

كان السيد والسيدة آرون ديس يشاهدان التلفاز فى وقت متأخر من الليل حينما سمعا صوت مايكل وهو ينادى عليهما ويقترب أكثر فأكثر . قابل السيد ديس الطفل لدى الباب الأمامي . كان رداء نومه نديًا نتيجة كثرة العرق الذى تصببه وكانت أسنانه تصر بشدة لدرجة جعلته يتحدث بصعوبة . وظل يردد : " لقد قام بإيذاء أمى ! لقد قام بإيذاء أمى ! " .

وخلال الظلام القابع بين المنزلين رأى السيد ديس تيريزا تركض خلف أخيها . كانت تقريبًا تركض فى نفس المكان كما لو أنها تريد أن تذهب فى نفس الطريق . وعندما ذهب السيد ديس إليها عند مرآب منزله كانت تمص إصبعها وعاجزة عن الكلام .

هرع السيد ديس داخل المنزل والتقط بندقيتين ، واحدة له والأخرى لزوجته . كان الطفلان بالمنزل مفزوعين لدرجة جعلتهما

شبه مشلولين . ظل مايكل يردد : " لقد آذى أمى " . احتضنته السيدة ديس وأخبرته بأن كل شيء سيكون على ما يرام . نظرت إلى البندقية التى أحضرها إليها زوجها ووضعها على الطاولة . قال وهو يغادر المنزل سريعًا : " ابقوا هنا " .

ولم يبتعد كثيرًا . فقد نجحت رودا فى الوصول تقريبًا إلى منزل ديس ولكنها سقطت فوق الأعشاب المبتلة . كانت عارية تمامًا ، ومغطاة بالدماء بدءًا من الرقبة وحتى أسفل . وقد قام بحملها إلى الشرفة الأمامية وصاح عاليًا طالبًا من زوجته أن تصطحب الطفلين إلى غرفة النوم وتحبسهما بداخلها . فلم يكن من الممكن أن يدعهما يريان أمهما فى لحظاتها الأخيرة .

وحينما وضعها فوق الأرجوحة همست رودا : " دانى بادجيت ، لقد كان دانى بادجيت " .

قام بتغطيتها بلحاف ثم استدعى الإسعاف .

ترك دانى بادجيت شاحنته فى منتصف الطريق وقد قادها بعد ذلك بسرعة تسعين ميلاً فى الساعة . وكان نصف مخمور وخائفًا بشدة على الرغم من أنه رفض الاعتراف بذلك . سوف يصل إلى المنزل فى غضون عشر دقائق ليحظى بالأمان فى كنف مملكته الأسرية الصغيرة التى تسمى جزيرة بادجيت .

إن هذين الوجهين الصغيرين أفسدا كل شيء . سوف يفكر فى هذا الأمر فى صباح اليوم التالى . أخذ رشفة كبيرة من زجاجة خمر جاك دانيال وشعر بأنه أفضل حالاً .

وأثناء قيادته للشاحنة اصطدم بشيء ما ، أرنب أو كلب صغير أو ربما شخص ما ، فهو لم يستطع رؤيته بوضوح . قام غريزيًا بالضغط

على دواسة المكبح ولكن ليس طويلاً لأنه لم يكن يكترث فى الحقيقة لما صدمه ، بل إنه كان يستمتع برياضة قتل الكائنات الحية على الطريق ، ولكنه ضغط عليها بعنف مما جعل العجلات الخلفية تعلق والشاحنة تترنح . وقبل أن يدرك ذلك كان دانى فى مأزق خطير . أدار عجلة القيادة فى اتجاه ـ والذى كان الاتجاه الخاطئ ـ وانحرفت الشاحنة ناحية حصى الطريق حيث بدأت تدور حول نفسها . سقطت في المصرف وانقلبت مرتين ثم ارتطمت بمجموعة من أشجار الصنوبر . ولو لم يكن دانى ثملاً لكان قد لقى حتفه فى هذا الحادث ، ولكن المخمورين يفلتون بجلودهم .

زحف عبر زجاج النافذة المحطم وظل متكأ على الشاحنة لفترة طويلة وهو يتفحص جروحه وخدوشه ويفكر فيما سيفعله . اكتشف أن إحدى ساقيه متصلبة بشدة وهو يتسلق حافة الطريق وأدرك أنه لا يستطيع الابتعاد كثيرًا . وهذا ليس فى صالحه إطلاقًا .

وقد سلطت أضواء زرقاء عليه حتى قبل أن يدرك ذلك . خرج الشرطى من السيارة وهو يستكشف ما حدث بتسليط ضوء مصباحه على السيارة . وقد ظهرت المزيد من الأضواء الوامضة على الطريق .

رأى الشرطى الدماء وشم رائحة الويسكى وجلب الأصفاد .

الفصل الثالث

ينبع نهر بيج براون الكبير من الجنوب فى تينيسى ويجرى فى مجرى مستقيم بقناة محفورة يدويًا لمسافة ثلاثين ميلاً خلال منتصف مقاطعة تايلر ، بالمسيسيبى . وعلى بعد ميلين قبل بداية مقاطعة فورد يبدأ هذا النهر فى الالتفاف والدوران ، وفى الوقت الذى يترك فيه مقاطعة تايلر يكون قد اتخذ شكل الثعبان الخائف ، حيث يدور فى يأس ولا يذهب إلى أى مكان . وماء هذا النهر ثخين وثقيل وملئ بالطمى وبطئ وضحل فى معظم الأماكن . ونهر بيج براون ليس معروفا بجماله . فالرمل والطمى والحصى ينتشر على التواءاته وضفافه . ومئات الأخاديد والتصدعات تغذيه بإمداد لا ينضب من الماء بطئ الحركة .

ورحلة هذا النهر خلال مقاطعة فورد قصيرة وموجزة . فهو ينحرف للأسفل ويكون دائرة عريضة حول ألفى أكر فى الجزء الشمالى الشرقى من المقاطعة ، وبعد ذلك يغادرها متجهًا مرة أخرى إلى تينيسى . وقد أوشكت الدائرة على الاكتمال والجزيرة على

التشكل ، ولكن في اللحظة الأخيرة يتوقف النهر عن السريان ويترك شريطًا أرضيًا ضيقًا بين ضفتيه .

وتعرف هذه الدائرة باسم جزيرة بادجيت ، وهي عبارة عن غابة متخمة بأشجار الصنوبر والصمغ والدردار والبلوط وعدد كبير من المستنقعات والروافد والأراضي الموحلة بعضها متصل ببعضه ولكن معظمها منعزل . ونسبة ضئيلة للغاية من التربة الخصبة هي التي تم استخدامها . هذا ولم يتم حصاد شيء من الجزيرة سوى الأشجار والكثير من الذرة ـ لصنع الكحول غير القانوني . والماريجوانا كذلك ، ولكن كان ذلك فيما بعد .

وعلى شريط الأرض الضيق الواقع بين ضفتي نهر البيج براون كان هنالك طريق مرصوف ذو اتجاهين يقف فيه دومًا حارس . وقد شيدت المقاطعة هذا الطريق منذ زمن طويل ، لكن عددًا قليلاً فقط من دافعي الضرائب هم من واتتهم الجرأة على استخدامه .

والجزيرة بالكامل ملك لعائلة بادجيت منذ حركة الإصلاح عندما نزح رودولف بادجيت أحد أبناء الشمال الأمريكي إلى الجنوب بعد الحرب متأخرًا قليلاً ليجد أن جميع الأراضي الرئيسية قد تم الاستيلاء عليها . أخذ يبحث عن أرض مناسبة لكن دون جدوى . فلم يكن هناك شيء جذاب ، ولكنه بطريقة ما تعثر بتلك الجزيرة الممتلئة بالثعابين . بيد أنها بدت مبشرة على الخريطة . فقام بجمع عدد من العبيد الذين نالوا حريتهم مؤخرًا ، وحملوا في أيديهم جميعًا المشاعل والبنادق وشقوا طريقهم داخل الجزيرة . ولم يكن هناك أحد آخر راغب فيها .

وقد تزوج رودولف من عاهرة من البلدة والتي بدأت تقوم بتقطيع الأشجار . وحيث إن الحاجة كانت كبيرة للخشب بعد الحرب فسرعان ما أصبح رودولف ميسور الحال . وقد أثبتت الفتاة بأنها

شديدة الخصوبة حقًا وملأت الجزيرة بالأطفال الصغار . وقد تعلم أحد العبيد الذى استأجره فن التقطير . وأصبح رودولف من زراع الذرة والتى لم يأكلها قط أو يبيعها بل استخدامها فى صنع ما عرف فيما بعد بأفضل أنواع الكحول بأقصى الجنوب .

وطوال ثلاثين عامًا ظل رودولف يصنع الكحول غير الشرعى حتى توفى إثر إصابته بالتليف الكبدى فى عام ١٩٠٢ . وفى ذلك الحين كانت عشيرة بأكملها من عائلة بادجيت يقطنون الجزيرة وكانوا يدرون أرباحًا وفيرة من طحن الخشب وإنتاج كحول غير قانونى . وكان متفرقًا بأنحاء الجزيرة نصف دستة من آلات التقطير ، المخبأة بعناية والمحروسة جيدًا ، والتى يعمل عليها مجموعة من الرجال البارعين .

وكان آل بادجيت مشهورين بالكحول الذى يصنعونه ، على الرغم من أن الشهرة لم تكن أبدًا شيئاً يسعون وراءه . فقد كانوا كتومين ويشكلون عائلة متماسكة تحافظ على خصوصيتها بضراوة ، وتخشى حتى الموت أن يقتنص أحدهم أو يتسلل إلى مملكتهم الصغيرة ويفسد تجارتهم المربحة . وقد كانوا يدعون أنهم يعملون فى مجال الأخشاب وكان من المعروف أنهم يزرعون الأشجار ويبيعونها ويحققون مكاسب طائلة من وراء ذلك . وكان ممكنًا لأى شخص رؤية شركة بادجيت للخشب من الطريق السريع الرئيسى بالقرب من النهر . لقد كانوا يدعون بأنهم يمتهنون تجارة شرعية ويدفعون الضرائب وما إلى ذلك . وكان أطفالهم يذهبون إلى المدارس الحكومية .

وخلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين حينما تم حظر بيع الكحول وكانت الأمة متعطشة إليه ، لم يكن فى الإمكان تقطير كحول بادجيت بالسرعة المطلوبة ، فكان يشحن فى براميل

من البلوط عبر نهر البيج براون ثم ينقل في شاحنات إلى الشمال حتى شيكاغو . وكان مدير الإنتاج والتسويق هو محارب قديم شديد الحرص على المال يسمى كلوفيس بادجيت ، الابن الأكبر لرودولف والفتاة المحلية . وقد تعلم كلوفيس منذ نعومة أظفاره أن أفضل الأرباح هى تلك التى تتأتى من التجارة غير مدفوعة الضرائب . وكان هذا هو الدرس الأول ، أما الدرس الثانى فمفاده الحزم والشدة فيما يخص الأموال النقدية . فكان كلوفيس متشددًا فيما يختص بإنفاق المال ولا يدفع الضرائب ، وكان آل بادجيت معروفين بأنهم يمتلكون من الأموال أكثر مما يوجد بخزانة ولاية مسيسيبى .

وفى عام ١٩٣٨ ، تسلل ثلاثة عملاء من وكالة مصدر الدخل عبر نهر البيج براون فى مركب مسطح مستأجر بحثًا عن مصدر ثروة عائلة بادجيت . وقد باء غزوهم السرى للجزيرة بالفشل بطرق عدة ، أهمها وأكثرها وضوحًا طريقة تنفيذ الفكرة نفسها . فهم لسبب ما اختاروا أن يكون وقت عبورهم النهر هو منتصف الليل . وقد تم تمزيق جثثهم إربًا ودفنوا فى قبور عميقة .

وفى عام ١٩٤٣ ، حدث شىء غريب فى مقاطعة فورد ـ فقد تم انتخاب رجل نزيه كشريف ، أو الشريف السامى كما كان معروفًا . وكان اسمه كونس لانتريب ، وهو لم يكن نزيها حقًا ، ولكنه كان يبدو كذلك فى أثناء إلقائه للخطب السياسية . وقد أخذ على نفسه عهدًا بالقضاء على الفساد وتنظيف حكومة المقاطعة ، ووضع حد للأنشطة غير الشرعية للمهربين وصانعى الخمور ـ بما فيهم آل بادجيت . وقد كانت خطبة لطيفة واستطاع لانتريب الفوز بفارق ثمانية أصوات .

وقد ظل مؤيدوه ينتظرون وينتظرون ، وأخيرًا وبعد توليه منصبه بستة أشهر حشد رجاله وعبر البيج براون فوق الجسر الوحيد ،

ذلك البناء الخشبى القديم الذى شيدته المقاطعة فى عام ١٩١٥ بناءً على إصرار كلوفيس . وكان آل بادجيت يستخدمونه فى بعض الأحيان فى فترة الربيع حينما تعلو مياه النهر . ولم يكن من المسموح لأحد آخر بعبوره .

وقد قتل اثنان من نواب الشريف رميًا بالرصاص فى الرأس ، أما جثة لانتريب فلم يتم العثور عليها أبدًا . فقد تم دفنها بحرص فى ضفة أحد المستنقعات ثلاثة من رجال بادجيت السود . وقد قام بوفورد ـ ابن كلوفيس الأكبر ـ بالإشراف على مراسم الدفن .

وقد ظلت تلك المذبحة تتصدر الأخبار فى المسيسيبى طوال أسابيع ، وقد هدد حاكم الولاية بإرسال قوات من الحرس القومى . ولكن الحرب العالمية الثانية كانت متأججة فى ذلك الوقت واستحوذت أحداثها على انتباه البلاد . ولم يكن العدد المتبقى من الحرس القومى كثيرًا بأى حال من الأحوال ، ولم يكن هؤلاء الذين يستطيعون القتال متحمسين للغاية لفكرة مهاجمة جزيرة بادجيت . فشواطئ نورماندى كانت أكثر أمانًا .

وبعد تعافيهم من الحادث البشع الذى مرٍ به الشريف النزيه ، انتخب أهل مقاطعة فورد الطيبين شريفا جديدًا من المدرسة القديمة . وكان اسمه ماكى دون كولى وأبوه كان الشريف السامى فى الفترة التى كان كلوفيس مسئولاً خلالها عن إدارة الجزيرة . وكان كلوفيس ووالد كولى صديقين مقربين ، وكان لا يخفى على أحد أن الشريف كان رجلا ثريًا لأن بادجيت العجوز كان له مطلق الحرية فى التجول خارج المقاطعة . وعندما رشح ماكى دون نفسه لمنصب الشريف أرسل إليه بوفورد مبلغ ٥٠٠٠٠ دولار نقدًا . وقد فاز ماكى دون فوزًا ساحقا حيث حاز على أغلبية الأصوات . وقد ادعى منافسه بأنه رجل نزيه .

وقد كان هناك اعتقاد شائع ولكنه غير معلن فى المسيسيبى أن الشريف الحازم هو من يستخدم أساليب الخداع كى يسود النظام ويلتزم الناس بالقوانين . ففى الوقت الذى كانت فيه الكحوليات والدعارة والمقامرة ببساطة جزءًا من الحياة ، كان الشريف البارع هو الملم بهذه الأمور حتى يستطيع تنظيمها وحماية باقى المواطنين . ومثل تلك الرذائل لا يمكن القضاء عليها ، لذا فإن الشريف السامى لابد أن يكون قادرًا على تنسيقها وتنظيمها . ولجهوده التنظيمية تلك لابد أن يتقاضى أجرًا إضافيًا من متعهدى مثل تلك الأعمال غير الشرعية . وقد كان يتوقع هذا . ومعظم من صوتوا له كان يتوقعون هذا . فلا يستطيع أى رجل نزيه أن يكفى احتياجاته واحتياجات أسرته براتبه المتواضع فقط . ولا يستطيع أى رجل شريف كذلك التجول بأمان داخل أروقة العالم السفلى .

وفى خلال المائة عام التى تلت الحرب الأهلية تقريبًا استطاع آل بادجيت شراء ولاء شرفاء مقاطعة فورد . فكانوا يشترونهم بسهولة بحقائب من المال . وكان ماكى دون كولى يتقاضى مائة ألف دولار سنويًا (كما كان يقال) ، وفى سنوات الانتخاب كان يحصل على كل ما يريد . كما أنهم كانوا أسخياء كذلك مع السياسيين الآخرين . فقد كانوا يشترون ولاءهم فى هدوء ويفرضون سيطرتهم . وكانوا فى المقابل لا يريدون إلا القليل ، فقط أن يتركهم الآخرون لحالهم فى جزيرتهم .

وبعد الحرب العالمية الثانية انخفض الطلب على الكحول ، وحيث إن آل بادجيت قد احترفوا طرق الخروج عن القانون فقد بدأ بوفورد وباقى أفراد العائلة فى الانهماك فى أعمال متباينة من التجارة غير المشروعة . فبيع الأخشاب فقط كان عملاً مملاً ويخضع لعوامل السوق المختلفة ، والأهم من ذلك أنه لا يدر ذلك القدر الهائل

من المال الذى تنتظره عائلة بادجيت . فكانوا يتاجرون فى الأسلحة والسيارات المسروقة ويزورون الأموال ويشترون المبانى ويحرقونها للحصول علىٍ مبالغ التأمين . وطوال عشرين عامًا كانوا يديرون بيت دعارة ناجحا على حدود المقاطعة حتى احترق فى ظروف غامضة فى عام ١٩٦٦ .

وقد كانوا مبتكرين ومفعمين بالطاقة ، يخططون ويبحثون دومًا عن الفرصة المناسبة ، وينتظرون طوال الوقت إيجاد شخص يسرقونه . وقد كانت هناك شائعة قوية انتشرت فى وقت ما أن آل بادجيت هم أعضاء فى مافيا ديكسى ، وهى عصابة غير متماسكة من اللصوص البيض الذين فلت زمامهم فى أقصى الجنوب فى الستينات . ولم يستطع أحد التأكد من صحة هذه الشائعة ، بل قام الكثيرون بتكذيبها لأن آل بادجيت ببساطة كانوا متكتمين للغاية وحريصين لدرجة لا تجعلهم يشاركون أحدًا فى تجارتهم . ومع ذلك فقد استمرت تلك الشائعة لسنوات ، وقد كانت عائلة بادجيت مصدرًا خصبًا للقيل والقال بالمقاهى والنوادى فى كلانتون . ولم ينظر إليهم أحد قط بوصفهم أبطالاً محليين ولكن بوصفهم أسطورة حية .

وفى عام ١٩٦٧ نزح أحد شباب عائلة بادجيت إلى كندا ، ثم استقر فى كاليفورنيا حيث جرب الماريجوانا وهام بها عشقاً . وبعد عدة أشهر من الترحال هنا وهناك جعله الحنين إلى الوطن يعود إلى جزيرة بادجيت . وقد جلب معه أربعة أرطال من المخدر وشاركها مع أولاد عمومته ، وقد أسرت ألبابهم هم أيضًا . وقد شرح لهم مدى انتشار هذا المخدرِ فى باقى أرجاء البلاد وخاصة كاليفورنيا . فكما هو معتاد دائما ، كانت المسيسيبى متأخرة عن الركب بخمس سنوات على الأقل .

وكـان يمكـن زراعـة هـذه المـادة بتكـاليف بسـيطة ثـم نقلـها بالشاحنات إلى المدن حيث يشتد الطلب عليها . وقد رأى أبوه ـ جيـل بادجيـت ، حفيـد كلـوفيس ـ الفرصـة السـانحة ، وسـرعان مـا تم تحويل العديد من حقول الذرة القديمة إلى حقول لزراعة القنب . فقد تم إخلاء ألفى قدم من شريط الأرض اسـتعدادًا للتغـيير واشـترى آل بادجيت طائرة خاصة . وفى خلال عام كانت تقلع رحلات يومية إلى ضواحى ممفيس وأتلانتا حيث قام آل بادجيـت بترسيخ شبكتهم . وبـذلك أصـبحت الماريجوانـا أخـيرًا بفضـل عائلـة بادجيـت شـائعة وتتمتع بشعبية كبيرة فى أقصى الجنوب .

وقـد تراجعـت تجـارة الكحـول بنحـو ملحـوظ ، وتوقـف بيـت الدعارة عن العمل ، وكان لآل بادجيت معارف فى ميـامى والمكسـيك وكانت الأموال تأتيهم فى شاحنات . وطوال سـنوات لم يخطـر علـى بـال أحـد فـى مقاطعـة فـورد أن آل بادجيـت كـانوا يتـاجرون فـى المخدرات . ولم يسبق أن قبض رجال الشرطة على أحدهم . ولم يتـهم أى فرد من عائلة بادجيت بأى تـهمة لها صلة بالمخدرات .

فى الحقيقة ، لم يدخل قط أحد منهم السجن . فخلال مائـة عـام من التجارة غير المشروعة فى الويسـكى والسـرقة وتجـارة الأسـلحة والمقامرة وتزييف الأموال والـدعارة والرشـوة وحتـى القتـل وأخـيرًا تجارة المخدرات ، لم يتم اعتقال ولو فـرد واحـد مـن آل بادجيـت . فقد كانوا أناساً أذكياء وحريصين ومثابرين فى تنفيذ خططهم .

وبعد ذلك ألقى القبض على دانى بادجيت ـ ابـن جيـل الأصـغر ـ بتـهمة اغتصاب وقتل رودا كاسيلو .

الفصل الرابع

وقد أخبرني السيد ديس في اليوم التالي بأنه بعدما تأكد من أن رودا قد لقت حتفها تركها فوق الأرجوحة بالشرفة الأمامية . ثم ذهب إلى دورة المياه وخلع ملابسه وبدأ في الاستحمام ورأى دماءها وهي تسقط على الأرض لتنزل داخل البالوعة . بدل ملابسه وارتدى ملابس العمل وانتظر وصول الشرطة وسيارة الإسعاف . أخذ يراقب منزلها وهو يمسك ببندقيته المحشوة متلهفاً لإطلاق النار على أي شيء يراه يتحرك . ولكن لم تكن هناك أية حركة ولا أي صوت . ومن بعيد استطاع بالكاد أن يسمع صوت نفير سيارة الشرطة .

وقد أبقت زوجته الطفلين في غرفة النوم الخلفية حيث احتضنتهما في الفراش تحت غطاء . ظل مايكل يسأل عن أمه ومن يكون هذا الرجل ، أما تيريزا فكانت عاجزة عن الكلام من شدة الصدمة . فقد كانت فقط تصدر صوت تأوه منخفض بينما تمص أصابعها وترتعد كما لو كانت متجمدة من شدة البرد .

وقبل أن يمضي وقت طويل كان شارع بيننج مشتعلاً بالأضواء الوامضة الزرقاء والحمراء . وقد تم تصوير جثة رودا بالكامل قبل أن

يأخذونها بعيدًا . وقد ضربت فرقة الشرطة بقيادة الشريف كولى نفسه حصارًا حول منزلها . وقد أدلى السيد ديس بتصريحاته للمحقق ثم للشريف وهو لا يزال يحمل بندقيته .

وبعد الثانية صباحًا بقليل وصلت فرقة من رجال الشرطة تقول إن أحد الأطباء بالمدينة قد علم بالحادث واقترح ذهاب الطفلين إليه ليلقى عليهما نظرة . فركب الطفلان بالمقعد الخلفى من سيارة الشرطة ومايكل يتشبث بالسيد ديس وتيريزا تجلس على ساقى السيدة ديس . وفى المستشفى ، أعطوهما مسكنًا خفيفاً ووضعوهما معًا فى غرفة شبه شاغرة ، حيث أحضرت لهن الممرضات كعكاً محلى ولبناً حتى خلدا للنوم فى النهاية . وفى وقت متأخر من هذا اليوم وصلت خالة لهما من ميسورى وأخذتهما ورحلت .

رن جرس الهاتف فى منزلى قبل منتصف الليل بثوان معدودة . لقد كان المتصل هو ويلى ميك مصور الجريدة . فقد سمع بما حدث وكان بالفعل يتسكع حول السجن منتظرًا قدوم المشتبه فيه . كان رجال الشرطة فى كل مكان ـ على حد قوله ـ وكان شعوره بالإثارة لا حدود له . وقد استحثنى على الذهاب سريعًا . فقد تكون تلك هى الضربة الكبرى .

وفى ذلك الوقت كنت أعيش فوق مرآب قديم مجاور لمنزل رث ، ولكنه لا يزال من الطراز الفيكتورى ويُعرف باسم منزل هوكيت . وقد كان يملؤه عدد من أفراد عائلة هوكيت المتقدمين فى السن ، ثلاث أخوات وأخ ، وكانوا هم أصحاب المنزل الذى أقطنه . وكانت أملاكهم العقارية التى تحتل مساحة ثمانية أكرات عبارة عن عدد قليل من الأبنية يبدأ من ميدان كلانتون والتى تم تشييدها منذ قرن

مضى بأموال العائلة . وقد كانت زاخرة بالأشجار ومزاهر الزهور والرقعات السميكة من الأعشاب وعدد لا بأس به من الحيوانات من الممكن أن يشكل محمية طبيعية مفتوحة . فقد كان بها أرانب وسناجب وأبوسومات وراكون وملايين من الطيور وتشكيلة مخيفة من الثعابين الخضراء والسوداء ـ والتى أكدوا لى أنها غير سامة ـ ومئات من القطط . ولكن لم يكن هناك أية كلاب . فقد كانت عائلة هوكيت تكره الكلاب . وكان لكل قطة اسم محدد ، وكان أحد الشروط الشفهية الرئيسية فى عقد إيجارى هو أن أحترم القطط .

وقد كنت أحترمها بالفعل . وكانت الشقة العلوية المكونة من أربع غرف كبيرة المساحة ونظيفة ولم تكلفنى سوى ٥٠ دولارًا فقط فى الشهر . وإن كانوا يريدون منى احترام قططهم مقابل هذا المبلغ ، فلا بأس بذلك لدى .

وقد كان والدهم ـ مايلز هوكيت ـ طبيباً غريب الأطوار ظل يعمل فى كلانتون طوال عقود . وقد ماتت والدتهم أثناء ولادة أحد الأطفال ، ووفقاً لشائعة محلية فقد أصبح الوالد شديد القلق على أطفاله بعد وفاتها . ورغبة منه فى حمايتهم من العالم الخارجى اخترع واحدة من أكبر الأكاذيب التى أصبحت شائعة فى مقاطعة فورد . فقد أخبر أطفاله بأن الجنون متفشى فى العائلة ، وأنهم يجب ألا يتزوجوا مطلقًا لئلا ينجبوا ذرية بشعة من المعتوهين . وقد كان أطفاله يحبونه حبًا شديداً فصدقوه مما أوجد لديهم نوعًا من أنواع الخلل وعدم الاتزان . وهم لم يتزوجوا مطلقًا وكان الابن ـ ماكس هوكيت ـ فى الواحدة والثمانين من عمره حينما قام بتأجير هذا المنزل لى . أما التوأم ـ ويلما وجيلما ـ فكانا فى السابعة والسبعين ، وميلبرتا الصغرى فى الثالثة والسبعين ، وكانت معتوهة تمامًا .

ولقد كانت جيلما ـ فيما أعتقد ـ هي التي تختلس النظر من نافذة المطبخ بينما كنت أهبط الدرج الخشبي في منتصف الليل . وكانت هناك في طريقي مباشرة قطة تغط في النوم على الدرجة السفلية ، ولكنني تخطيتها باحترام . كم كنت أود أن أركلها إلى الشارع .

كانت هناك سيارتان بالمرآب : السبيتفاير خاصتي والتي كنتُ قد أنزلت سقيفتها حتى لا تدخلها القطط ، والأخرى كانت مرسيدس سوداء لامعة مرسوم فوق أبوابها سكاكين حمراء وبيضاء . وتحت السكاكين كانت هناك أرقام هاتف مطبوعة باللون الأخضر . وقد أخبر أحدهم ذات مرة السيد ماكس هوكيت أنه باستطاعته خفض السعر المقدر لأى سيارة جديدة إذا استخدمها في العمل ورسم نوعًا ما من الشعارات على أبوابها . وقد اشترى سيارة مرسيدس جديدة وأصبح سنان سكاكين ، وقال إن أدواته موجودة في صندوق السيارة .

وكان عمر السيارة عشرة أعوام ولم تقطع أكثر من ثمانية آلاف ميل . وقد جعلهم والدهم كذلك يعتقدون أن قيادة المرأة للسيارة من الرذائل ، لذا فإن السيد ماكس هو الذى كان يتولى القيادة .

قدت السيارة السبيتفاير أسفل طريق الحصى ولوحت لجيلما التي كانت تختلس النظر من خلف الستارة . وقد أشاحت بوجهها واختفت . كان السجن يبعد عن منزلى مسافة ستة مبانٍ . ولم أكن قد نمت سوى ثلاثين دقيقة .

وعندما وصلت كانوا يأخذون بصمات أصابع دانى بادجيت . وكان مكتب الشريف يقع بالقسم الأمامى من السجن ، وكان متخمًا بالضباط ورجال الشرطة والمتطوعين من رجال الإطفاء وكل من يرتدى البزة الرسمية . وقد قابلنى ويلى ميك على الرصيف المقابل .

قال والإثارة تملؤه : " إنه دانى بادجيت " .

توقفت لبرهة وحاولت التفكير : " من ؟ " .

" داني بادجيت من الجزيرة " .

ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاثة أشهر على استقراري في مقاطعة فورد ، ولم أقابل شخصًا واحدًا من عائلة بادجيت من قبل . فهم ـ كما هو الحال دائمًا ـ كانوا متحفظين . ولكنني سمعت الكثير عنهم . فقصص أخبار آل بادجيت كانت دومًا من إحدى وسائل التسلية في مقاطعة فورد .

استمر ويلي في الحديث : " لقد التقطت له صورًا رائعة وهم يخرجونه من سيارة الشرطة . لقد كان مغطى بالدماء . إنها صور رائعة . لقد ماتت الفتاة ! " .

" أية فتاة ؟ " .

" الفتاة التي قتلها . واغتصبها أيضًا ، أو هكذا يقولون " .

داني بادجيت ، هكذا قلت لنفسي بعدما بدأت ألملم خيوط ما حدث . وقد بدأت في تخيل العناوين الرئيسية للتايمز ، والتي ستكون على الأرجح الأكثر إثارة منذ سنوات . لقد كان سبوت العجوز المسكين ينحي وجهه عن الأخبار والحكايات المثيرة . وقد أفلس سبوت المسكين . أما أنا فكان لدى خطط أخرى .

شققنا طريقنا للداخل ، وبحثنا عن الشريف كولي . وكنت قد قابلته مرتين في أثناء فترة عملي القصيرة في التايمز وانبهرت بدماثة خلقه وطبيعته الهادئة . وقد كان يناديني بالسيد ، وينادى كل شخص آخر بلقب سيدى أو سيدتي وهو يرسم ابتسامة على وجهه . وقد كان يتقلد منصب الشريف منذ مذبحة عام ١٩٤٣ ، لذا فقد كان يناهز السبعين . وقد كان طويلاً ونحيلاً وليس لديه المعدة المنتفخة التي يعاني منها معظم الشرفاء الجنوبيين . وظاهريًا يبدو هذا الرجل نزيهًا . وفي كلتا المرتين التي قابلته فيهما تساءلت

كيف يكون رجل لطيف كهذا بهذا السوء والفساد . وقد ظهر من غرفة خلفية بصحبة أحد مساعديه وقد هرعت أنا بدورى تجاهه .

قلت بحزم : " أيها الشريف أود أن أطرح عليك سؤالين " . ولم يكن هناك أى مراسلين آخرين . وقد توقف جميع رجاله ـ ضباط الشرطة وهؤلاء الذين يعملون بدوام جزئى والطامحين وقليلى الخبرة وموظفى الأمن الذين يرتدون ملابس مصنوعة منزليًا ـ عن الكلام وأخذوا يسخرون ويستهزأون منى فيما بينهم . فأنا مازلت هذا الشاب الغنى المندفع الذى نجح بطريقة ما فى انتزاع جريدتهم . لقد كنت غريبًا ولا أملك أدنى حق فى إقحام نفسى عليهم فى وقت كهذا والبدء فى توجيه أسئلة .

وقد ابتسم الشريف كولى كالعادة ، كما لو أن هذه الأحداث تحدث كل يوم عند منتصف الليل . " بالطبع يا سيد ترايـنور " . ولقد كان يتشدق فى كلامه بطريقة تبث السكينة فى نفس من يحادثه . إن مثل هذا الرجل لا يمكن أن يكذب ، أليس كذلك ؟

" ماذا يمكنك أن تخبرنا عن جريمة القتل ؟ " .

وبعد أن عقد ذراعيه فوق صدره أخبرنا بما حدث بإيجاز مستخدمًا لغة رجال الشرطة . " أنثى بيضاء فى سن الواحدة والثلاثين تعرضت للاعتداء فى منزلها بشارع بينـنج . وقد تم اغتصابها وطعنها حتى الموت . ولا أستطيع أن أعلن عن اسمها حتى أتحدث إلى أقربائها أولاً " .

" وقد قبضت على الجانى ؟ " .

" نعم يا سيدى ، لكن لا أستطيع أن أمدك بالتفاصيل الآن . فقط امنحنا ساعتين من الزمن . فنحن نجرى تحقيقاتنا . هذا هو كل ما لدى يا سيد ترايـنور " .

" هناك شائعة تقول إنك تحتجز دانى بادجيت " .

" لا دخل لى بالشائعات التى يتداولها الناس يا سيد ترايـنـور . فأنا لا أؤكد صحتها " .

قدت السيارة بصحبة ويلي إلى المستشفى وأخذنا نحوم حولها لمدة ساعة لكننا لم نسمع شيئا نستطيع كتابته فى الجريدة ، ثم ذهبنا إلى مكان ارتكاب الجريمة نفسه بشارع بيننج . وقد قام رجال الشرطة بمحاصرة المنزل ، وقد احتشد بعض الجيران خلف الشريط الأصفر الخاص بالشرطة بالقرب من صندوق البريد . وقد اقتربنا منهم وحاولنا الإنصات إليهم ، ولكننا لم نسمع شيئاً ذا قيمة . وبعد بضع دقائق من التحديق ببله في المنزل هممنا بالانصراف .

وكان لويلى ابن أخ يعمل كضابط شرطة بدوام جزئى وقد وجدناه يحرس منزل ديس حيث كان رجال الشرطة لا يزالون يتفحصون الشرفة الأمامية والأرجوحة التى التقطت رودا فوقها أنفاسها الأخيرة . وقد قمنا باجتذابه إلى أحد الأركان خلف صف من النباتات العطرية الخاصة بالسيد ديس ، وقد أخبرنا بكل شىء . وكل ذلك بسرية تامة بالطبع كما لو أن التفاصيل المثيرة للحادث ستظل طى الكتمان في مقاطعة فورد .

كانت هنالك ثلاثة مقاهي صغيرة حول الميدان بكلانتون : اثنان للبيض وواحد للزنوج . وقد اقترح علىَّ ويلى أن ندخل أحد المقاهى ونستمع لما يقال .

وأنا لا أتناول طعام الإفطار ولا أكون مستيقظاً عادة فى الساعات التى يعدونه فيها . وأنا لا أمانع فى العمل حتى منتصف الليل ولكننى أفضل النوم حتى الظهيرة . وكما أدركت سريعًا ، فإن إحدى مميزات امتلاك جريدة أسبوعية صغيرة هو أننى أستطيع العمل

لوقت متأخر والاستيقاظ متأخرًا . فيمكن كتابة المقالات في أى وقت مادمنا نلتزم بمواعيدنا النهائية . وكان معروفًا أن سبوت نفسه لا يأتى قبل الظهيرة بوقت طويل ، بعد أن يكون بالطبع قد مر على دار الجنائز . وقد كنت أود العمل في نفس ساعات العمل هذه .

وفي صباح اليوم التالى لاستقرارى بمنزلى فوق مرآب هوكيت ، أخذت جيلما تقرع بابى فى التاسعة والنصف صباحًا . وقد ظلت تقرع وتقرع الباب . وفي النهاية قمت مترنحًا لأسير نحو مطبخى الصغير بملابسي الداخلية ورأيتها تحدق بعينيها في ستار النافذة . قالت لى إنها كانت على وشك استدعاء الشرطة . وأفراد عائلة هوكيت الآخرين كانوا بالأسفل يتجولون حول المرآب وينظرون إلى سيارتى وهم واثقون من أننى قد تعرضت لمكروه .

سألتني عما كنت أفعل . قلت لها إننى كنت نائمًا حتى سمعت شخصًا ما يطرق بابى اللعين . سألتنى لماذا مازلت نائمًا حتى التاسعة والنصف في صباح الأربعاء . حركت عينىّ وحاولت التفكير في إجابة مناسبة . وقد أدركت فجأة أننى كنت شبه عار وأقف أمام عجوز عذراء في السابعة والسبعين من عمرها . وقد أخذت تنظر إلى ساقى .

وقد قالت لى إنهم يستيقظون في الخامسة . فلا ينام أحد حتى التاسعة في كلانتون . وقد سألتنى إن كنت ثملاً ؛ فقد كانوا فقط قلقين علىّ ، هذا هو كلٍ ما فى الأمر . وبينما كنت أغلق الباب أخبرتها أننى لست ثملا ولكننى فقط ناعس ، وشكرتها على سؤالها عنى ، وأخبرتها بأننى عادة ما أكون بالفراش إلى ما بعد التاسعة .

وقد ذهبت إلى متجر تى شوبى مرتين ، مرة لتناول القهوة فى وقت متأخر من الصباح ، ومرة لتناول الغداء . وكصاحب للجريدة شعرت بأنه من الضرورى أن أتجول بالمدينة وأجعل الناس يروننى

فى ساعات النهار . فقد كنت أعلم جيدًا أننى سأكتب عن مقاطعة فورد وسكانها وأحداثها وأماكنها طوال سنوات قادمة .

وقد قال ويلى إن المقاهى تكون مزدحمة دومًا فى الصباح الباكر . " دائمًا بعد مباريات كرة القدم وحوادث السيارات " ؛ على حد قوله .

سألته : " ماذا عن جرائم القتل ؟ " .

فقال : " لقد مضى وقت طويل قبلٍ أن تحدث واحدة " .

وقد كان محقًا ، فالمكان كان مكتظًا بالناس حينما دخلناه بعد السادسة صباحًا مباشرة . وقد ألقى التحية على البعض وتصافح مع البعض وتبادل الشتائم مع البعض الآخر . لقد كان من مقاطعة فورد ويعرف الجميع ، وقد أومأت برأسى وابتسمت ولاحظت النظرات الحادة . سوف يستغرق الأمر سنوات حتى يعتادون علىَّ . لقد كانوا ودودين ولكنهم يهابون الغرباء .

وجدنا مقعدين على الطاولة الأمامية وقد طلبت قهوة فقط . ولم تستحسن النادلة ذلك بالطبع . ولكنها أعجبت بويلى حينما غيَّر رأيه وطلب البيض المخفوق واللحم والبسكويت والبرغل وشريحة من اللحم المفروم ـ أى كمية من الكولسترول كافية لقتل بغل .

وقد كانوا يتحدثون عن حادث القتل والاغتصاب ، لا شىء سواه . فإن كان المناخ يثير حوارات ، فتخيل ما يمكن أن تثيره جريمة بشعة مثل هذه . إن آل بادجيت يملكون زمام الأمور بالمقاطعة منذ مائة عام ، وقد حان الوقت لإرسالهم جميعًا إلى السجن ، حتى لو تطلب ذلك حصار قوات الحرس القومى للجزيرة . ويجب خلع ماكى دون من منصبه كذلك ، فهو كاللعبة فى أيديهم منذ سنوات . فأطلق العنان لمجموعة من المحتالين يعتقدون أنهم فوق القانون . والآن انظر ما حدث .

ولم يتم ذكر الكثير عن رودا لأن لا أحد يعرف عنها شيئاً تقريبًا . ولكن أحدهم كان يعرف أنها ترتاد نوادى الرقص بحدود الولاية . وقال شخص آخر إنها كانت على علاقة بمحامى محلى . ولم يعرف أحد اسمه . لكنها فقط كانت مجرد شائعة .

وقد ظل رواد مقهى تى شوب يتبادلون الشائعات . وعكف اثنان شديدا الصخب على التناوب في الاستحواذ على انتباه الآخرين ، وقد كنت مندهشًا من مدى طيشهما فى التلاعب بالحقيقة بهذه الطريقة . ومن المؤسف حقًا أننى لا أستطيع نشر كل الكلام الذى سمعناه .

الفصل الخامس

ومع ذلك فقد نشرنا الكثير . وكان فحوى العنوان الرئيسي هو اغتصاب رودا كاسيلو وقتلها ، وأن داني بادجيت هو المتهم بذلك . وكان بالإمكان قراءة العنوان الرئيسي من على مسافة عشرين ياردة من أى رصيف بميدان دار المحكمة .

وتحت هذا العنوان كانت هناك صورتان ، واحدة لرودا وهى فى السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية والأخرى لبادجيت وهو مكبل بالأصفاد ويقوده رجال الشرطة إلى السجن . وقد نجح ويلى فى محاصرته جيدًا . ولقد كانت صورة رائعة حقًا ، كان بادجيت يحدق فيها للكاميرا . وقد كان هناك دم على جبهته نتيجة حادث السيارة ودماء على قميصه نتيجة الاعتداء . وقد بدا قذرًا وحقيرًا ومتغطرسًا وثملاً ومذنبًا حتى النخاع ، ولقد أدركت أن الصورة ستخلف انطباعًا لدى الناس . وقد ظن ويلى أنه من الأفضل لو لم ننشر هذه الصورة ، ولكننى كنت فى الثالثة والعشرين من عمرى حينها ، ولم يكن بمقدور أى شىء أن يكبح جماحى . فلقد أردت أن يفهم القراء

ويعرفون الحقيقة القبيحة . لقد أردت أن أبيع المزيد من النسخ من الجريدة .

وقد حصلنا على صورة رودا من أختها فى ميسورى . وفى أول مرة تحدثت فيها إليها عبر الهاتف لم يكن لديها شىء لتقوله تقريبًا وأنهت المكالمة سريعًا . لكنها فى المرة الثانية لانت قليلاً وقالت إن أحد الأطباء فحص الطفلين ، وأن الجنازة ستقام يوم الثلاثاء فى فترة بعد الظهيرة فى قرية صغيرة بالقرب من سبرينج فيلد ، وأنها تتمنى هى وعائلتها لو تحترق ولاية مسيسيبى بالكامل .

أخبرتها بأننى أتفهم مشاعرها تمامًا ، وأننى من سيراكيوز وأحد الرجال الطيبين . فوافقت أخيرًا أن ترسل لى صورة لأختها .

وبالاستعانة بالعديد من المصادر التى لم أعلن عنها وصفت تفصيليًا ما حدث ليلة السبت الماضى فى شارع بيننج . وعندما أكون واثقًا من المعلومة فإننى أنشرها على الفور ، وفى حالة عدم توافر الثقة التامة من المعلومة فإننى أشرع فى إجراء تحريات حتى أصل إلى ما أعتقد أنه قد حدث بالفعل . وقد امتنع باجى ساجس عن معاقرة الخمر طويلاً بما فيه الكفاية كى يستطيع إعادة كتابة وتحرير القصص ، وهو على الأرجح قد أنقذنا من التعرض للمقاضاة أو القتل .

وفى الصفحة الثانية كانت هناك خريطة لمكان الجريمة وصورة كبيرة لمنزل رودا ، والتى التقطت فى صباح اليوم التالى للجريمة واشتملت سيارات الشرطة والشريط الأصفر الذى يحوط كل شىء . وقد تضمنت الصورة كذلك دراجات وألعاب مايكل وتيريزا المبعثرة فى الفناء الأمامى . وكانت هذه الصورة أسوأ كثيرًا وأبشع من صورة الجثة نفسها والتى لم أحصل عليها ولكننى حاولت ذلك . فقد

أظهرت الصورة أن هناك أطفالاً كانوا يعيشون هناك ، أطفالاً عايشوا ظروف جريمة من البشاعة لدرجة أن معظم سكان مقاطعة فورد لا يزالون غير مصدقين أنها حدثت بالفعل .

ماذا رأى الطفلان ؟ كان هذا هو السؤال الملح .

وأنا لم أجب عليه فى التايمز ، ولكننى اقتربت من الإجابة بقدر استطاعتى . فقد قمت بوصف المنزل وتصميمه الداخلى . وبالاستعانة بمصدرٍ لم أعلن عنه خمنت أن سريرى الطفلين يبعدان مسافة ثلاثين قدماً تقريبًا عن سرير الأم . وقد غادر الطفلان المنزل قبل رودا ، وقد كانا مصابين بحالة من الصدمة بحلول الوقت الذى وصلا فيه إلى المنزل المجاورِ ، وقد خضعا للفحص على يد طبيب فى كلانتون ويتلقيان علاجاً من نوع ما فى ميسورى . فلقد شهدا الكثير .

هل سيشهدان فى المحاكمة ؟ قال باجى إن ذلك مستحيل حيث إنهما ببساطة صغيران للغاية . ولكن هذا السؤال طرأ على ذهنى فجأة وطرحته فى الجريدة على كل حال لأمنح القراء شيئاً آخر ليتجادلوا ويقلقوا بشأنه . وبعد تفجير احتمال جر الأطفال إلى المحكمة ، أوضحت فى النهاية أن " الخبراء " استبعدوا مثل هذا الاحتمال . وقد شعر باجى بالغبطة لاعتباره خبيرًا .

وقد أطلت فى نعى رودا بقدر استطاعتى ، وهو الأمر الذى لم يكن جديدًا على التايمز .

وقد ذهبنا لطباعة الجريدة فى حوالى العاشرة من مساء ليلة الثلاثاء ، لتطرح فى منافذ البيع حول ميدان كلانتون فى السابعة من صباح يوم الأربعاء . وقد انخفض عدد المشتركين بالجريدة إلى ألف ومائتى مشترك فى وقت إفلاسها ، ولكن بعد شهر واحد من

ترأسى الجرئ لها وصل عدد المشتركين إلى ألفين وخمسمائة ـ وكان هدفنا هو أن يصل هذا العدد إلى الخمسة آلاف .

وبعد مقتل رودا كاسيلو طبعنا نحو ثمانية آلاف نسخة طرحناها بكل مكان ـ على أبواب المقاهى حول الميدان ، وفى قاعات المحكمة ، وعلى مكاتب جميع الموظفين بالمقاطعة ، وفى أروقة البنوك . كما أرسلنا ثلاثة آلاف نسخة مجانية لمشتركين محتملين كجزء من جهودنا لزيادة عدد المشتركين .

ووفقاً لويلى ، فقد كان ذلك هو حادث القتل الأول منذ ثمانية أعوام . وكان القاتل من عائلة بادجيت ! لقد كانت قصة مؤثرة حقًا ولقد رأيتها كفرصة ذهبية . وبالطبع تأثرت بها لما تضمنته من مأساوية وإراقة للدماء . ولكن مما لاشك فيه أيضًا أنها كانت صحافة صفراء ، ولكن من يبالى ؟

ولم تكن لدى أدنى فكرة أن رد الفعل سيكون بهذه السرعة وهذا السوء .

فى التاسعة من صباح يوم الخميس كانت قاعة المحكمة الرئيسية بالطابق الثانى من دار محاكمة مقاطعة فورد مكتظة بالناس . وكان المهيمن على هذه القاعة هو المبجل ريد لوبس القاضى الدورى الذى نزح من مقاطعة تايلر إلى كلانتون وظل هناك ثمانى سنوات ليقيم العدالة . لقد كان محاربًا قديمًا أسطوريًا والذى كان يحكم بيد حديدية وفقاً لباجى ـ والذى أمضى معظم حياته العملية يتسكع حول دار القضاء لالتقاط الشائعات أو لترويجها ـ وكان قاضيًا نزيهًا استطاع بطريقة ما أن ينجو من براثن عائلة بادجيت . وربما لانتمائه لمقاطعة أخرى ، فإن القاضى لوبس يؤمن بأن المجرمين لابد

أن ينفذوا عقوبة طويلة ـ ربما مع الأشغال ـ على الرغم من أنه لم يعد يستطيع النطق بمثل هذا الحكم .

وفي يوم الاثنين التالى للجريمة تجمع محامو بادجيت محاولين إخراج دانى من السجن . وكان القاضى لوبس مشغولاً بمحاكمة أخرى فى مقاطعة أخرى ـ حيث كانت دائرته تشمل ست مقاطعات ـ وقد رفض أن يتعرض للضغط كي يعقد سريعا جلسة لإطلاق سراح المتهم بكفالة . وبدلاً من ذلك جعل موعد الجلسة فى التاسعة صباحًا من يوم الخميس حتى يمنح المدينة عدة أيام للتأمل والتفكر .

ولأننى كنت أحد العاملين فى مجال الصحافة ، وصاحب جريدة محلية ، فقد شعرت بأنه من واجبى أن أصل مبكرًا وأحجز مقعدًا جيدًا . نعم لقد كنت معتدًا بنفسي قليلاً . أما الحضور فقد أتوا من باب الفضول . ولكننى فى الحقيقة كان لدى عمل مهم أقوم به . وكنت أجلس أنا وباجى فى الصف الثانى حينما بدأت القاعة تكتظ بالجمهور .

وكان محامى دانى بادجيت الأساسى هو لوشيان ويلبانكس ، وهو رجل كرهته على الفور . لقد كان هو الوحيد المتبقى مما كانت ففيما مضى عائلة عريقة من المحامين والمصرفيين وما إلى ذلك . فقد عملت عائلة ويلبانكس طويلاً لبناء كلانتون ، ثم جاء لوشيان ودمر اسم عائلته العريقة . فقد تخيل نفسه محاميًا راديكاليًا ، والذى كان نادر الوجود فى عام ١٩٧٠ . وكان ذا لحية ويسب طوال الوقت كالبحارين ، ويشرب الخمر حتى الثمالة ، ويفضل الزبائن من المغتصبين والقتلة والمتحرشين بالأطفال . وقد كان العضو الأبيض الوحيد بالجمعية الوطنية لتنمية الملونين فى مقاطعة فورد ، الأمر الذى كان كفيلاً وحده لتعرضه للقتل . ولكنه لم يأبه لذلك .

كان لوشيان ويلبانكس حادًا ولا يخشى شيئاً ، ودنيئاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وقد انتظر حتى يجلس الجميع فى مكانه فى قاعة المحكمة - قبل أن يدخل القاضى لوبس مباشرة - حتى يسير ببطء تجاهى . وكان يحمل نسخة من آخر طبعة للتايمز والتى أخذ يلوح بها وهو ينهال علىّ بسيل من الشتائم : " أنت أيها الحقير ! " ، قالها بصوت مرتفع ليسود الصمت بعدها قاعة المحكمة ثم سأل قائلاً : " من تظن نفسك ؟ " .

ولقد كنت شاعرًا بالخزى للغاية لدرجة جعلتنى عاجزًا عن الرد . تلمست باجى الذى كان يجلس بجانبى على مسافة بوصة . وكان كل شخص متواجد بقاعة المحكمة يحدق فىّ ، وقد أدركت أنه ينبغى على قول شىء ما ، فاستجمعت شجاعتى وحاولت أن أتحدث بطريقة تبدو مقنعة قدر إمكانى وقلت : " أنا لم أكتب سوى الحقيقة " .

زأر بصوت مرتفع : " إنها صحافة صفراء ! محض هراء تتعمد من خلاله إثارة مشاعر الناس ! " . وكانت الجريدة تبعد بوصات معدودة فقط من أنفى .

قلت له وكأننى رجل حكيم : " شكرًا لك " . وكان هنالك على الأقل خمسة رجال شرطة فى القاعة ، لم يتطوع أى منهم لفض هذا النزاع .

قال وعيناه تقدحان شرراً : " سوف أقيم دعوة قضائية ضدك غدًا ! وسنطالب بتعويض قدره مليون دولار ! " .

" إن لدى محامى " هكذا قلت وأنا أرتعد خوفًا من أن أصبح مفلسًا شأن عائلة كاودل . ألقى لوشيان بالجريدة على ساقى ثم استدار وذهب ناحية طاولته . واستطعت فى النهاية تنفس

الصعداء ؛ كان قلبي ينبض سريعًا . وقد كنت أشعر بوجنتيّ تشتعلان من فرط الخجل والخوف .

ولكنني نجحت في الاحتفاظ بابتسامة غبية على وجهي . فلم يكن من الممكن أن أظهر أمام قرائي ـ أنا المحرر والناشر لصحيفتهم ـ بمظهر الجبان . ولكن مبلغ مليون دولار كتعويض أمر مفزع ! فكرت فورًا في جدتي في ممفيس . كيف سأقول لها هذا .

كان هناك اضطراب خلف منصة القاضي وقام حاجب المحكمة بفتح الباب ثم قال : " فليقف الجميع " . دخل القاضي لوبس عبر الباب وأخذ يجر قدميه نحو مقعده بينما يتجرجر رداؤه الأسود خلفه على الأرض . وبمجرد أن جلس رمق الحشد وقال : " صباح الخير . يا له من جمهور غفير بالنسبة لجلسة استماع لإطلاق سراح متهم بكفالة ! " . فتلك الأمور الروتينية عادة ما لا تجذب اهتمام أحد ، فيما عدا المتهم ومحاميه وربما والدته . ولكن كان هناك ثلاثمائة شخص يحضرون هذه الجلسة !

إنها لم تكن فقط جلسة استماع لإطلاق سراح بكفالة ، بل كانت الجولة الأولى في محاكمة قاتل ومغتصب ، ولم يرغب الكثيرون بكلانتون تفويتها . وكما كنت مدركًا فإن معظم الناس لن يستطيعوا حضور باقي الجلسات . فإنهم سوف يعتمدون على التايمز لمعرفة الأخبار ، وقد عقدت العزم على إمدادهم بالتفاصيل .

وفي كل مرة كنت أنظر فيها إلى لوشيان ويلبانكس كنت أفكر في الدعوى القضائية التي سيطالبني فيها بتعويض قدره مليون دولار . ولكنه بالتأكيد لن يقاضي الجريدة ؟ فلماذا سيقاضيها ؟ فنحن لم نقم بأي قذف أو تشهير .

أومأ القاضي لوبس لحاجب آخر والذي فتح باباً جانبياً . دخل داني بادجيت بصحبة بعض الحراس ويداه مكبلتان في الأصفاد عند

خصره . كان يرتدى قميصًا أبيض وبنطالاً كاكى اللون وحذاء شبيهاً بالموكاسان . كان نظيفاً وحليق اللحية ، ولم يكن بوجهه أية إصابات ظاهرة . لقد كان في الرابعة والعشرين من عمره - أى أكبر منى بعام واحد - ولكنه بدا أصغر كثيرًا . فقد كان مهندمًا ووسيمًا ولم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فى أنه لابد وأن يكون طالبًا بإحدى الجامعات . فقد كان يمشى باختيال ثم ارتسمت على وجهه نظرة سخرية وازدراء حينما كان الحاجب ينزع الأصفاد . نظر حوله إلى الحشد وبدا لوهلة أنه يستمتع بكونه محور اهتمامهم . لقد كان يتمتع بثقة شخص تمتلك عائلته أطنانًا من الأموال ، والتى سوف تستخدمها لإخراجه من ورطته .

وكان يجلس خلفه مباشرة - خلف القضيب الحديدى بالصف الأول - أبواه وغيرهما الكثيرين من عائلة بادجيت . وكان أبوه جيل - حفيد كلوفيس بادجيت الشهير - جامعيا ، ويشاع أنه المسئول عن غسيل الأموال فى العصابة . وكانت أمه مهندمة الملابس وجذابة إلى حد ما ، الأمر الذى وجدته غريبًا بالنسبة لامرأة غبية بما فيه الكفاية لتتزوج أحد أفراد عائلة بادجيت وتمضى بقية حياتها معزولة على الجزيرة .

همس باجى فى أذنى : " لم يسبق لى أن رأيتها من قبل " .

فسألته : " وكم مرة رأيت جيل ؟ " .

" ربما مرتين على مدار العشرين عامًا الماضية " .

وكان يمثل النيابة نائب عام المقاطعة - والذى كان يعمل بدوام جزئي - واسمه روكى تشيلدرز . وجه له القاضى لوبس الكلام قائلا : " كما أرى فإن النيابة ترفض إطلاق السراح بكفالة ، أليس كذلك يا سيد تشيلدرز ؟ " .

وقف تشيلدرز وقال : " نعم يا سيدى " .

" على أى أساس ؟ " .

" الطبيعة الشنيعة للجرائم يا سيادة القاضى . اغتصاب الضحية على فراشها وأمام طفليها الصغيرين . وبعد ذلك قتلها طعنًا بالسكين مرتين على الأقل . ثم محاولة المتهم الهرب يا سيدى " . كانت كلمات تشيلدرز تسرى عبر قاعة المحاكمة التى يسودها الصمت ، " والاحتمال الكبير بأنه إذا غادر السيد بادجيت السجن فإننا لن نراه مجددًا " .

ولم يستطع لوشيان ويلبانكس الانتظار أكثر من ذلك كى يقف ويبدأ فى التشاحن . هم واقفًا على الفور وقال : " نحن نعترض على ذلك يا سيادة القاضى . إن موكلى ليس لديه سجل إجرامى ، ولم يسبق القبض عليه قبل ذلك " .

نظر القاضى لوبس بهدوء من فوق نظارة القراءة التى كان يرتديها وقال : " أرجو أن تكون هذه يا سيد ويلبانكس المرة الأولى والأخيرة التى تقاطع فيها أى شخص فى هذه المحاكمة . اجلس من فضلك وعندما تكون المحكمة مستعدة لسماعك فسوف تطلب منك المثول أمامها " . كانت كلماته جافة ولاذعة وقد تساءلت عن عدد المرات التى اشتبك فيها هذان الاثنان داخل قاعة المحكمة هذه .

ولكن لم يكن هناك ما يثير حنق لوشيان ويلبانكس ؛ وقد كانت بشرته سميكة كالجلد غير المدبوغ .

بعد ذلك قام تشيلدرز بقص نبذة تاريخية قصيرة علينا . منذ أحد عشر عامًا ـ فى عام ١٩٥٩ ـ اتهم شخص من عائلة بادجيت يدعى جيرالد بادجيت بسرقة السيارات فى توبيلو . وقد استلزم الأمر عامين حتى نجد شرطيين لا يخشيان دخول جزيرة بادجيت للقبض على جيرالد ، وعلى الرغم من أنهما لم يقتلا ، فإنهما فشلا فى مهمتهما . فجيرالد بادجيت إما هرب من البلاد أو عزل نفسه

بمكان ما على الجزيرة . قال تشيلدرز : " وبغض النظر عن مكان اختبائه ، فنحن لم نستطع القبض عليه أو إيجاده مطلقاً " .

قلت لـ " باجي " هامساً : " هل سبق لك أن سمعت عن جيرالد بادجيت هذا ؟ " .

" لا " .

" لذا يا سيادة القاضي فإن أطلقنا سراح المتهم بكفالة فلن نراه بعد ذلك قط . إن الأمر بهذه البساطة " . ثم جلس تشيلدرز .

قال القاضي : " السيد ويلبانكس " .

نهض لوشيان ببطء ولوح بيده ناحية تشيلدرز . بدأ لوشيان حديثه في غبطة : " كالعادة دوماً فإن النائب العام مرتبك . إن جيرالد بادجيت ليس هو المتهم اليوم . وأنا لا أمثله ، ولا آبه لما حدث له " .

قال القاضي : " انتبه لكلامك " .

" إننا لا نحاكمه اليوم . إننا هنا من أجل دانى بادجيت ، هذا الشاب الذى ليس لديه أى سجل إجرامى على الإطلاق " .

سأل لوبس : " هل يمتلك موكلك عقارات هنا فى هذه المقاطعة " .

" لا ، إنه فقط فى الرابعة والعشرين من عمره " .

" دعنا نصل إلى خلاصة القول يا سيد ويلبانكس . أعلم أن أسرته تملك الكثير . والسبيل الوحيد الذى سيجعلنى أوافق على إطلاق سراح المتهم بكفالة هو وضع جميع أملاك العائلة كرهن لضمان ظهور المتهم ثانية فى المحاكمة القادمة " .

امتعض لوشيان وقال : " هذا طلب شنيع " .

" وكذلك الجرائم التى ارتكبها المتهم " .

دفع لوشيان أوراقه القانونية بقوة على الطاولة وقال : " امنحنى دقيقة لأتناقش مع العائلة فى هذا الأمر " .

تسبب هذا فى حدوث هياج واضطراب بين أفراد عائلة بادجيت ؛ فقد تجمعوا معًا خلف طاولة الدفاع مع ويلبانكس وبدا أن هناك خلافًا بينهم منذ البداية . وكان من الممتع حقًا مشاهدة هؤلاء المحتالين الأثرياء وهم يهزون رؤوسهم وينقلبون ضد بعضهم البعض . إن مشاجرات العائلات عادة ما تكون سريعة وقاسية وخاصة عندما يكون هناك مبلغ كبير من المال على المحك ، وقد بدا أن لكل فرد من أفراد عائلة بادجيت رأياً مختلفاً فيما يتعلق بهذه المسألة . ولم يكن فى وسعنا إلا أن نتخيل ما يفعلونه حينما يكونون بصدد توزيع الغنائم .

وقد شعر لوشيان بأنه لا سبيل للوصول إلى اتفاق فى هذا الأمر ، ولتجنب الإحراج استدار ووجه الكلام إلى القاضى قائلاً : " هذا مستحيل يا سيادة القاضى . إن أراضى بادجيت مملوكة لنحو أربعين شخصًا ، معظمهم غير موجودين بقاعة المحكمة الآن . إن ما تطلبه المحكمة استبدادى وليس من المستطاع الوفاء به " .

قال لوبس وهو يستمتع بحالة الفوضى التى سببها : " سوف أمنحكم عدة أيام للتفكير فى الأمر " .

" لا يا سيدى . إن هذا ليس عدلاً . إن من حق موكلى أن يخرج بكفالة معقولة شأنه شأن أى متهم آخر " .

" إذن تم رفض طلبكم لإطلاق سراح المتهم بكفالة حتى جلسة الاستماع التمهيدية " .

" إننا نتنازل عن حقنا فى جلسة استماع تمهيدية " .

قال لوبس وهو يدون بعض الملاحظات : " كما تشاء " .

" ونطالب كذلك بعرض القضية أمام هيئة المحلفين العليا بأسرع وقت ممكن " .

" كل قضية لها دورها يا سيد ويلبانكس " .

" لأننا سوف نطالب بتغيير مكان المحاكمة من موقع حدوث الجريمة بأقصى سرعة ممكنة " . قال لوشيان هذه العبارة الأخيرة بجرأة كبيرة وكأنه يستعد لقول شيء مهم .

قال لوبس : " الأمر مازال مبكرًا على ذلك ، ألا تعتقد هذا ؟ " .

" إنه من المستحيل بالنسبة لموكلى أن يحظى بمحاكمة عادلة فى هذه المقاطعة " . كان ويلبانكس يحدق فى قاعة المحكمة وهو يتحدث متجاهلاً إلى حد ما القاضي لوبس ، والذى بدا أنه يتملكه الفضول في هذه اللحظة .

" إن هناك محاولات فعلية لاتهام موكلى قبل حتى أن تتاح له الفرصة للدفاع عن نفسه ، وأعتقد أن المحكمة لابد أن تتدخل بقوة وعلى الفور تصدر قرارًا يُسكت فم هؤلاء " .

وكان لوشيان لوبانكس هو الوحيد فى القاعة الذى يحتاج لأن يسد أحدهم فمه .

سأل لوبس : " ماذا تريد أن تقول يا سيد ويلبانكس ؟ " .

" هل قرأت الجريدة المحلية يا سيادة القاضي ؟ " .

" ليس مؤخرًا " .

بدا أن كل الأعين تتجه نحوى ، ومرة أخرى بدأ قلبى يخفق بشدة .

أخذ ويلبانكس يحدق فيّ وهو يواصل حديثه : " مقالات منشورة بالصفحة الأولى ، وصور دامية ، ومصادر غير معلن عنها ، والكثير من أنصاف الحقائق ، والافتراءات لإدانة موكلى البرىء ! " .

كان باجي قد انفصل عنى ثانية وشعرت بوحدة قاتلة في هذه اللحظة .

عبر لوشيان قاعة المحكمة ووضع نسخة من الجريدة على منصة القاضي وقال : " ألق نظرة على هذه " . ضبط لوبس نظارة القراءة التي يرتديها والتقط جريدة التايمز ورفعها عاليًا وغاص للخلف في مقعده الجلدى الفخم . ثم بدأ القراءة في غير عجلة .

لقد كان قارئًا بطيئًا . وبعد برهة بدأ قلبي يعاود العمل بشكل طبيعي ثانية حيث بدأ غضبي في الاشتعال . ولقد لاحظت أن ياقة قميصي كانت ندية عند المكان الذى تلتصق فيه بمؤخرة رقبتي . انتهى لوبس من الصفحة الأولى ثم انتقل ببطء إلى الصفحة التالية . كانت قاعة المحكمة يسودها الهدوء . هل سيزج بي في السجن فورًا ؟ أو يومأ للحاجب ليكبلنى بالأصفاد ويجرنى بعيدًا ؟ أنا لست محاميًا . وقد تم تهديدى منذ قليل بمقاضاتي وطلب تعويض قدره مليون دولار من قبل رجل ألحق الضرر بالكثيرين بلا شك ، والآن القاضي يقرأ رواياتي الشنيعة في حين تنتظر المدينة بأكملها نطقه بالحكم .

كانت الكثير من العيون ترمقني بنظرات حادة ، لذا فقد وجدت أنه من الأفضل أن أوجه تركيزى على أوراق تدوين الملاحظات التي بحوزتي على الرغم من أنه لم يكن بإمكاني قراءة أى شيء أكتبه . وقد جاهدت كثيرا للاحتفاظ بتعبير رباطة الجأش على وجهي . وما كنت أريده حقيقة هو الفرار من قاعة المحكمة والعودة إلى ممفيس على الفور .

كانت الأوراق تصدر صوت خشخشة بينما يقلبها القاضي ، والذى انتهى أخيرًا من القراءة . اتكأ قليلاً نحو الأمام تجاه مكبر الصوت وهم بالنطق بكلمات من شأنها أن تحدد مصير مستقبلي

الوظيفي . قال : " إنها مصاغة بأسلوب بارع . فهي تدخل في قلب الأحداث ، ربما تشتمل بعض الشيء على تصوير تشخيصي للموت ، ولكنها بالتأكيد لم تتعد أية حدود " .

ظللت أخربش فوق الورق وكأنني لم أسمع هذا . فبشكل مفاجئ وغير متوقع ومستفز بعض الشيء انتصرت على آل بادجيت ولوشيان ويلبانكس . همس باجي في أذني : " تهانئي " .

قام لوبس بطي الجريدة وألقاها جانبًا . وقد ترك ويلبانكس يتبجح ويهذي طوال بضع دقائق حول تسريب معلومات من رجال الشرطة ومن مكتب النائب العام واحتمال تسرب معلومات من لجنة المحلفين العليا ، والذين تكاتفوا جميعًا وتآمروا معًا بأمر من مصدر مجهول لمعاملة موكله على نحو غير عادل . إن ما كان يفعله في الحقيقة هو القيام بعرض مسرحي أمام آل بادجيت . فقد فشل في إطلاق سراح المتهم بكفالة ، لذا فقد كان يحاول إبهارهم بحماسته المفرطة .

ولكن لوبس كان مدركًا لما يحاول لوشيان فعله .

وكما سنعلم سريعًا ، فإن مرافعة لوشيان برمتها لم تكن شيئًا سوى ستار دخاني . فهو لم يكن لديه أدنى نية لنقل الدعوى من مقاطعة فورد .

الفصل السادس

كانت صفقة شراء جريدة التايمز تضم كذلك مبناها العتيق . لقد كان عديم القيمة تقريبًا . ويقع بالجانب الجنوبى من ميدان كلانتون ، وكان أحد أربع مبانى رثة ملتصقة ببعضها البعض بناها شخص ما على عجل ؛ وكانت طويلة وغير عريضة ومكونة من ثلاثة طوابق ولها قبو يخشى جميع الموظفين دخوله ويفضلون الابتعاد عنه . وكانت هناك عدة مكاتب بالواجهة الأمامية جميعها مكسوة بسجاجيد مبقعة وبالية ، وذات حوائط مقشرة ، وتنبعث منها رائحة دخان مداخن القرن الماضى .

وبأقصى مؤخرة المبنى كانت المطبعة . وفى مساء كل ثلاثاء كان هاردى ـ عامل المطبعة ـ يبث الحياة فى الطابعة القديمة وينجح بطريقة ما بطبع نسخة أخرى من جريدتنا . كان المكان رثًا وتفوح منه رائحة الحبر القوية .

وكان يوجد بالغرفة التى تقع بالطابق الأول صفوفًا من أرفف الكتب التى ترتخى تحت وزن هائل من المجلدات والكتب التى لم يفتحها أحد منذ عقود ، ومجموعة من كتب التاريخ ومسرحيات

شكسبير والشعر الأيرلندى وصفوف من الموسوعات البريطانية القديمة . فقد ظن سبوت أن مثل هذه الكتب من شأنها أن تبهر أى شخص يأتى لزيارة الجريدة .

وبالوقوف فى النافذة الأمامية والنظر عبر ألواح الزجاج القذرة - والمطبوع عليها منذ زمن طويل كلمة " التايمز " - يمكن للمرء أن يرى دار محكمة مقاطعة فورد وتمثالاً من البرونز للحارس الذى يحرسها . وأسفل قدميه كانت هناك لوحة منقوش عليها أسماء أبناء المقاطعة الواحد والستين الذين استشهدوا فى الحرب العظمى ، ومعظمهم فى شيلو .

وكان يمكن رؤية هذا الحارس أيضًا من مكتبى والذى كان بالطابق الثانى ، والذى كان يشتمل كذلك على صفوف من أرفف الكتب - تشكل مكتبة سبوت الخاصة - والتى تبدو أنها كانت مهملة شأن نظيرتها فى الطابق السفلى . وقد مضت سنوات قبل أن أنقل أيًا من كتبه هذه من مكانها .

كان المكتب برحًا وتعمه الفوضى ويزخر بالكثير من المصنوعات اليدوية عديمة النفع والملفات التى لا جدوى لها ومزينًا بلوحات زائفة لجنرالات الحلف . وقد أحببت المكان . وعندما غادر سبوت لم يأخذ معه شيئًا ، وبعد انقضاء بضعة أشهر لم يبد أن هناك من يرغب فى أخذ خردته تلك . لذا فقد بقيت مكانها ، مهملة كالمعتاد دومًا ، كما أننى لم أمسها قط ، ولكنها أصبحت تدريجيًا ملكًا خاصًا لى . وقد قمت برص أغراضه الشخصية - الخطابات وإعلانات البنك والملاحظات والبطاقات - فى صناديق وضعتها فى العديد من الغرف غير المستعملة بالأسفل بالبهو ؛ حيث واصلت التعفن وجذب الأتربة .

وكان بمكتبى مجموعتان من الأبواب الفرنسية التى تقود إلى شرفة صغيرة مزخرفة بسور حديدى ، والتى تكفى أن يجلس بها أربعة أشخاص على مقاعد مصنوعة من الأماليد المجدول لمشاهدة الميدان . ولم يكن هناك الكثير لرؤيته ، ولكنها كانت وسيلة ممتعة لتمضية الوقت وخاصة مع تناول مشروب .

وكان باجى على استعداد دومًا لتناول مشروب . فكان يجلب معه زجاجة كحول بعد العشاء ، ونجلس معًا على مقعدين هزازين . كانت المدينة مازالت تتحدث عن جلسة إطلاق السراح بكفالة . وكان هنالك اعتقاد شائع بأنه سيتم إطلاق سراح دانى بادجيت بمجرد أن ينجح ويلبانكس وماكى دون كولى فى ترتيب أمورهما . فسوف تقطع الوعود وتدفع الرشاوى ويضمن الشريف بنفسه ظهور الفتى فى المحكمة . ولكن القاضى لوبس كان لديه خطط أخرى .

كانت زوجة باجى تعمل ممرضة . فكانت تعمل بالوردية الليلية بغرفة الطوارئ فى المستشفى . وكان باجى يعمل لأيام متواصلة ، هذا إن كان تدوينه للملاحظات الواهنة عن المدينة يعد عملا . وهما نادرًا ما كانا يريان بعضهما البعض ، والذى كان أمرًا جيدًا فيما يبدو لأنهما كانا يتشاجران طوال الوقت . وقد هرب أولادهما البالغون من المنزل تاركين والديهما يشنان حربًا على بعضهما البعض . وبعد تناول كأسين من الخمر يشرع فى التفوه بملاحظات حادة على زوجته . وقد كان فى الثانية والخمسين من عمره ولكنه يبدو على الأقل فى السبعين ، وأعتقد أن الخمر هى السبب الرئيسى وراء ظهور علامات الشيخوخة عليه بهذه السرعة وتشاجره الدائم مع زوجته .

قال بكل فخر : " لقد نلنا منهم . لم يسبق من قبل أن تم تبرئة ساحة إحدى الجرائد بهذه الطريقة . هناك فى قاعة المحكمة " .

سألته : " ما أمر منع حرية التعبير ؟ " . فقد كنت مبتدئًا قليل الخبرة ، وكان الجميع يدرك ذلك . لذا فلم يكن من المنطقى أن أدعى معرفة شيء أجهله .

" لم يسبق لى أن رأيته من قبل . أنا فقط سمعت عنه ، وأعتقد أن القضاة يستخدمونه لإسكات فم المحامين والخصوم فى الدعاوى القضائية " .

" إذن فهو لا يستخدم ضد الصحف ؟ " .

" لا ، مطلقًا . لقد كان ويلبانكس يسعى فقط للتأثير فى نفوس الحاضرين . إن الرجل عضو فى الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية ، وهو العضو الوحيد من مقاطعة فورد . وهو يستوعب جيدًا التعديل الدستورى الأول . فلا تستطيع أى محكمة بأية طريقة من الطرق أن تمنع جريدة من نشر شيء ما . لقد كان يمر بيوم عصيب ، فقد كان واضحًا أنه لا يستطيع إخراج موكله من السجن ، لذا فقد كان يهذى بأى شيء . إنها طرق تقليدية يستخدمها المحامون . فهم يتعلمونها فى كلية الحقوق " .

" إذن أنت لا تعتقد أنه سيقاضينا ؟ " .

" بالطبع لا . اسمع ، أولاً ، ليست هناك قضية . فنحن لم نطعن أو نقذف أى شخص . نعم إننا بالغنا قليلاً فى وصف بعض الحقائق ، ولكنها كانت جميعًا أمور صغيرة ، وهى كانت حقيقية على الأرجح . ثانيًا ، إن كان لدى ويلبانكس دعوى قضائية فلابد أن يقيمها هنا فى مقاطعة فورد . فى نفس دار المحكمة ونفس القاعة مع نفس القاضى المبجل ريد لوبس الذى قرأ قصصنا هذا الصباح

وأثنى عليها . لقد أجهضت الدعوى القضائية قبل حتى أن يعد ويلبانكس كلمة واحدة فيها . أليس ذلك رائعًا ؟ " .

ولكنني لم أظن أن ذلك رائعًا . فقد كنت قلقًا بخصوص مبلغ المليون دولار قيمة التعويض ، ومن أين أستطيع الحصول عليه . وأخيرًا جاء المشروب وشعرت بمزيد من الاسترخاء . لقد كانت ليلة الخميس في كلانتون وكان عدد قليل من الناس هم الذين خارج منازلهم . فكل متجر ومحل ومكتب بالميدان كان مغلقًا .

وكان باجي كالعادة مسترخياً منذ وقت طويل . وقد أخبرتني مارجريت ذات مرة أنه عادة ما يشرب بعض الكحول مع الإفطار . فقد كان يحب هو وصديق له يعمل محاميًا له ساق واحدة يدعى ميجور - أن يشربا الشراب المسكر مع القهوة . فقد كانا يلتقيان بالشرفة خارج مكتب ميجور عبر الميدان للتدخين وشرب الخمر معًا والتحدث حول القانون والسياسة إلى أن تبدأ الدعاوى القضائية . وحسب روايته فإن ميجور فقد ساقه في جوادلكنال في الحرب العالمية الثانية . وكانت ممارسته لمهنة المحاماة محدودة للغاية لدرجة أنه كان لا يفعل شيئًا سوى كتابة الوصايا للعجائز ، والتي كان يطبعها بنفسه ؛ حيث إنه لم يكن بحاجة لسكرتيرة . وقد كان يعمل بكد شأنه شأن باجي ، والاثنان كانا من الوجوه المألوفة في قاعة المحكمة ، واللذان كانا يجلسان نصف ثملين يشاهدان المحاكمة تلو الأخرى .

قال باجي بعدما أصبحت كلماته غير واضحة : " أعتقد أن ماكي دون نجح في وضع فتاه في الجناح " .

سألته : " الجناح ؟ " .

" نعم ، هل رأيت السجن من قبل ؟ " .

" لا " .

" إنه غير لائق حتى للحيوانات . فليس به تهوية أو حرارة وأنابيب المياه تعمل نصف الوقت فقط . أجواء قذرة ، وطعام متعفن . هذا بالنسبة للبيض . أما السود فمسجونون فى الجانب الآخر من السجن ، جميعهم فى زنزانة واحدة طويلة . والمرحاض الوحيد الموجود بها عبارة عن حفرة بالأرض " .

" أعتقد أننى سأتقيأ " .

" إنه عار على المقاطعة ، ولكن للأسف هذا هو حال السجون فى معظم المقاطعات الأخرى . على أية حال هناك زنزانة صغيرة واحدة مكيفة وتكسو أرضيتها سجادة وبها فراش واحد نظيف وتلفاز ملون وطعام جيد . وهى تسمى الجناح ، ويضع ماكى دون متهميه المفضلين بها " .

وقد كنت أدوِّن ملاحظات ذهنية داخل رأسى . فبالنسبة لباجى كان حوارنا هذا مجرد عمل . أما بالنسبة لى - أنا الجامعى الجديد وفى بعض الأحيان تلميذ الصحافة - فقد كان يشكل نسيج قصة تشهير حقيقية ، فسألته قائلاً : " هل تعتقد أن بادجيت فى الجناح ؟ " .

" على الأرجح . فقد جاء إلى المحكمة مرتديًا ملابسه الخاصة " .

" وماذا كان من المفترض أن يرتدى ؟ " .

" مئزر السجن برتقالى اللون الذى يرتديه أى متهم آخر . ألم تره من قبل ؟ " .

نعم رأيته . فقد ذهبت للمحكمة ذات مرة ، منذ شهر أو قبل ذلك ، وتذكرت فجأة رؤية متهمين أو ثلاثة يجلسان فى قاعة المحكمة ينتظرون قدوم القاضى يرتدون جميعًا درجات مختلفة من

المئزر البرتقالى . وكانت عبارة " سجن مقاطعة فورد " مطبوعة على الجانب الأمامى والخلفى من القميص .

أخذ باجى رشفة وواصل حديثه : " إذن ففى جلسات المحاكمة وما إلى ذلك يأتى المتهمون ـ فى حالة إذا ما كانوا لايزالون بالسجن ـ إلى المحكمة وهم يرتدون زى المسجونين . وقديمًا ، كان ماكى دون يجبر المسجونين على ارتداء المئزر حتى فى أثناء المحاكمات . وقد استطاع لوشيان ويلبانكس إلغاء حكم بالإدانة متذرعًا بأن هيئة المحلفين كانت ميالة لإدانة موكله منذ البداية حيث إنه بدا مذنبًا حتى أخمص قدميه بذلك الزى البرتقالى الذى يرتديه . وقد كان محقًا . فمن الصعب إلى حد ما أن تقنع المحلفين بأنك لست مذنبًا وأنت ترتدى مثل المسجونين وتلبس بقدميك نعلين مطاطين " .

وقد اندهشت وتعجبت ثانية من مدى التأخر والتخلف الذى تعانى منه ولاية مسيسيبى . فمن المنطقى أن يتوقع المدعى عليه ـ خاصة وإن كان أسود ـ حكمًا عادلاً من هيئة المحلفين حتى وإن كان يرتدى زى السجن الذى من الممكن رصده من على مسافة ميل . " إننا مازلنا نخوض الحرب " . كان هو الشعار الذى سمعته كثيرًا فى مقاطعة فورد . إنهم يقاومون التغيير بضراوة وخاصة فيما يتعلق بأمور الجريمة والعقاب .

فى فترة الظهيرة من اليوم التالى ذهبت للسجن لرؤية الشريف كولى . فبحجة سؤاله عما وصلت إليه التحقيقات فى قضية كاسيلو خططت لرؤية أكبر عدد من المسجونين . وقد أخبرنى سكرتيره ـ بطريقة فظة إلى حد ما ـ بأنه كان فى اجتماع ، وكان لا بأس بهذا بالنسبة لى .

وكان هنالك سجينان ينظفان المكاتب الأمامية . وفي الخارج كان هناك آخران ينزعان الطحالب الضارة من إحدى المزاهر . سرت حول المبنى ، وخلف السجن رأيت منطقة مفتوحة صغيرة بها شبكة كرة سلة . وكان بها ستة مساجين يتسكعون أسفل ظل شجرة بلوط صغيرة . وبالجانب الشرقى من السجن رأيت ثلاثة مساجين يقفون عند نافذة خلف قضبان حديدية يحدقون فىّ .

لقد كان عدد المساجين الإجمالى ثلاثة عشر ، أى ثلاثة عشر مئزراً برتقالى اللون .

ولقد سألت ابن أخ ويلى عن كيفية سير الأحوال بالسجن . فى البداية كان مترددًا فى الحديث ، ولكنه كان يكره الشريف كولى بشدة ، وظن أنه يستطيع الوثوق بى . وقد أكد لى شكوك باجى فقد كان دانى بادجيت يعيش حياة مرفهة فى زنزانة مكيفة ويأكل كل ما يحلو له . كما كان يرتدى ما يريده ويلعب الشطرنج مع الشريف نفسه ويستخدم الهاتف طوال اليوم .

وقد عززت الطبعة التالية من التايمز كثيرًا من سمعتى كأحمق فى الثالثة والعشرين من عمره لا يخشى شيئاً وصعب المراس . ففى الصفحة الأولى نشرت صورة كبيرة لدانى بادجيت والحراس يقودونه داخل قاعة المحكمة لحضور جلسة الاستماع لإطلاق سراحه بكفالة . وقد كان مكبلاً بالأصفاد ويرتدى زيًا عاديًا . وقد كان يرمق الكاميرا بإحدى نظراته التى تقول " اللعنة عليكم جميعًا " . وفوق الصورة مباشرة كتبت عنواناً بالبنط العريض يقول : *رفض إطلاق سراح دانى بادجيت بكفالة* . وكانت القصة طويلة ومفصلة .

وبموازاتها كانت هناك قصة أخرى ، بنفس الطول وتقريباً ولكن أكثر خزيًا . فبالاستشهاد بمصادر لم أعلن عنها وصفت بإسهاب حياة السيد بادجيت داخل السجن . فذكرت كل ميزة يتمتع بها بما فى ذلك الوقت الشخصى الذى يمضيه مع الشريف كولى يلعبان الشطرنج . وتحدثت عن طعامه ونظامه الغذائى والتلفاز الملون وحرية استخدام الهاتف . كل شىء استطعت أن أتحقق من صحته . وبعد ذلك قارنت بين وضعه هذا ووضع باقى المسجونين الواحد والعشرين .

وفى الصفحة الثانية نشرت صورة أرشيفية بالأبيض والأسود لأربعة متهمين يقودهم الحراس داخل قاعة المحكمة . كان كل منهم بالطبع يرتدى مئزر السجن . وكل منهم كان مكبلاً بالأصفاد وذا شعر أشعث . وقد قمت بإخفاء وجوههم حتى لا أكشف عن شخصياتهم وأعرضهم للمزيد من الخزى . وقد أغلقت قضاياهم منذ فترة طويلة .

وقد وضعت صورة أخرى لدانى بادجيت وهو يدخل قاعة المحكمة بصحبة الحراس بجوار الصورة الأرشيفية . ولولا الأصفاد ، كان ليهيأ للمرء أنه فى طريقه إلى إحدى الحفلات . كان التناقض مروعًا . إنه الفتى المدلل للشريف كولى ، والذى يرفض إلى الآن مناقشة الأمر معى . يا له من خطأ جسيم !

وفى القصة ، شرحت جهودى لإجراء حوار مع الشريف ، ومحاولاتى الفاشلة للاتصال به هاتفيًا . فلقد ذهبت إلى السجن مرتين ولكنه رفض مقابلتى . كما أننى تركت له قائمة تشمل عدة استفسارات تعمد تجاهلها . لقد رسمت لنفسى صورة المراسل الشاب العدوانى الذى يبحث بيأس عن الحقيقة ويمنعه مسئول انتخبه العامة بمحض إرادتهم عن ذلك .

وحيث إن لوشيان ويلبانكس من أقل الناس شعبية فقد أدرجته هو أيضًا في النزاع . وباستخدام الهاتف ـ والذى تعلمت سريعًا أنه ذو فوائد جمة ـ اتصلت بمكتبه أربع مرات قبل أن يتصل بى ليرى ما الأمر . فى البداية رفض التعليق على التهم الموجهة لموكله ، ولكن عندما ألححت عليه فى السؤال عن المعاملة التى يتلقاها دانى فى السجن ثارت حفيظته وقال : " أنا لست مدير هذا السجن اللعين يا فتى ! " ، وقد كان بإمكانى تقريباً رؤية عينيه الحمراواتين وهما تحدقان فىَّ . وقد أدرجت هذا الحوار الذى دار بينى وبينه بالجريدة .

سألته : " هل أجريت حوارًا مع موكلك بالسجن ؟ " .

" بالطبع " .

" ماذا كان يرتدى ؟ " .

" أليس لديك موضوعات أفضل تنشرها بالجريدة ؟ " .

" لا يا سيدى . ماذا كان يرتدى ؟ " .

" حسنًا ، إنه لم يكن عاريًا " .

وقد رأيت أن ذلك كان حوارًا رائعاً ، لذا فقد نشرته بالبنط العريض فى عمود جانبى .

وبوقوف مغتصب أو قاتل وشريف فاسد ومحامى راديكالى فى جهة ووقوفى أنا وحدى بالجهة الأخرى أدركت أنه لا يمكن أن أخسر المعركة . وكان رد الفعل إزاء القصة مذهلاً . فقد أخبرنى باجى وويلى أن الناس بالمقاهى لم يكونوا يتحدثون عن شىء سوى محرر الجريدة الشاب الذى لا يخشى شيئاً . وقد ظل آل بادجيت ولوشيان محل ازدراء العامة لفترة طويلة . والآن حان الوقت للتخلص من كولى .

وقد قالت لى مارجريت إن القراء أمطرونا بمكالمات هاتفية عبروا فيها عن سخطهم عن المعاملة الخاصة التى يتلقاها دانى . كما أخبرنا ابن أخ ويلى أن السجن كان فى حالة من الفوضى ، وكان ماكى دون فى حالة نزاع مع رجاله . لقد كان يقوم بتدليل قاتل - وكان عام ١٩٧١ هو عام الانتخابات . لقد كان الموظفون غاضبين هناك ، وكانوا عرضة جميعًا لفقدان وظائفهم .

لقد كُتِبَ للتايمز النجاة بفضل هذين الأسبوعين . لقد كان القراء متعطشين لمعرفة التفاصيل ، ومن خلال التوقيت السليم وضربات الحظ وبعض الشجاعة استطعت أن أعطيهم ما يريدونه . لقد دبت الحياة فى الجريدة مرة أخرى ؛ فقد أصبحت ذات نفوذ ، وكانت مصدر ثقة . لقد أراد منها الناس أن تنشر ما يحدث بالتفصيل وبلا خوف .

وقد أخبرنى كل من باجى ومارجريت أن سبوت ما كان ينشر مثل هذه الصور الدامية ويتحدى الشريف . ولكنهم كانوا لا يزالون بنفس هذا الجبن . وأنا لا أستطيع أن أقول إن تهورى واندفاعى قد زاد من جرأة فريق العمل بالجريدة . فالتايمز كانت وستظل دومًا جريدة يديرها رجل واحد ويعمل بها موظفون ضعفاء .

ولكننى لم أكترث لذلك . فقد كنت أقول الحقيقة بغض النظر عن العواقب . لقد كنت بطلاً محليًا . وقد ارتفع عدد المشتركين إلى ثلاثة آلاف . كما تضاعف الربح الذى نجنيه من الإعلانات . وأنا لم أقم فقط ببث شعاع جديد من الأمل فى المقاطعة ولكننى كنت أجنى أرباحًا كبيرة أيضاً .

الفصل السابع

كانت القنبلة من النوع الحارق التى إذا انفجرت لابتلعت غرفة الطباعة بالجريدة فى لحظات . وكان ألسنة اللهب لتعلو بفعل مختلف الكيماويات وأكثر من ١١٠ جالوناً من حبر الطباعة ، ثم تتسارع خلال المكاتب الأمامية . وبعد بضع دقائق ـ مع عدم وجود نظام رش للماء أو إنذارات حريق ـ من يدرى كم كانت لتلتهم من الطابقين العلويين . على الأرجح معظمهما . فكان الاحتمال الأكبر ـ إن انفجرت القنبلة فى الساعات الأولى من صباح الخميس ـ أن تلتهم النيران المبانى الأربعة الأخرى الواقعة على نفس صف مبنى الجريدة .

وقد اكتشفها غبى القرية ـ أو بالأحرى أحد أغبياء القرية ، حيث كانت كلانتون تنعم بالكثيرين منهم ـ قبل أن يمسها أحد ، قابعة بجوار كومة من الأوراق القديمة بغرفة الطباعة .

وكان اسمه بريستون ، وهو شأنه شأن المبنى والمطبعة العتيقة والمكتبتين بالأعلى والأسفل دخل ضمن صفقة شراء الجريدة . ولم يكن بريستون موظفا رسميًا بالتايمز ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان

يأتي كل جمعة ليتقاضى راتبه الذى يبلغ ٥٠ دولاراً نقدًا ـ حيث لم يكن يأخذ شيكات . وأمام هذا الأجر كان يكنس الأرضيات ، ويعيد ترتيب القذارة بشكل مختلف على النوافذ الأمامية من حين لآخر ، وينقل القمامة للخارج إن اشتكى منها أحد . وهو لم يكن يعمل عدد ساعات معين ، بل يأتي ويذهب كما يحلو له ، ولم يكن يؤمن بضرورة طرق الباب إن كان هنالك اجتماع قائم ، وكان يحب استخدام هواتفنا وشرب أقداح قهوتنا ، وعلى الرغم من أنه فى البداية كان يبدو شريرًا ـ حيث كان له عينان متسعتان تغطيهما نظارة ذات زجاج سميك وقبعة كبيرة من ذلك النوع الذى يرتديه سائقو الشاحنات ولحية طويلة وأسنان بشعة ـ إلا أننا اكتشفنا أنه وديع وغير مؤذٍ . وقد كان يقدم خدماته تلك للعديد من الشركات والمتاجر بالميدان ، وبطريقة أو بأخرى لم يكن هناك من يشكو منه . ولم يكن هناك من يعلم أين يعيش أو مع من أو كيف جاء للبلدة . ولكن كلما جهلنا عن بريستون وحياته كان ذلك أفضل .

وقد جاء بريستون مبكرًا فى صباح يوم الخميس ـ فهو لديه مفتاح الجريدة منذ عقود ـ وقال إنه فى البداية سمع شيئاً يتكتك . وبالفحص المتأنى للمكان لاحظ وجود ثلاث عبوات بلاستيكية سعة خمسة جالونات مربوطة معًا بجوار صندوق خشبى على الأرضية . وكان صوت التكتكة قادمًا من الصندوق . ومنذ سنوات عدة وبريستون يدخل غرفة الطباعة ويساعد هاردى بين الحين والآخر فى طباعة الجريدة فى ليالى الثلاثاء .

وبالنسبة لمعظم الناس كان الهلع هو الشعور الذى سيتأتى بعد الفضول فى مثل هذا الموقف ، ولكن بريستون كان رابط الجأش . فبعد لكز العبوات للتأكد من أنها ممتلئة بالجازولين وبعد التأكد من أن سلسلة من الأسلاك الخطيرة تربط كل شىء معًا ، سار ناحية

مكتب مارجريت واتصل بهاردى . وقد قال إن صوت التكتكة كان يعلو أكثر فأكثر .

اتصل هاردى بالشرطة وفى حوالى الساعة التاسعة صباحًا أيقظونى على الأخبار .

وقد تم إجلاء نصف سكان منطقة وسط المدينة بحلول الوقت الذى وصلتُ فيه . كان بريستون يجلس فوق صندوق سيارة وهو فى حالة ذهول شديدة لأنه استطاع النجاة من هذه التجربة الخطيرة . وكان يستجوبه مجموعة من رجال الشرطة وسائق سيارة الإسعاف ، وقد بدا أنه يستمتع بهذا الاهتمام .

وقد قام ويلى ميك بتصوير القنبلة قبل أن يأخذ رجال الشرطة عبوات الجازولين بعيدًا ويضعونها بأمان فى أحد الأزقة خلف مبنانا . " إنها كانت لتفجر نصف منطقة وسط المدينة " ؛ كان هذا هو تعليق ويلى غير المتعلم على الموقف . وقد اندفع بعصبية حول المكان وهو يسجل ذهنيًا ما يحدث لاستخدامه مستقبليًا .

وقد أخبرنى مفتش الشرطة أنه لا يمكن دخول المبنى ؛ حيث إنه لم يتم فتح الصندوق الخشبى بعد ، وأيًا كان ما بداخله فهو مازال يحدث نفس الصوت . ثم قال فى فزع : " إنه قد ينفجر " ، وكأنه هو أول شخص فطن إلى تلك الحقيقة . ولم أكن أعتقد أنه يتمتع بخبرة كبيرة فى مجال القنابل ، ولكننى غادرت المكان تاركًا إياه . وقد جاء سريعًا مسئول من قسم مكافحة الجريمة . وقد قرروا استمرار إخلاء الأربعة مبانى الملاصقة لمبنى الجريدة من السكان حتى يُتم الخبير عمله .

قنبلة فى منتصف مدينة كلانتون ! انتشر الخبر كالنار فى الهشيم ، ومن ثم توقفت جميع الأعمال . فأخليت مكاتب المقاطعة ، وكذلك البنوك والمتاجر والمقاهى ، وقبل أن تمضى فترة طويلة ،

ازدحم الشارع بمجموعات كبيرة من المشاهدين تحت شجر البلوط الضخم بالجانب الجنوبى من دار المحكمة ، فى مكان بعيد . وقد كانوا يحدقون ببله فى مبنانا الصغير وهم قلقون وخائفون ولكنهم فى الوقت ذاته ينتظرون بعض الإثارة ، فإنه لم يسبق لهم رؤية قنبلة تنفجر .

وقد انضم معاونو الشريف لرجال الشرطة ، وسرعان ما جاء كل مسئول فى المقاطعة ، وكانوا يتجولون جميعًا على الأرصفة لا يفعلون شيئاً . وكان الشريف كولى ورئيس الشرطة يتشاوران ويتباحثان وهما يشاهدان الحشد عبر الشارع ، ثم قاما بإصدار بعض الأوامر هنا وهناك ، ولكن لم يكن واضحًا إن كانت أوامرهما تلك تنفذ أم لا . ولكنه كان جلياً للجميع أن المدينة والمقاطعة ليس بهما خبراء مفرقعات .

كان باجى بحاجة إلى شراب . ولكن كان الوقت مازال مبكرًا للغاية بالنسبة لى لاحتساء شراب . وقد تبعته إلى مؤخرة دار المحكمة ثم للأعلى خلال درج ضيق لم يسبق لى رؤيته من قبل ، ثم مشينا فى رواق صغير ، ثم صعدنا عشرين درجة أخرى إلى أن وصلنا إلى غرفة صغيرة قذرة ذات سقف منخفض . قال : " كانت تلك الغرفة هى حجرة هيئة المحلفين القديمة ، ثم أصبحت مكتبة قانونية " .

فسألته وأنا أخشى الإجابة : " وماذا أصبحت الآن ؟ " .

" غرفة احتساء الخمر . هل ترى ما يحدث ؟ خمر ؟ المحامون ؟ يثملون ؟ " .

" لقد فهمت ! " . وكانت هناك طاولة مقامرة ذات أرجل قابلة للطى وشكل مطروق إنما ينم عن سنوات من الاستعمال . وحولها كان هناك نصف دستة من المقاعد مختلفة الأشكال ، والتى تنتمى لأثاث

المقاطعة المستعمل والذى تم نقله من مكتب إلى آخر إلى أن ألقى به فى النهاية فى هذه الغرفة الصغيرة القذرة .

وفى أحد الأركان كانت هناك ثلاجة صغيرة مغلقة بقفل . وباجي بالطبع كان لديه المفتاح ، وبداخلها وجد زجاجة خمر . صب كمية كبيرة فى كوب ورقى وقال : " اسحب مقعدًا " . وقد سحبنا مقعدين تجاه النافذة وبالأسفل كان المشهد الذى تركناه لتونا . قال بفخر : " ليس مشهدًا سيئًا ، أليس كذلك ؟ " .

" هل تأتى إلى هنا كثيرًا ؟ " .

" مرتان أسبوعيًا تقريبًا ، وربما أكثر . فنحن نلعب البوكر كل ثلاثاء وخميس فى فترة الظهيرة " .

" ومن هم المشتركون فى هذا النادى " .

" إن أسماء الأعضاء سرية " . أخذ رشفة ولعق شفتيه وكأنه كان تائهًا فى الصحراء منذ شهر . هبط عنكبوت فوق شبكته السميكة على النافذة . وكان يغطى عتبة النافذة طبقة تقدر بنحو بوصة من الغبار والأتربة .

قال باجي وهو يحدق فى المشهد المثير بالأسفل : " أعتقد أنهم بدأوا يفقدون براعتهم " .

كنت شبه خائف من السؤال الذى طرحته : " هم ؟ " .

" آل بادجيت " . قال هذه العبارة باعتداد بالنفس ثم سكت قليلاً ليجعلنى أفكر فى الأمر .

سألت : " هل أنت متأكد أن الفاعل هو آل بادجيت ؟ " .

كان باجي يظن أنه يعرف كل شىء ، وقد كان محقًا فى معظم ما يقوله . وقد تكلف الابتسام وأخذ رشفة أخرى ثم قال : " إنهم يحرقون المبانى منذ أمد الدهر . فتلك هى إحدى طرقهم غير الشرعية لكسب المال ـ إنها طريقة لخداع شركات التأمين . وقد

جنوا ثروة طائلة من وراء شركات التأمين " . وأخذ رشفة سريعة ثم أضافت : " ولكن من الغريب حقًا أنهم استخدموا الجازولين . إن محرقي المبانى المحترفين يبتعدون عن الجازولين لأنه من السهل اكتشاف استخدامه فى افتعال الحريق . هل تعلم ذلك ؟ " .

" لا " .

" هذا صحيح . إن رجل الإطفاء الماهر يستطيع شم رائحة الجازولين في غضون دقائق بعد إطفاء الحريق . فالجازولين يعنى وجود مفتعل حريق متعمد . ومفتعل الحريق يعنى عدم تغطية شركة التأمين للخسائر " . رشفة . " وبالطبع فى هذه الحالة أرادوا على الأرجح أن تعلم أن هذا حريق متعمد . هذا منطقى ، أليس كذلك ؟ " .

ولكن لم يبدٍ أن هناك شيئاً منطقيًا بالنسبة لى فى هذه اللحظة . فقد كنت مرتبكًا للغاية لدرجة أعجزتنى عن التفوه بالكثير .

وكان باجى سعيدًا لتوليه زمام الحوار . " فكر فى الأمر . إن ذلك على الأرجح هو السبب أنها لم تنفجر . فلقد أرادوا منك أن تراها . فلو انفجرت فلن يكون بالمقاطعة جريدة التايمز ، الأمر الذى قد يزعج البعض ويسعد البعض الآخر " .

" شكرًا لك " .

" على أية حال ، هذا يفسر ما حدث . فتلك كانت طريقة لطيفة لتخويفك " .

" لطيفة ؟ " .

" نعم ، بالمقارنة بما كان يمكن أن يفعلوه . صدقنى ، إن هؤلاء الفتية يعرفون كيف يحرقون المبانى . لقد كنت محظوظًا " .

ولقد لاحظت أنه قام سريعًا بفصل نفسه من الجريدة . فأنا من كنت محظوظًا وليس " نحن " .

لقد شق الخمر طريقه سريعًا إلى رأسه مما أفلت زمام لسانه . فقال : " فمنذ نحو ثلاث سنوات أو ربما أربع ، نشب حريق ضخم بأحد مصانع الخشب خاصتهم ، ذلك الذى يوجد بطريق ٤٠١ ، خارج الجزيرة تمامًا . وهم لا يحرقون أى شىء بالجزيرة نفسها لأنهم لا يريدون أن تدخلها السلطات وتتطفل عليهم . وعلى أية حال ، فقد تشككت شركة التأمين فى الأمر ورفضت أن تدفع مبلغ التأمين ، ومن ثم قام لوشيان ويلبانكس برفع هذه الدعوى القضائية الكبرى . وقد عرضت على المحكمة أمام المبجل ريد لوبس . ولقد سمعت كل كلمة منها " . رشفة طويلة .

" ومن ربح القضية ؟ " .

وقد تجاهلنى كلية لأنه لم يكن قد انتهى من سرد القصة بعد . " لقد كان حريقًا هائلاً . وقد توجهت إليه جميع عربات الإطفاء بكلانتون . كما تطوع رجال الإطفاء من كاراواى لإخماد الحريق ؛ فقد توجهت كل عربات الإطفاء ناحية جزيرة بادجيت . فلا شىء يضاهى حريق هائل هنا ليستحث الجميع على العمل ـ فيما عدا وجود قنبلة بالطبع ، ولكننى لا أتذكر آخر قنبلة كانت بالمدينة " .

" إذن ... " .

" يمر الطريق السريع ٤٠١ عبر أرض منخفضة بالقرب من جزيرة بادجيت ـ وهو عبارة عن مجموعة من المستنقعات . وهناك جسر يمر فوق ماسيز كريك ، وعندما جاءت عربات الإطفاء مسرعة إلى الجسر وجدت شاحنة راقدة على جانبها ، وكأنها انقلبت . كان الطريق مسدودًا بالكامل ؛ والعربات لم تستطع الالتفاف حول الشاحنة المقلوبة لأنه لم يكن هناك شىء سوى خنادق ومستنقعات " . لعق شفتيه مجددًا وصب المزيد من الزجاجة . وقد

حان الوقت كى أقول شيئاً ، ولكن مهما قلت فكان يقابل بالتجاهل . فهكذا تستطيع حث باجى على مواصلة الحديث .

سألته : " ولمن كانت هذه الشاحنة ؟ " وقبل أن تخرج جميع هذه الكلمات من فمي قام بهز رأسه وكأن سؤالى كان غير صحيح بالمرة .

" كانت النيران تتأجج وكأنها الجحيم . وقد احتشدت عربات الإطفاء واحدة تلو الأخرى بطول طريق ٤٠١ وذلك لأن مهرجاً ما قلب شاحنته . ولم يكن هناك أثر لسائقها . كما لم يستطيعوا الاستدلال على صاحبها ، حيث لم يكن هناك بداخلها أوراق تسجيل أو لوحة أرقام . فقد طمست كل الأدلة التى يمكن عن طريقها معرفة صاحب السيارة . ولم يبلغ أحد عن فقدان السيارة ولم يظهر صاحبها . وهى لم تصب بتلفيات كثيرة . وقد وردت كل تلك التفاصيل بالذكر في المحكمة . فكان الجميع يعرفون أن آل بادجيت هم من افتعلوا الحريق ، وقلبوا إحدى شاحناتهم المسروقة لتسد الطريق ، ولكن شركة التأمين لم تستطع إثبات ذلك ! " .

وبالأسفل كان الشريف كولى يتحدث من خلال البوق . فكان يطلب من الناس الوقوف بعيدًا عن مبنى الجريدة . وقد أضاف الخوف إلى نبرة صوته مزيدًا من التوتر للموقف .

سألت وأنا متلهف للوصول لنهاية القصة : " إذن هل ربحت شركة التأمين الدعوى ؟ " .

" لقد كانت محاكمة فريدة من نوعها . وقد استمرت ثلاثة أيام . وويلبانكس يستطيع عادة إبرام صفقة مع واحد أو اثنين من أعضاء هيئة المحلفين . وهو يقوم بذلك منذ سنوات ويفلت دومًا بفعلته . علاوة على ذلك فهو يعرف كل شخص بالمقاطعة . وكان رجال التأمين من جاكسون بالشمال ولم يكن لديهم دليل . وقد اجتمع

أعضاء هيئة المحلفين طوال ساعتين حكموا بعدها للمدعى بتعويض قدره مائة ألف دولار والذى أصبح مليونًا لفداحة الخسائر " .

قلت : " مليون دولار ! " .

" نعم ، أول حكم بتعويض قدره مليون دولار بمقاطعة فورد . وقد استمرت الدعوة عامًا إلى أن قضت المحكمة العليا بخفض مبلغ التعويض وخصم المبلغ الإضافى فى العقوبة " .

وقد تسببت لى مسألة سيطرة لوشيان بانكس على المحلفين شعورًا بالتوتر . ترك باجى الخمر لدقيقة وأخذ يحدق فى شىء ما فى الأسفل ، وقال أخيرًا : " تلك إشارة سيئة يا بُنى ، سيئة حقا " .

ولقد كنت مديره لذا فلم يكن من المفترض أن يدعونى " يا بنى " ولكننى تركت الأمر يمضى . فقد كانت هناك أمور أهم نناقشها .

قلت : " أتقصد موضوع الترهيب ؟ " .

" نعم . إن آل بادجيت نادرًا ما يتركون الجزيرة . وحقيقة تنفيذهم لإحدى عملياتهم الصغيرة داخل الميدان يعنى أنهم مستعدون لشن حرب . فإن كان باستطاعتهم ترهيب الجريدة ، إذن فبإمكانهم القيام بالمثل مع أعضاء هيئة المحلفين . والشريف نفسه يعد أحد تابعيهم " .

" ولكن ويلبانكس قال إنه سيغير مكان المحاكمة " .

تجرع باجى الشراب مرة واحدة ثم قال : " لا تصدق هذا يا بُنى " .

" أرجوك ، ادعنى ويلى " . وكم كان من الغريب أن أطلب من الآخرين بمناداتى بهذا الاسم .

" لا تصدق هذا يا ويلى . إن الفتى مذنب وفرصته الوحيدة فى النجاة هو أن يشترى أعضاء هيئة المحلفين أو يرهبهم . فأنا أؤكد لك أن المحاكمة ستجرى هنا ، وفى هذا المبنى " .

بعد انتظار اهتزاز الأرض طوال ساعتين ، حان وقت تناول الغداء . فتشتت الحشد وتفرق مبتعدًا عن المكان . وقد وصل أخيرًا خبير قسم مكافحة الجريمة وتوجه على الفور لحجرة الطباعة . ولم يكن مسموحًا لى بدخول المبنى ، ولكن لا بأس بهذا بالنسبة لى .

وقد جلسنا معًا أنا وويلى ومارجريت نتناول بعض الطعام فى المبنى الصغير المزخرف بحديقة المحكمة . وقد كنا نأكل فى هدوء ونتجاذب أطراف الحديث ونحن نحدق فى مبنى الجريدة عبر الشارع . ومن حين لآخر كان يرانا شخص ما ويتوقف ليعلق عما يحدث فى فزع . ماذا لو عجزوا عن إبطال مفعول القنبلة ووقع ضحايا أبرياء جراء ذلك ؟ ولحسن الحظ فلم يكن لدى أهل المدينة خبرة كبيرة فى هذا المجال . وقد حظينا ببعض التعاطف وتلقينا بعض العروض للمساعدة .

وقد أتانا الشريف كولى يمشى على مهل وأعطانا تقريرًا مبدئيًا عن القنبلة . كانت الساعة المستخدمة من النوع ذى الزنبرك الذى يدار باليد المتوافر بالمتاجر فى كل مكان . وفى الوهلة الأولى ظن الخبير وجود مشكلة بالأسلاك . وقال إن من قام بزرعها غير خبير .

وقد سألته بحدة : " كيف ستحقق فى هذا الأمر ؟ " .

" سوف نبحث عن بصمات ، ونرى إن كان هناك أى شهود . أى سنقوم بالإجراءات المعتادة " .

سألت بنبرة أكثر حدة : " هـل سـتتحدث إلى آل بادجيـت ؟ " . فقد كنت على الرغم من كل شيء بصحبة موظفٍ . وعلـى الـرغم مـن أننى كنت خائفـا للغايـة فـإننى أردت إبهـارهم بجسـارتى التـى لا يحدها شيء .

ارتد للخلف وقال : " هل تعرف شيئاً لا أعرفه ؟ " .

" إنهم مشتبه فيهم ، أليس كذلك ؟ " .

" هل أنت الشريف الآن ؟ " .

" إنهم أشهر مفتعلى حرائق بالمقاطعـة ؛ فهـم يحرقـون المبـانى منذ سنوات ويفلتون من العقوبة . وقد هددنى محاميهم فى المحكمة الأسبوع الماضى . لقد نشرنا أخبار دانى بادجيت فـى الصـفحة الأولى مرتين . فإن لم يكن هم المشتبه فيهم ، فمن إذن ؟ " .

" فقط اذهب واكتب القصة يـا بُنـى . ولا تـنس أن تـورد ذكـرهم فيها . فأنت تبدو مصممًا على أن يقاضوك " .

قلت : " أنا سأتولى أمر الجريدة ، وأنت تولَّ أمر المجرمين " .

نقر فوق قبعته لمارجريت وسـار مبتعدًا .

قال ويلى بينما كنا نرقب كولى وهو يتوقف ويتحدث إلى سيدتين بالقرب من النافورة : " إن الانتخابات سـتجرى فـى العـام القـادم . وأتمنى أن يكون لديه مشتبه به " .

وقد استمرت عمليات الترهيب ، ولكن فى هذه المـرة كـان ويلـى هو الضحية . فقد كان يسكن على بعد ميل من المدينة بمزرعـة تبلـغ مساحتها خمس أكرات ، تربى فيها زوجتـه الـبط وتـزرع البطـيخ . وفى هذه الليلة عندما كان يهم بالخروج من سـيارته بعـدما وضـعها بالمرآب قفز شخصان مستأجران من بين الشجيرات واعتدا عليه . قام

الرجل الأضخم بطرحه أرضًا وركله في وجهه ، بينما أخذ الآخر ينقب في المقعد الخلفي للسيارة حتى وجد كاميرتين . كان ويلي في الثامنة والخمسين من عمره وضابط سابق بالقوات البحرية ، وقد استطاع عند حد معين في العراك أن يركل المعتدى الأضخم ويطرحه أرضًا . وبعد ذلك أخذا يتبادلان اللكمات ، وعندما بدأت الغلبة تتحول إلى ويلي على الرجل الآخر ضربه المعتدى الثاني بإحدى الكاميرتين على رأسه . وقد قال ويلي إنه لم يتذكر الكثير مما حدث بعد ذلك .

وفي النهاية سمعت زوجته الجلبة . وقد وجدت ويلي على الأرض شبه فاقد الوعي ، ووجدت كلتا الكاميرتين محطمتين . وفي داخل المنزل وضعت أكياس الثلج على وجهه وتأكدت من عدم وجود أي كسر بالعظام . ولم يرغب الضابط السابق بالقوات البحرية الذهاب إلى المستشفى .

وقد ذهب أحد الضباط إلى منزله وحرر محضرًا . ولم يرى ويلي المعتدين جيدًا ، وهو بالطبع لم يرهما من قبل . وقد قال : " لقد عادا إلى الجزيرة الآن ، لذا فلن تجدهما " .

وقد استطاعت زوجته أن تجعله يعدل عن رأيه ويذهب إلى المستشفى والتي اتصل بي منها بعد ساعة . ولقد رأيته بين أجهزة الأشعة السينية . كان وجهه شبه مشوه ولكنه ابتسم لي . وقد التقط يدي وجذبني بالقرب منه . قال من خلال شفتيه المجروحتين وفكيه المتورمين : " الأسبوع القادم في الصفحة الأولى " .

وبعد بضع ساعات غادرت المستشفى وذهبت للتنزه بالسيارة في رحلة طويلة عبر الريف . وقد أخذت أنظر في المرآة شبه متوقع أن تظهر مجموعة أخرى من آل بادجيت ممسكين بأسلحتهم .

إنها لم تكن مقاطعة بلا قانون حيث يفرض المجرمون في العصابات المنظمة سطوتهم على الناس الشرفاء . بل كان العكس هو الصحيح ـ فكانت الجريمة نادرة . وكان الفساد يقابل بالعبوس . لقد كنت محقاً وكانوا هم على خطأ ، وقد قررت ألا أستسلم . فسوف أشترى مسدساً ، فما المانع ، فكل من بالمقاطعة يمتلك مسدسين أو ثلاثة . وإن كان ذلك ضرورياً فسوف أقوم باستئجار حارس خاص . فسوف تزداد جريدتي جرأة باقتراب موعد المحاكمة .

الفصل الثامن

قبيل إشهار إفلاس الجريدة وذيع صيتي بمقاطعة فورد ، كنت قد سمعت قصة مذهلة عن أسرة محلية . ولم يستكملها سبوت مطلقاً لأنها كانت تتطلب بعض البحث ورحلة إلى الجهة الأخرى من البلدة .

والآن بما أن الجريدة أصبحت ملكي ، فقد قررت استكمال القصة .

في لوتاون - مركز تجمع الملونين - كان يعيش زوجان فوق العادة - كاليا وإيساو روفين . وهما متزوجان منذ أكثر من أربعين عامًا ولديهما ثمانية أبناء ، سبعة منهم نالوا درجة الدكتوراة ويعملون الآن أساتذة بالجامعات . أما تفاصيل حياة الابن الثامن فكان يكتنفها الغموض - وفقاً لمارجريت - وكان اسمه سام وكان مطارداً من قبل الشرطة .

وقد اتصلت بالمنزل وأجابتني السيدة روفين . وقد أخبرتها من أنا وماذا أريد ، وقد بدا أنها تعرف كل شيء عني . فقد قالت إنها تقرأ التايمز منذ خمسين عامًا من الصفحة الأولى وحتى الأخيرة ،

كل المقالات بما فى ذلك أخبار الوفيات والإعلانات المبوبة ، وبعد دقيقة أو اثنتين أكدت لى أن مستوى الجريدة قد تقدم كثيرًا الآن . فالقصص أصبحت أطول ، والأخطاء أقل وأصبح هناك المزيد من الأخبار . وكانت تتحدث ببطء وبوضوح وبأسلوب بليغ لم أسمعه منذ أن غادرت سيراكيوز .

وعندما أتيحت لى الفرصة للكلام ، شكرتها وقلت إننى أود مقابلتها للتحدث عن أسرتها المميزة . وقد شعرت بالإطراء وأصرت على أن أذهب لمنزلها لتناول الغداء .

ومن ثم بدأت بيننا علاقة صداقة فتحت عينىّ على الكثير من الأشياء ، من بينها فن الطهى الجنوبى .

لقد توفيت والدتى وأنا فى الثالثة عشرة من عمرى . وقد كانت مصابة بفقدان شهية ؛ حتى إنه لم يحمل تابوتها حينما توفت سوى أربعة أشخاص . فقد كانت تزن أقل من ١٠٠ رطل وتبدو كالشبح . ففقدان الشهية كان فقط إحدى المشكلات الصحية التى كانت تعانى منها .

ولأنها لم تكن تأكل ، فلم تكن تطبخ . فأنا لا أستطيع أن أتذكر وجبة واحدة ساخنة أعدتها من أجلى . فكان الإفطار عبارة عن صحن من الحبوب ، والغداء ساندوتش بارد ، والعشاء تشكيلة من الأطعمة والباردة والتى كنت أتناولها فى العادة أمام التلفاز وحدى . فقد كنت طفلا وحيدًا ، وكان أبى متغيباً دومًا عن المنزل ، الأمر الذى كان فيه راحة كبيرة لنا حيث إنه وأمى كانا يتشاجران طوال الوقت . فهو كان يحب أن يأكل ، أما هى فلا ! لقد كانا يتنازعان بخصوص كل شىء .

وأنا لم أشعر بالجوع قط ؛ فكانت الخزانة ممتلئة دومًا بزبد الفول السوداني والحبوب وما إلى ذلك . ومن حين لآخر كنت أتناول الطعام بمنزل أحد أصدقائي وكنت أتعجب دومًا حينما أرى الطرق التي تطهى بها العائلات الحقيقية طعامها وكيف أنهم يمضون مثل هذا الوقت الطويل على مائدة الطعام . فالطعام ببساطة لم يكن يشكل أهمية كبيرة في منزلنا .

وكمراهق ، كان كل ما أتناوله هو طعام العشاء المجمد ، والذى كان في سيراكوز يتكون من الجعة والبيتزا . فطوال الثلاثة وعشرين عامًا الأولى من حياتي كنت أتناول الطعام فقط عندما أكون جائعًا . وسرعان ما تعلمت أن تلك عادة غير متبعة في كلانتون . ففي الجنوب ، لا يرتبط تناول الطعام كثيرًا بالجوع .

كان منزل عائلة روفين يقع بمكان لطيف في لوتاون ، في صف من المنازل النظيفة والمطلية . وكانت العناوين مسجلة على صناديق البريد . وعندما انحرفت بالسيارة لإيقافها ابتسمت لرؤية السور الحديدى الأبيض والزهور ـ الفاوانيا والسوش ـ واللذين اصطفا على جانبي المشى . وقد كنا في أوائل شهر أبريل ، وكنتُ منزلاً سقيفة سيارتي السبيتفاير ، وبمجرد أن أطفأت المحرك شممت رائحة ذكية . شرائح اللحم !

قابلتني كاليا روفين عند البوابة المنزلقة المنخفضة والتي كانت تؤدى إلى حديقتها الأمامية . وقد كانت امرأة قوية عريضة الجذع والمنكبين وتصافح مصافحة حازمة تشبه تلك الخاصة بالرجال . وكان شعرها رماديًا وتبدو عليها أمارات تربية العديد من الأطفال ، ولكن حين ابتسمت ـ وكانت كثيرة التبسم ـ أضاءت العالم بصفين من

الأسنان الرائعة الخالية من العيوب . وأنا لم يسبق لى من قبل رؤية مثل هذه الأسنان .

قالت لى وهى تقف فى منتصف المشى الطوبى : " أنا سعيدة لأنك أتيت " . ولقد كنت سعيدًا أنا أيضاً . كنا فى فترة الظهيرة تقريبًا . وبالطبع أنا لم آكل شيئاً وكانت الروائح المنبعثة من الشرفة تثير شهيتى بجنون .

قلت وأنا أحدق فى مقدمة المنزل : " يا له من منزل جميل ! " ، لقد كان مبنيًّا من الخشب ومطليًا باللون الأبيض الزاهى والذى أعطانى الانطباع بأن شخصًا ما يتسكع دومًا حوله وهو ممسك بالفرشاة ودلو الطلاء . وكانت شرفة مطلية بالقصدير الأخضر تحتل الجزء الأمامى بالكامل من المنزل .

" حقًا ، شكرًا لك . إننا نملكه منذ ثلاثين عامًا " .

وقد كنت أعلم أن معظم المنازل فى لوتاون يمتلكها أشخاص بيض . فامتلاك منزل كان يعد إنجازًا غير مسبوق للسود فى عام ١٩٧٠ .

فسألتها وأنا أتوقف لأشتم زهرة صفراء : " من هو البستانى الذى يعمل لديك ؟ " . لقد كانت الزهور بكل مكان ـ على جانبى المشى وبطول الشرفة وحول المنزل . قالت وهى تضحك لتبرق أسنانها فى ضوء الشمس : " هذا هو أنا " .

وبعد أن صعدنا ثلاث درجات وفى داخل الشرفة كانت هنالك ـ المأدبة ! فبجوار السور كانت هنالك طاولة صغيرة معدة لفردين يوجد فوقها غطاء أبيض قطنى ومناديل بيضاء وزهور فى إصيص صغير وإبريق شاى مثلج كبير ، وعلى الأقل أربعة صحون مغطاة .

سألتها : " من سيأتى غيرى ؟ " .

" لا ، فقط نحن الاثنان ، إن إيساو قد يتأخر قليلاً " .

" إن هناك طعامًا يكفى جيشًا " . زفرت الهواء بعمق بينما كانت معدتى تتأوه تلهفًا لتناول هذا الطعام .

قالت : " دعنا نأكل الآن قبل أن يبرد الطعام " .

وقد جمعت شتات نفسى ومشيت ناحية الطاولة ، وجذبت مقعدًا من أجلها . وقد كانت سعيدة للغاية لأننى كنت بهذا النبل . وقد جلست أمامها وبينما كنت أهم لانتزاع أغطية الصحون والغوص بداخل أى شىء أجده فيها ، أمسكت بكلتا يدى ونكست رأسها . لقد بدأت تدعو وتتضرع إلى الله .

ولقد كان دعاء طويلا . وقد شكرت الله على كل شىء وكل خير بما فى ذلك أنا ، " صديقها الجديد " . وقد دعت أن يشفى الله المرضى وهؤلاء الذين قد يبتلون بالمرض . وقد دعت بأن ينزل المطر وتشرق الشمس ودعت بدوام الصحة والتواضع والصبر ، وعلى الرغم من أن القلق بدأ يستبد بى عسى أن يبرد الطعام إلا أن صوتها سحرنى . كانت نغمة صوتها بطيئة مع نطق كل كلمة بوضوح . وكانت مخارج الحروف عندها ممتازة ؛ فكانت تعطى كل حرف ساكن حقه وتحترم كل فاصلة ونقطة توقف . وقد اضطررت أن أختلس النظر إليها لأتأكد من أننى لم أكن أحلم . فأنا لم يسبق لى أن سمعت أحد السود الجنوبيين ـ أو حتى أحد البيض الشماليين ـ يتحدث بهذه اللغة .

وقد اختلست النظر ثانية ـ لقد كانت تناجى الله ، وكان وجهها يشع سعادة . ولمدة بضع ثوان نسيت ـ فى الحقيقة ـ أمر الطعام . لقد كانت تضغط على يدىّ بينما تدعو الله مستخدمة لغة بيانية واضحة لا تتأتى سوى من خلال سنوات من الممارسة . وقد اندهشت عندما وجدتها تستخدم كلمات قديمة لم يعد أحد يستخدمها . ولكنها

كانت تعلم تمامًا ما تفعله . وأنا لم أشعر بهذا القرب من الله من قبل سوى حينما جلست بين يدىّ هذه السيدة التقية .

وأنا لم أستطع أن أتخيل كيف يمكن لأحد أن يدعو بمثل هذا الدعاء الطويل على مائدة يجلس عليها ثمانية أطفال . وكان شخصًا ما قد أخبرنى قبل ذلك أنه حينما تدعو كاليا روفين يجلس الجميع ساكنين بلا حراك .

وأخيرًا ، أنهت الدعاء بتعبيرات بيانية بلاغية والتى طلبت من خلالها من الله العفو والمغفرة لكل ما ارتكبته من معاصى وآثام ، والتى أعتقد أنها قليلة للغاية وكانت على فترات متباعدة ، ولآثامى وذنوبى أنا أيضًا .

وقد تركت يدىّ ثم بدأت تزيح الأغطية من فوق الصحون . وكان الأول يحتوى على شرائح اللحم المغموسة داخل صلصة تحتوى - ضمن محتويات كثيرة - على البصل والفلفل . وقد اصطدم الكثير من البخار بوجهى والذى جعلنى أرغب فى تناول الطعام بأصابعى . وفى الصحن الثانى كان يوجد كومة من الذرة الصفراء المزينة بالفلفل الأخضر والتى مازالت ساخنة . وكان هنالك بامية مسلوقة ، والتى أخبرتنى وهى تقدمها لى أنها تفضلها على المقلية لأنها لم تكن تحب أن يحتوى طعامها على الكثير من الدهون . وقد تعلمت فى صغرها أن تهرس وتقلى كل شىء - بداية من الطماطم وحتى المخللات - ولكنها أدركت بعد ذلك أن طريقة الطهى تلك غير صحية بالمرة . وكانت هناك الفاصوليا الليمية ، وغير الليمية وغير المقلية المطهية مع اللحم . كما كان هنالك طبق صغير من شرائح الطماطم المغطاة بالفلفل وزيت الزيتون . وقد كانت واحدة من بين عدد قليل من الطهاة بالمدينة الذين كانوا يستخدمون زيت الزيتون ، وذلك كما

قالت بينما كانت تواصل حديثها . وكنت أستمع لكل كلمة تقولها بينما أراها تملأ صحنى الكبير بالطعام .

فكان أحد أبنائها والذى يعيش فى ميلووكى يشحن لها زيت الزيتون من هناك لأنه لم يكن معروفًا بكلانتون .

وقد اعتذرت لى لأنها اضطرت أن تشترى هذه الطماطم من المتجر ، فالطماطم خاصتها مازالت فوق الكرمة ولن تنضج قبل فصل الصيف . أما الذرة والبامية والفاصوليا الليمية فكانت حصاد حديقتها والتى قامت بتعليبها منذ أغسطس الماضى . وفى الحقيقة كانت الخضراوات الوحيدة الطازجة لديها هى الكرنب والخضراوات ذات الأوراق الخضراء أو خضراوات " الربيع " كما كانت تطلق عليها .

وكانت هناك مقلاة سوداء مخبأة فى منتصف الطاولة والتى عندما رفعت الغطاء من فوقها وجدت على الأقل أربعة أرطال من خبز الذرة الساخن . وقد غرفت كمية كبيرة ووضعتها فى منتصف صحنى وقالت : " إليك هذا ، فذاك سوف يفتح شهيتك " . ولم يضع أحد من قبل كمية الطعام هذه أمامى . وها قد بدأت الوليمة .

حاولت أن أتناول الطعام ببطء ، ولكن كان هذا مستحيلاً . فقد أتيت بمعدة خاوية ، وقد جعلتنى الروائح الذكية وتألق طاولة الطعام والدعاء الطويل والوصف الدقيق لكل طبق أشعر بمزيد من الجوع . وقد بدأت فى التهام الطعام ، وبدت هى سعيدة لأنها من يقوم بالتحدث .

وكان معظم الطعام الموجود على طاولتها من حصاد حديقتها . فكانت هى وإيساو يزرعان أربعة أنواع من الطماطم ، والفاصوليا الليمية ، والبازلاء ، وفاصوليا الكرودر ، والخيار ، والباذنجان ، والقرع ، والكرنب ، وخضراوات الخردل ، واللفت ، والبصل

الفيدليا ، والبصل الأصفر ، والبصل الأخضر ، والملفوف ، والبامية ، والبطاطس الحمراء الجديدة ، والبطاطس الخمرية ، والجزر ، والبنجر ، والذرة ، والفلفل الأخضر ، والكانتالوب ، ونوعين من البطيخ ، وبضعة أشياء أخرى لا تتذكرها في هذا الوقت . أما أخوها ـ والذى مازال يعيش في منزل الأسرة القديم في القرية ـ فهو من يمدها باللحم . فكان يذبح اثنين من الماشية من أجلها كل شتاء ، وكانت تخزن لحومهما في ثلاجة التجميد . وفي المقابل كانا يمدانه بالخضراوات الطازجة .

قالت وهى تشاهدنى وأنا ألتهم الطعام : " ونحن لا نستخدم الكيماويات . فكل شيء طبيعي " .

وبالطبع كان المذاق يؤكد ذلك .

" ولكن كل شيء معلب كما تعلم من الشتاء . فمذاق الطعام يكون أفضل في فصل الصيف حينما نحصده ونتناوله بعدها بساعات . هل ستأتي في ذلك الحين يا سيد ترواينور ؟ " .

نخرت وأومأت ونجحت بطريقة ما أن أنقل لها رسالة مفادها إمكانية عودتي في أى وقت تشاءه .

سألت : " هل تحب أن ترى حديقتي ؟ " .

أومأت ثانية وفمي ممتلئ عن آخره بالطعام .

" جيد . إنها في الخلف . سوف أقطف لك بعض الخس والخضراوات . لقد نضجوا بالفعل " .

نجحت في أن أقول : " رائع " .

" أعتقد أن رجلاً عزب مثلك بحاجة إلى أى مساعدة ممكنة " .

تجرعت بعض الشاى وسألتها : " كيف علمتِ أنني أعزب ؟ " .

وأعتقد أنه من الممكن أن يحل محل التحلية حيث كان يوجد الكثير من السكر بداخله .

" إن الناس يتحدثون عنك ، والحديث يصل إلى مسامعي . فلا يوجد الكثير من الأسرار في كلانتون ، سواء بالنسبة للسود أو البيض " .

" وماذا سمعتِ أيضًا ؟ " .

" دعني أتذكر . لقد قمت باستئجار منزل من آل هوكيت . وأنت نازح من الشمال " .

" ممفيس " .

" ياله من مكان بعيد ! " .

" إنه يبعد ساعة عن هنا " .

" أنا فقط أمزح . إن كلية إحدى بناتي كانت هناك " .

وكان لدى العديد من الأسئلة عن أبنائها ولكنى لم أكن مستعدًا لتدوين الملاحظات . وبعد قليل كنت أدعوها بالسيدة كاليا بدلاً من السيدة روفين .

قالت : " إن اسمي كالى . ادعني السيدة كالى " . ومن العادات الأولى التي اكتسبتها في كلانتون كانت الإشارة للسيدات ودعوتهن - بغض النظر عن أعمارهن - بأسمائهن مسبوقة بكلمة سيدة أو آنسة . السيدة براون ، السيدة ويبستر بالنسبة لمن هم أكبر مني سنًا ، والآنسة مارثا والآنسة سارة بالنسبة للصغيرات . فكانت تلك أمارة على الكياسة وحسن التربية ، وحيث إنني لم أكن أمتلك أيهما فكان من المهم أن أتبنى أكبر عدد ممكن من العادات المحلية .

سألتها : " إذن من أين أتى اسم كاليا ؟ " .

قالت : " إنه إيطالى " ، وكأن هذه الإجابة تفسر كل شيءٍ . تناولت بعض الفاصوليا الليمية ، وشريحة لحم . ثم قلت متسائلا : " إيطالى ؟ " .

" نعم ، لقد كانت تلك هى لغتى الأولى . إنها قصة طويلة من بين قصص كثيرة . هل حاولوا إحراق الجريدة حقًا ؟ " .

" نعم " ، قلت هذا وأنا أتساءل إن كانت هذه السيدة السوداء من مسيسيبى الريفية قد قالت لتوها إن لغتها الأولى هى الإيطالية .

" وهل اعتدوا أيضًا على السيد ميك ؟ " .

" نعم " .

" مَنْ هؤلاء ؟ " .

" لا نعلم بعد . الشريف كولى لايزال يجرى تحقيقاته " . وقد كنت متلهفًا لسماع رأيها فى الشريف كولى . وفى أثناء انتظارى ، أخذت شريحة أخرى من خبز الذرة . وسرعان ما كان الزبد ينساب من فمى فوق ذقنى .

قالت : " إنه يتولى منصب الشريف منذ فترة طويلة ، أليس كذلك ؟ " .

وقد كنت واثقًا من أنها تعلم بدقة تاريخ تعيين الشريف ماكى دون كولى فى منصبه هذا . سألت : " ما رأيك فيه ؟ " .

شربت بعض الشاى وأخذت تفكر مليًا . فالسيدة كالى لم تكن تتعجل الإجابة عن أى سؤال ، وخاصة عند الحديث عن الآخرين .

" فى هذا الجانب من المقاطعة ، الشريف الجيد هو ذلك الذى يفصل المقامرين وبائعى الشراب غير الشرعيين والداعرين عن باقى السكان . وفى هذا الصدد قام الشريف كولى بعمل لا بأس به " .

" هل بإمكانى سؤالك عن شىء ما ؟ " .

" بالطبع ، فأنت مراسل صحفى " .

" إنك تستخدمين لغة بليغة وتلفظين الكلمات بوضوح . ما قدر التعليم الذى تلقيته ؟ " . ولقد كان هذا سؤالاً حساسًا فى مجتمع ظل لكثير من العقود محرومًا من التعليم . لقد كنا فى عام ١٩٧٠ ،

ومازالت مسيسيبي خالية من دور الحضانة الحكومية ولم تكن هنالك قوانين تلزم الأطفال بالذهاب للمدارس .

وقد ضحكت كاشفة عن أسنانها الرائعة مرة أخرى : " لقد أنهيت الصف التاسع يا سيد ترايتور " .

" الصف التاسع ؟ " .

" نعم ولكن وضعي كان مختلفاً . فقد حظيت بمعلمة خصوصية رائعة حقا . إنها قصة طويلة أخرى " .

وقد بدأت أدرك أنني لن أسمع تلك القصص الرائعة التي تشير إليها السيدة كالى قبل مضي شهور أو حتى سنوات . ربما ستحكيها لى ذات يوم في الشرفة ونحن نتناول وليمة شهية .

قالت : " دعني أقصها عليك لاحقاً . كيف حال السيد كاودل ؟ " .

" ليس بخير . إنه لا ينوى الخروج من منزله " .

" إنه رجل نبيل . وسوف يبقى دوماً في قلوب مجتمع السود . لقد كان شجاعاً حقاً " .

وأنا أعتقد أن هدف سبوت الأساسي من وراء ما فعله كان لتوسيع نطاق أخبار الوفيات أكثر منه مطالبة لمعاملة الجميع معاملة عادلة . ولكنني أدركت الأهمية الكبرى التي يشكلها الموت للسود - طقوس السهر عند جثة الميت قبل دفنها ، والتي عادة ما تستمر لأسبوع ، ومراسم الدفن والتي تشمل التوابيت المفتوحة والعويل الطويل ، والمواكب الجنائزية المهيبة ، وأخيراً الوداع الأخير عند القبر والذى عادة ما يكون مشحوناً بالعواطف . لذا فحينما فتح سبوت باب أخبار الوفيات على مصراعيه للسود أصبح بطلاً في لوتاون .

قلت وأنا أمد يدى لآخذ شريحة اللحم الثالثة : " نعم ، إنه رجل نبيل حقًا " . وقد بدأت بطنى تؤلمنى قليلاً ، ولكن كان لايزال هناك الكثير من الطعام على المائدة !

قالت وهى تبتسم ابتسامة دافئة : " لكن من المؤكد أنه فخور بالمجهود الذى تبذله فى كتابة أخبار الوفيات " .

" شكرًا لك . فأنا مازلت أتعلم " .

" إنك تتمتع بالشجاعة أيضًا يا سيد ترااينور ؟ " .

" هل من الممكن أن تنادينى ويلى ؟ أنا مازلت فى الثالثة والعشرين من عمرى " .

" لا ، أفضل أن أدعوك بالسيد ترااينور " . وبذلك حسمت تلك المسألة . وقد استغرق الأمر أربع سنوات قبل أن تلين قليلاً وتبدأ فى دعوتى باسمى الأول . قالت : " إنك لا تخشى عائلة بادجيت " .

وكان فى ذلك إطراء لى . قلت : " إن ذلك فقط جزء من عملى " .

" هل تتوقع استمرار عمليات الترهيب ؟ " .

" ربما . إنهم معتادون على الحصول على كل ما يريدونه . فهم أناس عنيفون ومتحجرو القلب ، لكن الصحافة لابد أن تظل حرة دائمًا " . من الذى كنت أخدعه ؟ قنبلة أخرى أو اعتداء آخر وسوف أعود إلى ممفيس قبل أن تشرق الشمس .

توقفت عن تناول الطعام واتجهت عيناها ناحية الطريق حيث لم تكن تنظر إلى شىء معين على وجه التحديد . كانت مستغرقة فى التفكير . وكنت أنا بالطبع منشغلاً فى التهام الطعام .

وأخيرًا قالت : " هذان الطفلان الصغيران . رأيا أمهما هكذا " .

وتلك الصورة جعلت شوكة الطعام تتوقف عن الحركة فى يدى . مسحت فمى وأخذت نفسًا عميقًا وتركت الطعام يستقر فى معدتى لدقيقة . لقد أوكل الجانى لخيال كل شخص فى مقاطعة فورد مهمة

تخيل مدى بشاعة جريمته ، فطوال أيام لم يكن لكلانتون حديث سوى هذه الجريمة . وكما جرت العادة فكان يتم التهويل من أية شائعات وتناقل الكثير من التصورات لما حدث . وقد كان يعتريني الفضول عن الطريقة التي يتناقل بها الناس في لوتاون القصص والحكايات .

قلت وأنا أمنع نفسي من التجشؤ : " لقد أخبرتني حينما اتصلت بك أنك تقرأين التايمز منذ خمسين عامًا " .

" نعم ، هذا صحيح " .

" هل بإمكانك تذكر جريمة أكثر بشاعة ؟ " .

سكتت لبرهة حيث كانت تسترجع أحداث خمسة عقود ، ثم ببطء هزت رأسها وقالت : " لا ، لا أستطيع " .

" هل التقيت بأحد أفراد عائلة بادجيت من قبل ؟ " .

" لا ، إنهم لا يغادرون الجزيرة . حتى السود العاملين لديهم لا يغادرون الجزيرة أيضًا ، فهم يقومون بصناعة الخمر هناك ويرتكبون مختلف أنواع الودونية والحماقات " .

" ودونية ؟ " .

" إنها إحدى الكلمات العامية المنتشرة في حينا هنا . ولا أحد منا يستطيع العبث مع أحد سود عائلة بادجيت . ولم يحاول أحد من قبل القيام بذلك " .

" هل يعتقد الناس في لوتاون أن داني بادجيت قد قام حقًا باغتصابها وقتلها ؟ " .

" إن هؤلاء الذين قرأوا جريدتك بالتأكيد يعتقدون ذلك " .

وقد أذهلني ذلك أكثر مما كانت لتتصور . قلت باعتداد بالنفس : " إننا فقط ننشر الحقائق . فقد تم اعتقال الفتى وتوجيه الاتهام إليه . وهو في السجن ينتظر المحاكمة " .

" أليس هناك احتمال أن يكون بريئاً ؟ " .

شعرت بتلبك آخر في بطني وقلت : " بالطبع " .

" هل تعتقد أنه كان من اللائق أن تنشر صورته وهو مكبل بالأصفاد ويرتدي قميصًا مبقعاً بالدم ؟ " . وقد أذهلني حس حب العدل الذي تتمتع به . فلماذا تكترث هي أو أي مواطن آخر أسود في مقاطعة فورد بمدى عدالة المعاملة التي يتلقاها داني بادجيت ؟ فالقليلون فقط هم من يكترثون لمدى عدالة المعاملة التي يتلقاها المتهمون السود من قبل الشرطة أو الصحافة .

" لقد كان هناك دماء على قميصه حينما وصل إلى السجن . إننا لم نضعه هناك " . ولم يكن أيًا منا يستمتع بمثل هذا النقاش . أخذت رشفة من الشاي والتي وجدت صعوبة في ابتلاعها . فقد كانت معدتي ممتلئة عن آخرها .

نظرت إليّ وهي تبتسم وواتتها الجرأة أن تقول : " ماذا عن بعض الحلوى ؟ لقد خبزت بودينج الموز " .

لم أستطع أن أقول لا . ولكن لم يكن باستطاعتي أن أضع لقمة أخرى في فمي . لقد كنا بحاجة إلى حل وسط . قلت لها : " دعينا ننتظر قليلاً حتى تهدأ معدتي بعض الشيء " .

" إذن خذ بعض الشاي " ، قالت ذلك وهي تعيد بالفعل ملء قدحي . كنت أتنفس بصعوبة ، لذا أتكأت بقدر الإمكان للخلف وقررت أن أتصرف كصحفي . وكانت السيدة كالي ـ التي تناولت قدرًا من الطعام أقل كثيرًا من الذي تناولته ـ في الجزء الأخير من صحنها من البامية .

وفقًا لباجي فإن سام روفين هو أول تلميذ أسود يلتحق بمدارس البيض في كلانتون . وقد حدث ذلك في عام ١٩٦٤ حينما تخرج سام من الصف السابع في سن الثانية عشر ، وقد كانت التجربة صعبة

بالنسبة للجميع ، وخاصة سام . وقد حذرني باجي من أن السيدة كالى قد تعزف عن الحديث عن ابنها الأصغر . فقد كان هناك أمر بالقبض عليه وقد هرب من البلدة .

وقد كانت مترددة في الحديث عنه في البداية . وفي عام ١٩٦٣ قضت المحكمة بعدم إمكانية رفض إحدى مدارس التلاميذ البيض إلحاق الطلاب السود بها . هذا على الرغم من أن قانون الدمج العنصرى الإلزامى لم يطبق سوى بعد سنوات . وكان سام هو ابنها الأصغر ، وقد قررت هي وإيساو إلحاقه بمدرسة للبيض أملا في أن تحذو حذوهما أسر سوداء أخرى . ولكن للأسف لم يحدث ذلك ، وطوال عامين ظل سام الطالب الأسود الوحيد بمدرسة كلانتون الثانوية . وقد تلقى مختلف أشكال التعذيب والضرب ، ولكنه سرعان ما تعلم كيف يستخدم قبضتيه ، ومع الوقت تركه زملاؤه لحاله . وقد توسل كثيرًا لأبويه كي يعيداه إلى مدرسة السود ، ولكنهما ثبتا على موقفهما حتى بعدما انتقل للصف الأخير . وقد ظلا يخبران نفسيهما بأن الأمر على وشك الانتهاء . ولكن الصراع حول وضع حد للدمج العنصرى كان قد وصل إلى ذروته عبر جنوب الولايات المتحدة ، وكان السود يتلقون دومًا الوعود بتنفيذ قوانين الدمج في المدارس .

قالت : " وكم كان من الصعب أن نصدق أننا الآن في عام ١٩٧٠ ومازالت المدارس تفصل بين البيض والسود " . والدعاوى القضائية الفيدرالية والقرارات الاستئنافية كانت تقوض دومًا مقاومة البيض بالجنوب ، ولكن أبت ولاية مسيسيبى أن تستسلم . فمعظم الأشخاص البيض الذين أعرفهم في كلانتون كانوا مقتنعين بأن مدارسهم لهم وحدهم ولا يمكن للسود اقتحامها . أما أنا كمواطن

ينتمي إلى شمال الولايات الشمالية من ممفيس فلم أستطع أن أرى مشكلة في هذا .

" وهل ندمتما على إرسال سام لإحدى مدارس البيض ؟ " .

" نعم ولا . فكان لابد أن يتحلى أحد بالشجاعة . وكان من المؤلم حقًا أن أعلم مدى تعاسته ، ولكننا ثبتنا على موقفنا ورفضنا الاستسلام " .

" وكيف حاله اليوم ؟ " .

" سام يمثل قصة أخرى يا سيد ترايننور بالنسبة لى ، والتى ربما أقصها عليك لاحقًا وربما لا . هل تريد رؤية حديقتى ؟ " .

وقد كان سؤالها هذا أمرًا أكثر منه دعوة . وقد تبعتها عبر المنزل ، وبأسفل ردهة ضيقة معلق على جدرانها عشرات الصور ذات الإطار للأبناء والأحفاد . وكان الجزء الداخلى من المنزل منمق للغاية شأنه فى ذلك شأن الجزء الخارجى . وكان المطبخ يؤدى لشرفة خلفية ، ومنها كانت تمتد حديقة من السور الخلفى . ولم يكن هنالك ولو حتى قدم مربع ليس مستغلاً .

كانت الحديقة عبارة عن بطاقة من الألوان الجميلة وصفوف منمقة من النباتات والكرمات وممرات ضيقة تستطيع كالى وإيساو العبور من خلالها لجمع محصولهما الرائع .

سألت فى دهشة : " ماذا تفعلين بكل هذا الطعام ؟ " .

" نتناول بعضه ونبيع القليل ، ونهب ما تبقى للآخرين . فلا أحد يجوع هنا فى لوتاون " . فى هذه اللحظة كانت معدتى تؤلمنى بطريقة لم أعتدها من قبل . لقد كان الجوع مفهومًا أعجز عن فهمه . تبعتها داخل الحديقة وأنا أتحرك ببطء عبر الممرات بينما كانت تشرح لى الأماكن المخصصة لزراعة الأعشاب والبطيخ ومختلف أنواع الخضراوات والفاكهة الشهية الأخرى التى كانت هى وإيساو

يعتنيان بها عناية فائقة . وقد قامت بالتعليق على كل نبات بما فى ذلك الطحالب الضارة والتى كانت تنتزعها بغضب . كان من المستحيل بالنسبة لها أن تسير داخل الحديقة وتغفل أية تفاصيل . وقد كانت تبحث عن الحشرات ، وقامت بقتل دودة خضراء تقف على كرمة الطماطم ، كما بحثت عن الطحالب ودونت ملاحظات ذهنية خاصة بمهام لابد أن يقوم بها وإيساو لاحقا . وقد فعلت تلك الجولة المعجزات لجهازى الهضمى .

إذن هذا هو المكان الذى يأتى منه الطعام ، أخذت أفكر بجهل . ماذا كنت أتوقع ؟ إننى شاب نازح من المدينة . فأنا لم أدخل حديقة خضراوات من قبل . وقد كان لدى العديد من الأسئلة ، التافهة بالطبع ، لذا فقد احتفظت بها لنفسى .

وقد تفحصت سويقة ذرة ولم يسرها ما رأته . ثم قامت بانتزاع ثمرة وقسمتها إلى نصفين وفحصتها كالعالم وعلقت بأنها بحاجة للمزيد من أشعة الشمس . وقد رأت مجموعة من الطحالب الضارة وأخبرتنى بأنها ستجعل إيساو يأتى لانتزاعها بمجرد وصوله للمنزل . وأنا لم أحسد إيساو على هذا .

بعد ثلاث ساعات ، غادرت منزل عائلة روفين بعدما حشرت بودينج الموز داخل معدتى . وقد أعطتنى السيدة كالى أيضًا حقيبة من " خضراوات الربيع " والتى لم يكن لدى أدنى فكرة بما يمكننى أن أفعل بها ؛ كما أخذت منها بعض الملاحظات الرائعة التى سوف أنسج من خلالها خيوط قصة مذهلة . ولقد تلقيت أيضًا دعوة بالعودة يوم الخميس لتناول غداء آخر . وأخيرًا حصلت على قائمة بخط يد كالى بكل الأخطاء التى وجدتها فى طبعة الأسبوع الماضى من

التايمز . وكلها تقريباً كانت أخطاء مطبعية أو هجائية ـ ومجموعها اثنتا عشرة كلمة . وفي عهد سبوت ، كان يصل عدد هذه الكلمات إلى عشرين كلمة . أما الآن فهي أقل من عشر كلمات . وكانت تلك عادة تقوم بها منذ الأزل . قالت : " بعض الناس يحبون الكلمات المتقاطعة . أما أنا فأحب البحث عن الأخطاء " .

وقد كان من الصعب ألا آخذ انتقادها هذا على محمل شخصي . وهي بالتأكيد لا تتعمد انتقاد أي شخص . وقد عزمت على التدقيق في البروفات المطبعية على نحو أكثر حماسة .

وقد غادرت أيضًا ويساورني شعور بأنني اكتسبت صديقة جديدة .

الفصل التاسع

نشرنا صورة أخرى كبيرة بالصفحة الأولى . لقد كانت الصورة التى التقطها ويلى للقنبلة قبل أن يقوم رجال الشرطة بتفكيكها . وقد كان العنوان الرئيسى فوقها يصرخ قائلاً : " زرع قنبلة فى مبنى التايمز " .

وقد بدأت القصة ببريستون واكتشافه غير المتوقع . وقد ضمنت بها كل تفصيل استطعت إضافته . ولم أورد أى تعليق لرئيس الشرطة ، فقط بعض العبارات التى لا تحمل أى معنى للشريف كولى . وقد أنهيت المقال بملخص تقرير خبير مكافحة الجرائم ، وتأكيده بأنه فى حالة انفجار هذه القنبلة كانت ستحلق بالمبانى الموجودة بالجانب الجنوبى بالميدان أضراراً " جسيمة " .

ولم يسمح لى ويلى بأن أنشر صورة لوجهه الذى تغطيه الكدمات ، على الرغم من أننى ظللت أستحثه على القيام بذلك كثيرًا . وفى النصف السفلى من الصفحة الأولى نشرت مقالة تحمل عنوان " *الاعتداء على مصور التايمز فى منزله* " . ومرة أخرى لم

تورد القصة أية تفاصيل على الرغم من أن ويلى أصر على تحريرها بنفسه .

وفى كلتا القصتين ـ وبدون أدنى محاولة لليونة ـ ربطت بين الجريمتين ولمحت أن السلطات ـ وخاصة الشريف كولى ـ لم تتخذ الإجراءات الكافية لتحول دون المزيد من عمليات الترهيب . وأنا لم أورد آل بادجيت بالذكر نهائيًا . فلم أكن مضطرًا لهذا . فكل من بالمقاطعة كان يعلم أن عائلة بادجيت تحاول الاستئساد علىّ وعلى جريدتى .

كان سبوت يتكاسل دومًا عن كتابة المقالات الافتتاحية . فقد كتب مقالاً افتتاحيًا واحدًا فى أثناء فترة عملى كموظف بالجريدة . فكان أحد رجال الكونجرس من أوريجون قد أصدر مشروع قانون له علاقة بتقطيع أشجار الجبارة ـ والذى كان يقضى بتقطيع كمية أكثر أو أقل ، فى الواقع لم يكن هذا واضحًا . وقد أثار ذلك المشروع حفيظة سبوت . وظل طوال أسبوعين عاكفًا على كتابة مقال افتتاحى ، وفى النهاية نجح فى كتابة خطبة مسهبة مكونة من ألفى كلمة . وكان من الجلى لكل شخص تلقى تعليماً ثانويًا أن سبوت كان يكتب المقال بيد ويمسك بالقاموس فى اليد الأخرى . فكانت الفقرة الأولى زاخرة بالكلمات المكونة من أكثر من ستة مقاطع بطريقة لم يعهدها أحد من قبل وكانت غير مفهومة تمامًا . وقد شعر سبوت بالصدمة حين لم يجد أى رد فعل من المجتمع على مقاله . فقد توقع سيلاً من خطابات التعاطف ؛ لكن قلة قليلة فقط من قرائه هم من استطاعوا سبر أغوار كلمات قاموس ويبستر .

وأخيرًا ، وبعد مضى ثلاثة أسابيع ألقى أحدهم رسالة مكتوبة بخط غير واضح أسفل الباب الأمامى لمبنى الجريدة . وكانت تقول :

عزيزى المحرر : يؤسفنى كل هذا الجهد المضنى الذى بذلته من أجل أشجار الجبارة والتى لا توجد لدينا فى المسيسيبى . إن بدأ الكونجرس يصدر قرارات بشأن الخشب اللبابى ، أرجوك أحطنا علمًا بذلك !

وكانت الرسالة غير موقعة ، ولكن سبوت قام بنشرها على أية حال . وقد شعر بالراحة لأن شخصًا ما كان يبدى اهتمامًا . وقد أخبرنى باجى لاحقًا أن من كتب هذه الرسالة هو أحد أصدقائه الذى يتجرعون معه الخمر بدار المحكمة .

وقد افتتحت مقالتى كالتالى : " إن الصحافة الحرة التى لا تخشى شيئًا ، ولا غنى عنها بالنسبة لأية حكومة ديمقراطية " . وبدون استخدام أسلوب التبجح أو الوعظ كتبت أربع فقرات مجدت فيها أهمية وجود جريدة نشطة محبة للبحث والتحقيق ، ليس فقط للمقاطعة بل لكل مجتمع صغير أيضًا . ولقد أقسمت بأن التايمز لن تتوقف مطلقًا عن نشر أخبار الجرائم المحلية سواء كانت اغتصابات أو جرائم قتل أو أعمال فساد يرتكبها موظفون رسميون .

لقد كان مقالاً عاصفًا وجريئًا . ولقد أيدنى أهل المدينة جميعًا فى ذلك . فالمواجهة كانت على أية حال بين التايمز من جانب ، وآل بادجيت والشريف من جانب آخر . فقد كنا نقف بجسارة وجلد فى وجه الظلم وأعوانه ، والذين على الرغم من خطورتهم فإنهم لم يكونوا يرهبوننى . وقد ظللت أستحث نفسى على التحلى بالشجاعة ، ولكننى فى الحقيقة لم يكن لدى خيار آخر . فما الذى من المفترض أن تقوم به جريدتى - تتجاهل مقتل كاسيلو ؟ تترفق بحال دانى بادجيت ؟

وقد افتخر فريق العمل لدىّ بتلك المقالة الافتتاحية . وقد قالت مارجريت إنها جعلتها تفخر بكونها تعمل لدى التايمز . أما ويلى

والذى كان لايزال فى مرحلة النقاهة فكان الآن يحمل سلاحًا ويبحث عمن يتشاجر معه . قال : " فلتنل منهم يا بُنىّ " .
فقط باجي هو من كان متخوفًا . فقال : " إنك سوف تؤذى نفسك بهذه الطريقة " .
وقد نعتتنى السيدة كالى مرة أخرى بالجسارة والشجاعة . وقد استمر الغداء فى يوم الخميس التالى لساعتين فقط ، وكان إيساو حاضرًا فى هذه المرة . وقد شرعت فى تدوين ملاحظات عن أسرتها . والأهم من ذلك أنها لم تجد سوى ثلاثة أخطاء فى طبعة هذا الأسبوع من التايمز .

كنت وحدى فى مكتبى فى ظهيرة يوم الجمعة عندما سمعت شخصًا ما يحدث جلبةً بالأسفل ، ثم أخذ يصعد الدرجات سريعًا . دفع باب مكتبى فاتحاً إياه ودون أن يلقى على التحية دس كلتا يديه فى جيب بنطاله . وقد كان يبدو مألوفًا ، فقد تقابلنا على الأرجح فى مكان ما بالميدان .
" هل لديك واحدًا من هؤلاء يا بُنى ؟ " ، هكذا قال وهو ينتزع يده اليمنى من داخل جيبه ، وللحظة ظننت أن قلبى على وشك التجمد . فقد ألقى بمسدس لامع فوق مكتبى وكأنه سلسلة مفاتيح . وقد ظل يدور لبضع لحظات حول نفسه قبل أن يستقر أمامى مباشرة ، ولكن لحسن الحظ كانت الفوهة موجهة ناحية النافذة .
وقد اندفع بقوة ناحية مكتبى ومد يده الضخمة ناحيتى وقال : " هارى ريكس فويز ، يشرفنى لقاؤك " . وقد كنت فَزِعًا لدرجة أعجزتنى عن الكلام أو الحركة ، ولكننى فى النهايةَ صافحته بقبضة ضعيفة . وكنت ما أزال أنظر إلى المسدس .

" إنه مسدس سميث آند ويسون عيار ٣٨ ، ستة طلقات ، أحد الأنواع الفاخرة . هل تحمل واحدًا ؟ " .

أجبته بالنفي . فالاسم وحده جعل القشعريرة تسرى فى قدمى .

كان هارى ريكس يضع دومًا بجانب فمه الأيسر سيجارًا أسود قذرًا ، والذى يعطيك الانطباع بأنه ظل فيه طوال اليوم ؛ حيث كان الجزء الذى يلى ناحية الفم متفسخًا تمامًا . ولم يكن هناك دخان لأنه لم يكن مشتعلاً . ألقى بجسده الضخم فوق مقعد جلدى وكأنه يعزم البقاء ساعتين .

" إنك مجنون حقاً ، هل تعلم ذلك ؟ " . ولم يكن يتحدث بقدر ما يدمدم . ثم تذكرته . لقد كان أحد المحامين المحليين ، والذى وصفه باجى ذات مرة بأنه أحقر محامى طلاق بالمقاطعة . وكان ذا وجه كثير اللحم ، وشعر قصير أشعث يطير بجميع الاتجاهات مثل القش الذى يوجد فى مهب الهواء . وكانت حلته ذات اللون الكاكى مجعدة ومبقعة وتعلن للعالم أن هارى ريكس لا يلقى بالاً لشىء .

سألت مشيرًا للمسدس : " ما المفترض أن أفعله بهذا ؟ " .

" أولاً قم بحشوه وسوف أعطيك بعض الرصاصات ، ثم ضعه فى جيبك واحمله معك فى كل مكان تذهب إليه ، وحينما يقفز أمامك أحد رجال عائلة بادجيت من بين الشجيرات تطلق عليه النار بين عينيه مباشرة " . وللمساعدة فى نقل رسالته حرك إصبعه السبابة فى الهواء وكأنه رصاصة ثم وجهه بين عينيه .

" وهو ليس محشوًا ؟ " .

" بالطبع لا . ألا تعلم شيئاً عن الأسلحة ؟ " .

" لا " .

" حسنًا ، من الأفضل لك أن تتعلم يا بُنى ، إن كنت تنوى مواصلة ما تفعله " .

" الأمر بهذا السوء ، أليس كذلك ؟ " .

" كنت أتولى قضية طلاق ذات مرة ، منذ عشر سنوات على ما أعتقد ، لرجل كانت زوجته تحب التسلل لبيت الدعارة لربح بعض المال . كان الرجل يعمل فيما وراء البحار ، وغائبًا طوال الوقت ، ولم يكن لديه أدنى فكرة عما تفعله زوجته . وفي النهاية اكتشف حقيقة الأمر . وكان بيت الدعارة هذا ملكًا لآل بادجيت وقد كان أحدهم معجبًا بها " . وبطريقة ما ظلت السيجارة في مكانها ، وكانت تتحرك لأعلى ولأسفل وهو يتحدث . " وقد انفطر قلب موكلي ، وصمم على قتلها . وقد نال ما أراده . ولكنهم أمسكوا به ذات ليلة وضربوه بعنف " .

" هم ؟ " .

" آل بادجيت بالتأكيد أو بعض رجالهم " .

" رجالهم ؟ " .

" نعم ، إن لديهم مختلف أنواع سفاكي الدماء الذى يعملون لديهم . كاسرو السيقان وزارعو القنابل وسارقو السيارات والمعتدون " .

وقد راقبني وأنا أجفل بينما كان يتفوه بعبارته الأخيرة " المعتدون " . وقد أعطاني الانطباع أنه أحد هؤلاء الذين يستطيعون قص الحكايات للأبد دون الاكتراث بمدى صحتها وصدقها . وكان لهاري ريكس ابتسامة قذرة وبريق في عينيه وقد توقعت أن تكون بعض الحكايات السارة في طريقها إلىّ .

قلت : " وبالطبع فلتوا بفعلتهم " .

" آل بادجيت يفلتون دومًا بجرائمهم " .

" وماذا حدث لموكلك ؟ " .

" قضى بضعة أشهر فى المستشفى . فقد كان مصابًا بتلف حاد فى مخه . وقد ظل بعد ذلك يتردد على المستشفيات ، لقد كانت حالته مؤسفة حقًا . فقد تفككت أسرته . وقد نزح إلى ساحل الخليج حيث انتخبوه هناك عضوًا فى مجلس الشيوخ " .

ابتسمت وأومأت لما تمنيت أن يكون كذبة ، ولم اسأله لأتحقق من الأمر . ودون لمس السيجارة بيده نقرها بلسانه بطريقة ما وحرك رأسه لينقلها إلى الجانب الأيمن من فمه .

سألنى : " هل تناولت لحم العنزات من قبل ؟ " .

" ماذا تقول ؟ "

" العنزات ؟ "

" لا ، لم أكن أعلم أنه يمكن تناولها " .

" إننا نشوى واحدة فى ظهيرة هذا اليوم . ففى أول جمعة من كل شهر أنظم حفلاً أشوى فيه عنزة بقمرتى فى الغابة . نسمع بعض الموسيقى ونحتسى المشروبات الباردة ونحظى ببعض المرح ، ويصل عدد الحاضرين إلى نحو خمسين أختارهم أنا جميعًا بعناية ، إنهم صفوة المجتمع . ولا يوجد بينهم أطباء أو مصرفيين أو بلهاء نادى البلدة . إنها مجموعة راقية حقًا . لماذا لا تأتى ؟ إن لدى مجال للرماية خلف البركة . سوف آخذ المسدس وأعلمك كيف تستخدم هذا الشىء اللعين " .

إن الطريق حتى قمرة هارى ريكس الذى لن يستغرق قطعه أكثر من عشر دقائق استغرق نحو نصف ساعة ، وكان ذلك على طريق المقاطعة المرصوف فقط . فحينما عبرت الخليج الثالث بعد محطة " هيك يونيون " القديمة تركت الطريق الأسفلتى وقدت سيارتى فوق

طريق حصوى . ولبرهة كان طريقًا لطيفًا مصفوف على جانبيه العديد من صناديق البريد والتى كانت إشارة إلى وجود بعض المدنية ، ولكن بعد ثلاثة أميال انتهى وجود صناديق البريد ، وكذلك الطريق الحصوى . وحينما رأيت جرارًا صدئاً من نوع ماسى فيرجسون بدون إطارات انحرفت يسارًا إلى طريق موحل . وقد أشار إليه فى أثناء وصفه غير البارع للطريق باسم طريق الحيوانات على الرغم من أننى لم أر حيوانًا واحدًا . وبعد اختفاء طريق الحيوانات داخل غابة كثيفة فكرت جديًا فى الالتفاف والعودة . فلم تكن سيارتى السبيتفاير مخصصة للسير فى الطرق الوعرة . لكن فى هذا الوقت رأيت سطح قمرته ، وقد ظللت أقود سيارتى لمدة خمس وأربعين دقيقة .

كان هنالك سور من الأسلاك الشائكة به بوابة حديدية مفتوحة ، ولقد توقفت هناك لأن الشاب الذى يحمل بندقية أراد منى ذلك . ظل حاملاً البندقية فوق كتفه وهو ينظر بازدراء لسيارتى . دمدم قائلاً : " ما نوعها ؟ " .

" تريومف سبيتفاير . إنها بريطانية " . كنت أبتسم محاولاً عدم إثارة حنقه . ما الحاجة إلى وجود حرس مسلح لحماية حفل شواء ؟ لقد كان ينظر إلى السيارة نظرة خرقاء وكأنه لم يسبق له رؤية سيارة تم صناعتها فى بلد آخر .

سألنى : " ما اسمك ؟ " .

" ويلى ترواينور " .

وأعتقد أن اسم " ويلى " جعله يشعر على نحو أفضل ، لذا فقد أومأ باتجاه البوابة . قال وأنا أقود السيارة عبر البوابة : " سيارة جميلة " .

وكان عدد الشاحنات الموجودة هناك يفوق عدد السيارات . وقد أوقفت السيارة بطريقة عشوائية فى حقل أمام القمرة . وكان صوت المغنية ميرلى هاجارد الذى يشبه النحيب يتجلجل من خلال مكبرى صوت موضوعين فوق النافذة . وقد تجمعت مجموعة من الضيوف فى مكان شواء العنزة ، بينما كانت مجموعة أخرى تمارس لعبة الحدوات بجانب القمرة . وثلاثة سيدات أنيقات كن جالسات بالشرفة يحتسين شيئاً ما سوى الخمر . وقد ظهر هارى ريكس وقام بتحيتى بحرارة .

سألت : " من هذا الفتى الذى يحمل البندقية ؟ " .

" آه هذا . إنه دافى . ابن أخ زوجتى الأولى " .

" لماذا يوجد هناك ؟ " . فإن كانت حفلة الشواء تتضمن شيئاً غير شرعى فلابد على الأقل أن يخبرنى بذلك .

" لا تقلق . إن دافى لا يفعل شيئاً هناك وحتى البندقية ليست محشوة . لقد ظل هناك طوال سنوات لا يحرس شيئاً " .

ابتسمت وكأن ما يقوله هذا منطقيًا . وقد قادنى إلى مكان الحفل حيث رأيت أول عنزة فى حياتى والتى لم يكن من الواضح إن كانت حية أم ميتة . ففيما عدا عدم وجود الرأس والجلد بدت سليمة تمامًا . وقد قدمنى إلى الطهاة العديدين . ومع كل اسم كان يخبرنى بالوظيفة ـ محامى ، كافل ، تاجر سيارات ، مزارع . وبينما كنت أشاهد العنزة تدور ببطء فوق النار تعلمت سريعًا وجود العديد من النظريات حول طرق الشواء السليم للعنزات . وقد أعطانى هارى ريكس مشروبًا ودخلنا إلى القمرة ونحن نتحدث إلى كل ما نصادفه فى طريقنا . السكرتيرة وسمسار عقارات مخادع والزوجة الحالية لهارى ريكس . فقد بدا الجميع سعداء لمقابلة المالك الجديد لجريدة التايمز .

كانت القمرة تستقر عند حافة بركة طينية ، من ذلك النوع الذى تجده الثعابين جذابًا . وقد تجمع الحشد فوق سطح ناتئ من الماء . وكان هارى ريكس مستمتعًا بتقديمى إلى أصدقائه . فقال أكثر من مرة : " إنه فتى رائع ، وليس فتى جامعياً أحمق مثلك " . وأنا لم أحب الإشارة إلىَّ بكلمة " فتى " ، ولكننى بدأت أعتاد على اللقب بعد ذلك .

وقد استقررت داخل مجموعة صغيرة تضم سيدتين تبدوان وكأنهما أمضتا سنوات فى ملهى ليلى رخيص . فقد كانتا تضعان مساحيق تجميل ثقيلة فوق العين ، ولهما شعر ممشط ، ويرتديان ملابس ضيقة ، وسرعان ما بدأتا تركزان اهتمامهما علىّ . وقد بدأ الحوار بالحديث عن القنبلة والاعتداء على ويلى ميك والذعر الذى نشرته عائلة بادجيت بالمقاطعة . وقد تصرفت وكأنها فقط إحدى التجارب الروتينية فى تاريخ حياتى المهنية الطويلة والمحفوفة بالمخاطر فى مهنة الصحافة . وقد أمطرونى بالأسئلة ، وقد تحدثت أكثر مما كنت أود .

وقد انضم إلينا هارى ريكس مرة أخرى وأعطانى برطمانًا يبدو مريباً به سائل صافى . قال بنبرة شبه أبوية : " ارتشفه ببطء " .

سألته : " ما هذا ؟ " ، وأنا ألحظ انتباه الآخرين إلينا .

" خمر الخوخ " .

سألته : " ولماذا تضعه فى برطمان الفاكهة ؟ " .

قال : " هكذا يصنعونه " .

قالت إحدى السيدات المطليات بمساحيق التجميل : " إنه خمر مصنوع بطريقة غير شرعية " . وكان صوتها ينم عن تمتعها بخبرة طويلة .

فمثل هؤلاء الأشخاص الريفيين لا يرون كل يوم جامعيًا يتجرع مشروبه الأول من خمر غير شرعى ، لذا فقد اقترب منا الحشد . ولقد كنت واثقًا من أننى تجرعت من الشراب فى السنوات الخمس الماضية في سيراكيوز أكثر من أى شخص آخر حاضر بالحفل ، لذا فقد ضربت بالحذر عرض الحائط . رفعت البرطمان وقلت : " فى صحتكم " ، وأخذت رشفة صغيرة للغاية . لعقت شفتى وقلت : " ليس سيئاً " ، ثم حاولت التبسم .

ثم بدأت أشعر بحرقة فى شفتى ، فى مكان لمس السائل لهما ، ثم سرعان ما سرى هذا الشعور عبر لسانى ولثتى وفى الوقت الذى جرى فيه بمؤخرة حلقى شعرت أنه يحترق . كان الجميع يراقبنى . وقد أخذ هارى ريكس رشفة من برطمانه .

سألت وأنا أحاول ادعاء رباطة الجأش بقدر الإمكان : " من أين حصلتم عليه " ، وكانت ألسنة اللهب تهرب من داخل فمى .

قال أحدهم : " من مكان ليس ببعيد عن هنا " .

وبينما كان الشعور بالحرقة والتخدير يملأ فمى أخذت رشفة أخرى وأنا أتلهف أن يتجاهلنى الآخرون لفترة . والغريب فى الأمر أنه بعد الرشفة الثالثة بدأت أشعر بطعم خوخ فى فمى ، وكأن براعم التذوق لابد أن تتعرض للصدمة أولاً قبل أن تستطيع أداء وظيفتها . وعندما كان من الجلى أننى لن أزفر نارًا أو أتقيأ أو أصرخ ، واصلنا التحاور . وقد وضع هارى ريكس ـ المتلهف دومًا لمعرفة مدى خبرتى ـ أمامى طبقًا من شيء مقلى وقال : " تناول واحدة من هذا " .

سألته بارتياب : " ما هذا ؟ " .

جعـدت كلتـا السـيدتين المطليتـان بمسـاحيق التجميـل أنفهمـا وأشاحتا بوجههما بعيـدًا وكـأن الرائحـة سـوف تجعلـهما تشـعران بالغثيان . قالت إحداهما : " نقانق " .

" وما هذا ؟ " .

دس هارى ريكس واحدة فى فمه ليثبت أنـها ليست مسممة ، ثم دفع الصحن تجاهي . قال : " هيا ، تناول واحدة " ، وهو ممـتعض من رقتى المبالغ فيها .

كان المدعوون يراقبوننى ثانية ، لـذا فقـد التقطـت أصـغر قطعـة ووضعتها داخل فمي . كـان قوامهـا مطاطيًـا ومـذاقها لاذعًـا وعفنًـا . وكانت تنبعث منها رائحة مخـزن الحبـوب . فمضـغت بأقصى قـوة ممكنة ثم بلعتها تابعًا إياها برشفة من الخمـر . وطـوال بضـع ثـوان ظننت أننى قد أصاب بالإغماء .

قال هارى ريكس وهو يربت على ظهرى : " أحشـاء الحمـل يـا بنى " . وقد دس واحدة أخرى داخل فمه الكـبير وأعطـانى الطبـق . وقد نجحت فى أن أسأل : " أين العنزة ؟ " . فأى طعام آخر سيكون أفضل كثيرًا .

ما عيب البيتزا ؟ لماذا يأكل هؤلاء الأشخاص ويشربون مثل هـذه الأطعمة الرديئة ؟

سار هارى ريكس مبتعدًا ورائحة النقانق العفنة تلاحقه وكأنـها دخان . وضعت برطمـان الفاكهـة فـوق الحامـل متمنيًـا أن يقـع فـوق الأرض ويختفى . وقد أخذت أشاهد الآخرين وهـم يمـررون برطمـان الخمر فيما بينهم ، وكان برطمانـًا واحـدًا يـدور علـى جميـع أفـراد المجموعة . فمثل هؤلاء الأشخاص لم يكونوا يكترثون للجراثيم ومـا شابه . فهذا الخمر الفاسد من شأنه أن يقتل أيـة بكتيريـا فـى نطـاق ثلاثة أقدام .

استمحت الحشد عذرًا وقلت لهم إنني بحاجة للذهاب لدورة المياه . وقد ظهر هارى ريكس عند الباب وهو يمسك بمسدسين وصندوق ذخيرة . قال : " من الأفضل أن نتدرب على إطلاق النار قبل أن يحل الظلام . اتبعني " .

توقفنا عند مكان شواء العنزة حيث انضم إلينا راعي بقر يدعى ريف . قال هارى ريكس بينما كنا نحن الثلاثة نتوجه إلى الغابة : " ريف هو مدير أعمالى " .

قال ريف : " أنا الذى أقوم بمطاردة سيارة الإسعاف ، على الرغم من أنها عادة ما تكون ورائى " .

لقد كان أمامي الكثير لأتعلمه على الرغم من أنني كنت أحقق تقدمًا حقيقيًا . فالنقانق والخمر غير الشرعي في يوم واحد لم يكونا بالشيء الهين . سرنا مسافة مائة ياردة تقريبًا بطريق حقلي قديم ، عبر بعض الأشجار ثم خرجنا في مكان مفتوح . وبين شجرتي بلوط ضخمتين كان هارى ريكس قد شيد حائطا شبه دائرى من بالات القش يبلغ ارتفاعه عشرين قدماً . وفي المنتصف كان هنالك فرخ ورقي أبيض بمنتصفه رسم غير متقن لرجل . المعتدى . العدو . الهدف .

وقد قام ريف بأخذ مسدسه من هارى ريكس بينما قام الأخير بتولى أمر مسدسي . قال بادئا الدرس : " هذا مسدس بستة خراطيش . اضغط هنا وتندفع الطلقة من الاسطوانة " . اقترب ريف وقام ببراعة بتعمير المسدس بست رصاصات ، وقد بدا أنه شيء اعتاد فعله عشرات المرات وقال : " شده للخلف هكذا وتكون مستعدًا لإطلاق النار " .

كنا نبعد عن الهدف مسافة خمسين قدمًا تقريبًا ، وكنت مازلت أستطيع سماع صوت الموسيقى المنبعث من القمرة . ماذا سيظن باقى

المدعوين حينما يسمعون صوت إطلاق نار ؟ لا شيء ؛ فذلك يحدث طوال الوقت .

أخذ ريف مسدسي وواجه الهدف وقال : " أولاً باعد بين ساقيك بعرض منكبيك واثن ركبتيك واستخدم كلتا يديك هكذا للضغط على الزناد بسبابة يدك اليمني " . وكان يقوم بتجسيد ما يقوله ، وبالطبع بدا كل شيء سهلاً . وكنت أقف على بعد أقل من خمس أقدام حينما أطلق النار . وقد دمر صوت الفرقعة الحاد أعصابى . فلماذا ينبغي أن يكون بهذا الارتفاع ؟

أنا لم أسمع من قبل صوت طلق نار حقيقى .

وقد أصابت الطلقة الثانية الهدف فى الصدر ، وقد استقرت الأربع التاليات حول منطقة الوسط . وقد استدار ناحيتى وفتح ماسورة المسدس وأخرج الخرطوشات الفارغة وقال : " الآن حان دورك " .

كانت يداى تهتزان حينما أخذت المسدس . كان دافئاً ورائحة البارود تحوم حولنا . وقد نجحت فى إدخال ست خرطوشات وسحب الماسورة لإغلاقها دون إيذاء أحد . وقد واجهت الهدف ورفعت المسدس بكلتا يدى وباعدت بين ساقي وكأننى ممثل فى فيلم فاشل ، وأغلقت عيناى وجذبت الزناد . وقد شعرت وكأن قنبلة صغيرة قد انفجرت .

صاح هارى ريكس : " اللعنة ، لابد أن تبقى عينيك مفتوحتين " .

" ماذا ضربت ؟ " .

" التل وراء شجر البلوط " .

قال ريف : " حاول مرة أخرى " .

حاولت التركيز على مجال الرمى ولكن يدىً كانتا تهتزان بشدة . جذبت الزناد مزة أخرى ، وعينى مفتوحتان فى هذه المرة ، وانتظرت لأرى ماذا أصابت الطلقة .

همس ريف خلفي : " لقد أخطأ الهدف مرة أخرى " .

قال هارى ريكس : " أطلق النار ثانية " .

وقد أطلقت النار مرة أخرى ولكننى مجددًا لم أستطع رؤية مكان ذهاب الطلقة . وقد أمسك ريف برفق بذراعي الأيسر ودفعنى للأمام مسافة عشرة أقدام وقال : " إنك تبلى بلاء حسنًا ، إن لدينا الكثير من الذخيرة " .

ولم تصب الطلقة الرابعة كذلك القش وقال هارى ريكس " أعتقد أن آل بادجيت بمأمن على أية حال " .

قلت : " إنه الخمر الذى يجعلنى أعجز عن التركيز " .

قال ريف وهو يدفعنى للأمام مرة أخرى : " إن الأمر يتطلب بعض الممارسة فقط " . كانت يداى تتصببان عرقًا ونبضات قلبى تتسارع والطنين يسرى فى أذنىّ .

وقد أصابت الطلقة الخامسة بالكاد الصفيحة الورقية بأعلى الركن الأيمن ، على بعد ستة أقدام على الأقل من الهدف . وقد أخطأت الطلقة السادسة الهدف أيضًا وسمعت الطلقة تصيب أحد فروع شجرة البلوط .

قال هارى ريكس : " يا لها من طلقة ، لقد كنت على وشك إصابة السنجاب " .

قلت : " اخرس " .

قال ريف : " اهدأ ، فأنت متوتر للغاية " . وقد ساعدنى على إعادة حشو المسدس ، وفى هذه المرة ضغط على يدى حول المسدس . قال من وراء كتفى : " تنفس بعمق " . وقد قام بتثبيت المسدس

بينما أنظر أنا على مجال الرمى ، وعندما أصابت الطلقة الهدف قام بالتربيت علىّ .

قال هارى ريكس : " الآن أنت تحرز تقدمًا " .

وقد تركنى ريف ، وقمت بإطلاق الخمس طلقات التالية والتى أصابت جميعها الصحيفة الورقية ، وأدت إحداها إلى خلع أذن الهدف . وقد استحسن ريف أدائى وقمنا بحشو المسدس ثانية .

ومن بين مجموعة كبيرة أخرى كان هارى ريكس لديه مسدس جلوك أوتوماتيك ٩ ملليمتر ، وبينما كنت الشمس تغيب ببطء كنا نتبادل الأدوار فى إطلاق النار . وقد كان بارعًا ، ولم يجد صعوبة فى إصابة الجذع العلوى من الهدف بعشر طلقات متتالية من مسافة خمسين قدماً . وبعد أربع جولات بدأت أسترخى وأستمتع بهذه الرياضة . وكان ريف معلمًا ممتازًا . وبينما كنت أتمرن كان يقدم لى مختلف النصائح . وقد ظل يردد : " إن الأمر يحتاج فقط للممارسة " .

وعندما انتهينا قال هارى ريكس : " هذا المسدس هدية منى لك . وبإمكانك أن تأتى إلى هنا فى أى وقت كى تتدرب " .

قلت : " شكراً لك " ، ثم دسست المسدس فى جيبى كراعى بقرٍ حقيقى . وقد كنت سعيدًا لانتهاء هذه المراسم ، وأننى تعلمت شيئًا تعلمه كل رجل آخر فى المقاطعة حينما كان فى الثانية عشرة من عمره . ولم يساورنى من قبل مثل هذا الشعور بالأمان . فأى فرد من عائلة بادجيت سيقفز أمامى من بين الشجيرات لديه أفضلية عنصر المفاجأة وسنوات من التمرس على إصابة الهدف . أما أنا فأغلب الظن أننى سأرتبك فى الظلام وأطلق رصاصة ستصيبنى أنا على الأرجح وليس المعتدى .

وبينما كنا عائدين خلال الغابة قال لى هارى ريكس وهو يسير ورائى : " هذه الفتاة الشقراء التى تضع الكثير من مساحيق التجميل ، كارلين " .

قلت بعدما أصبت بالتوتر : " ما بها ؟ " .

" إنها معجبة بك " .

ولقد أمضت كارلين أربعين عامًا على الأقل فى معاناة ولم أستطع إيجاد شيء لأقوله .

" إنها تستطيع مآنسة وحدتك هنا بالبلدة " .

ولكننى كنت واثقًا من أنها آنست وحدة الكثيرين هنا فى مقاطعة فورد . قلت : " لا شكرًا لك ، إن لدى صديقة فى ممفيس " .

" إذن ماذا ؟ " .

قال ريف : " يا له من مبرر " .

" فتاة هنا وفتاة هناك ، ما المشكلة فى ذلك ؟ " .

قلت : " سوف أعقد معك اتفاقًا يا هارى ريكس . إن احتجت مساعدتك فى التعرف على النساء ، فسوف أدعك تعرف " .

همس : " كيفما تشاء " .

وأنا لم يكن لدى صديقة فى ممفيس ، ولكننى عرفت الكثيرات . فأنا أفضل أن أظل وحيدًا على التعرف بنساء من أمثال كارلين .

كان للعنزة مذاق مختلف ، ليس شهيًا ، ولكن بعد تناول النقانق لم يكن بمدى السوء الذى توقعته . كان اللحم جامدًا ومنقوعًا فى صلصة شواء لزجة والتى أعتقد أنهم تعمدوا جعلها ثخينة للتخفيف من مذاق اللحم . تناولت شريحة تبعتها برشفة من الخمر . كنا فوق السطح الذى يعلو الماء ثانية بينما كانت لوريتا لين

فى الفناء الخلفى . وكان الخمر يدور على المدعوين ، والذى كان بعضهم يرقص فوق البركة . وقد اختفت كارلين فى وقت مبكر مع شخص آخر مما جعلنى أشعر بالأمان . وكان هارى ريكس يجلس بجانبى ويخبر الجميع عن مدى براعتى فى إطلاق النار على السناجب والأرانب . كان موهبته فى سرد الحكايات مذهلة حقًا .

وقد كنت الغريب ضمن المجموعة ، ولكن بذل الجميع قصارى جهدهم لإدماجى بينهم . وبينما كنت أقود سيارتى عبر الطرقات المظلمة متوجهًا للمنزل ، سألت نفسى السؤال الذى أسأله كل يوم . ماذا كنت أفعل فى مقاطعة فورد ، بولاية مسيسيبى ؟

الفصل العاشر

كان المسدس كبيرًا للغاية بالنسبةٍ لحجم جيبى . ولبضع ساعات حاولت التجول به ولكننى كنت خائفًا من أن يطلق رصاصة من تلقاء نفسه وهو يوجد بهذا المكان الحساس . لذا فقد قررت أن أحمله فى حقيبة يدى الجلدية الرثة التى كان أبى قد أعطاها لى . ولمدة ثلاثة أيام كنت آخذ معى الحقيبة فى كل مكان حتى إلى الغداء ، ولكن بعد برهة تخوفت من ذلك أيضًا . وبعد أسبوع تركت المسدس تحت مقعد سيارتى ، وبعد ثلاثة أسابيع نسيت أمره تمامًا . ولم أذهب إلى القمرة للمزيد من التدريب على الرغم من أننى حضرت بعض حفلات الشواء والتى تجنبت فيها تناول النقانق وشرب الخمر والتحدث كثيرًا إلى كارلين .

كانت المقاطعة ساكنة ، لقد كان الهدوء الذى يسبق عاصفة المحاكمة . ولم تنشر التايمز شيئاً عن القضية لأن ما من شىء كان يحدث . وكان آل بادجيت لا يزالون رافضينٍ لفكرة رهن أراضيهم من أجل إطلاق سراح دانى ، لذا فقد ظل ضيفًا فى زنزانة الشريف كولى الخاصة يشاهد التلفاز ويلعب الكروت أو الشطرنج ، أو ينال

الكثير من الراحة ويتناول طعامًا أفضل كثيرًا من زملائه المسجونين .

وفى الأسبوع الأول من مايو عاد القاضى لوبس إلى البلدة ، وعادت معه العديد من الأفكار للثقة مرة أخرى بمسدسي الذى كنت قد نسيت أمره .

فتقدم لوشيان ويلبانكس بطلب تغيير مكان إجراء المحاكمة ، وقد حدد القاضى جلسة استماع للنظر فى الأمر فى التاسعة صباحًا من يوم الاثنين . وكانت نصف المقاطعة على ما يبدو حاضرة هذه الجلسة . فبالطبع معظم العاملين بالميدان كانوا هناك . وقد ذهبت أنا وباجى إلى قاعة المحكمة مبكرًا وحجزنا مقعدين فى مكان جيد .

ولم يكن هناك داع لحضور المتهم ، ولكن من الواضح أن الشريف كولى رغب في وجوده هناك . وقد جلبه الحراس وهو مكبل بالأصفاد ويرتدى مئزرًا برتقاليًا جديدًا . وقد نظر الجميع إلىّ . فقد استطاعت الصحافة أن تحدث تغييرًا على الرغم من كل شيء .

همس باجى قائلاً : " إنها مكيدة " .

" ماذا ؟ " .

" إنهم يريدون منا أن ننشر صورة لداني وهو يرتدى زى السجن اللطيف ، ثم يذهب ويلبانكس للقاضى ثانية ويدعى أن هيئة المحلفين قد تأثرت مرة أخرى بهذا . لا تدع تلك الخدعة تنطوى عليك " .

وقد صدمتنى سذاجتى ثانية . فقد بذل ويلى محاولات مضنية خارج السجن كى يلتقط صورة لبادجيت وهم يرحلونه إلى المحكمة . وكان بإمكاني رؤية صورة كبيرة له وهو يرتدى المئزر البرتقالى .

ثم دخل لوشيان ويلبانكس قاعة المحكمة من وراء المنصة . وكالعادة بدا غاضبًا وقلقا وكأنه خسر لتوه مجادلة مع القاضى . سار

تجاه طاولة الدفاع وألقى بأوراقه القانونية وأجرى مسحًا للحشد الموجود . وقد ثبت عيناه علىّ ، والتى ضاقت ثم طبّق فكيه ، وقد ظننت أنه ربما يقفز فوق القضيب ويعتدى على . وقد استدار موكله وبدأ ينظر نحوى أيضًا . فقد أشار أحدهم نحوى وبدأ السيد دانى بادجيت بنفسه يحدق فى وكأننى سأصبح ضحيته التالية . وجدت صعوبة في التنفس ، ولكننى حاولت البقاء هادئاً . وكان باجى قد تركنى ثانية .

وفى الصف الأمامى خلف مجموعة الدفاعٍ كان يجلس العديد من أفراد أسرة بادجيت ، وجميعهم أكبر سناً من دانى ، وهم أيضًا بدأوا يحدقون فىّ ، وأنا لم أشعر فى حياتى بمثلٍ هذا الإحراج . لقد كان هؤلاء أناس يتسمون بالعنف ولا يعرفون شيئاً سوى الجريمة والترهيب وكسر السيقان والقتل ، وقد كنت أجلس فى نفس القاعة معهم بينما كانوا يفكرون فى وسائل للانتقام منى .

وقد طلب الحاجب منا الانتظام ووقف الجميع حينما دخل القاضى . قال : " اجلسوا من فضلكم " .

ألقى لوبس نظرة على أوراقه بينما كنا منتظرين ، ثم ضبط نظارة القراءة خاصته وقال : " إن هذا طلب بتغيير وجهة المحاكمة مقدم من قبل الدفاع . يا سيد ويلبانكس ، كم عدد الشهود الذين لديك ؟ " .

" حوالى ستة . سوف نرى ما تؤول إليه الأمور " .

" والنيابة ؟ " .

هب رجل قصير لا شعر له ، ويرتدى حلة سوداء واقفاً على قدميه وقال : " نفس العدد تقريبًا " . كان اسمه إيرنى جاديس ، وهو محامى المقاطعة الذى يعمل بدوام جزئى ، وهو فى الأصل من مقاطعة تايلر الشمالية .

قال لوبس وكأن لديه مباراة جولف فى فترة ما بعد الظهيرة : " أنا لا أريد أن أمضى بقية اليوم هنا . ناد على شاهدك الأول يا سيد ويلبانكس " .

" السيد وولتر بيكارد " .

كان الاسم غير معروف بالنسبة لى ، ولكن ذلك كان متوقعًا ، ولكن باجى لم يسمع عنه أيضًا . ومن خلال الأسئلة المبدئية التى وجهت إليه تبين أنه عاش فى كاراواى لما يزيد عن العشرين عامًا ويذهب إلى دار العبادة ونادى الروتارى كل خميس . وقد كان يمتلك مصنع أثاث صغير يكسبٍ منه عيشه .

همس باجى قائلاً : " لابد وأنه يشترى الخشب من آل بادجيت " .

كانت زوجته تعمل كمدرسة . وكان يقوم بتدريب فريق البايسبول الجامعي ويعمل على تدريب فرق الكشافة . وقد واصل لوشيان خطبته وقام بعمل رائع فى التأكيد للمحكمة أن السيد بيكارد يعرف مجتمعه جيدًا .

كانت كاراواى بلدة صغيرة تبعد ثمانية عشر ميلاً عن غربى كلانتون . وكان سبوت يتجاهل دومًا هذا المكان ، وكنا لا نبيع سوى عدد قليل من الجرائد هناك ، وبالطبع عدد قليل من الإعلانات . ولكننى كنت قد عقدت العزم بالفعل على توسيع إمبراطوريتى . فوفقًا لحساباتى لن تبيع جريدتنا هناك أقل من ألف نسخة .

سأل ويلبانكس : " متى علمت بمقتل السيدة كاسيلو ؟ " .

قال السيد بيكارد : " بعد يومين من وقوع الجريمة . فالأخبار تتأخر قليلاً إلى أن تصلنا فى كاراواى " .

" ومن أخبرك ؟ " .

" إحدى موظفاتى أعلمتنى بالخبر . فأخوها يعيش فى منطقة بالقرب من بيتش هيل حيث حدثت الجريمة " .

سأل لوشيان : " هل سمعت أنه تم توجيه تهمة القتل إلى أحد ؟ " . وقد ظل يطوف بغرفة المحكمة وكأنه يشعر بالملل تمامًا . فقط يتجول هنا وهناك ، ولكن كان واضحًا أن فكره مشغول .

" نعم ، كانت الشائعة تقول إنه تم القبض على أحد شباب عائلة بادجيت " .

" وهل تأكدت من صحة هذا الخبر بعد ذلك ؟ " .

" نعم " .

" كيف ؟ " .

" قرأت الخبر فى جريدة التايمز الخاصة بمقاطعة فورد . وكانت هناك صورة كبيرة لدانى بادجيت بالصفحة الأولى ، بجوار صورة رودا كاسيلو " .

" وهل قرأت التقارير المنشورة فى التايمز ؟ " .

" نعم " .

" ومن خلال ما قرأته ، فى اعتقادك هل السيد بادجيت مذنب أم برىء ؟ " .

" لقد بدا مذنبًا بالنسبة لى . ففى الصورة كان الدم يغطى قميصه . وكان وجهه ملاصقًا لوجه الضحية . وكان العنوان الرئيسى كبيرًا ويقول شيئًا مثل : القبض على دانى بادجيت بتهمة القتل " .

" إذن فقد افترضت أنه مذنب ؟ " .

" كان من المستحيل ألا أفترض هذا " .

" وماذا كان رد الفعل إزاء جريمة القتل فى كاراواى ؟ " .

" الصدمة والغضب . فتلك مقاطعة مسالمة ، والجرائم العنيفة من هذا النوع نادرة فيها " .

" وفى رأيك ، هل الناس هناك يعتقدون بوجه عام أن دانى بادجيت اغتصب وقتل رودا كاسيلو ؟ " .

" نعم ، وخاصة بعد الطريقة التى نشرت بها الصحيفة القصة " .

وقد كنت أشعر بأن جميع العيون تحدق فىَّ من كل الاتجاهات ، ولكننى أخذت أقول لنفسى إننا لم نرتكب أى خطأ . إن الناس يزدرون دانى بادجيت لأن هذا الحقير ارتكب هذه الجريمة فعلاً .

" فى رأيك ، هل من الممكن أن يتلقى دانى بادجيت محاكمة عادلة فى مقاطعة فورد ؟ " .

" لا " .

" على أى أساس كونت اعتقادك هذا ؟ " .

" لقد تمت محاكمته بالفعل وإدانته من قبل الجريدة " .

" هل تعتقد أن معظم أصدقائك وجيرانك فى كاراواى يشاركونك نفس هذا الرأى ؟ " .

" نعم " .

" شكرًا لك " .

كان السيد إيرنى جاديس واقفًا بالفعل ، وهو ممسك بالأوراق القانونية فى يده وكأنها سلاح : " هل تقول إنك تعمل بمجال الأثاث يا سيد بيكارد ؟ " .

" نعم ، هذا صحيح " .

" هل تشترى الخشب محليًا ؟ " .

" نعم " .

" من أين ؟ " .

عدل بيكارد من جلسته فوق المقعد وأخذ يتفكر فى السؤال . " جيتس برازرز ، وهندرسون ، وتيفى ، وفويلز وأبناؤهم ، وربما واحد أو اثنين آخرين " .

همس باجى : " آل بادجيت يمتلكون الفويلز " .

سأل جاديس : " هل تشترى أية أخشاب من آل بادجيت ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" الآن أو فى أى وقت فيما مضى ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" وهل تمتلك آل بادجيت أيًا من مخازن الأخشاب تلك ؟ " .

" ليس على حد علمى " .

وقد كانت الحقيقة أنه لا يعلم أحد بالفعل ما يملكه آل بادجيت . فطوال عقود وهم ينخرطون فى مختلف الأعمال ـ سواء الشرعية أو غير الشرعية . وقد لا يكون السيد بيكارد معروفًا فى كلانتون ، ولكن فى هذه اللحظة أصبحت الشكوك تحوم حوله بأن علاقة ما تربطه بآل بادجيت . فلماذا سيتطوع للشهادة فى صالح دانى ؟

وحينئذ قام جاديس بتغيير دفة الحوار . " الآن أنت تدعى أن الصورة الدامية لها علاقة وثيقة بافتراضك بأن الفتى مذنب ، أليس كذلك ؟ " .

" لقد جعلته يبدو مذنبًا " .

" هل قرأت القصة كاملة ؟ " .

" أعتقد ذلك " .

" هل قرأت عن المكان الذى حدثت فيه حادثة سيارة السيد دانى بادجيت ، وهل قرأت أنه أصيب وأنه اتهم أيضًا بقيادة السيارة فى حالة سُكر ؟ " .

" أعتقد أننى قرأت ذلك أيضًا " .

" هل تريد منى أن أجلب لك الجريدة كى تتأكد ؟ " .

" لا ، أنا أتذكر أننى قرأت كل هذا " .

" جيد ، إذن لم افترضت سريعًا أن الدماء كانت دماء الضحية وليست الدماء التى نزفها السيد بادجيت جراء الحادثة ؟ " .

عدل بيكارد من جلسته ثانية وبدى محبطاً : " لقد قلت ببساطة إن الصورة والقصص معًا جعلته يبدو مذنبًا " .

" هل سبق واختاروك كعضو بهيئة المحلفين يا سيد بيكارد ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" هل تعرف معنى افتراض البراءة ؟ " .

" نعم " .

" هل تدرك أن نيابة المسيسيبى لابد أن تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن السيد بادجيت مذنب ؟ " .

" نعم " .

" هل تؤمن بأن كل متهم لابد أن يخضع لمحاكمة عادلة ؟ " .

" نعم ، بالطبع " .

" حسنًا . دعنا نفترض أنك استدعيت للانضمام إلى هيئة المحلفين الخاصة بهذه القضية . ولقد قرأت التقارير التى وردت فى الصحيفة ، واستمعت إلى كل القيل والقال وجميع الشائعات وكل هذا الهراء ، ثم وصلت إلى حجرة المحكمة تلك كى تحضر المحاكمة . ولقد شهدت بالفعل أنك تعتقد أن السيد بادجيت مذنب . دعنا نفترض أنه تم اختيارك كعضو من أعضاء هيئة المحلفين . ودعنا نفترض كذلك أن السيد ويلبانكس هذا المحامى البارع وصاحب الخبرة الطويلة هاجم بضراوة قضية النيابة وأثار الشكوك حول

أدلتنا . ودعنا نفترض أنك أصبحت متشككاً يا سيد بيكارد ، هل في هذه الحالة ستصوت بأن المتهم غير مذنب ؟ " .

أومأ برأسه وهو يستمع للسؤال ثم قال : " نعم ، في ظل هذه الظروف " .

" إذن فبغض النظر عن اعتقادك الآن فيما إذا كان المتهم مذنبًا أو بريئًا ، فأنت تعتزم الاستماع إلى الأدلة وتزنها جيدًا قبل أن تصدر حكمك ؟ " .

وكان من الواضح أن السيد بيكارد لم يكن أمامه خيار سوى أن يقول : " نعم " .

وافق جاديس : " بالطبع . وماذا عن زوجتك ؟ لقد ذكرت إنها تعمل مدرسة ، أليس كذلك ؟ فإنها ستكون متفتحة العقل مثلك ، أهذا صحيح ؟ " .

" أعتقد ذلك . نعم " .

" وماذا عن زملائك في نادى الروتارى هناك في كاراواى . أهم عادلون مثلك أيضًا ؟ " .

" أعتقد هذا " .

" وموظفوك يا سيد بيكارد . فمما لا شك فيه أنك توظف أناساً شرفاء متفتحى العقل . فإنهم سوف يكونون قادرين على تجاهل ما قرأوه وسمعوه ويحاولون محاكمة هذا الفتى محاكمة عادلة ، أليس كذلك ؟ " .

" أعتقد ذلك " .

" لا مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضى " .

غادر السيد بيكارد منصة الشهود وهرع مغادرًا قاعة المحكمة . وقف لوشيان ويلبانكس وقال بصوت مرتفع بعض الشيء : " يا سيادة القاضى ، الدفاع يستدعى السيد ويلى ترواينور " .

ولطمة فى الأنف لم تكن لتصيب السيد ويلى ترواينور بصدمة أكبر من تلك التى سببتها له هذه العبارة أخيرة . وقد أخذت ألهث محاولاً التنفس وسمعت باجى يقول عاليًا : " اللعنة " .

كان هارى ريكس يجلس فى مقصورة المحلفين مع بعض المحامين الآخرين يحظون ببعض المرح . وبينما كنت أهم واقفًا نظرت إليه فى إحباط طالبًا العون وقد وقف هو أيضًا .

قال : " يا سيادة القاضى . إننى أمثل السيد ترواينور ، والذى لم يبلغه أحد أنه سيتم استدعاؤه كشاهد " . هيا يا هارى ريكس ! افعل شيئاً !

هز القاضى كتفيه فى لامبالاة وقال : " إذن ماذا ؟ إنه هنا . ما الأهمية ؟ " . ولم توجد أية إشارة لاكتراثه بهذا الاعتراض ، وعرفت أنه تم نصب فخ لى .

" الاستعداد . إن للشاهد الحق أن يستعد " .

" أعتقد أنه محرر إحدى الصحف ، أليس كذلك " .

" نعم " .

كان لوشيان ويلبانكس يسير باتجاه مقصورة المحلفين وكأنه يرغب فى صفع هارى ريكس . قال : " يا سيادة القاضى ، إنه ليس خصمًا ولن يكون شاهدًا بالمحكمة . إنه من كتب هذه القصص . فدعنا نسمع منه " .

قال هارى ريكس : " إنه كمين يا سيادة القاضى " .

" اجلس يا سيد فونر " ، قال القاضى ذلك بينما جلست أنا على مقعد الشهود . نظرت إلى هارى ريكس وكأننى أقول له : " عمل رائع أيها المحامى " .

وقف الحاجب أمامى وقال : " هل أنت مسلح ؟ " .

" ماذا ؟ " . كنت متوترًا للغاية ولم يبد شيئاً منطقيًا لى .

" سلاح . هل معك سلاح ؟ " .

" نعم " .

" هل يمكننى أن آخذه من فضلك ؟ " .

" آه ، إنه في السيارة " . وظن معظم الحاضرين أن هذا مضحك . فى الحقيقة ، لا يستطيع المرء الشهادة فى المسيسيبى إن كان مسلحًا . قانون سخيف آخر . وبعد مضى دقائق فهمت مغزى هذا القانون . فلو كان معى سلاح لكنت بدأت أطلق النار على لوشيان ويلبانكس .

وقد جعلنى الحاجب بعد ذلك أقسم بأن أقول الحقيقة ، وشرعت أشاهد ويلبانكس وقد بدأ التحرك سريعًا . وقد بدا الحشد وراءه أكثر عددًا . وفي البداية طرح على عدة أسئلة مبدئية عنى وعن شرائى للجريدة . وقد نجحت فى الإدلاء بالإجابات الصحيحة على الرغم من أننى كنت متشككاً فى القصد من وراء كل سؤال . لقد كان يريد أن يصل بى إلى شيء معين ، والذى لم أكن أعلم ما هو .

وقد بدا الحشد يستمتع بهذا الحوار . فاستيلائى المفاجئ على التايمز كان لا يزال حديث الناس فى المقاطعة ، وها أنا ذا جالس أمام الجميع أتحدث عن هذا الأمر تحت القسم ، وكل ما أقوله يتم تسجيله .

وبعد مضى بعض دقائق من الدردشة وقف السيد جاديس والذى افترضت أنه إلى جانبى بما أن لوشيان بالتأكيد ليس كذلك ، وقال : " يا سيادة القاضى ، إن محامى الدفاع يسأل الشاهد عن معلومات عن نفسه . إلام يرمى ؟ " .

" ألق أسئلة جيدة يا سيدٍ ويلبانكس " .

" أرجَو منك الصبر قليلاً يا أيها القاضى " .

قام لوشيان بعد ذلك بجلب نسخ من التايمز ومررها عليّ وعلى جاديس ولوبس . نظر إلىّ وقال : " فقط من باب الفضول يا سيد ترااينور ، كم بلغ عدد المشتركين في جريدة التايمز الآن ؟ " .

أجبته ببعض الفخر : " حوالى أربعة آلاف ومائتى مشترك " . فحينما أفلست الجريدة ، كان سبوت قد بددهم جميعًا فيما عدا ألف ومائتى مشترك تقريبًا .

" وكم عدد النسخ التى تباع بأكشاك الصحف ؟ " .

" حوالى ألف " .

منذ حوالى اثنا عشر شهرًا كنت أعيش فى الطابق الثالث من منزل الأخوية بسيراكيوز فى نيويورك ، وأحضر المحاضرات من حين لآخر ، وأجتهد فى التعرف على الفتيات ، وأتجرع كميات كبيرة من الكحول ، وأدخن ، وأنام حتى الظهيرة كيفما أشاء ، وحينما كنت أحب ممارسة بعض التدريبات كنت أهرع لأقرب زقاق وأفتعل المشكلات حتى يأتى رجال الشرطة . وقد ظننت أن لدى مشكلات . كيف انتقلت من هناك إلى مقعد الشهود بمحكمة مقاطعة فورد ؛ كان هو السؤال الدائر فى ذهنى ، ولم أعرف له إجابة .

ومع ذلك ، ففى تلك اللحظة الحاسمة من حياتى المهنية الجديدة ، أمامى مئات من المواطنين والمشتركين الذين يحدقون فىّ . ولم يكن هذا الوقت المناسب كى أبدو ضعيفًا .

سألنى بطريقة غير رسمية وكأننا نتحدث عن العمل ونحن نحتسى الشاى : " ما نسبة بيع صحيفتك فى مقاطعة فورد يا سيد ترااينور ؟ " .

" جميعها يباع تقريبًا . أنا ليست لدى الأرقام الدقيقة " .

" حسنًا ، هل تتعامل مع أية أكشاك صحف خارج مقاطعة فورد ؟ " .

" لا " .

وقد أبدى السيد جاديس محاولة فاشلة أخرى لإنقاذى . وقف وقال : " يا سيادة القاضى من فضلك ، إلام يرمى ؟ " .

رفع ويلبانكس صوته فجأة وأشار بإصبعه ناحية السقف وقال : " سوف أحاول أن أبرهن يا سيادة القاضى أن أية أعضاء هيئة محلفين يتم اختيارهم فى هذه المقاطعة قد تسمموا بفعل التغطية الحسية والمثيرة للحادث التى تفرضها عليهم جريدة التايمز لمقاطعة فورد . ومن رحمة الله وعدله أن هذه الجريدة لا تصل لأجزاء أخرى من الولاية . إن تغيير وجهة المحكمة ليس فقط عادلاً ولكنه ضرورى وإلزامى " .

وقد غيرت كلمة " تسمم " نبرة الحوار تمامًا . فقد أذهلتنى وأخافتنى ومرة أخرى سألت نفسى إن كنت قد اقترفت خطأ ما . نظرت إلى باجى تلمسًا لبعض العزاء والمواساة ، ولكنه كان مختفيًا وراء السيدة التى تجلس أمامه .

قال القاضى لوبس بحدة : " إننى مَنْ يقرر ما هو عادل وما هو ضرورى يا سيد ويلبانكس . تابع من فضلك " .

أمسك السيد ويلبانكس بالجريدة وأشار إلى الصفحة الأولى ، وقال : " بالنسبة لهذه الصورة لموكلى . من التقط هذه الصورة ؟ " .

" السيد ويلى ميك ، مصور الجريدة " .

" ومن أصدر قرار نشرها بالصفحة الأولى ؟ " .

" أنا فعلت " .

" والحجم ؟ من أصدر قرارًا بنشر هذا الحجم ؟ " .

" أنا " .

" هل خطر ببالك أن هذا قد ينظر إليه بوصفه استخدام أسلوب حسى لإثارة المشاعر " .

هذا صحيح . كلمة " حسى " هى التى كنت أبحث عنها . أجبته ببرود : " لا . لقد كانت هى الصورة الوحيدة التى لدينا لدانى بادجيت فى هذا الوقت . وقد كان هو الشخص الوحيد الذى وجهت إليه التهمة . لذا فقد قمنا بنشرها . وإن عاد بى الزمن للوراء سوف أنشرها ثانية " .

وقد أدهشتنى غطرستى . اختلست النظر إلى هارى ريكس ورأيت ابتسامته الخبيثة . وقد كان يومئ وكأنه يقول : انقض عليهم يا فتى .

" إذن فى اعتقادك ، هل كان من العدل أن تنشر هذه الصورة ؟ " .

" لا أعتقد أن ذلك ليس عدلاً " .

" أجب عن سؤالى . فى اعتقادك ، هل كان ذلك عدلاً ؟ " .

" نعم كان ذلك عادلاً ودقيقًا أيضًا " .

بدا ويلبانكس أنه يسجل كلامى هذا ، ثم وضع الورق بعيدًا كى يستخدمه مستقبليًا ثم قال : " إن تقريرك يتضمن وصفا شبه مفصل لداخل منزل رودا كاسيلو . متى تفحصت المنزل ؟ " .

" لم أفعل " .

" متى دخلت المنزل ؟ ".

" لم أدخله " .

" إنك لم تر قط داخل المنزل ؟ " .

" هذا صحيح " .

فتح الجريدة وتفحصها لدقيقة ثم قال : " إنك تقول إن غرفة طفلى السيدة كاسيلو الصغيرين توجد برواق صغير وتبعد نحو خمسين قدماً عن باب حجرة والدتهما ، وخمنت أن أسرتهما تبعدان نحو ثلاثين قدماً عن فراش أمهما . كيف علمت هذا ؟ " .

" إن لدى مصدرى " .

" مصدرك . وهل دخل مصدرك المنزل ؟ " .

" نعم " .

" هل مصدرك هذا ضابط شرطة أو نائب ؟ " .

" سوف يظل هذا المصدر سريًا " .

ومن خلال دراستى عن الصحافة تذكرت بشكل غريب قضية مراسل صحفي والذى اعتمد فى ظل موقف مشابه على مصادره ثم رفض الكشف عن هويتهم . وقد أثار هذا الأمر بطريقة ما حنق القاضي والذى أمر المراسل بالكشف عن مصادره . وعندما رفض ثانية وجه إليه القاضى تهمة ازدراء المحكمة وأخذه الحراس إلى السجن حيث أمضى العديد من الأسابيع يخفى هوية مصادر معلوماته . ولم أتذكر نهاية القصة ، ولكنهم فى النهاية أطلقوا سراحه وانتصرت الصحافة الحرة .

وفى لحظة ، تخيلت نفسى مكبلاً بالأصفاد ويجرنى الشريف كولى بعيدًا ، بينما أنا أصرخ طالبًا العون من هارى ريكس ، ثم تم الإلقاء بى فى السجن حيث خلعوا جميع ملابسى وأعطونى زوجًا من المآزر البرتقالية .

وبالطبع سوف أصبح بمثابة منجم ذهب لجريدة التايمز . فتخيلوا مدى روعة القصص التى أستطيع كتابتها هناك .

واصل ويلبانكس مرافعته : " لقد قلت إن الطفلين أصيبا بالصدمة ، كيف علمت هذا ؟ " .

" لقد تحدثت إلى السيد ديس جار الضحية " .

" وهل استخدم كلمة " صدمة " ؟ " .

" نعم " .

" ولقد قلت إن طبيبًا فحص الطفلين هنا فى كلانتون ليلة وقوع الجريمة . كيف علمت هذا ؟ " .

" كان لى مصدرى ، ثم تأكدت من صحة هذه المعلومة لاحقًا من الطبيب نفسه " .

" وقد قلت كذلك إن الطفلين الآن يخضعان لعلاج من نوع ما فى ميسورى . من أخبرك بهذا ؟ " .

" لقد تحدثت إلى خالتهم " .

ألقى بالصحيفة على الطاولة وأخذ بعض خطوات تجاهى . وقد اضيقت عيناه الحمراوان وأخذ يحدق فىَّ . فى هذه اللحظة كان المسدس ليكون مفيدًا .

" إن الحقيقة يا سيد تراينور هى أنك حاولت أن تقنع الناس بأن هذين الطفلين البريئين شاهدا والدتهما وهى تغتصب وتقتل فى فراشها ، أليس ذلك صحيحًا ؟ " .

أخذت نفسًا عميقًا وتفكرت فى الإجابة . كانت قاعة المحكمة صامتة وفى انتظار ردى ، ثم قلت : " لقد نشرت الحقائق بأقصى دقة ممكنة " . قلت ذلك وأنا أحدق مباشرة فى باجى والذى على الرغم من أنه كان شبه مختبأ وراء السيدة التى تجلس أمامه فإننى استطعت رؤيته يومئ لى .

" فى محاولة منك لبيع المزيد من الصحف اعتمدت على مصادر لم تكشف عنها وأنصاف الحقائق والقيل والقال والخيال الجامح ، كل ذلك كى تضفى الإثارة على القصة " .

قلت ثانية محاولاً البقاء هادئاً : " لقد نشرت الحقيقة بأقصى دقة ممكنة " .

نخر ثم قال : " هل هذا صحيح ؟ " .

التقط الصحيفة ثانية وقال : " إن المقال يقول : هل سيشهد الطفلان فِي المحاكمة ؟ هل أنت من كتب هذا يا سيد تراينور ؟ " .

ولم أستطع إنكار هذا . وقد شعرت بالندم لكتابة هذا . لقد كان ذلك هو الجزء الأخير من المقالات التى قمت أنا وباجى بحياكتها بدون براعة أو إتقان . فقد كنا شديدى الحساسية تجاه الحادث ، وقد أدركنا مؤخرًا أنه كان ينبغى علينا اتباع غرائزنا .

ولم يكن الإنكار ممكنًا . قلت : " نعم " .

" وعلى أية حقائق دقيقة كنت ترتكز حينما طرحت هذا السؤال ؟ " .

قلت : " لقد كان سؤالاً سمعت الكثيرين يطرحونه بعد الجريمة " .

ألقى بالجريدة مرة أخرى على الطاولة وكأنها شىء قذر . هز رأسه فى تهكم وقال : " لقد كان هناك طفلان يا سيد ترايور ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، صبى وفتاة " .

" وكم يبلغ عمر الفتى ؟ " .

" خمس سنوات " .

" وكم يبلغ عمر الفتاة ؟ " .

" ثلاث سنوات " .

" وكم تبلغ أنت من العمر يا سيد ترايور ؟ " .

" ثلاثة وعشرين " .

" وفى خلال سنوات عمرك الثلاث والعشرين كم عدد المحاكمات التى قمت بتغطيتها كمراسل ؟ " .

" ولا واحدة " .

" وبما أنك جاهل إلى هذا الحد بالمحاكمات ، ما نوع البحث القانونى الذى أجريته كى تكون مستعدًا لنشر مثل هذه القصص ؟ " .

وفى هذه اللحظة كنت على الأرجح لأوجه المسدس تجاه رأسى .

أعدت كلامه وكأنه كان يتحدث لغة أخرى : " بحثًا قانونيًا ؟ " .

" نعم يا سيد ترااينور . كم عدد القضايا التى وجدتها والتى استعانت فيها المحكمة بشهادة أطفال فى سن الخامسة أو أقل فى قضية جنائية ؟ " .

نظرت فى اتجاه باجى والذى كان فى الغالب مختبأ أسفل المقعد الخشبى ، وقلت : " ولا واحدة " .

" إجابة ممتازة يا سيد ترااينور . ولا واحدة ، ففى تاريخ هذه الولاية لم يقم ولو طفل واحد تحت سن الحادية عشرة بالشهادة فى قضية جنائية . من فضلك اكتب تلك المعلومة فى مكان ما عندك وتذكرها جيدًا فى المرة القادمة التى تحاول فيها إشعال مشاعر القراء بتلك الصحافة الصفراء " .

قال القاضى لوبس مترفقًا بحالى : " كفى يا سيد ويلبانكس " . أعتقد أنه والمحامين الآخرين ـ ربما بما فيهم هارى ريكس ـ كانوا يستمتعون بهذا السلخ السريع لشخص دس أنفه فى أمور قانونية وهو لا يفقه شيئًا بالمرة فيها . وحتى السيد جاديس بدا سعيدًا وهو يرانى أنزف .

وكان لوشيان حكيمًا بما يكفى ليتوقف فى وقت هطول النزيف . وقد قال شيئًا على شاكلة : " لقد انتهيت منه " . ولم يكن لدى السيد جاديس أسئلة يوجهها لى . وقد أشار لى الحاجب كى أهبط من

فوق المنصة ، وقد حاولت في إحباط السير تجاه المقعد حيث كان باجي لا يزال مختبئًا لأسفل كالكلب الضال فى عاصفة باردة .

وقد أخذت فى خربشة الملاحظات طوال باقى الجلسة فى محاولة فاشلة كي أبدو مشغولاً ومهمًا . لقد كان بإمكانى أن أشعر بالعيون وهي تحدق فيَّ . لقد تعرضت للمهانة وكنت أرغب فى حبس نفسى فى مكتبى لبضعة أيام .

وقد أنهى ويلبانكس المرافعة بتقديم طلب ملتهب لتغيير وجهة المحاكمة إلى مكان آخر بعيد ، ربما فى ساحل الخليج حيث يوجد على الأرجح القليلون ممن سمعوا عن الجريمة ، ولكن لا يوجد من " تسمم " بتغطية التايمز لها . وقد أخذ فى انتقادى وانتقاد جريدتي وذهب إلى أقصى حدود الحماسة . وقد ذكر السيد جاديس فى ملاحظاته الأخيرة القاضى بالمقولة القديمة : " الكلمات اللاذعة والقاسية إنما تنم عن موقف ضعيف " .

وقد قمت بتسجيلٍ ذلك . وبعد ذلك هرعت مغادرًا قاعة المحكمة وكأن لدى موعداً مهماً ملتزم به .

الفصل الحادى عشر

هرع باجى إلى داخل مكتبى فى وقت متأخر من الصباح التالى وهو يحمل أخبارًا ساخنة ، مفادها أن لوشيان ويلبانكس قد سحب لتوه طلبه بتغيير وجهة المحاكمة . وكالعادة دومًا أخذ يحلل هذا الخبر .

وقد كانت وجهة نظره الأولى هى أن آل بادجيت لا يريدون أن تنتقل المحاكمة إلى مقاطعة أخرى . فقد كانوا يعلمون أن دانى مذنبًا حتى النخاع ، وأن أى هيئة محلفين نزيهة أخرى سوف تدينه بدون شك . فكانت فرصتهم الوحيدة هى أن يحظوا بهيئة محلفين يستطيعون إما شراءها أو ترهيبها . وحيث إن الحكم بالإدانة لابد أن يكون إجماعيًا ، فكانوا بحاجة إلى صوت واحد فقط يقف إلى صف دانى . فقط صوت واحد وتعم الفوضى على اجتماع هيئة المحلفين ويضطر القاضى أن يعلن بموجب القانون فساد الدعوى . ومما لا شك فيه أنه ستتم إعادة المحاكمة ، ولكنها ستؤول إلى نفس النتيجة . وبعد ثلاث أو أربع محاولات سوف تستسلم النيابة .

ولقد كنت واثقًا من أن باجى كان بمبنى المحكمة طوال فترة الصباح يتجادل مع زملاء ناديه الصغير حول جلسة الاستماع ويعيد على مسامعى الآن الاستنتاجات التى توصل إليها أصدقاؤه المحامون . وقد شرح لى ببطء كيف أن لوشيان ويلبانكس قد حوَّل جلسة الاستماع أمس إلى مسرحية لسببين . أولاً : كان لوشيان يلقى الطعم للتايمز كى تنشر صورة أخرى لدانى ، هذه المرة وهو يرتدى زى السجن . ثانيًا : كان ويلبانكس يرغب فى وضعى فوق مقعد الشهود كى يسلقنى قليلاً . قال باجى : " وهو بالتأكيد نجح فى ذلك " .

قلت : " شكراً يا باجى " .

كان ويلبانكس يعد خشبة المسرح للمحاكمة ، تلك التى كان يدرك جيدًا منذ البداية أنها ستكون بكلانتون ، وقد أراد من التايمز أن تخفف من حدة تغطيتها للحدث .

والسبب الثالث أو الرابع هو أن لوشيان ويلبانكس لم يفوت قط الفرصة كى يؤثر فى نفوس الجماهير . فقد شاهده باجى يفعل ذلك مرارًا وتكرارًا ، وسرد علىَّ بعض القصص .

ولم أكن واثقًا من أننى كنت متابعًا لتفكيره الشمولى ، ولكن فى هذه اللحظة لم يبد شيئًا آخر منطقيًا . فقد بدا أنه إهدار كبير للوقت والجهد أن تحضر جلسة محاكمة مدتها ساعتين وأنت تعلم جيدًا أنها مجرد عرض مسرحى . وقد خمنت أن أمورًا أسوأ بكثير قد حدثت فى قاعات المحكمة .

الوليمة الثالثة كانت عبارة عن لحم بقرى محمر ، وقد تناولنا الطعام فى الشرفة بينما كانت الأمطار تهطل بغزارة .

وكالعادة ، اعترفت بأننى لم أتناول قط اللحم البقرى المحمر ، لذا فقد قامت السيدة كالى بوصف طريقة التحضير تفصيليًا . وقد رفعت الغطاء من فوق قدر حديدى ضخم بمنتصف الطاولة وأغمضت عينيها بينما ارتفعت الرائحة الذكية فى الهواء . وقد استيقظت من نومى من ساعة واحدة وكنت فى هذه اللحظة مستعدًا أن أتناول غطاء الطاولة .

وقد كان ذلك هو أبسط أطباقها ، على حد قولها . تأتى بكفل اللحم البقرى وتترك الدهون فوقه وتضعه فى قعر القدر ثم تغطيه بالبطاطس الطازجة والبصل واللفت والجزر والبنجر وتضيف بعض الملح والفلفل والماء وتضعه داخل الفرن وتتركه ينضج ببطء وتنتظر خمس ساعات . وقد ملأت طبقى باللحم والخضراوات ثم غمرته بالصلصة الثخينة القوام . قالت : " إن البنجر هو ما يكسبه هذا اللون الأرجوانى " .

وقد سألتنى إن كنت أرغب فى تولى مسألة الدعاء ، ولكننى رفضت . فأنا لم أقم بذلك الأمر منذ وقت طويل . وكانت هى تفوقنى موهبة فى هذا الصدد . أمسكت بيدىّ وأغمضنا أعيننا . وبينما كانت تتحدث كانت الأمطار تنقر فوق السطح القصديرى فوق رؤوسنا .

وقد سألت بعد القضمة الثالثة الكبيرة : " أين إيساو ؟ " .

وقد كانت مشغولة الفكر بشىء ما وقالت أخيرًا : " فى العمل . فى بعض الأحيان يستطيع المجئ لتناول الغداء ، ولكن فى معظم الأحيان لا يستطيع . هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً شخصيًا بعض الشىء ؟ " .

" بالطبع " .

" هل كانت أسرتك متدينة ؟ " .

" نعم . لقد كانت أمى تأخذنى إلى دار العبادة دومًا " .

ولم تكن هذه الإجابة مرضية بالنسبة لها . فأيًا كان ما تبحث عنه ، لم تقدمه لها هذه الإجابة . " أى واحدة هذه ؟ " .

" سانت لوك في ممفيس " .

" لا أعتقد أننا لدينا ما يضاهيها في كلانتون " .

" أنا لم أر مثلها هنا " . وبالطبع أنا لم أمعن النظر في دور العبادة بالمقاطعة . سألتها : " ما دار العبادة التى تذهبين إليها ؟ " .

قالت سريعًا بينما كان وجهها بالكامل يعلوه توهج جليل : " إحدى دور العبادة بكرايست . ورجل الدين المسئول عنها هو المبجل ثيرستون سمال ، وهو رجل نزيه وعلى درجة عالية من الإيمان ، لابد أن تأتى يومًا وتستمع إليه " .

وقد سمعت العديد من القصص والحكايات عن طرق تعبد السود ، وكيف أنهم يقضون أيامًا كاملة فى دار العبادة وتستمر العبادات حتى وقت متأخر من الليل . أما أنا فمازلت أتذكر جيدًا كم المعاناة التى كنت ألقاها فى أثناء العبادات والتى لم تكن تستمر بموجب القانون أكثر من ستين دقيقة .

سألتها : " وهل يتعبد البيض معكم ؟ " .

" فقط في خلال سنوات الانتخابات . فبعض السياسيين يأتوننا يتشممونا مثل الكلاب ، ويقطعون مجموعة من الوعود " .

" وهل يبقون حتى انتهاء العبادات ؟ " .

" لا بالطبع ، إنهم دائمًا ما يكونون منشغلين ولا يسمح وقتهم بذلك " .

" إذن فمن الممكن المجيء والذهاب كيفما أشاء " .

" هذا ممكن بالنسبة لك يا سيد ترايـنور ، فسوف نجعل منك استثناء " . ثم أخذت تقص علىَّ حكاية طويلة عن دار العبادة

خاصتها والتى تبعد مسافة ليست بطويلة عن منزلها ، وكيف أن حريقًا قد دمرها منذ بضع سنوات . وعربات الإطفاء - والتى كانت بالطبع بالمنطقة التى يسكنها البيض - لم تكن تسرع قط عندما يأتيها بلاغات بوجود حرائق فى لوتاون . ولقد فقدوا دار عبادتهم ، ولكن كان ذلك من فضل الله عليهم ! فقد قام المبجل سمال بلم شمل رعايا دار العبادة . وطوال ثلاث سنوات تقريبًا كانوا يلتقون بمستودع أعاره لهم السيد فيرجيل مابرى ، رجل تقى وورع . كان المبنى يبعد مسافة بناية واحدة عن الطريق الرئيسى ، والعديد من البيض لم تستهويهم فكرة تعبد السود بالجزء الخاص بهم من المدينة . ولكن السيد مابرى ظل متمسكا بموقفه . ثم قام المبجل سمال بجمع التبرعات وبعد ثلاث سنوات من الحريق افتتحوا دار العبادة الجديدة ، والتى تفوق القديمة حجمًا بمقدار مرتين .

وقد كنت أحب أن أتركها تتحدث . فذلك يتيح لى الفرصة كى أتناول الطعام بلا توقف ، وهو الأمر الذى كان يشكل أهمية أكبر بالنسبة لى . ولكننى كنت مازلت مفتونًا بوضوح لغتها ومفرداتها التى تضاهى مفردات الأكاديميين .

وعندما انتهيت من الحديث عن دار العبادة سألتنى : " هل تقرأ فى الكتب الدينية دومًا ؟ " .

قلت وأنا أهز رأسى وأمضغ قطعة لفت ساخنة : " لا " .

" أبدًا ؟ " .

قلت وأنا لم أكن أحب الكذب : " أبدًا " .

وقد أصابتها تلك الإجابة بالإحباط مرة أخرى .

" وماذا عن الصلاة ؟ " .

سكت لبرهة ثم قلت : " لا أداوم عليها " .

وقد قامت بوضع السكين والشوكة بجانب صحنها ونظرت إلىّ بامتعاض وكأنها على وشك أن تقول شيئاً مهمًا : " يا سيد ترواينور ، إن كنت لا تذهب إلى دار العبادة ولا تقرأ الكتب الدينية ولا تصلى ، فأنا غير واثقة من أنك تنتمى لعائلة متدينة " .

وأنا لم أكن واثقًا من ذلك أيضًا . أخذت أمضغ حتى لا أضطر إلى الكلام والدفاع عن نفسي . وقد واصلت حديثها : " أنا أعلم جيدًا أنه لا ينبغى أن نحاسب الآخرين قبل أن نحاسب أنفسنا . فأنا لست مخولة بالحكم على أى أحد ، ولكن لابد أن أعترف أننى قلقة عليك " .

وقد كنت قلقًا على نفسى أيضًا ، ولكن ليس إلى الحد الذى يجعلنى أفسد على نفسى الاستمتاع بالغداء .

سألتنى : " هل تعلم ماذا يحدث لهؤلاء الذى يعصون ما أمر به الله ؟ " .

شيئًا مرعبًا ، لقد كنت أعلم ذلك بالفعل . ولكننى كنت جائعًا للغاية ومتخوفًا من الإجابة . لقد كانت تعظنى الآن ونسيت أمر تناول الطعام ، ولقد كنت أنا أستمتع بوقتى .

" إن عقاب العصاة هو العذاب ، أما ثواب الطائعين فهو الخلود فى النعيم . هل تعلم معنى ذلك يا سيد ترواينور ؟ " .

ولقد كانت لدىّ فكرة عامة عن المعنى . فأومأت وحشرت داخل فمى قطعة لحم كبيرة . ماذا لو كانت تحفظ الكثير من الأقوال عن ظهر قلب ؟ هل أنا على وشك سماعه كله ؟

" إن الموت دائمًا ما يكون جسديًا ، ولكن الموت الروحى يعنى السرمدية فى العذاب يا سيد ترواينور . هل تعرف ذلك ؟ " .

لقد قامت بإيضاح وجهة نظرها ببراعة . قلت : " هل يمكن أن نغير الموضوع ؟ " .

ابتسمت السيدة كالى فجأة وقالت : " بالطبع ، إنك ضيفى وواجبى أن أجعلك تشعر بأنك مرحب بك " . أمسكت بشوكتها ثانية وأخذنا نتناول الطعام لفترة طويلة ونحن نستمع لصوت المطر .

قالت : " لقد كان ربيعًا مطيرًا حقًا . وذلك جيد بالنسبة للحبوب ولكن الطماطم والبطيخ بحاجة للمزيد من أشعة الشمس " .

ولقد شعرت بالراحة عندما علمت أنها تخطط لدعوتى على الغداء ثانية فى المستقبل . وكانت قصتى حول السيدة كالى وإيساو وأطفالهما البارزين مكتملة تقريبًا . وقد كنت أطيل البحث أملاً فى تناول المزيد من طعام الغداء يوم الخميس بشرفتها . فى البداية شعرت بالذنب لأنها كانت تعد كل هذا الكم من الطعام لى وحدى ؛ وكنا لا نأكل سوى جزء ضئيل منه . ولكنها أكدت لى أنها لا ترمى ما يتبقى . فهى وإيساو وربما بعض الأصدقاء يهبون ما يتبقى من طعام للفقراء . وقد قالت وهى تشعر ببعض الخزى : " الآن أنا لا أطهو سوى ثلاث مرات فقط فى الأسبوع " .

وكانت الحلوى فطيرة الخوخ ومثلجات الفانيليا . وقد اتفقنا أن ننتظر ساعة لنتيح الفرصة لمعدتنا كى تستريح . وقد جلبت لنا قدحين من القهوة السوداء القوية ، وانتقلنا إلى المقعدين الهزازين حيث قمنا بعملنا . سحبت أوراقى والقلم وبدأت فى طرح الأسئلة . وقد كانت السيدة كالى تحب أن أدون الأشياء التى تقولها .

وكان لأطفالها السبعة الأوائل أسماء إيطالية ـ ألبرتو (آل) ، ليوناردو (ليون) ، ماسيمو (ماكس) ، روبيرتو (بوبى) ، جلوديا ، كارلوتا ، وماريو . فقط سام ـ الأصغر والمعروف عنه بأنه فار من العدالة ـ كان له اسم أمريكى . وفى أثناء زيارتى الثانية شرحت لى أنها نشأت فى منزل إيطالى هنا بمقاطعة فورد ، ولكنها كانت قصة طويلة للغاية ؛ لذا فسوف توفرها لوقت لاحق .

والأبناء السبعة الأكبر كانوا هم من ألقوا خطبة الوداع بمدارسهم الثانوية ، الخاصة بالملونين . وكل واحد منهم حصل على درجة الدكتوراة ، ويقوم بالتدريس فى الجامعة . وقد كانت تفاصيل سيراتهم الذاتية تملأ صفحات ، كما كان بإمكان السيدة كالى التحدث عن أطفالها طوال ساعات .

وقد ظلت تتحدث . وأخذت أبون فى الملاحظات وأنا أتأرجح برفق فوق المقعد وأستمع إلى صوت المطر إلى أن خلدت للنوم .

الفصل الثانى عشر

كان لباجى بعض التحفظات بخصوص قصة روفين . قال وهو يقرأها : " إنها ليست أخبارًا " . وأنا واثق من أن هارى قد حذره بأننى على وشك نشر مقال كبير لعائلة من السود بالصفحة الأمامية . قال : " إن مثل هذه الموضوعات تنشر فى العادة فى الصفحة الخامسة " .

ففيما عدا حوادث القتل ، كان مفهوم باجى عن أخبار الصفحة الأولى ينحصر فى المنازعات حول الملكية والتى ترفع إلى المحكمة ، حيث لا توجد هيئة محلفين ؛ بل زمرة من المحامين شبه الناعسين وقاض يبلغ من العمر تسعين عامًا أحضروه من القبر ليفصل بين الأطرأف المتنازعة .

وفى عام ١٩٦٧ واتت السيد كاودل الجرأة كى ينشر أخبار وفيات السود ، ولكن في الثلاث سنوات التالية لم تكترث التايمز لنشر أى شىء آخر خاص بهم . وكان ويلى ميك مترددًا فى الذهاب معى لالتقاط صورة كالى وإيساو أمام منزلهما . وقد نجحت فى

تحديد موعد لالتقاط الصورة وهو يوم الخميس فى فترة الظهيرة . وكان الغداء مكونًا من سمك السلور المقلي وسلطة الكرنب . وقد ظل ويلي يأكل حتى لاقى صعوبة فى التنفس .

وكانت مارجريت متخوفة من القصة كذلك ، ولكنها كالعادة دومًا تركت القرار الأخير لرئيسها . فى الواقع ، لم يكن فريق العمل برمته متحمسًا للفكرة . ولكننى لم أهتم لذلك . فكنت أفعل ما أظنه صوابًا ؛ علاوة على ذلك فقد كنا بانتظار محاكمة مهمة .

وهكذا وفى يوم الأربعاء الموافق ٢٠ مايو من عام ١٩٧٠ وفى أسبوع لم يكن فيه شيئًا لننشره عن مقتل كاسيلو ؛ خصصت جريدة التايمز أكثر من نصف الصفحة الأمامية لمقال عائلة روفين . وقد كان يحمل هذا العنوان *ـ تفخر عائلة روفين بتربية سبعة أبناء أساتذة بالجامعة* . وأسفلها كان هنالك صورة كبيرة لكالى وإيساو وهما يجلسان على الدرجات الأمامية لمنزلهما ويبتسمان فى فخر للكاميرا . وأسفل الصورة كانت هناك صور الثمانية أبناء بما فيهم صورة سام . وقد بدأت مقالى كما يلى :

> *حينما اضطرت كاليا هاريس الظروف أن تترك المدرسة فى الصف العاشر ، قطعت على نفسها عهدًا بأن أطفالها لن يتخرجوا من المدرسة الثانوية فقط ، ولكن التعليم الجامعى أيضًا . وكان ذلك فى عام ١٩٢٦ حينما كانت كاليا ـ أو كالى كما تحب أن يدعوها الآخرون ـ فى الخامسة عشر من عمرها ، وكانت الأخت الكبرى لأربعة أبناء آخرين . فقد أصبح التعليم دربًا من دروب الترف حينما توفى والدها إثر إصابته بالسل . وقد ظلت كالى تعمل لدى عائلة دى جارنيت حتى عام ١٩٢٩ حينما تزوجت من إيساو روفين ، النجار والواعظ بدوام جزئى .*

وقد قاما باستئجار منزل لأسرتين فى لوتاون مقابل خمسة عشر دولارًا فى الشهر ، وبدآ فى توفير كل بنس . فقد كانوا بحاجة لكل قرش يستطيعان توفيره .

وفى عام ١٩٣١ ولد البرتو .

وفي عام ١٩٧٠ أصبح دكتور ألبرتو روفين أستاذاً لعلم الاجتماع بجامعة أيوا . وأصبح دكتور ليوناردو روفين أستاذاً للأحياء في بورود . ودكتور ماسيمو روفين أصبح أستاذاً في الاقتصاد بجامعة توليدو . أما دكتور روبرتو روفين فأصبح أستاذًا في التاريخ في ماركيت . وكانت دكتور جلوريا روفينساندرفورد تدرس الإيطالية في ديوك . وكانت دكتور كارلوتا روفين أستاذة في الدراسات المدنية بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس . وقد أنهى دكتور ماريو روفين لتوه رسالة دكتوراه في أدب القرون الوسطى ، وكان أستاذاً في كلية جرينل في أيوا . وقد أوردت سام بالذكر ولكنني لم أطل الحديث عنه .

وقد تحدثت إلى الأساتذة السبعة جميعهم هاتفيًا واستشهدت ببعض أقوالهم . ومن بين الموضوعات التي تحدثنا عنها الحب والتضحية وضبط النفس والعمل الشاق والشجاعة والإيمان بالله والإيمان بالأسرة والطموح والمثابرة وعدم الاستسلام للكسل أو الفشل . وكل من الأبناء السبعة كان له قصة نجاح من الممكن أن تملأ طبعة كاملة من التايمز . وكل منهم قد امتهن على الأقل عملاً واحدًا ذا دوام كلي في أثناء المكافحة بالجامعة أو المدرسة الثانوية ومعظمهم كان يمتهن عملين . وكان الإخوة الأكبر يساعدون الأصغر . فأخبرني ماريو أنه كان يتلقى خمس أو ست شيكات شهريًا من إخوته وأبويه .

والإخوة الخمس الأكبر كانوا متفرغين تمامًا لدراستهم حتى أنهم قاموا بتأجيل زواجهم حتى أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات . أما كارلوتا وماريو فلم يتزوجا بعد . وبالمثل فقد تم التخطيط للجيل التالى بعناية . وكان الحفيد الأكبر هو ابن ليون ويبلغ من العمر خمس سنوات . وكان ماكس وزوجته فى انتظار طفلهما الثانى .

وكانت المادة التى جمعتها عن عائلة روفين كبيرة للغاية لدرجة أننى اضطررت إلى أن أنشر الجزء الأول فقط هذا الأسبوع . وعندما ذهبت إلى لوتاون لتناول الغداء فى اليوم التالى استقبلتنى السيدة كالى والدموع فى عينيها . وقد قابلنى إيساو أيضًا وصافحنى بقوة وعانقنى . وقد قمنا بالتهام حساء لحم الحمل وتحدثنا عن ردود الأفعال إزاء القصة . وقد كانت بالطبع حديث الناس فى لوتاون حيث كان يمر الجيران طوال فترة الظهيرة من يوم الأربعاء وصباح يوم الخميس وهم يحملون نسخًا من الجريدة . وقد أرسلت بريديًا نصف دستة من الجريدة أو أكثر لكل أستاذ من الأبناء .

وخلال تناول القهوة وفطائر التفاح وصل رجل الدين ثيرستون سمال بسيارته والتى أوقفها أمام المنزل ثم شق طريقه إلى الشرفة . وقد قدمونى إليه ، وقد بدا سعيدًا بلقائى . وسرعان ما وافق على الانضمام إلينا فى تناول الحلوى وبدأ فى إلقاء خطبة مسهبة عن مدى أهمية قصة عائلة روفين بالنسبة لمجتمع السود فى كلانتون . وكانت أخبار الوفيات هى خطوة للأمام ، على الرغم من أنه فى معظم المدن الجنوبية مازال موت السود يقابل بالتجاهل . ولكن بفضل السيد كاودل استطاعوا إحراز بعض التقدم على الجبهة . ولكن نشر مثل هذا المقال بمثل هذا الحجم والذى يدور حول أسرة سوداء بارزة بالصفحة الأولى يعد خطوة عملاقة وهائلة على درب

الدمج العنصرى بالبلدة . وأنا لم أر الأمر بهذه الطريقة . فقد كانت بالنسبة لى مجرد قصة مثيرة حول السيدة كالى روفين وأسرتها الرائعة .

وقد كان رجل الدين مستمتعًا للغاية بالطعام ، وكان بارعًا كذلك في الدردشة . وفى أثناء التهامه للفطيرة الثانية أصبح ثناؤه على القصة مملاً . وحيث إنه لم تكن هناك أية إشارة أن ينوى الرحيل خلال فترة بعد الظهر ، فقد قمت بالاستئذان والرحيل .

فضلاً عن وظيفته غير الرسمية وغير الجديرة بالثقة إلى حد ما كبواب للعديد من الشركات بالميدان ، كان لبريستون وظيفة أخرى . فقد كان يعمل ساعيًا بدون ترخيص . فكل ساعة تقريبًا كان يظهر أمام البوابة الأمامية لشركات زبائنه ـ مكاتب المحامين فى الغالب بالإضافة إلى ثلاثة بنوك ومكاتب وساطة عقارية ومندوبين تأمين والتايمز ـ ويقف هناك لبضع دقائق فى انتظار أخذ شىء يقوم بتسليمه . وهزة بسيطة من رأس السكرتيرة كانت لتجعله يغادر متوجهًا إلى المحطة التالية . وإن كان هناك خطاب أو طرد يجب تسليمه تنتظر السكرتيرات ظهور بريستون ، والذى كان يأخذ البريد ويسلمه في أى مكان . ولكن إن كان الطرد يزن أكثر من عشرة أرطال يرفض بريستون إيصاله . وحيث إنه كان ساعيًا مترجلاً ، فكانت خدماته تقتصر على الميدان وربما بناية أو اثنتين حوله . وفي أى ساعة من ساعات النهار تقريبًا كان يمكن رؤية بريستون في منتصف المدينة ـ يمشى إن كان لا يحمل طردًا ويهرول إن كان بحوزته واحدًا .

ولقد كان فى معظم الأحيان يقوم بإيصال الخطابات بين مكاتب المحامين . وقد كان بريستون أسرع كثيرًا من البريد العادى وأرخص كثيرًا أيضًا . فلم يكن يتقاضى مقابلا . فكان يقول إن ذلك هو واجبه إزاء مجتمعه على الرغم من أنه فى الأعياد كان يتوقع شريحة لحم أو كعكة .

وقد جاء فى وقت متأخر من صباح يوم الجمعه وهو يحمل رسالة من لوشيان ويلبانكس . وقد كنت خائفا من أن أفتحها . فهل يمكن أن تكون هذه هى الدعوى القضائية ذات المليون دولار التى هدد أنه سيرفعها ؟ كان الخطاب يقول :

عزيزى السيد ترانيور :

لقد استمتعت للغاية بالمقال الذى نشرته عن عائلة روفين ، تلك الأسرة البارزة . لقد سمعت الكثير عن إنجازاتها ولكن مقالك كان ينم عن نفاذ بصيرة بالغة . إننى معجب بشجاعتك .

أتمنى أن تواصل هذه المسيرة الإيجابية .

المخلص

لوشيان ويلبانكس

وقد كنت أبغض هذا الرجل ، ولكن من لم يكن ليقدر مثل هذه الرسالة ؟ فقد كان يستمتع بلقبه كليبيرالى راديكالى يتبنى القضايا التى لا تتمتع بالشعبية . لذا فإن دعمه لى فى هذه اللحظة لم يشعرنى بكثير من الراحة . وكنت أعلم أنه فقط مؤقت .

ولم تكن هنالك أية خطابات أخرى ، ولا أية محادثات هاتفية من أشخاص مجهولين ، ولا أية تهديدات . وكنا فى فترة الإجازة المدرسية وكان الجو حارًا . وقد كانت رياح الدمج العرقى المنذرة

بالسوء والمفزعةِ تستعد للهبوب . وبذلك أصبح لدى أهل مقاطعة فورد الطيبين أمور أهم ينشغلون بها .

فبعد عقد من النزاع حول الحقوق المدنية كان العديد من سكان المسيسيبى البيض متخوفين من اقتراب النهاية . فإن أصدرت المحاكم الفيدرالية قرارًا بتطبيق الدمج العرقى فى المدارس ، فما الذى لا يجعلها تطبق نفس القرار فيما يخص دور العبادة والمناطق السكنية ؟

وفى اليوم التالى حضر باجى اجتماعًا عامًا بقبو إحدى دور العبادة . وكان منظمو الاجتماع يرغبون فى جمع الدعم اللازم لوجودٍ مدرسة خاصة للبيض فقط فى كلانتون . وكان الحشد كبيرًا وخائفا وغاضبًا وعاقداً العزم على حماية الأطفال . وقد قام أحد المحامين بتقييم قرارات استئناف المحكمة الفيدرالية وخلص برأى محبط مفاده تطبيق القرار فى هذا الصيف . وقد توقع أن يتم إرسال الأطفال السود فى الصف العاشر وحتى الثانى عشر إلى مدرسة كلانتون الثانوية ، وإرسال الأطفال البيض من الصف السابع وحتى التاسع إلى شارع بيرلى فى لوتاون . وهذا التخمين قد جعل الرجال يهزون رءوسهم والنساء تبكى . ففكرة ذهاب الأطفال البيض إلى الجانب الآخر من البلدة لم تكن مقبولة .

وقد كانت الحكومة تبنى بالفعل مدرسة جديدة . وقد طلبت منا عدم نشر القصة ، على الأقل ليس فىٍ الفترة الحالية . فالمنظمون كانوا يرغبون فى جمع التمويلات أولاً قبل نشر الخبر . وقد انصعنا لرغبتهم . فكان من الأفضل تجنب المعارضة .

وقد قام قاضى فيدرالى فى ممفيس بوضع خطة خاصة بالنقل قامت بتمزيق المدينة إربًا . فأطفال البلدة السود سوف ينتقلون إلى ضواحى البيض وفى طريقهم إلى هناك سوف يقابلون الأطفال البيض

ذاهبين فى الاتجاه الآخر . وقد بلغ التوتر أشده فى ذلك الوقت وقد وجدت نفسى أحاول تجنب المدينة لبعض الوقت .

سوف يكون هذا الصيف طويلاً وحارًا للغاية . لقد بدا الأمر وكأننا فى انتظار حدوث كارثة .

قمت بتفويت أسبوع ثم نشرت الجزء الثانى من قصة السيدة كالى . وفى أسفل الصفحة الأولى نشرت صورًا حديثة للأبناء الأساتذة السبعة . وكانت القصة تتحدث عن أماكن تواجدهم الآن وماذا يفعلون . ودون استثناء أقر جميعهم بحبهم البالغ لكلانتون وولاية مسيسيبى على الرغم من أنهم لا ينون العودة بشكل نهائى إليها . وقد رفضوا انتقاد تلك البلدة التى زجت بهم فى أسوأ المدارس وأبقتهم فى جانب واحد لا يغادرونه ومنعتهم من التصويت وتناول الطعام فى معظم المطاعم وشرب الماء من الصنبور الموجود بمرجة قاعة المحكمة . فقد رفضوا التعليق على أية مظاهر سلبية . وبدلاً من ذلك شكروا الله على نعمه والصحة والأسرة والوالدين وما حققوه إلى الآن .

وقد اندهشت من مدى تواضعهم وطيبتهم . وقد وعدنى كل واحد منهم بمقابلتى فى أثناء عطلة رأس السنة حيث سنجتمع جميعًا بشرفة السيدة كالى نتبادل الحكايات ونأكل فطير البقان .

وقد أنهيت مقالتى الطويلة بتفاصيل تأسر الألباب عن الأسرة . فمن اليوم الذى غادر فيه كل ابن المنزل ، أمره والده بأن يكتب خطابًا واحدًا على الأقل لوالدته كل أسبوع . فقد وجد إيساو أنه من المهم أن تتلقى كالى خطابًا يوميًا . فهم سبعة أبناء . وأيام الأسبوع سبعة . لذا فقد كان ألبيرتو يكتب خطابه يوم الأحد ويرسله . وليوناردو يكتبه يوم الاثنين ويرسله . وهكذا . وفى بعض الأيام

كانت كالى تتلقى خطابين أو ثلاثة وفى أيام أخرى لا يصلها أية خطابات . ولكن التنزه إلى صندوق البريد كان دائمًا ممتعًا .

وقد كانت تحتفظ بكل خطاب . ففى خزانة أمام حجرة النوم أرتنى مجموعة من الصناديق جميعها ممتلئة بخطابات من أبنائها .

وقالت : " سوف أدعك تقرأ بعضها فى يوم ما " . ولكن لسبب ما لم أصدقها ، كما أننى لم يكن لدى رغبة فى قراءتها . فمما لا شك فيه أنها خطابات شخصية للغاية .

الفصل الثالث عشر

تقدم إيرنى جاديس محامى المقاطعة بطلب لزيادة عدد أعضاء هيئة المحلفين . فوفقاً لباجي والذى تزداد خبرته يومًا بعد يوم ، ففى المحاكمات الجنائية النمطية يستدعى موظف المحكمة الطوافة نحو أربعين شخصًا لتشكيل هيئة محلفين . ونحو خمسة وثلاثين من هؤلاء يستطيعون الامتثال للاستدعاء ، ولكن على الأقل خمسة منهم سوف يكونون إما متقدمين في العمر للغاية ، أو مرضى لدرجة لا تجعلهم مؤهلين للانضمام للهيئة . وقد علل فى طلبه أن السبب وراء التماسه هذا هو أن سوء الشهرة التى لحقت بمقتل كاسيلو ستزيد من صعوبة إيجاد أعضاء هيئة محلفين حيادين . لذا فقد طلب من المحكمة استدعاء مائة عضو على الأقل .

وما لم يقله فى طلبه ولكن يعلمه الناس جميعًا هو أن آل بادجيت سيلاقون صعوبة فى ترهيب مائة عضو أكثر من تلك التى سيلاقونها فى ترهيب أربعين . وقد اعترض لوشيان ويلبانكس على ذلك بضراوة وطلب عقد جلسة استماع . وقد قال القاضى لوبس إنه لا حاجة لها ، وأمر بزيادة عدد أعضاء هيئة المحلفين . وقد أقدم

كذلك على خطوة غير مسبوقة وهي عدم الإعلان عن أسماء أعضاء هيئة المحلفين . وقد شعر باجي وأصدقاؤه في الشراب وكل شخص آخر بالصدمة حينما سمعوا هذا . فذلك لم يحدث من قبل ؛ فالمحامون والمتقاضون دائمًا يتلقون قائمة بأسماء أعضاء هيئة المحلفين قبل المحاكمة بأسبوعين .

وقد كان هذا القرار بمثابة انتكاسة كبرى لعائلة بادجيت . فإن كانوا يجهلون أسماء أعضاء هيئة المحلفين فكيف سيقومون برشوتهم أو ترهيبهم ؟

وقد طلب جاديس بعد ذلك من المحكمة أن ترسل استدعاءات الانضمام لهيئة المحلفين بريديًا بدلاً من أن يسلمها شخصيًا أحد مندوبي الشريف . وقد راقت هذه الفكرة للقاضي لوبس أيضًا . فمن الواضح أنه كان مدركًا للعلاقة الحميمة التي تربط بين آل بادجيت وشريفنا . ولم يكن مدعاة للدهشة أن لوشيان ويلبانكس اعترض على هذا القرار أيضًا . وكاستجابة مبالغ فيها ، قام باتهام القاضي بأنه يعامل موكله على نحو مختلف وغير عادل . وحينما قرأت ملف شجبه لهذا القرار اندهشت من مقدرته على كتابة كل هذه الصفحات من التعنيف والتبجح .

لقد كان جليًا أن القاضي لوبس كان عازمًا على ترأس محاكمة عادلة وآمنة . وقد كان يعمل محاميًا بالمقاطعة في الخمسينات قبل أن يترقى إلى منصب القاضي ، وكان معروفًا بأنه يحب الاستعداد جيدًا قبل إقامة الدعاوى . وقد بدا غير مكترث تمامًا لآل بادجيت أو متخوفًا من فسادهم . علاوة على ذلك ، فقد أظهرت الصحافة (وصحيفتي على وجه التحديد) أن داني بادجيت مذنب بما لا يستدعي مجالاً للشك .

وفى يوم الاثنين الموافق الخامس عشر من يونيو - وفى وسط سرية تامة - قام موظف المحكمة الطوافة بإرسال مائة استدعاء للانضمام لهيئة المحلفين لمصوتين مسجلين بكل أنحاء مقاطعة فورد . وقد وصل أحد هذه الخطابات إلى صندوق السيدة كالى المكتظ بالرسائل . وعندما ذهبت إليها لتناول الغداء فى يوم الخميس أرتنى إياه .

فى عام ١٩٧٠ كان ٢٦٪ من سكان مقاطعة فورد من السود و ٧٤٪ من البيض ، دون تواجد أى مخلطين أو أعراق أخرى . وبعد ست سنوات من صيف عام ١٩٦٤ الملتهب والصاخب وخمس سنوات من إصدار قانون حق التصويت فى عام ١٩٦٥ ، كان القليلون فقط هم من يكترثون لتسجيل أسمائهم فى مقاطعة فورد . ففى انتخابات الولاية التى أجريت عام ١٩٦٧ فقد قام نحو ٧٠٪ من البيض المؤهلين للانتخاب فى المقاطعة بالتصويت فى حين أن ١٢٪ فقط من السود هم من فعلوا ذلك. فسكان لوتاون لم يهتموا كثيرًا بالحصول على حق الاقتراع . ولعل أحد أسباب ذلك هو أن السواد الأعظم من أهل المقاطعة من البيض مما لن يتيح لأحد السود الفرصة كى يترقى عن طريق الانتخاب لإحدى الوظائف الرسمية . لذا فما الداعى للاهتمام بمثل هذا الأمر ؟

وهناك سبب آخر : هو الاضطهاد الطويل للسود فيما يختص بمسألة التسجيل أو إدراج الأسماء . فطوال مائة عام يستخدم البيض مجموعة كبيرة من الحيل للحيلولة دون اشتراك السود فى التصويت . فرض ضرائب على الاقتراع واختبارات الأمية ، والقائمة طويلة ومحزنة .

ولكن هناك سببًا آخر هو تردد معظم السود فى تسجيل أسمائهم فى أية أنشطة تخضع لسلطة البيض . فالتسجيل قد يعنى المزيد من الضرائب والمزيد من الإسراف والمزيد من التطفل . وهو قد يعنى كذلك الخدمة فى هيئة المحلفين .

ووفقًا لهارى ريكس ـ والذى كان يعد مصدرًا قانونيًا موثوقًا فيه أكثر من باجى ـ فلم ينضم أى شخص أسود من قبل لهيئة المحلفين بمقاطعة فورد . فحيث إن المحلفين يتم اختيارهم من صناديق المصوتين ولا مكان آخر ، كان عدد قليل فقط من السود هم من يستدعون كأعضاء هيئة محلفين . وهؤلاء الذين يتمكنون من اجتياز الجولات الأولى من الاستجواب يتم استبعادهم فى العادة قبل إدراج الاثنى عشر عضوًا النهائيين بجدول المحلفين . ففى القضايا الجنائية ، تدعى جهة الادعاء بأن السود سيكونون شديدى التعاطف مع المتهم . وفى القضايا المدنية كان المدعى العام يتحدى السود قائلا إنهم سيخشون إصدار الأحكام بشأن أموال الآخرين .

ومع ذلك ، فلم يسبق لأحد التأكد من صحة هذه النظريات فى مقاطعة فورد .

وقد سجل كل من كالى وإيساو روفين اسميهما للتصويت فى عام ١٩٥١ . فقاما معًا بالذهاب إلى مكتب موظفة المحكمة الطوافة ، وطلبا منها إضافة اسميهما إلى قائمة المقترعين . وقد قامت الموظفة ـ كما كانت مدربة أن تفعل ـ بتسليم بطاقة مصفحة تحمل عنوان " إعلان الاستقلال " . وكان النص مكتوبًا بالألمانية .

وقد قالت الموظفة ـ والتى افترضت أن السيد والسيدة روفين أميان شأنهما فى ذلك شأن معظم السود فى مقاطعة فورد ـ " هل تستطيعان قراءة هذه ؟ " .

قالت كالى : " إنها ليست مكتوبة بالإنجليزية ، بل بالألمانية " .

قالت الموظفة بعد أن أدركت أن هذين الاثنين قد يجعلاها تنشغل قليلاً : " هل تستطيعان قراءتها ؟ " .

قالت كالى بأدب : " أستطيع أن أقرأ منها ما تستطيعين أنتِ قراءته " .

أخذت الموظفة البطاقة وسلمتهما واحدة أخرى . وسألت : " هل تستطيعان قراءة هذه ؟ " .

قالت كالى : " نعم ، إنه ميثاق الحقوق " .

" ماذا يقول البند رقم ثمانية ؟ " .

قرأته كالى ببطء ثم قالت : " التعديل الثامن يحظر الغرامات المبالغ فيها والعقوبات القاسية " .

وفى هذا الوقت تقريبًا ـ وفقًا لرواية أحد الزوجين ـ اتكأ إيساو ناحية الموظفة وقال : " إننا من أصحاب الأملاك " ، ثم وضع وثيقة امتلاك منزلهما على الطاولة أمام الموظفة والتى أخذتها وتفحصتها . ولم يكن امتلاك عقارات شرطًا من شروط الانتخاب ، ولكنه كان أحد مصادر القوة بالنسبة للسود . قالت الموظفة حينما لم تجد شيئًا آخر لتفعله : " حسنًا . إن ضريبة الاقتراع ستكون دولارين لكل واحد منكما " . سلمها إيساو المال ، وبذلك أصبحا يتمتعان بحق التصويت بجانب واحد وثلاثين شخصًا أسود آخر ، لم يكن من بينهم امرأة .

ومنذ ذلك الحين ، لم يفوتا انتخابًا واحدًا دون الإدلاء بصوتيهما . وكانت السيدة كالى دائمًا تشكو من أصدقائها الذين لا

يكترثون لمسألة تسجيل أسمائهم والانتخاب ، ولكنها كانت منشغلة للغاية في تربية أطفالها الثمانية لدرجة لم تسمح لها بفعل شيء حيال هذا الأمر . فقد عانت مقاطعة فورد مثلها مثل معظم الولايات من التعصب العنصرى ، لذا فلم يكن هناك قط أية حركة منظمة لتسجيل السود .

وفى البداية لم أعرف إن كانت قلقة أم سعيدة . وأنا لم أكن واثقًا أنها تعلم حقيقة شعورها كذلك . فأول امرأة سوداء تتمتع بحق الانتخاب قد تكون هي أول امرأة سوداء تنضم لهيئة المحلفين . وهي لم تنسحب قط من أمام أى تحدٍ ولكنها لديها مخاوف أخلاقية بالغة من إصدار أحكام على شخص آخر . فقد كانت تقول دومًا : " لا تحاسب الآخرين قبل أن تحاسب نفسك " .

سألتها : " ولكن إن اتبع الجميع هذه النصيحة ، فسوف ينهار نظامنا القضائى برمته ، أليس كذلك ؟ " .

قالت وهي تحدق بعيدًا : " لا أعلم " . ولم أر السيدة كالى من قبل مشغولة الفكر بهذه الطريقة .

وكنا نأكل دجاجًا محمرًا وبطاطس مهروسة وصلصة مرق اللحم . ولم يأت إيساو لتناول الغداء بالمنزل .

سألتنى : " كيف أحكم على شخص أعلم جيدًا أنه مذنب ؟ " .

قلت : " تستمعين أولاً للأدلة . وأنت لديك عقل متفتح ، لذا فلن يكون الأمر صعبًا " .

" ولكنك تعلم أنه قتلها . فلقد قلت ذلك فى جريدتك " . ولقد كان صدقها قاسيًا وموجعًا فى كثير من الأحيان .

" إننا فقط قمنا بنشر الحقائق يا سيدة كالى . فإن كانت الحقائق تجعله يبدو مذنبًا ، فليكنِ كذلك " .

وكانت فترات الصمت طويلة وعديدة فى هذا اليوم . فقد كانت مستغرقة فى تفكير عميق ولم تأكل سوى القليل .

سألت : " ماذا عن عقوبة الموت ؟ هل سيضعون ذلك الفتى فى غرفة الغاز ؟ ".

" نعم يا سيدتى ، إنها جريمة قتل من الدرجة الأولى " .

" ومن الذى يصدر قرار إعدامه ؟ " .

" هيئة المحلفين " .

" يا إلهى ! " .

ولم تستطع تناول أى طعام بعد ذلك . وقد قالت إن ضغط دمها قد ارتفع منذ أن تلقت خطاب الاستدعاء . وقد ذهبت بالفعل إلى الطبيب . وقد ساعدتها على الذهاب إلى الأريكة فى حجرتها الصغيرة وجلبت لها كوبًا من الماء المثلج . وقد أصرت على أن أنتهى من طعام غدائى ، وقد انصعت لطلبها فى سعادة وهدوء . وبعد قليل تحسنت حالتها بعض الشىء وجلسنا بالشرفة على المقعدين الهزازين نتحدث عن كل شىء ، فيما عدا دانى بادجيت ومحاكمته .

وأخيرًا استطعت الضغط عى الزر الصحيح عندما سألتها عن تأثير أصلها الإيطالى على حياتها . ففى أثناء تناولنا لطعام الغداء المرة الأولى أخبرتنى بأنها تعلمت الإيطالية قبل أن تتعلم الإنجليزية . وكان لسبعة من أبنائها أسماء إيطالية .

وقد كانت على وشك أن تقص علىّ قصة طويلة . وأنا لم يكن لدى شىء آخر لأفعله .

في التسعينات من القرن التاسع عشر ارتفعت أسعار القطن بشكل حاد حيث زاد الطلب عليه في كل أنحاء العالم . لذا فإن الأراضي الخصبة بالجنوب كانت واقعة تحت ضغط إنتاج المزيد من محصول القطن . وكان أصحاب الأراضي الكبيرة في دلتا ولاية مسيسيبي بحاجة لزيادة محاصيلهم ، ولكنهم كانوا يجابهون مشكلة كبرى ألا وهي نقص العمالة . ومعظم السود الذين كانوا يتمتعون بالصحة البدنية فروا من الأرض التي كدح بها أجدادهم بحثاً عن حياة أفضل في الولايات الشمالية . وهؤلاء الذين بقوا لم يكونوا متحمسين بالطبع لفكرة تقطيع وجمع القطن مقابل أسعار زهيدة .

وقد واتت أصحاب الأراضي فكرة استيراد عمالة من أوروبا لتقوم بزراعة القطن . ومن خلال الاتصال بوكالات التوظيف الإيطالية في نيويورك ونيو أورليانز ، أبرمت الاتفاقيات وقطعت الوعود ونسجت الأكاذيب وزورت العقود ، وفي عام ١٨٩٥ وصلت أول شحنة من الأسر بميناء دلتا . وقد كانوا من شمال إيطاليا ، من منطقة إميليا رومانيا بالقرب من فيرونا . ولم يتلق معظمهم سوى قدر ضئيل من التعليم ولم يكونوا يتحدثون سوى القليل من الإنجليزية ، ولكنهم سرعان ما أدركوا أنهم قد أرسلوا إلى الجحيم . فقد هيأ لهم أصحاب الأراضي ظروفاً معيشية بائسة ، ووجدوا أنفسهم يعيشون في مناخ شبه استوائي حيث تفشى الملاريا والناموس والثعابين ومياه الشرب القذرة ، وقد طلب منهم زراعة القطن مقابل أجور لا يستطيع أحد الاكتفاء بها . لذا فقد اضطروا إلى اقتراض أموال بنسب كبيرة من أصحاب الأراضي . وكانوا يبتاعون الطعام والمؤن الأخرى من متجر الشركة بأسعار باهظة .

ولأن الإيطاليين كانوا يعملون بكد ، فقد أراد أصحاب الأراضي منهم المزيد . لذا فقد أخفوا طبيعة أعمالهم وقطعوا المزيد من الوعود للمزيد من وكالات التوظيف الإيطاليين وظل المهاجرون يتوافدون على المدينة . وقد تم تطبيق نظام حديث للسخرة التأجيرية ، وكان الإيطاليون يتلقون معاملة أسوأ كثيرًا من تلك التى يتلقاها المزارعون السود .

وبمضى الوقت ، بذل بعض الجهد لتقسيم الأرباح ونقل ملكية الأراضى ، ولكن أسواق القطن كانت فى حالة تقلب مستمر مما كان يضرب بتلك الجهود عرض الحائط . وبعد عشرين عامًا من الاضطهاد تفرق الإيطاليون فى النهاية وأصبحت التجربة فى طى النسيان .

وهؤلاء الذين ظلوا فى الدلتا كان يُنظر إليهم بوصفهم مواطنين من الدرجة الثانية طوال عقود . فقد تم إبعادهم عن المدارس ودور العبادة . ولم يكن متاحًا لهم أيضًا الذهاب لنوادى المدينة . فكانوا منبوذين وملقى بهم فى قاع المجتمع . ولكن لأنهم كانوا يعملون بكد ويوفرون أموالهم ، فقد استطاعوا ببطء شراء الأراضى .

وقد وصلت عائلة روزيتي بالقرب من ليلاند إلى المسيسيبى فى عام ١٩٠٢ . كانوا من قرية بالقرب من بولونيا ولكن حظهم التعس أوقعهم أمام الموظف الخطأ بوكالة التوظيف بالمدينة فاستمعوا له . وقد جلب السيد والسيدة روزيتي معهما أربع بنات ، أكبرهن كانت نيكولا ، وكانت تبلغ من العمر اثنى عشر عامًا . وعلى الرغم من أنهم عانوا من الجوع كثيرًا فى العام الأول فقد استطاعوا تجنب التعرض لمجاعة عامة . وقد بلغت ديون هذه الأسرة التى وصلت إلى الولايات المتحدة وهى لا تحمل بنساً واحدًا إلى ستة آلاف دولار بعد ثلاث سنوات من العمل بنظام السخرة التأجيرية ، ولم يكن هناك

وسيلة لتسديدها . وقد هربوا من الدلتا في منتصف الليل واستقلوا شاحنة صندوقية إلى ممفيس حيث أخذهم قريب لهم هناك .

وفي سن الخامسة عشر أصبحت نيكولا بالغة الجمال . شعر أسود طويل وعينان بنيتان ـ جمال إيطالى كلاسيكى . وقد بدت أكبر من سنها ونجحت في امتهان وظيفة بمتجر ملابس بعدما أخبرت المالك أنها في الثامنة عشر . وبعد ثلاثة أيام ، طلب منها المالك الزواج . فقد كان مستعدًا أن يطلق زوجته بعد عشرين عامًا ويودع أطفاله نهائيًا لو وافقت نيكولا على الهروب معه . وقد رفضت نيكولا . وقد عرض على السيد روزيتى مبلغ ٥٠٠٠ دولار كي يوافق على الزيجة ، فرفض أيضًا .

وفي هذه الأيام ، كان أصحاب الأراضى الأثرياء في مسيسيبى الشمالية يتسوقون ويزورون أقرباءهم في ممفيس في العادة بالقرب من فندق بيابودى . وهناك التقى السيد زاكارى ديجارنيت من كلانتون بنيكولا روزيتى . وبعد أسبوعين تزوجا .

وقد كان في الحادية والثلاثين من عمره وأرمل وليس له أطفال ويبحث عن زوجة . وقد كان كذلك صاحب أكبر أراضى بمقاطعة فورد والتى على الرغم من أنها لم تكن في نفس خصوبة أراضى دلتا إلا أنها كانت مازالت مربحة إن امتلكت ما يكفى منها . وقد ورث السيد ديجارنيت أكثر من أربعة آلاف أكرات من الأرض عن أسرته . وكان جده يملك في يوم ما جد كاليا هاريس روفين .

وكانت تلك الزيجة عبارة عن صفقة . فكانت نيكولا تتمتع بعقل راجح يسبق سنها وحاولت حماية أسرتها بشتى الطرق . فقد عانوا كثيرًا . ولقد رأت فرصة سانحة وانتهزتها بقدر استطاعتها . فقبل أن توافق على الزواج جعلت السيد ديجارنيت لا يقطع فقط وعدًا بتوظيف والدها كمشرف على المزرعة بل بتوفير منزل مناسب

لأسرتها . ووافق كذلك على دفع مصروفات تعليم أخواتها الثلاث الأصغر . ووافق على دفع ديون السخرة التأجيرية بالدلتا . فقد كان السيد ديجارنيت متيمًا للغاية لدرجة كانت تجعله ليفعل أى شىء .

وهكذا لم يصل أول وفد إيطالى إلى مقاطعة فورد فى عربة ثيران مكسورة بل فى قطار إلينوى المركزى على الدرجة الأولى . وقد أخذ وفد ودود أمتعتهم الجديدة وقادوهم إلى سيارتين فورد موديل ١٩٠٤ . وكان عائلة روزيتى تعامل معاملة العائلة المالكة حينما كانوا يذهبون من حفل إلى آخر بصحبة السيد ديجارنيت فى كلانتون . وكانت المدينة لا تتحدث عن شىء فى ذلك الوقت سوى جمال العروس وسحرها . وكانت هناك أقاويل عن إقامة حفل زواج ضخم فى ممفيس ، ولكن حيث إن كلاً من العريس والعروس ينتميان لطائفة دينية مختلفة فقد ألغيت الفكرة . وكان عليهما كذلك مناقشة هذه المشكلة الشائكة معًا وتسويتها ، ولكن فى ذلك الوقت إن كانت نيكولا قد طلبت من السيد دوجارنيت أن يعتنق أى ديانة ، لم يكن ليرفض .

وأخيرًا وصلت الأسرة إلى المنزل الرئيسى بأطراف المدينة . وعندما دخلت العائلة بالمشى الأمامى الطويل ورأوا القصر الذى شيده السيد ديجارنيت الأكبر ، انفجروا جميعًا فى البكاء .

وقد تقرر أن يعيشوا هناك حتى يتم تجديد المنزل ويصبح مناسبًا . وقد قامت نيكولا بواجباتها كسيدة القصر على أكمل وجه وحاولت جاهدة أن تعمل . وقد جلبت لأخواتها الأصغر مدرسين خصوصيين ، وفى غضون أسابيع كن يتحدثن الإنجليزية بطلاقة . وكان السيد روزيتى دومًا بصحبة زوج ابنته والذى كان يصغره بثلاث سنوات فقط ، وتعلم منه كيف يدير المزارع .

أما السيدة روزيتى فقد ذهبت إلى المطبخ حيث تقابلت مع جدة كالى ، إنديا .

قالت السيدة كالى : " كانت جدتى تعمل طاهية لدى عائلة ديجارنيت وكذلك والدتى . وقد ظننت أننى سأرث نفس هذه الوظيفة أيضًا ، ولكن سارت الأمور بشكل مختلف " .

سألتها : " وهل أنجب زاك ونيكولا أطفالاً ؟ " . كنت أحتسى كوب الشاى الثالث أو الرابع . وقد كان ساخنًا فقد ذاب الثلج . إن السيدة كالى تتحدث منذ ساعتين وقد تناست أمر استدعاء المحكمة وجريمة القتل .

" لا . وكان ذلك مؤسفًا للغاية لأنهما أرادا أطفالاً بشدة . وحينما ولدت في عام ١٩١١ أخذتنى نيكولا تقريبًا من والدتى . وقد أصررت أن أحظى باسم إيطالى . وقد أبقتنى بالمنزل الكبير معها . ولم تمانع أمى ذلك ـ فقد كان لديها أطفال آخرون كثيرون ، ولكنها كانت فى المنزل طوال اليوم " .

سألتها : " وماذا كان يفعل والدك ؟ " .

" كان يعمل بالمزرعة . وقد كان مكانًا رائعًا للعمل والعيش فيه . فقد كنا محظوظين للغاية لأن آل ديجارنيت كانوا يعتنون بنا . لقد كانوا أناسًا طيبين ونزهاء . ولم يكن هذا هو الحال دومًا مع الكثير من السود . ففى ذلك الحين كان الشخص الأبيض الذى يمتلك منزلك هو المهيمن على حياتك . فإن كان دنيئاً ومستبدًا تتحول حياتك إلى جحيم . أما ديجارنيت فكانوا أناس رائعين . فقد كان أبى وجدى وجدى الأكبر يعملون جميعًا بأراضيهم ولم يتعرضوا للظلم يومًا " .

" وماذا عن نيكولا ؟ " .

ابتسمت لأول مرة منذ ساعة ، وقالت : " لقد كنت محظوظة حقًا ، فقد حبانى الله بأمين . فكانت تكسونى ملابساً تشتريها من

ممفيس . وعندما بلغت العامين علمتنى تحدث الإيطالية حينما كنت أتعلم الإنجليزية . وقد علمتنى كيف أقرأ عندما كنت فى الثالثة من عمرى " .

" وهل مازلت تتحدثين الإيطالية ؟ " .

" لا . لقد كان ذلك منذ زمن بعيد . وقد كانت تحب أن تحكى لى عن طفولتها فى إيطاليا ، ووعدتنى أنها ستأخذنى يومًا ما إلى هناك لأرى القنوات فى فينيسيا والفاتيكان فى روما والبرج فى بيزا . وكانت تحب أن تغنى وعلمتنى عن الأوبرا أشياءً كثيرة " .

" وهل كانت متعلمة ؟ " .

" تلقت والدتها بعض التعليم ؛ ولكن والدها لم يكن متعلمًا ، وقد بذلت قصارى جهدها كى تتعلم أخواتها القراءة والكتابة . وقد وعدتنى أننى سأذهب إلى الجامعة بمكان ما فى الولايات الشمالية أو ربما فى أوروبا حيث كان الناس أكثر ودًا . ولكن فكرة ذهاب امرأة سوداء إلى الجامعة فى عام ١٩٢٠ كانت محض جنون " .

وقد كانت القصة متشعبة ، وقد رغبت فى تسجيل بعضها ولكننى لم أجلب دفتر ملاحظاتي . فقصة فتاة سوداء صغيرة تعيش فى قصر وتتحدث الإيطالية وتستمع إلى الأوبرا فى المسيسيبى قبل خمسين عامًا لابد أن تكون فريدة حقًا .

سألتها : " وهل عملتِ فى المنزل ؟ " .

" نعم ، حينما أصبحت أكبر سنًا . فقد كنت رئيسة شئون المنزل ، ولكننى لم أعمل يومًا بكد مثل الآخرين . فقد كانت نيكولا تريدنى دومًا بالقرب منها . فطوال ساعة على الأقل كل يوم كنا نجلس فى حجرتها ونتدرب على النطق . فقد كانت عازمة على التخلص من اللكنة الإيطالية ، وكانت مصممة كذلك على أن أتحدث إنجليزية صحيحة وواضحة . وكانت هناك مدرسة متقاعدة من

المدينة ، السيدة تاكر ، سيدة عجوز ، وأنا لن أنساها قط ، كانت نيكولا ترسل إليها سيارة كل يوم لتأتى بها . وفى أثناء احتساء الشاى الساخن كنا نقرأ درسًا وتقوم السيدة كالى بتصحيح ولو أبسط الأخطاء بالنطق . وقد درسنا القواعد النحوية ، وكنا نحفظ المفردات . وظلت نيكولا تتدرب حتى أتقنت الإنجليزية تمامًا " .

" وماذا حدث لفكرة الذهاب للجامعة ؟ " .

ولكنها أصبحت فجأة منهكة وانتهى وقت سرد الحكايات فقالت : " كان الأمر مؤسفًا للغاية يا سيد ترايينور . حيث فقد السيد ديجارنيت كل ثروته فى عام ١٩٢٠ . فقد استثمر الكثير من الأموال فى السكك الحديدية والسفن والبورصة وما إلى ذلك ، وأصبح مفلسًا بين عشية وضحاها تقريباً . وقد أطلق النار على نفسه ، ولكن تلك قصة أخرى " .

" وماذا عن نيكولا ؟ " .

" استطاعت أن تحتفظ بالمنزل الكبير حتى الحرب العالمية الثانية ثم عادت إلى ممفيس مع السيد والسيدة روزيتى . وكنا نتبادل الخطابات كل أسبوع طوال سنوات . وقد توفيت منذ أربع سنوات وهى فى السادسة والسبعين من عمرها . وقد ظللت أبكى طوال أسبوع . ومازلت أبكى حينما أتذكرها . فلقد أحببت هذه السيدة بشدة " . وقد ظهر عليها أمارات التعب وعرفت من التجربة أنها بحاجة لغفوة .

وفى وقت متأخر من هذه الليلة دفنت نفسى فى أرشيف التايمز . وفى يوم الثانى عشر من سبتمبر من عام ١٩٣٠ نشرت قصة بالصفحة الأمامية عن انتحار زاكارى ديجارنيت . فبعد إصابته بالاكتئاب جراء انهيار أعماله ، ترك وصية جديدة وخطاب وداع لزوجته نيكولا ، وبعد ذلك ، ولتيسير الأمور على الجميع ، ذهب

إلى دار الجنائز بكلانتون ، وسار حتى الباب الخلفي وهو يمسك ببندقية ذات ماسورتين ، ودخل غرفة التحنيط وجلس على مقعد ثم خلع حذاءه ووضع البندقية في فمه وجذب الزناد بإصبع قدمه الأكبر .

الفصل الرابع عشر

فى يوم الاثنين الموافق ٢٢ يونيو ، جاء جميع أعضاء هيئة المحلفين المائة فيما عدا ثمانية إلى محاكمة دانى بادجيت . وكما اكتشفنا سريعًا ، فقد كان أربعة منهم متوفين وأربعة آخرين اختفوا ببساطة . أما بالنسبة لمن جاءوا ، فقد بدوا متحمسين . وقد قال باجى إن المحلفين فى العادة لا يملكون أدنى فكرة عن القضية التى استدعوا للتحكيم فيها ، لذا فإنهم لا يدرون موعد المحاكمة . ولكن لم يكن هذا هو الحال مع محاكمة بادجيت . فكل كائن حى فى مقاطعة فورد كان يعلم أن اليوم المشهود قد جاء أخيرًا .

ولم يكن هناك أى شىء يضاهى محاكمة متهم بالقتل يجعل مثل هذا الحشد يتوافد بهذه الطريقة ، فقد كانت قاعة المحكمة مكتظة بالمواطنين من قبل الساعة التاسعة صباحًا . وكان أعضاء هيئة المحلفين يملأون أحد الجانبين ، بينما يملأ المشاهدون الجانب الآخر . وقد كانت الشرفة القديمة تتدلى فوقنا . وكان الناس مصطفين بجانب الجدران . وكاستعراض للقوة ، كان الشريف كولى وكل شخص آخر يرتدى البزة العسكرية بالبلدة موجود بالقاعة

يتجول هنا وهناك متظاهرًا بأنه شخص مهم دون أن يفعل شيئًا ذا قيمة . يا له من توقيت مثالى لنهب أحد البنوك !

وقد جلسنا أنا وباجى فى الصف الأمامى . فقد أقنع موظف المحكمة الطوافة بأننا نمثل الصحافة لذا فينبغى أن نجلس فى مقاعد خاصة . وكان يجلس بجانبى مراسل إحدى الصحف فى توبيلو ، وكان رجلاً لطيفًا والذى ظل يدخن الأرغن من النوع الرخيص . وقد أمددته بتفاصيل الجريمة . وقد بدا منبهرًا بكم المعلومات التى لدىّ .

وقد كان عدد كبير من عائلة بادجيت متواجدًا بقاعة المحكمة . وكانوا يجلسون على مقاعد جذبوها بالقرب من طاولة الدفاع واجتمعوا حول دانى ولوشيان ويلبانكس وكأنهم عصابة ـ كما كانوا بالفعل . وقد كانوا متعجرفين وفاسدين ولم أملك إلا أن أبغض كل واحد فيهم . وأنا لم أعرفهم بالاسم ، ومعظم الحاضرين كانوا مثلى . ولكن بينما كنت أراقبهم تساءلت أيهم كان مفتعل الحرائق غير الكفؤ الذى تسلل إلى غرفة طباعتنا وهو يحمل جالونات الجازولين . وكنت أضع مسدسى فى حقيبة يدى . وكنت واثقًا من أنهم يحتفظون بمسدساتهم فى مكان قريب كذلك . وإن قام أحدهم بحركة غادرة هنا أو هناك فسوف تنطلق طلقة نارية على الفور . فقط يبعد الشريف كولى وفتيانه السعداء غير المدربين على شىء سوى إطلاق النار وسوف تحدث مذبحة تردى نصف سكان المدينة قتلى .

وقد رأيت بعض التحديقات من عائلة بادجيت ، ولكنهم كانوا أكثر قلقًا حيال أعضاء هيئة المحلفين . كانوا يراقبونهم عن كثب وهم يتوافدون داخل قاعة المحكمة ويتلقون التعليمات والإرشادات من الموظف . وكان آل بادجيت ومحاموهم ينظرون إلى قوائم وجدوها فى مكان ما ، وكانوا يضاهون بين الملاحظات .

وكان دانى يرتدى قميصًا أبيض ذا أكمام طويلة وبنطالاً كاكى اللون . وكما نصحه ويلبانكس ، فقد كان يبتسم كثيرًا كما لو أنه حقا فتى ظريف كانت براءته على وشك أن تظهر .

وعبر الممشى كان إيرنى جاديس وفريق عمله الصغير يراقبون أيضًا أعضاء هيئة المحلفين . وكان لجاديس اثنان من المساعدين ، أحدهما محامٍ والآخر مدعى عام يعمل بدوام جزئى يدعى هانك هوتن . كان المحامى الآخر يحمل الملفات والحقائب . وقد بدا أن هوتن ليس لديه الكثير ليفعله ، ولكنه هناك فقط حتى يجد إيرنى شخصًا ما يتشاور معه .

وقد مال باجى علىّ وكان الوقت قد حان كى يهمس لى قائلاً : " هذا الرجل هناك ، ذلك الذى يرتدى حلة بنية " ، ثم أشار ناحية هوتن ومال : " لقد كان على علاقة برودا كاسيلو " .

شعرت بالصدمة وانعكس ذلك على وجهى . استدرت ناحية اليمين ونظرت إلى باجى . أومأ باعتداد بالنفس وقال ما يقوله دومًا حينما يكون بصدد إذاعة خبر حقير لم يسبقه أحد إليه . همس لى : " إن ذلك هو ما أقوله لك " . وذلك يعنى أنه ليس لديه شكوك . وكان باجى فى معظم الأحيان مخطئا ، ولا يساوره أدنى شك فيما يقوله .

بدا أن هوتن فى الأربعين من عمره وكان ذا شعر رمادى ـ مصفف بطريقة لطيفة ـ ووسيم إلى حد ما . همست : " من أين هو ؟ " . كانت قاعة المحكمة تعج بالضوضاء بينما كنا فى انتظار القاضى لوبس .

" من هنا . إنه يعمل ببعض شئون العقارات ، وبعض الأعمال الخفيفة . إنه أبله حقًا . وقد طلق مرتين ، ودائمًا بفضيحة " .

" وهل يعلم جاديس أن مساعده كان على علاقة بالضحية ؟ " .

" بالطبع لا . فلو علم لأبعده عن القضية " .

" هل تظن أن ويلبانكس يعلم هذا الأمر ؟ " .

قال باجى بمزيد من الاعتداد بالنفس : " لا أحد يعلم " . لقد بدا الأمر وكأنه ضبطتهما معًا ثم كتم الأمر إلى أن كشفه فى تلك اللحظة فى قاعة المحكمة . ولم أكن واثقًا من أننى صدقت هذا الخبر .

وصلت السيدة كالى قبل التاسعة ببضع دقائق . وقد دخل إيساو معها إلى قاعة المحكمة ، ولكنه اضطر إلى أن يغادر حينما لم يجد مقعداً شاغراً . وقد تحدثت إلى الموظف ثم جلست فى الصف الثالث . وقد أعطاها استفتاء لتملأه .وقد تلفتت حولها بحثًا عنى ولكن كان يقف العديدون بيننا . وقد رأيت أربعة أشخاص سود آخرين ضمن أعضاء هيئة المحلفين .

وقد جأر الحاجب بصوت مرتفع كى نقف . وقد طلب منا القاضى لوبس الجلوس ، واهتزت الأرض . ثم بدأ العمل فورًا وبدا أنه فى حالة معنوية مرتفعة . فلقد كان لديه قاعة محكمة مكتظة بالمصوتين وكان على وشك ترشيح نفسه مرة ثانية فى الانتخابات خلال عامين ، على الرغم من أنه ليس هناك مَنْ يرشح نفسه أمامه . وقد تم استبعاد ستة محلفين لأنهم يبلغون من العمر أكثر من خمسة وستين عامًا . وتم استبعاد خمسة لأسباب طبية . وقد بدأ النهار ينحسر تدريجيًا . ولم أستطع أن أرفع عينى من على هانك هوتن . لقد بدا بالفعل أنه زير نساء .

وعندما انتهت الأسئلة التمهيدية انخفض عدد أعضاء هيئة المحلفين المؤهلين إلى ٧٩ عضوًا . وكانت السيدة كالى تجلس فى ذلك الوقت بالصف الثانى ، وهو الأمر الذى لم يكن ينذر بالخير إن كانت تريد أن تتجنب الخدمة فى هيئة المحلفين . وقد ترك القاضى

لوبس الكلمة لإيرنى جاديس والذى قدم نفسه ثانية للهيئـة وشـرح بإسهاب أنه يمثل ولاية مسيسيبى ودافعى الضرائب والمواطنين الذى انتخبوه لمقاضاة هؤلاء الـذين يرتكبـون الجـرائم . لقـد كـان محـامى الشعب .

وقـد كـان هنـاك لمقاضـاة دانـى بادجيت والـذى أدانتـه هيئـة المحلفين الكبرى المشكلة من مواطنين آخرين بتهمة اغتصـاب وقتـل رودا كاسيلو . وقد سألهم إن كان أحدهم لم يسمع عن جريمـة القتـل هذه ؟ فلم يرفع أى منهم يده .

وقد ظل إيرنى يتحدث إلى المحلفين طـوال ثلاثـين عامًـا . وكـان ودودًا وحانيًا وأعطى الجالسين انطباعًا بأنه يمكن مناقشـة أى شـىء معه حتى فى أثناء انعقاد الجلسة . ثم بـدأ يـدخل مجـال الترهيـب شيئاً فشيئًا . هل اتصل بكم أى شخص من خارج العائلة يسألكم عـن هذه القضية ؟ شخص غريب ؟ هل حاول صديق التـأثير علـى رأيكم حيال الجريمـة ؟ إن استدعاءاتكم أرسلت إلـيكم بريـديًا ، وكانـت قائمة المحلفين سـرية . لـذا فمـن المفترض أنـه لا أحـد يعلـم أنكم مرشحون للانضمام لهيئة المحلفين . هـل ذكـر أى أحـد هـذا الأمـر لكم ؟ هل هددكم أحد ؟ هل عرض عليكم أى أحد شيئًا ؟ وكانت قاعة المحكمة شديدة الهدوء عندما كان إيرنى يطرح هذه الأسئلة .

ولم يرفع أحد يده ، وكان هذا متوقعًـا . ولكـن إيرنـى نجـح فـى إيصـال رسـالة مفادهـا أن هـؤلاء النـاس ـ آل بادجيـت ـ يمارسـون أعمالاً مشبوهة فى مقاطعة فورد ، فقد رسم سحابة سوداء حولهم ، وترك انطباعًا أنه بوصفه محامى المقاطعة والشعب يعلم الحقيقة .

وقـد اختـتم مرافعتـه بسـؤال اخـترق قاعـة المحكمـة كالطلقـة الناريـة : " هـل تعلمـون جميعًـا أن محاولـة التـأثير علـى هيئـة المحلفين تعد جريمة ؟ " .

ويبدو أنهم كانوا يعلمون ذلك .

" وأنا بصفتي المدعى العام سوف أتعقب وأتهم وأقاضى أى شخص يحاول التأثير على هيئة المحلفين . هل تفهمون ذلك جيدًا ؟ " .

وعندما انتهى إيرنى شعرنا جميعًا بالرهبة . فأى شخص سوف يتحدث عن القضية - وهو الأمر الذى كان يفعله كل شخص فى المقاطعة - يبدو أنه سيواجه خطر ملاحقة واتهام إيرنى له .

همس لى المراسل من توبيلو قائلاً : " إنه مقنع حقًا " .

وقد بدأ لوشيان ويلبانكس مرافعته بخطبة مسهبة ومملة للغاية عن افتراض البراءة وكيف أنها أساس التشريع الأمريكى . فبغض النظر عما تقوله الصحيفة المحلية - وهنا فى هذه اللحظة نظر بازدراء ناحيتي - فإن موكله الجالس هناك برئ . وأى شخص يرى خلاف ذلك فعليه أن يرفع يده أو يدها الآن ويقول ذلك .

ولم يرفع أحد يده : " جيد . إذن بصمتكم هذا أنتم تخبرون المحكمة - جميعكم - أن دانى بادجيت برئ . هل يمكنكم فعل هذا ؟ " . وقد ظل يتحدث عن هذه النقطة طويلاً وبعد ذلك بدأ مرافعة أخرى خلاصتها تحديه للمحكمة أن تستطيع بما ليس فيه مجالاً للشك أن تثبت التهمة على موكله .

وقد كنا جميعًا - بما فى ذلك المحلفين والرجال الحكماء الذى كتبوا الدستور الأمريكى وميثاق الحقوق - نسلم بهذين القانونين المقدسين .

وكنا نقترب من فترة الظهيرة وكان الجميع متلهفًا للاستراحة . ولكن ويلبانكس لم يبد أنه قد داهمه التعب وظل يثرثر . وعندما جلس فى الثانية عشرة وخمسين دقيقة أعلن القاضى لوبس أنه يشعر

بجوع شديد ، وأننا سوف ننال قسطًا من الراحة حتى الساعة الثانية .

تناولت أنا وباجي ساندوتشات بالطابق العلوى مع بعض أصدقائه ، وهم ثلاثة محامين عجائز متقاعدين والذين لم يفوتوا محاكمة واحدة طوال سنوات . وقد أراد باجي بشدة أن يتناول كأسًا من الجعة ولكن الغريب أنه شعر أن نداء العمل أهم كثيرًا . ولكن أصدقاءه لم يشعروا بذلك . وقد أعطانا الموظف قائمة بالمحلفين حسب أماكن جلوسهم الحالية . وكانت السيدة كالى رقم اثنين وعشرين ، أول شخص أسود وثالث سيدة .

وقد كان الاعتقاد العام أن الدفاع لن يحاول تحديها لأنها سوداء ، والسود حسب النظرية الشائعة يتعاطفون مع المتهمين . وأنا لم أكن أدرى كيف يمكن لشخص أسود أن يتعاطف مع مجرم أبيض مثل دانى بادجيت ، ولكن المحامين كانوا يؤمنون بأن لوشيان ويلبانكس سيقبلها بكل سعادة ضمن هيئة المحلفين .

وفى ظل نفس النظرية سوف يمارس المدعى العام أحد تحدياته الاستبدادية والمتعجرفة ويحاول استبعادها من جدول المحلفين . ولكن لم يتفق تشيك إليوت ـ أكبر أفراد العصابة وأكثرهم ثمالة ـ مع الباقين على هذا الرأى . فقال : " لو كنت أنا المدعى العام لقبلت بها " ، ثم تجرع كمية كبيرة من الجعة .

سأل باجى : " لماذا ؟ " .

" لأننا نعرفها جيدًا الآن بفضل التايمز . فهى تبدو امرأة حكيمة وتخشى الله ، واستطاعت تربية كل هؤلاء الأطفال بيد من حديد وركلة صغيرة بالمؤخرة إن أخطأوا " .

قال تاكيت ، أصغر الثلاثة : " أوافقك الرأى " . وكان تاكيت يوافق دومًا على أية نظرية يطرحونها . " فهى ستكون بمثابة

محلف مثالى بالنسبة للإدعاء . علاوة على ذلك فهى امرأة . وتلك قضية اغتصاب ! ولو استطعت ، لضممت جميع النساء إلى الهيئة " .

وقد ظلوا يتجادلون طوال ساعة . وقد كانت تلك هى جلستى الأولى معهم ، وقد أدركت على الفور كيف يجمع باجى كل تلك الآراء المختلفة عن الموضوعات والقضايا . وعلى الرغم من أننى لم أحاول إظهار ذلك ، فإننى شعرت بأن حكاياتي الطويلة والثرية عن السيدة كالى سوف تجلب عليها المتاعب بطريقة ما .

بعد تناول الغداء ، تحدث القاضي لوبس عن أقصى عقوبة للمتهم - وهى الموت . وقد شرح طبيعة جرائم الدرجة الأولى والإجراءات المترتبة عليها ، ثم ترك الكلمة مجددًا لإيرنى جاديس .

وكان عضو هيئة المحلفين الحادى عشر عضوًا بإحدى دور العبادة المغمورة ، وأوضح جيدًا أنه لن يصوت مطلقًا لإرسال شخص ما لغرفة الغاز . أما المحلف رقم أربعة وثلاثين فكان محاربًا قديمًا شارك فى حربين ، وكان يشعر بأن عقوبة الموت لا تطبق بما فيه الكفاية . وهذا الرأى بالطبع أبهج إيرنى والذى تحدث مع كل محلف على حدة وطرح عليه أسئلة بخصوص الحكم على الآخرين وتطبيق عقوبة الإعدام . وفى النهاية وصل إلى السيدة كالى ، وقال : " الآن يا سيدة روفين ، لقد قرأت عنك ويبدو أنك سيدة تقية للغاية . أهذا صحيح ؟ " .

أجابت بوضوح كعادتها دومًا : " نعم يا سيدى أنا أحب الله حقًا " .

" هل أنتِ خائفة من إصدار حكم على إنسان آخر ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

" هل تحبين استبعادك من هيئة المحلفين ؟ " .

" لا يا سيدى . إنه واجبى كمواطنة أن أكون هنا، مثل كل هؤلاء الآخرين " .

" وإن انضممت إلى هيئة المحلفين ، ووجدت الهيئة أن المتهم مذنب وارتكب هذه الجرائم ، هل ستصوتين لإعدامه ؟ " .

" بالتأكيد لن أحب القيام بذلك " .

" سؤالى كان : هل ستصوتين ؟ " .

" سوف أمتثل للقانون تمامًا مثل هؤلاء الناس . وإن كان القانون يحتم علينا إصدار حكم بالإعدام ، إذن فسوف أتبع القانون " .

وبعد مضى أربع ساعات ، كانت كاليا . إتش . روفين هى آخر عضوة يتم اختيارها - أول شخص أسود ينضم لهيئة المحلفين بمقاطعة فورد . لقد كان الرجال المخمورون بالحجرة العلوية من المحكمة محقين . فلقد أرادها الدفاع لأنها سوداء . وقد أرادتها النيابة لأنها تعرفها جيدًا . علاوة على ذلك ، فلم يرغب إيرنى جاديس أن يقول الناس إنه رفض انضمام مثل هذه السيدة التقية للهيئة .

وفى وقت متأخر من هذه الليلة جلست وحدى فى مكتبى أكتب قصة عن يوم الافتتاح واختيار المحلفين . وقد سمعت صوتًا مألوفًا بالأسفل . فقد كان لهارى ريكس طريقة فى دفع الباب الأمامى بشدة وضرب الأرض الخشبية بقدميه تجعل جميع العاملين بالتايمز - فى أى وقت من اليوم - يعلمون أنه وصل . صاح من الأسفل : " ويلى ، أين أنت ! " .

صحت أنا الآخر : " هنا بالأعلى " .

اندفع فوق الدرجات وجلس على مقعده المفضل . قال : " ما رأيك فى هيئة المحلفين ؟ " . وقد بدا غير ثمل بالمرة .

قلت : " أعرف واحدة من بينهم . كم تعرف منهم ؟ " .

" سبعة " .

" هل تعتقد أنهم اختاروا السيدةَ كالى بسبب القصص التى نشرتها عنها ؟ " .

قال وهو يتحرى صدقه الموجع : " نعم . لقد كان الجميع يتحدث عنها . فكلا الجانبين شعر أنه يعرفها . إننا فى عام ١٩٧٠ ، ولم نختر محلفاً أسود من قبل . وهى تبدو كفؤًا كأى شخص آخر . هل يقلقك هذا الأمر ؟ " .

" أعتقد هذا " .

" لماذا ؟ ما العيب فى الخدمة بهيئة المحلفين ؟ لقد حان الوقت لانضمام سود للهيئة . وهى وزوجها كانا دومًا متلهفين لكسر القيود . والأمر لا ينطوى على أية خطورة " .

وأنا لم أتحدث إلى السيدة كالى ، ولن أستطيع ذلك حتى تنتهى المحاكمة . فقد أمر القاضى لوبس بعزل المحلفين لمدة أسبوع . فالآن هم قابعون بفندق فى مدينة أخرى .

سألت : " هل هناك فى المحلفين أى شخص مثير للريبة ؟ " .

" ربما . الكل متخوف من الفتى المعوق من المدينة التى تقع بالقرب من دوماس . فارجرسون . وهو قد أصيب فى ظهره بمنشرة عمه . فكان عمه يبيع الخشب إلى آل بادجيت منذ عدة سنوات مضت . والفتى غريب الأطوار بعض الشىء . وقد أراد جاديس استبعاده ، ولكن لم يجد حجة مناسبة لذلك " .

كان الفتى المعاق يسير متكئًا على عكاز وكان فى الخامسة والعشرين من عمره على الأقل . وكان هارى ريكس يشير إلى أى شخص أصغر منه بكلمة " فتى " .

واصل حديثه : " أنت لا تعلم ماذا يمكن أن يفعل آل بادجيت . يا إلهى ! من المحتمل أن يكونوا قد اشتروا نصف أعضاء هيئة المحلفين الآن " .

" إنك لا تصدق هذا حقًا ، أليس كذلك ؟ " .

" لا ، ولكننى لن أندهش كذلك إن رفض أحد الأعضاء الموافقة على ما أجمعت عليه الهيئة . وقد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يفضح إيرنى أمره " .

" ولكنه سيذهب إلى السجن ، أليس كذلك ؟ " . وقد أفزعتنى فكرة هروب دانى بادجيت من العقاب . لقد استثمرت أموالاً فى مدينة كلانتون وإن كانت العدالة بها بهذا الفساد فلا أرغب فى البقاء بها .

" إنهم سوف يشنقونه " .

" جيد . عقوبة الإعدام ؟ " .

" أراهن على ذلك . فذلك هو القصاص الحق . العين بالعين . وسوف يبذل لوبس أقصى ما فى وسعه لينال إيرنى عقوبة الإعدام " .

وبعد ذلك ارتكبت خطأ جثيمًا بسؤاله عن سبب عمله حتى وقت متأخر هكذا . فزبون لديه فى قضية طلاق كان قد غادر البلدة للعمل ، ثم تسلل عائدًا ليضبط زوجته مع صديقها . وقد أمضى الزبون وهارى ريكس الساعتين الماضيتين فى شاحنة مستأجرة خلف فندق سيئ السمعة بشمال البلدة . وكما اكتشفا ، فقد كان لزوجته عشيقان . وقد استغرق سرد هذه القصة نصف ساعة .

الفصل الخامس عشر

فـى صـباح يـوم الثلاثـاء تم إهـدار سـاعتين تقريبًـا حيـث أخـذ المحامون يتشاحنون على شـىء مـا فـى غرفـة القاضـى . ظـل بـاجى يقـول : " الصـور علـى الأرجـح . إنهـم يتشـاجرون دومًـا بشـأن الصور " . وحيث إننا لم نكن مهتمين بالاطلاع على حربهم الصغيرة فقد انتظرنا بنفاد صبر فى قاعة المحكمة غـير راغـبين فـى مغـادرة مقاعدنا . وقد كتبت صفحات من الملاحظات عديمة القيمة بخـط ردئ والذى كان ليلقى إعجاب أى مراسل محنك آخـر . وقـد أبقتنـى تلـك الملاحظـات مشـغولاً ، وأبقـت عينـى بعيـدتين عـن تحـديقات آل بادجيت المستمرة . فحينما لا تكون هيئة المحلفـين بالقاعـة ينصـب تركيزهم على الحاضرين ، خاصة أنا .

وقد تم عزل أعضاء هيئة المحلفين بغرفة التـداول ، مـع وقـوف نـواب عنـد البـاب ، وكـأن شخصًـا مـا سيسـتفيد بشـىء إن اعتـدى عليهم . وكانت الحجرة بالطابق الثانى ولها نوافذ كبيرة تطـل علـى الجانب الشرقى من حديقة المحكمة . وكـان بأسـفل إحـدى النوافـذ وحدة تكييف مزعجة ، والتى من الممكن سماع صوتها مـن أى مكـان

بالميدان حينما تعمل بكامل قواها . وقد فكرت في السيدة كالى وضغط دمها . وكنت أعلم أنها تتلو الأدعية وربما يعمل ذلك على تهدئتها . وقد اتصلت بإيساو في وقت مبكر من هذا اليوم . وقد كان حزينًا للغاية لأنهم عزلوهم وأخذوها بعيدًا .

وكان إيساو يجلس في الصف الخلفي ينتظر مثلنا .

وعندما ظهر القاضي لوبس والمحامون أخيرًا بدوا جميعًا وكأنهم كانوا يتبادلون اللكمات . أومأ القاضي للحاجب وتم إدخال المحلفين . وقد قام بالترحيب بهم وشكرهم وسؤالهم عن وسائل الراحة الموفرة لهم واعتذر عما حدث وعلى هذا التأخير ووعد بسير الإجراءات قدمًا .

وقد اتخذ إيرني جاديس مكانًا خلف المنصة العالية وبدأ مرافعته الافتتاحية بالتحدث إلى المحلفين . وكان يمسك بأوراق قانونية صفراء ولكنه لم يكن ينظر إليها . وببراعة بالغة تحدث عن العناصر الرئيسية التي ستثبتها النيابة ضد داني بادجيت . وعند تقديم جميع المستندات والانتهاء من استجواب جميع الشهود وانتهاء المحامين من مرافعاتهم وتحدث القاضي سيترك الأمر للمحلفين لإقامة العدالة . وهو لم يشك أبدًا في أنهم سيجدون داني بادجيت مذنبًا بالاغتصاب والقتل . وهو لم يكن يتحدث بلا هدف بل كان لكل كلمة دلالاتها . وقد كان مختصرًا بشدة وبنبرته الواثقة وملاحظاته المختصرة بعث برسالة مفادها امتلاكه للحقائق ووثوقه من بلوغ الحكم الذي يبتغيه . ولم يحتج إلى استخدام مجادلات طويلة وعاطفية لإقناع المحلفين .

وكان باجي يحب أن يقول : " حينما تكون قضية المحامي ضعيفة فإنه يتحدث كثيرًا " .

والغريب أن لوشيان ويلبانكس أرجأ كلمته الافتتاحية إلى حين استعداد الدفاع ، وهو اختيار نادرًا ما يلجأ إليه أحد . تمتم باجى وكأنه هو ولوشيان كانا يفكران معًا : " إنه ينوى فعل شيء ما . هذا ليس غريبًا عليه " .

وكان شاهد النيابة الأول هو الشريف كولى نفسه . فكان جزءًا من وظيفته الشهادة فى القضايا الجنائية ، ولكن لم يحلم أحد من قبل أنه قد يفعل هذا ضد أحد أفراد عائلة بادجيت . وفى غضون بضعة أشهر ، سوف يعيد ترشيح نفسه للانتخابات . وكان من المهم أن يظهر بمظهر جيد أمام المصوتين .

وبأسئلة إيرنى شديدة الدقة والتفصيل شرعا فى التحدث عن الجريمة . وكان هنالك مخططات ضخمة لمنزل كاسيلو ، ومنزل ديس ، والطرقات حول بيتش هيل ، والمكان الذى تم فيه القبض على داني بادجيت . كانت هناك صور للمنطقة . بعد ذلك كان هنالك صور لجثة رودا ، والتى كان يبلغ عددها من ثمانية إلى عشر صور والتى تم تسليمها إلى المحلفين ومرروها بينهم . وكانت ردود أفعالهم تجاه رؤية الصور مذهلة . فقد ظهرت الصدمة على جميع الوجوه . بعضهم أجفل . وبعضهم فغر فاه . أما السيدة كالى ، فقد أغمضت عينيها ، وبدا أنها تصلى . وقد شهقت سيدة أخرى بهيئة المحلفين ـ السيدة باربرا بالدوين ـ حينما رأت الصور وأشاحت بوجهها بعيدًا ، ثم نظرت إلى دانى بادجيت وكأنها ستطلق عليه النار مباشرة من مسافة قريبة . وهمس أحد الرجال : " يا إلهى ! " . وغطى فمه وكأنه على وشك أن يتقيأ .

كان المحلفون يجلسون على مقاعد دوارة مدثرة والتى كانت تهتز قليلاً . وبينما كانت الصور المروعة تمرر بينهم لم يبق ولو مقعد واحد ثابتًا . كانت الصور مثيرة ومؤثرة للغاية وملهبة

للمشاعر ، وعلى الرغم من ذلك فالمحكمة دومًا تسمح بها ، وبينما سببت اضطرابًا واهتياجًا بين صفوف المحلفين ظننت أن دانى بادجيت الآن لابد وأنه يشعر بهلع شديد . وقد سمح القاضى لوبس بعرض ستة فقط على الحضور . وأعتقد أن واحدة كانت تكفى .

وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بقليل وكان الجميع بحاجة لفترة راحة . وكنت أشك فى أن أعضاء هيئة المحلفين لديهم شهية لتناول أى شىء .

كان شاهد النيابة الثانى هو إحدى أخوات رودا من ميسورى . كان اسمها جينجر ماكلور وكنت قد تحدثت إليها عدة مرات بعد مقتل أختها . وعندما علمت أننى كنت بالجامعة فى سيراكيوز وأننى لست أحد سكان مقاطعة فورد الأصليين لانت قليلا . وقد أرسلت لى بعد كثير من التردد صورة لأضعها فى النعى . ولاحقا ، اتصلت بى وطلبت منى أن أرسل لها بنسخ من التايمز إن كانت تتضمن أخبارًا عن قضية رودا . فقد شكت لى من مدى صعوبة الحصول على تفاصيل من مكتب المدعى العام بالمقاطعة .

كانت جنيجر فتاة نحيفة ذات شعر أحمر ، جذابة للغاية وأنيقة ، وحينما جلست على مقعد الشهود جذبت انتباه الجميع .

ووفقًا لباجى ، فإن أحد أفراد أسرة الضحية لابد أن يشهد دومًا . فإن الموت يتجسد أمام ناظريك حينما يصعد أحد أحباء الفقيد إلى منصة الشهود وينظر إلى المحلفين .

فقد أراد إيرنى أن يرى المحلفين جنيجر وتثير مشاعرهم وتعاطفهم . وقد أراد كذلك أن يتذكر المحلفون أنها أم لطفلين صغيرين قد سلبت منهما فى جريمة قتل متعمدة . وكأن لوشيان

ويلبانكس رأى أنه من الحكمة ألا يوجه أسئلة للشاهدة . وعندما سمح لها القاضي بالنزول من على المنصة سارت نحو مقعد خاص خلف القضيب بالقرب من مقعد إيرني جاديس ، وجلست في المكان الخاص لممثل الأسرة . وكان الجميع يرقبها إلى أن تم استدعاء الشاهد التالي .

ثم عدنا إلى الحديث الدموي مجددًا . فقد تم استدعاء طبيب شرعي من مكتب مكافحة الجرائم للتحدث عن تشريح الجثة . وعلى الرغم من أنه كان بحوزته الكثير من الصور ، إلا أنه لم يستخدم أيًا منها . فلم تكن هناك حاجة لذلك . وبمفهوم الرجل العادي ، كان سبب الوفاة واضحًا ـ فقدان كم كبير من الدماء . فقد كانت مصابة بجرح بليغ يبلغ طوله أربع بوصات يبدأ من أسفل أذنها اليسرى ويمتد للأسفل . وكان عمقه يبلغ بوصتين تقريبًا ، وفي رأيه ـ وهو قد رأى الكثير من طعنات السكين ـ فإن هذا الجرح ناتج عن طعنة سريعة وقوية بنصل يبلغ طوله نحو ست بوصات وعرضه بوصة واحدة . والشخص الذي استخدم السكين في أغلب الظن أيمن . وقد قطع الجرح الوريد الوداجي تمامًا ؛ مما كان يعني أنه كان أمام الضحية بضع دقائق فقط لتعيشها . وقد كانت مصابة بجرح بليغ آخر طوله ست بوصات ونصف وعمقه بوصة واحدة وكان يمتد من طرف الذقن وحتى الأذن اليمنى والتي انشطرت إلى نصفين تقريبًا . وهذا الجرح في حد ذاته هو ما سبب لها الوفاة على الأرجح .

وكان الطبيب يصف هذه الجروح وكأنه يتحدث عن لدغة قرادة . فلم يكن الأمر مهمًا ، بل كان عاديًا للغاية . ففي مجال عمله يرى الأشلاء يوميًا ويتحدث بشأنها مع هيئات المحلفين . ولكن بالنسبة لكل واحد آخر بقاعة المحكمة كانت هذه التفاصيل مفزعة . وفي

أثناء شهادة الطبيب كان كل عضو من أعضاء هيئة المحلفين بلا استثناء ينظر إلى دانى بادجيت ويصوت فى صمت " مذنب " .

وعندئذ بدأ لوشيان ويلبانكس استجوابه للشاهد بطريقة ودودة . فالاثنان قد التقيا كثيرًا من قبل فى المحاكمات . وقد جعل الطبيب يعترف بأن بعضًا من آرائه قد يكون خاطئاً ، مثل حجم السلاح المستخدم فى الجريمة وإذا ما كان المجرم أيمن أم لا . قال الطبيب ببطء : " لقد قلت إن تلك مجرد تكهنات " . وقد أعطانى انطباعًا أنه تم استجوابه كثيرًا لدرجة أنه لم يعد هناك شىء من الممكن أن يزعجه . ظل ويلبانكس يسأل عن التفاصيل ويجرى تحقيقًا مع الشاهد كان طويلاً بعض الشىء ، ولكنه كان حريصًا ألا يسأله عن الدليل ثانية . فقد سمع أعضاء هيئة المحلفين ما يكفى عن الجروح والطعنات ، لدرجة ستجعل من الغباء الخوض فى هذه الموضوعات مجددًا .

ثم صعد فوق منصفة الشهود طبيب شرعى آخر . ففى الوقت الذى أجرى فيه التشريح ، تفحص الجثة بالكامل ووجد عدة أدلة تكشف عن هوية الجانى . ففى منطقة المهبل وجد منى يتوافق تمامًا مع فصيلة دم دانى بادجيت . وتحت ظفر سبابة رودا اليمنى وجد قطعة ضئيلة من جلد بشرى . وكانت أيضًا تضاهى فصيلة دم المتهم .

وفى أثناء الاستجواب سأل ويلبانكس الطبيب إن كان قد تفحص السيد بادجيت بنفسه . فجاءت إجابته بالنفى . وأين فى جسد السيد بادجيت يوجد خدش أو مزق يناسب هذا الوصف ؟

قال الطبيب : " أنا لم أقم بفحصه ؟ " .

" هل قمت بتفحص صور له ؟ " .

" لا " .

" لذا فإن كان قد فقد بعض الجلد لا تستطيع أن تخبر المحلفين من أين جاء ، أليس كذلك ؟ " .

" أخشى أننى لا أستطيع ذلك " .

وبعد أربع ساعات من الشهادة باستخدام الصور ، شعر الجميع بقاعة المحكمة بالإنهاك . وقد سمح القاضى لوبس لهيئة المحلفين بالخروج بعد تحذيرهم بصرامة بشأن تجنب الاتصال الخارجى بأى أحد . وقد بدا فى ذلك مبالغة فى حمايتهم نظرًا لحقيقة اختبائهم بمدينة أخرى وتولى الشرطة حمايتهم .

وقد هرعت أنا وباجى إلى الجريدة وأخذنا فى طباعة التايمز فى جنون حتى العاشرة تقريبًا . لقد كان اليوم هو الثلاثاء ولم يكن هاردى يحب ألا تعمل الطابعات إلى ما بعد الحادية عشر . وفى تلك الأسابيع النادرة التى لا توجد بها مشكلات ميكانيكية ، يستطيع طباعة خمسة آلاف نسخة فى أقل من ثلاث ساعات .

أعد هاردى الطابعة بأقصى سرعة ممكنة . ولم يكن هناك وقت للتحرير وتصحيح البروفات الطباعية ، ولكننى لم أكن قلقًا بشأن هذه الطبعة لأن السيدة كالى كانت فى هيئة المحلفين ولن تستطيع اصطياد أخطائنا . وكان باجى يتناول بعض الطعام بينما كنا على وشك الانتهاء ولا نطيق صبرًا على الرحيل . وكنت على وشك أن أعود لمنزلى حينما ظهرت جينجر ماكلور عند الباب الأمامى وقالت مرحبًا وكأننا صديقان حميمان . وكانت ترتدى بنطالاً ضيقاً من الجينز وقميصاً أحمر . وقد سألتنى إن كان لدى أى شىء لتشربه . ولم يكن لدى شىء فى المكتب ولكن هذا لم يشكل مشكلة .

غادرنا الميدان فى سيارتى السبيتفاير وقدت حتى متجر كوينسى حيث ابتعت بضع عبوات التشيلتز . وقد أرادت أن ترى منزل رودا مرة أخيرة ، فقط من الطريق دون أن تقترب للغاية . وبينما قدت

باتجاه منزل رودا سألت بفضول عن حال الطفلين . وجاءت الإجابة غير واضحة . كان كلاهما يعيش مع أخت أخرى ـ وقد أخبرتني جينجر على الفور بأنها مطلقة ـ وكانا يخضعان لعلاج مكثف . كان الفتى الصغير يبدو طبيعيًا تقريبًا على الرغم من أنه في بعض الأحيان ينخرط في فترات صمت طويلة . أما الفتاة فكانت حالتها أسوأ كثيرًا . فكانت تصاب دومًا بالكوابيس عن أمها ، وفقدت القدرة على التحكم في مثانتها . وكانوا يجدونها كثيرًا ملتفة حول نفسها متخذة وضع الجنين وتمص أصابعها وتتأوه في ألم . وقد وصف لها الأطباء عقاقير عدة .

ويرفض كلا الطفلين إخبار العائلة أو الأطباء ما رأوه بالتفصيل في هذه الليلة . قالت بعدما احتست زجاجة الشراب الأولى وكانت مازالت زجاجتي ممتلئة حتى نصفها : " لقد رأيا والدتهما تغتصب وتطعن " .

وقد بدا منزل السيد ديس وكأن السيد والسيدة ديس نائمان منذ أيام . وقد انحرفت داخل الممر الحصوى لما كان في يوم من الأيام منزل صغار عائلة كاسيلو السعداء . كان شاغرًا ومظلمًا ويبدو مهجورًا . وكانت هناك لافتة " للبيع " في الفناء . وكان هذا المنزل هو الشيء الوحيد القيم الذي أورثته لطفليها .

وكما طلبت جنيجر ، فقد أطفأت الأنوار والمحرك . ولم تكن بالفكرة السديدة حيث إن الجيران كانوا فضوليين . كما أن سيارتي التريومف سبيتفاير كانت الوحيدة من نوعها في مقاطعة فورد ، وبالتالي فقد كانت تثير الشكوك .

وقد وضعت يدها برفق فوق يدي وقالت : " كيف دخل إلى المنزل ؟ " .

" لقد وجدوا آثار أقدام عند باب الفناء ، والذى كان على الأرجح غير موصد " . وفى أثناء فترة صمت طوية أخذ كل منا يعيد شريط الاعتداء والاغتصاب والسكين والطفلين وهما يفران خلال الظلام ويصرخان طالبان من السيد ديس إنقاذ والدتهما .

سألتها : " هل كنت مقربة لها ؟ " ، ثم سمعت صوت سيارة تقترب .

" حينما كنا أطفالاً ، ولكن ليس مؤخرًا . فقد غادرت المنزل منذ عشر سنوات " .

" كم مرة جئت لزيارتها هنا ؟ " .

" مرتان . فقد انتقلت أنا أيضًا إلى كاليفورنيا وبطريقة ما فقدنا الاتصال ببعضنا البعض . وبعد أن توفى زوجها توسلنا إليها كى تعود إلى سبرينج فيلد ، لكنها قالت إنها تحب المكان هنا . لكن الحقيقة هى أنها وأمى لم يكونا على وفاق قط " .

أبطأت شاحنة على الطريق خلفنا تمامًا . وقد حاولت أن أبدو غير مكترث ، ولكننى أعرف كيف يمكن أن تصل خطورة الأمور فى مثل هذه المناطق المظلمة من المقاطعة . كانت جنيجر تحدق فى المنزل ، ويبدو أن خيالها قد جنح بعيدًا فى صورة مفزعة ، وبدت أنها لم تسمع صوت الشاحنة . ولحسن الحظ فقد سارت الشاحنة مبتعدة .

قالت وهى تضغط على يدى : " دعنا نذهب . أنا خائفة " .

وبينما كنت أقود السيارة مبتعداً رأيت السيد ديس رابضًا فى ظلال مرآبه وهو يمسك ببندقية . وكان من المقرر أن يكون هو آخر شاهد تستدعيه النيابة .

كانت جنيجر تقيم بالفندق المحلى ، ولكنها لم ترغب فى الذهاب إلى هناك . وكنا قد جاوزنا منتصف الليل وكانت الاختيارات

محدودة ، لذا فقدت السيارة إلى منزلى ، حيث قدتها عبر الدرجات فوق القطط إلى داخل شقتى .

قالت وهى تخلع نعليها وتجلس على الأريكة : " هل لديك أية أفكار . أنا فى حالة مزاجية سيئة " .

كذبت عليها قائلاً : " وأنا أيضًا " .

وكانت تتحدث كثيرًا وكأن حالتها المزاجية قد تتحسن سريعًا ، وعندما يحدث ذلك نستطيع أن نحظى ببعض المرح . لذا فقد كنت سعيدًا أن أنتظر .

وقد وجدت مشروبًا باردًا بالمطبخ وجلسنا فى أماكنا وكأننا سوف نتحدث حتى شروق الشمس . قالت : " حدثنى عن عائلتك " .

ولم يكن ذلك هو موضوعى المفضل ، ولكننى أستطيع التحدث إلى هذه السيدة عنه . " إننى طفل وحيد . وقد توفيت والدتى حينما كنت فى الثالثة عشر . ويعيش والدى فى ممفيس فى منزل قديم خاص بالعائلة والذى لا يغادره أبدًا . وهو لديه مكتب بالطابق العلوى ويجلس هناك ليل نهار يتاجر فى الأسهم والسندات . وأنا لا أعرف كيف تسير تجارته ولكن لدى حدس أنه يخسر أكثر مما يكسب . ونحن نتحدث هاتفيًا مرة كل شهر " .

" هل أنت ثرى ؟ " .

" لا ، ولكن جدتى ثرية . والدة أمى بيبى . وقد أقرضتنى المال لأشترى الجريدة " .

وأخذت تفكر فى هذا وهى تحتسى الشراب . " لقد كنا ثلاث فتيات ، الآن أصبحنا اثنتين . لقد كنا جامحات فى فترة نمونا . وقد ذهب والدى ذات مرة لشراء اللبن والبيض فى إحدى الليالى ولم يعد مطلقا . وقد تزوجت والدتى بعد ذلك مرتين ، ولكنها كانت زيجات فاشلة ، ففيما يبدو أنها لا تستطيع الاستمرار فى أى

زيجة . وأنا مطلقة وأختى الكبرى مطلقة أيضًا . وورودا قتلت " . ثم جلبت زجاجتها بالقرب من زجاجتى ونقرتها قائلة : " هذا من أجل أسرتينا المفككتين " .

وقد شربنا نخب ذلك .

لقد كانت مطلقة وليس لديها أطفال وجامحة ولطيفة للغاية . أستطيع أن أمضى بعض الوقت مع جنيجر .

وقد أرادت أن تعرف المزيد عن مقاطعة فورد وسكانها ـ لوشيان ويلبانكس وآل بادجيت والشريف كولى . ولقد أخذت أتحدث وأتحدث منتظرًا أن تتغير حالتها المزاجية .

ولكن لم يحدث ذلك . وفى وقت ما بعد الثانية صباحًا تمددت فوق الأريكة وخلدت للنوم . وذهبت أنا للفراش وحدى .

الفصل السادس عشر

ثلاثة من عائلة هوكيت ـ ماكس وويلما وجيلما ـ كانوا يتسكعون حول المرآب أسفل منزلى حينما غادرت أنا وجينجر بعدها ببضع ساعات . أعتقد أنهم أرادوا أن يقابلوها . وقد نظروا إليها بازدراء بينما كنت أقدمها إليهم . وقد توقعت أن يقول ماكس شيئًا سخيفًا من قبيل : " إننا لم نتفق على استضافة نساءٍ فى مسكنك عندما استأجرت منا هذا المكان " . ولكنه لم يقل شيئاً مثل هذا ، وقدت سيارتى سريعًا إلى المكتب . وقد قفزت هى داخل سيارتها واختفت .

وقد كانت نسخ الطبعة الأخيرة من الجريدة مكدسة فوق الأرضية وتصل حتى السقف بالغرفة الأمامية . وقد التقطت نسخة لألقى عليها نظرة سريعة . وكان العنوان الرئيسى معتدلاً ـ *بدء محاكمة دانى بادجيت : عزل المحلفين* . ولم أنشر أية صور للمتهم . فلقد نشرت بما فيه الكفاية بالفعل ، وقد أردت أن أرجئ نشر واحدة كبيرة بالأسبوع المقبل حينما نستطيع التقاط صورة للمتهم وهو يغادر المحكمة بعدما يكون قد صدر ضده حكم بالإعدام . وقد ملأت أنا وباجى أعمدة المقالات بما رأيناه وسمعناه

فى أثناء أول يومين ، وقد كنت فخورًا للغاية بتقريرنا هذا . فقد كان مباشرًا ومعبرًا عن الحقائق ومفصلاً وحسن الصياغة وليس مثيرًا للمشاعر إطلاقًا . فالمحاكمة فى حد ذاتها تتولى هذا الأمر . وفى الحقيقة ، لقد تعلمت الدرس جيدًا عن محاولة إلهاب المشاعر . وبحلول الساعة الثامنة صباحًا ، كان الميدان ممتلئًا بنسخ مجانية من التايمز .

ولم تكن هنالك أية مشاحنات مبدئية فى صباح يوم الأربعاء . وفى التاسعة صباحًا تمامًا دخل المحلفون إلى قاعة المحكمة واستدعى إيرنى جاديس الشاهد التالى . كان اسمه تشوب برونر ، المحقق الذى يعمل بدوام كامل فى مكتب الشريف . ووفقًا لكل من باجي وهارى ريكس ، فقد كان برونر مشهورًا بعدم كفاءته .

ولإثارة اهتمام المحلفين وجذب انتباهنا ، عرض جاديس على المحكمة القميص الأبيض المبقع بالدم الذى كان يرتديه دانى بادجيت ليلة اعتقاله . وهو لم يتم غسله ؛ لذا فقد كانت بقع الدم بنية داكنة . وقد لوح إيرنى به برفق فى قاعة المحكمة حتى يراه الجميع بينما كان يتحدث إلى برونر . وكان هناك نائب يدعى جريس كان قد خلعه من فوق جسد دانى بادجيت فى حضور برونر والشريف كولى . وقد أظهرت الاختبارات وجود فصيلتين من الدم على القميص ـ (O) موجب و (B) موجب ، ثم أظهرت مزيد من الاختبارات التى أجراها معمل مكافحة الجريمة التابع للولاية أن عينة الدم الأخرى توافق فصيلة دم رودا كاسيلو .

وقد أخذت أراقب جينجر وهى تنظر إلى القميص . وبعد بضع دقائق أشاحت بوجهها بعيدًا وبدأت تكتب شيئاً ما . وليس من

المدهش أنها بدت في حال أفضل في يومها الثاني بقاعة المحكمة . فقد كنت قلقاً بشدة إزاء حالتها المزاجية .

وكان القميص ممزقًا من الأمام . فقد جرح داني نفسه وهو يزحف خارجًا من شاحنته المحطمة ، وقد تمت خياطة الجرح باثنتي عشرة غرزة . وقد قام إيرني بعد ذلك بإحضار حامل ووضع عليه صورتين كبيرتين لآثار أقدام وجدت بفناء منزل رودا . وفوق طاولة العرض وضع حذاء بادجيت الذى كان يرتديه حينما وصل إلى السجن . وقد وجد برونر نفسه متعثرًا في شهادة كان ينبغي أن تكون أسهل كثيرًا ، ولكن كان من الواضح أن كل شيء متطابق .

وكان برونر خائفا للغاية من لوشيان ويلبانكس ، وبدأ يتلعثم حينما طرح عليه أول سؤال . وكان من الحكمة أن يتجاهل لوشيان حقيقة وجود دم رودا على قميص داني ، واختار عوضًا عن ذلك أن يسلخ برونر بأسئلة عن فن وعلم مطابقة آثار الأقدام . ولم يكن تدريب المحقق في هذا الصدد شاملا ، كما اعترف في النهاية . وقد أشار لوشيان إلى سلسلة مضلعة فوق كعب الحذاء الأيمن ، والتي لم يستطع برونر إيجادها بآثار الأقدام . فبسبب الوزن والحركة ، عادة ما يترك الكعب أثرًا أفضل من باقي أجزاء القدم ، وذلك وفقا لشهادة برونر . وقد ظل لوشيان يجادله إلى درجة أربكت الجميع ، ويجب أن أعترف بأنني بدأت أشك في آثار الأقدام هذه . ولكن لم يكن ذلك مهمًا . فقد كانت هنالك الكثير من الأدلة الأخرى .

سأل لوشيان : " هل كان السيد بادجيت يرتدى قفازات حينما تم القبض عليه ؟ " .

" لا أعرف . أنا لم أقبض عليه " .

" حسنًا . لقد قمتم بنزع قميصه وحذائه . هل خلعتم أية قفازات ؟ " .

" لا أعتقد هذا " .

" لقد قمت بمراجعة ملف الأدلة بالكامل ، أليس هذا صحيح يا سيد برونر ؟ " .

" نعم " .

" في الواقع ، بصفتك رئيس المحققين فأنت تعلم جميع تفاصيل هذه القضية ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

" هل رأيت أية إشارة إلى أن المتهم كان يرتدى أية قفازات أو أن أحدهم قد انتزع منه قفازين ؟ " .

" لا " .

" جيد . هل كشفت عن بصمات الأصابع فى مكان وقوع الجريمة ؟ " .

" نعم " .

" هذا عمل روتينى ، أليس كذلك " .

" نعم يا سيدى " .

" وأنت بالطبع أخذت بصمات أصابع السيد بادجيت حينما تم القبض عليه ، صحيح ؟ " .

" نعم " .

" جيد . كم بصمة من بصمات أصابع السيد بادجيت وجدت بمكان وقوع الجريمة ؟ " .

" ولا واحدة " .

" ولا بصمة واحدة ؟ " .

" لا " .

وبهذا اختار لوشيان لحظة جيدة كى يجلس . كان من الصعب أن نصدق أن القاتل دخل المنزل واختبأ هناك لبرهة واغتصب ضحيته

وقتلها ثم هرب دون أن يترك وراءه ولو بصمة واحدة . ولكن تشوب برونر لم يكن واثقا من نفسه بما فيه الكفاية . فمع توليه مهمة رئاسة فريق التحقيق بدا أن هناك فرصة كبيرة لإغفال عشرات البصمات .

وقد أعلن القاضي لوبس عن فترة الراحة الصباحية ، وبينما وقف المحلفون ليغادروا القاعة التقت عيناى بعينى السيدة كالى . وقد ابتسمت ابتسامة عريضة ، وأومأت لى وكأنها تقول : " لا تقلق بشأني " .

وقد نهضنا وأخذنا نتحدث عما سمعناه لتونا . وكنت سعيدًا لرؤية العديد من الناس في قاعة المحكمة يقرأون التايمز . وقد سرت إلى القضيب وانحنيت لأتحدث إلى جينجر . سألتها : " هل أنت بخير ؟ " .

قالت برقة : " أنا فقط أريد الذهاب للمنزل " .

" ماذا عن تناول الغداء معًا ؟ " .

" لك هذا " .

وكان شاهد النيابة الأخير هو السيد آرون ديس . وقد سار ناحية منصة الشهود قبل الساعة الحادية عشرة بقليل ، وقد استجمعنا قوانا لسماع ما سيقوله عن تلك الليلة . وقد طرح عليه إيرنى جاديس سلسلة من الأسئلة الغرض منها إبراز شخصيات رودا وطفليها . لقد ظلوا يقطنون المنزل المجاور له طوال سبع سنوات ، وكانوا أناساً رائعين . وبعد قليل مسح السيد ديس دمعة من عينه .

وكان هذا لا يمت لصلة بالموضوع المطروح ، ولم يعقب لوشيان على ذلك لبضع دقائق . ثم وقف وقال فى أدب : " يا سيادة القاضى إن هذا مؤثر ولكنه غير مسموح به " .

قال القاضي لوبس : " استكمل استجوابك يا سيد جاديس " .

وقد وصف السيد ديس الليلة والوقت وحالة الجو . فقد سمع الصوت المرتعد لمايكل الذى يقل عن خمس سنوات ـ يناديه ويصرخ طلبًا للمساعدة . ولقد وجد الطفلين بالخارج يرتديان ملابس النوم ويبللهما الندى وفي حالة من الصدمة . وقد أخذهما إلى داخل المنزل حيث غطتهما زوجته بالملاءات . وقد ارتدى حذاءه وأخذ بندقيته وهرع خارجًا من المنزل حينما رأى رودا تمشى متعثرة تجاهه . كانت عارية تماماً ، وفيما عدا وجهها كانت مغطاة بالدم . وقد حملها إلى فناء منزله ووضعها فوق الأرجوحة .

كان لوشيان واقفا على قدميه ، ينتظر .

سأل إيرنى : " هل قالت شيئاً ؟ " .

" يا سيادة القاضى ، أعترض على تكرار هذا الشاهد لأى شىء قالته الضحية " .

" لقد تسلمنا طلبك بخصوص هذا الأمر يا سيد ويلبانكس وتناقشنا بشأنه على انفراد ، وننظر فيه الآن . تستطيع الإجابة عن هذا السؤال يا سيد ديس " .

ابتلع السيد ديس لعابه بصعوبة ثم أخذ نفسًا وزفره ونظر إلى المحلفين . " قالت مرتين أو ثلاث : لقد كان دانى بادجيت . لقد كان دانى بادجيت " .

وللمزيد من التأثير الدرامى ترك إيرنى هذه الطلقات النارية تنطلق فى الهواء ثم ترتد بقاعة المحكمة بينما تظاهر بأنه ينظر إلى

بعض الملاحظات . " هل سبق لك مقابلة السيد دانى بادجيت يا سيد ديس ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" هل سبق أن سمعت اسمه قبل هذه الليلة ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" هل قالت أى شىء آخر ؟ " .

" آخر شىء قالته هو : اعتن بأطفالى " .

كانت جينجر تمسح عينيها بمنديل ورقى . وكانت السيدة كالى تصلى ، والعديد من أعضاء المحلفين كانوا ينظرون لأقدامهم .

وقد انتهى من سرد قصته ـ فقد هاتف مكتب الشريف وأخذت زوجته الطفلين إلى حجرة النوم وأوصدت الباب ، وأخذ هو حمامًا لأنه كان مغطى بالدم ، وقد جاء النواب وأجروا تحقيقاتهم ، وجاءت عربة الإسعاف وأخذت الجثة بعيدًا ؛ وبقت زوجته مع الطفلين حتى الساعة الثانية صباحًا تقريبًا ثم أخذاهما إلى المستشفى فى كلانتون . وقد ظلا معهما إلى أن جاءت قريبة لهما من ميسورى وأخذتهما .

ولم يكن هناك أى شىء فى شهادته يمكن تحديه أو التشكيك فى صحته ؛ لذا فقد عزف لوشيان ويلبانكس عن استجواب الشاهد . ولم تستدع النيابة أية شهود آخرين ، وأخذنا استراحة لتناول الغداء . وقد اصطحبت جينجر إلى مطعم كاراواى ، المكان المكسيكى الوحيد الذى أعرفه وتناولنا فطير اللحم الحار أسفل شجرة بلوط وتحدثنا عن كل شىء فيما عدا المحاكمة . وقد كانت حزينة وتريد مغادرة مقاطعة فورد للأبد .

وقد أردت حقًا منها أن تبقى .

بدأ لوشيان ويلبانكس مرافعة الدفاع ببعض الحديث المفعم بالحيوية والنشاط عن شخصية دانى بادجيت اللطيفة . فقد أنهى المدرسة الثانوية بتفوق ، وكان يعمل ساعات طويلة فى تجارة الخشب الخاصة بأسرته ، وقد حلم بإدارة عمله الخاص فى يوم من الأيام . وهو ليس لديه أى سجل إجرامى . وكانت المخالفة القانونية الوحيدة التى ارتكبها هى تخطى السرعة المسموح بها حينما كان فى السادسة عشرة من عمره .

وكان لوشيان ويلبانكس يمتلك قدرات إقناعية مذهلة ، ولكنه كان ينهار تحت ثقل الضغط الواقع عليه . فكان من المستحيل أن يستطيع إظهار أحد أفراد عائلة بادجيت بالمظهر الدافئ والودود . لذا فقد عمَّ بعض الارتباك فى قاعة المحكمة ، وظهرت بعض الابتسامات المتكلفة هنا وهناك . ولكن لم نكن نحن من سيصدر الحكم فى القضية . فكان لوشيان يوجه حديثه إلى هيئة المحلفين وهو ينظر إليهم مباشرة فى أعينهم ، ولم يكن هنالك من يعلم إن كان هو وموكله قد نجحا فى تجنيد صوت أوَ صوتين من المحلفين .

ومع ذلك ، فلم يكن دانى قديسًا . فشأنه شأن معظم الشباب الوسيمين ، اكتشف أنه يستمتع بصحبة النساء . ولسوء حظه أنه تعرف على المرأة غير المناسبة والتى تبين أنها متزوجة . وقد كان دانى معها فى ليلة مقتل رودا كاسيلو .

صاح فى المحلفين : " استمعوا إلىّ ! إن موكلى لم يقتل رودا كاسيلو ! ففى وقت ارتكاب هذه الجريمة البشعة كان بصحبة امرأة أخرى فى منزلها الذى يقع بالقرب من منزل كاسيلو . إن لديه حجة غياب دامغة " .

وقد أنزل هذا التصريح السكينة على قاعة المحكمة ، وطوال دقيقة بدت طويلة للغاية انتظرنا المفاجأة التالية فكان لوشيان يتقن فن الدرما . قال : " وهذه المرأة ـ عشيقته ـ ستكون شاهدنا الأول " .

وقد أحضروها في خلال لحظات من انتهاء لوشيان من مرافعته الافتتاحية . كان اسمها ليديا فينس . وقد همستُ لباجي وقال إنه لم يسمع عنها من قبل ، ولا يعرف أى أسرة تدعى فينس من بيتش هيل . وكان هناك الكثير من الهمسات بقاعة المحكمة حيث كان الحاضرون يحاولون التعرف عليها ، ولكن بدا من تقطيبات الوجوه والنظرات الحائرة وهز الرؤوس أن لا أحد يعرف هذه المرأة . وقد بينت أسئلة لوشيان التمهيدية أنها كانت تعيش بمنزل مستأجر على طريق هيرت في مارس ، لكنها الآن تعيش في توبيلو ، وأنها وزوجها على وشك الانفصال ، وأن لديها طفلا واحدا ، وأنها ترعرت في مقاطعة تايلر ، وليس لديها وظيفة حالية . وهي تبلغ من العمر ثلاثين عامًا وتبدو إلى حد ما ـ جذابة ولكن بطريقة رخيصة ـ تنورة قصيرة وقميص ضيق يغطي صدرا كبيرا وشعر أصفر ـ وكانت تبدو شديدة الفزع من الاستجواب .

وكانت هي وداني يمارسان الزنا طوال عام تقريبًا . نظرت إلى السيدة كالى ولم أندهش حينما رأيت نظرة الازدراء في عينيها .

وفي ليلة مقتل رودا ، كان داني في منزلها . وكان زوجها ـ مالكوم فينس ـ في ممفيس للقيام بشيء ما مع الفتية الآخرين ، الذى لا تعرف تمامًا ما هو . فقد كان يتغيب كثيرًا في هذه الأيام . وقد كانت هي وداني يمارسان الجنس مرتين ، وفي وقت ما عند منتصف الليل كان يهم بالرحيل حينما يسمع صوت سيارة زوجها تنحرف داخل ممر المنزل . كان داني يتسلل من الباب الخلفي ويختفي في الظلام .

واعتراف امرأة متزوجة أمام المحكمة بأنها ارتكبت الزنا من المفترض أن يقنع المحلفين بأنها تتحرى الصدق . فلا يوجد شخص ـ سواء محترم أو لا ـ سيعترف بهذا . فذلك سوف يدمر سمعتها ، إن كانت تهتم بمثل هذه الأمور . وربما يؤثر ذلك في طلاقها ويقلل من فرصتها في الحصول على حضانة طفلها . حتى إن ذلك قد يجعل زوجها يقاضي داني بادجيت بتهمة ممارسة الزنا مع زوجته على الرغم من أنه من المستبعد أن يكون المحلفون قد فكروا في ذلك الأمر .

وكانت إجاباتها على أسئلة لوشيان مختصرة ويبدو أنها تدربت عليها جيدًا . وقد رفضت النظر إلى المحلفين أو عشيقها السابق المزعوم . وبدلاً من ذلك ، كانت تنظر إلى الأسفل وبدت أنها تحدق في حذاء لوشيان . وكان كل من المحامي والشاهدة حريصين على ألا يخرجا عن النص . همس باجي بصوت مرتفع : " إنها تكذب " ، ووافقته على ذلك .

وحينما انتهى الاستجواب المباشر ، وقف إيرنى جاديس وسار ناحية المنصة بتأن وهو يحدق بارتياب بالغ إلى تلك الزانية المعترفة بإثمها . وقد أبقى نظارة القراءة التى يرتديها فوق أربنة أنفه ونظر فوقها بحاجبين مجعدين وعينين ضيقتين . لقد بدا مثل المعلم الذى ضبط لتوه تلميذاً سيئاً وهو يغش .

" يا سيدة فينس ، هذا المنزل على طريق هيرت ، من يملكه ؟ " .

" جاك هاجيل " .

" ما المدة التى عشت خلالها هناك ؟ " .

" نحو عام " .

" هل وقعت عقد إيجار ؟ " .

ترددت لجزء من الثانية ثم قالت : " ربما قام زوجي بذلك ، أنا لا أتذكر حقاً " .

" كم كان مبلغ الإيجار الشهرى ؟ " .

" ثلاثمائة دولار " .

كتب إيرنى كل إجابة باهتمام بالغ وكأن كل تفصيل سيتم التحقق منه بدقة وسيتم الكشف عن أكاذيبها .

" متى غادرت هذا المنزل ؟ " .

" لا أعلم ، منذ شهرين تقريبًا " .

" إذن ما المدة التى ظللت تقيمين خلالها فى مقاطعة فورد ؟ " .

" لا أعلم ، نحو عامين " .

" هل سجلت اسمك للتصويت فى الانتخابات فى مقاطعة فورد ؟ " .

" لا " .

" هل قام زوجك بذلك ؟ " .

" لا " .

" ما اسمه مرة أخرى ؟ " .

" مالكوم فينس " .

" أين يعيش الآن ؟ " .

" لا أعلم تحديدًا . إنه يتنقل كثيرًا . وآخر ما سمعته أنه فى مكان ما حول توبيلو " .

" وأنتما تجريان إجراءات الطلاق الآن ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم " .

" أين تقدمتِ بطلب الحصول على الطلاق ؟ " .

رفعت عينيها سريعًا ونظرت إلى لوشيان ، والذى كان ينصت بإمعان ولكن رفض النظر إليها . قالت : " إننا لم نتقدم بعد بهذا الطلب " .

" آسف ، ولكننى أعتقد أنك قلتِ إنكما تجريان إجراءات الطلاق " .

" إننا منفصلان وقمنا بتوكيل محامين " .

" ومن محاميك ؟ " .

" السيد ويلبانكس " .

أجفل لوشيان وكأن ذلك خبر جيد لم يسمعه من قبل . سكت إيرنى قليلا ثم قال : " من محامى زوجك ؟ " .

" لا أستطيع تذكر اسمه " .

" هل هو من يقاضيك طلبًا للطلاق ، أم العكس ؟ " .

" كلانا يقاضى الآخر ؟ " .

" كم عدد الرجال خلاف دانى الذين تمارسين الزنا معهم ؟ " .

" فقط دانى " .

" نعم . وأنت تعيشين فى توبيلو ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم " .

" وتقولين إنك لا تعملين ، أليس كذلك ؟ " .

" فى الوقت الحالى نعم " .

" وأنك انفصلت عن زوجك ؟ " .

" لقد قلت لتوى إننا منفصلان " .

" أين تعيشين فى توبيلو ؟ " .

" فى شقة " .

" كم إيجارها ؟ " .

" مائتا دولار فى الشهر " .

" وتعيشين مع طفلك ؟ " .

" نعم " .

" هل يعمل طفلك ؟ " .

" إنه فى الخامسة من عمره " .

" إذن كيف تدفعين مبلغ الإيجار والمنافع الأخرى ؟ " .

" إننا نتدبر أمرنا بصعوبة " . ولم يصدقها أى أحد كان يوجد فى قاعة المحكمة .

" ما نوع السيارة التى تقودينها ؟ " .

ترددت ثانية . لقد كان ذلك أحد الأسئلة الذى يمكن التحقق من صحة إجابته بإجراء بعض المكالمات الهاتفية . فقالت : " A (٦٨) موستانج " .

" تلك سيارة جميلة . متى قمت بشرائها ؟ " .

كان ذلك سؤال آخر يسهل التحقق من إجابته . وحتى ليديا التى لم تكن شديدة الذكاء رأت المأزق الواقعة فيه . قالت بتحد : " منذ شهرين " .

" هل السيارة مسجلة باسمك ؟ " .

" نعم " .

" هل عقد الإيجار مسجل باسمك ؟ " .

" نعم " .

بذلك أصبح لدى الدفاع الكثير من المستندات التى سيتحقق من صحتها . إنها لا تستطيع الكذب بشأن هذه الأمور ولا تستطيع بالطبع تحمل عواقب ذلك . أخذ إيرنى بعض الملاحظات من هانك هوتن وقام بتفحصها فى ريبة .

" ما المدة التى ظللت تمارسين فيها الجماع مع دانى بادجيت ؟ " .

" خمس عشرة دقيقة فى العادة " .

وفى تلك القاعة المزدحمة فجرت تلك الإجابة ضحكات الحاضرين . نزع إيرنى نظارته ومسحها بنهاية رابطة عنقه ونظر إليها وهو يبتسم ابتسامة ماكرة وأعاد صياغة سؤاله : " ما المدة التى استمرت فيها علاقتك بدانى بادجيت " .

" نحو عام " .

" أين قابلته أول مرة " .

" فى النوادى ، على حدود الولاية " .

" هل قام شخص ما بتقديكما لبعضكما البعض ؟ " .

" لا أتذكر فى الحقيقة . لقد كان هناك وقد كنت هناك وقمنا بالرقص معًا . فقد أدى شىء إلى الآخر " .

ولم يكن هناك أدنى شك أن ليديا فينس مضت الكثيرٍ من الليالى فى الملاهى الليلية الرخيصة ، وأنها لم تكن ترد مطلقا طلب أى رجل لا تعرفه للرقص معها وأن إيرنى بحاجة فقط لبعض الأكاذيب الأخرى حتى يوقع بها .

وقد طرح عليها سلسلة من الأسئلة بشأن ماضيها وزوجها - تاريخ ميلادها ، تعليمها ، زواجها ، وظيفتها ، أسرتها . كل الأسماء والتواريخ والأحداث التى يمكن التأكد من صحتها . لقد عرضت نفسها للبيع . فقد وجد آل بادجيت شاهدة يستطيعون شراءها .

وبينما كنا نغادر قاعة المحكمة فى وقت متأخر من الظهيرة كنت مرتبكًا للغاية . فلقد تم إقناعى على مدار عدة أشهر أن دانى بادجيت قتل رودا كاسيلو ومازلت أومن بهذا . ولكن فجأة أصبح لدى المحلفين شيئًا يختلفون حوله . فقد قامت شاهدة تحت القسم

بارتكاب جريمة حنث باليمين بشعة ، ولكن كان الاحتمال كبيرًا أن يؤدى ذلك إلى زرع الشك فى داخل أحد المحلفين .

كانت جينجر أكثر إحباطاً منى ، لذا فقد قررنا الترفيه عن أنفسنا قليلاً . ابتعنا البرجر والبطاطس المقلية وبعض المشروبات وذهبنا إلى غرفتها الصغيرة بالفندق حيث تناولنا الطعام وعبرنا عن خوفنا وبغضنا لنظام قضائي فاسد . وقد قالت أكثر من مرة إن أسرتها ـ على الرغم من أنها مفككة ـ لن تتحمل أن يأخذ دانى بادجيت حكمًا بالبراءة . وكانت حالة أمها النفسية غير مستقرة بوجه عام وحكم البراءة كان ليدفع بها إلى حافة الهاوية . ماذا سيقولون لطفلى رودا فى أحد الأيام ؟

حاولنا مشاهدة التلفاز ولكن لم يجذب شىء انتباهنا . وقد تعبنا من القلق بشأن المحاكمة . واستغرقنا فى النوم .

الفصل السابع عشر

بدون أن يترامى إلى مسامعى ـ ولم يكن هناك سبب يستدعى أن يصل هذا الخبر إلى مسامعى حيث إننى وافد جديد على هذا المجتمع وبالطبع ليس لى علاقة بالشئون القضائية ، بالإضافة إلى ذلك فقد انشغلت بجينجر وطوال بضع ساعات رائعة نسينا أمر المحكمة تمامًا ـ عقد اجتماع سرى بعد تأجيل الجلسة مباشرة فى يوم الأربعاء . فقد ذهب إيرنى جاديس إلى مكتب هارى ريكس لتناول مشروب واعترف كلاهما بأنهما يشعران بالاشمئزاز من شهادة ليديا . وشرعا فى إجراء بعض الاتصالات الهاتفية وفى خلال ساعة استطاعا جمع مجموعة من المحامين الذين يستطيعان الثقة بهم واثنين من السياسيين كذلك .

وكان هناك اتفاق جماعى أن آل بادجيت كانوا يهرطقون لضعف موقفهم فى القضية . فقد استطاعوا إيجاد شاهد يمكنهم رشوته . فكان من الواضح أنها تلقت رشوة كى تخترع هذه القصة ، وهى إما مفلسة للغاية أو غبية للغاية كى ترتكب تهمة خطيرة كالحنث

باليمين . ومع ذلك فقد أعطت هيئة المحلفين سببًا ـ وإن كان ضعيفا ـ كي يتشككوا في قضية المدعى العام .

وحصول المتهم على البراءة في مثل هذه القضية من شأنه أن يثير حنق المدينة ويضرب بالنظام القضائي عرض الحائط . والانقسام في هيئة المحلفين سيبعث بنفس الرسالة ـ يمكن شراء العدالة بمقاطعة فورد . وقد قام إيرني وهارى ريكس والمحامون الآخرون كثيرًا بالتلاعب بالنظام نيابة عن موكليهم ، ولكنهم كانوا يطبقون القوانين بحصافة وعدل . وكان النظام ناجحاً ويؤتى ثماره لأن كلا من القضاة والمحلفين كانوا حياديين وغير متحيزين . والسماح لويلبانكس وآل بادجيت بإفساد هذا النظام من شأنه أن يتسبب في دمار يتعذر إصلاحه .

وقد كان هناك اتفاق جماعى أن احتمال حدوث انشقاق في المحلفين كبير . إن أقوال الشاهدة ليديا فينس بحاجة للكثير من التمحيص ، ولكن المحلفين ليسوا معتادين على الشهادات المختلفة والموكلين المخادعين . وقد أجمع المحامون كذلك على أن فارجرسون " الفتى المعاق " يبدو عدائيًا للمدعى العام . وبعد يومين كاملين ونحو خمس عشرة ساعة من مراقبة المحلفين شعر المحامون بأنهم بدأوا يكشفونهم .

ولقد آثار السيد جون دير مخاوفهم كذلك . كان اسمه الحقيقى مو تيل ، ويعمل ميكانيكيًا في شركة الجرارات منذ أكثر من عشرين عامًا . وقد كان رجلا بسيطا وذا تشكيلة ملابس محدودة . ففي وقت متأخر من ظهيرة يوم الاثنين حينما تم اختيار أعضاء هيئة المحلفين أخيرًا وأرسلهم القاضى لوبس لمنازلهم لحزم حقائبهم سريعًا استعدادًا للسفر ، حزم مو ببساطة زى عمله . وكل صباح كان يسير إلى صفوف المحلفين وهو يرتدى قميصًا أصفر زاهى

اللون بقلامة خضراء وبنطالاً أخضر بقلامة صفراء ، وكأنه مستعد ليوم محموم آخر من جذبٍ مفاتيح الربط .

وكان موٍ يجلس مشبكا ذراعيه ويقطب جبينه كلما هب إيرنى جاديس واقفا على قدميه . وقد أفزعت لغة جسده جهة الادعاء .

وقد ظن هارى ريكس أنه من الضرورى إيجاد زوج ليديا الغائب . فإن كانا بالفعل يجريان إجراءات الطلاق فإنه فى أغلب الظن لن يكون ودودًا . وكان من الصعب تصديق أنها كانت تقيم علاقة مع دانى بادجيت ، ولكن فى الوقت ذاته بدا أنه ليس مستبعدًا على هذه المرأة أن تقيم علاقات خارج نطاق الزواج . والزوج قد يدلى بشهادة قد تناقض أقوال ليديا .

لقد أراد إيرنى التنقيب فى سيرتها الخاصة . وأراد أن يثير الشكوك حول مواردها المالية حتى يستطيع أن يصرخ فى المحلفين قائلاً : " كيف تستطيع أن تنعم بكل هذه الرفاهية فى حين أنها لا تعمل وعلى وشك الانفصال عن زوجها ؟ " .

قال أحد المحامين : " لأنها أخذت مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار من آل بادجيت " . والتكهنات بشأن مبلغ الرشوة ظلت هى موضوع الحديث طوال هذه الليلة .

وقد بدأ هارى ريكس واثنان من المحامين الآخرين عملية البحث عن مالكوم فينس بالاتصال بكل محامى آخر فى داخل خمس مقاطعات . وفى حوالى العاشرة صباحًا وجدوا محاميًا بكورنيث ـ والتى تبعد مسافة ساعتين ـ قال إنه تقابل مع مالكوم فينس ذات مرة وتحدثا بشأن الطلاق ، ولكنه لم يذهب إليه ثانية . كان السيد فينس يعيش فى عربة مقطورة بمكان هادئ بالقرب من حدود مقاطعة تيشومينجو . ولم يستطع أن يتذكر أين كان يعمل ، ولكنه

كان واثقًا من أنه كتب ذلك فى ملفه بمكتبه . وقد أخذ السماعة محامى المقاطعة نفسه وطلب من هذا المحامى الحضور لمكتبه .

وفى الثامنة من صباح اليوم التالى ، فى الوقت الذى غادرت فيه غرفة جينجر بالفندق تقريبًا ، وافق القاضى لوبس سريعًا على إصدار قرار باستدعاء مالكوم فينس . وبعد ذلك بعشرين دقيقة أمسك ضابط بمدينة كورينث بيد رجل فى أحد المستودعات مانعًا إياه من وضع الشوكة فى فمه وأخبره بأن أمرًا قد صدر للتو يستلزم حضوره فى محاكمة متهم بجريمة قتل فى مقاطعة فورد .

سأل السيد فينس : " وما السبب بحق السماء ؟ " .

قال رجل الشرطة : " إننى فقط أنفذ التعليمات " .

" وما المفترض أن أفعل ؟ " .

قال الشرطى : " إن أمامك اختيارين يا صديقى . إما البقاء هنا معى حتى يأتوا لأخذك ، أو تستطيع المغادرة الآن والذهاب إلى هناك " . وقد سمح له مديره بالمغادرة والعودة سريعًا .

وبعد تأخير وصل إلى تسعين دقيقة ، دخل المحلفون . وكان السيد جون دير أنيقًا كشأنه دومًا ولكن باقى الأعضاء بدأوا يبدون متعبين . لقد بدا وكأن المحاكمة مستمرة منذ شهر .

أخذت السيدة كالى تبحث عنى ثم ابتسمت لى ابتسامة متحفظة ، وليس إحدى ابتساماتها المشرقة الرائعة . وكانت مازالت تمسك بكتاب دينى صغير .

وقف إيرنى وأعلن للمحكمة أنه ليس لديه مزيد من الأسئلة لليديا فينس . وقال لوشيان إنه قد انتهى من استجوابها أيضًا . وقال إيرنى إن لديه شاهد دفاع والذى يرغب فى استدعاءه . وقد اعترض لوشيان ويلبانكس على هذا وتناقشا بخصوص هذا الأمر عند

منصة القاضى . وحينما عرف لوشيان شخصية الشاهد ، أصبح حانقًا للغاية . وتلك دلالة جيدة .

وكان واضحًا أن القاضى لوبس كان قلقًا من أن يصدر المحلفون حكمًا غير منصف . لذا فقد انحاز إلى الادعاء ، واستدعى مالكوم فينس الجامح لقاعة المحكمة المكتظة بالحاضرين للإدلاء بشهادته . وقد أمضى معه إيرنى أقل من عشر دقائق فى غرفة خلفية ، لذا فقد كان غير مستعد ومرتبكًا للغاية .

وقد بدأ إيرنى استجوابه بتأن مستفسرًا عن الأساسيات ـ الاسم والعنوان والوظيفة وتاريخ الأسرة . وقد اعترف بعد بعض التردد بأنه متزوج من ليديا وأنهما متفقان على الانفصال . وقال إنه لم ير زوجته أو طفله منذ شهر تقريبًا . وكانت ظروف عمله الحالى متردية للغاية ، ولكنه كان يحاول أن يرسل لها مبلغ خمسين دولار شهريًا من أجل مصروفات الطفل .

وقد كان يعلم أنها لا تعمل ولكنها تعيش فى شقة جميلة . سأل إيرنى فى ارتياب بالغ وهو ينظر إلى المحلفين : " إنك لا تدفع ثمن إيجار شقتها " .

" لا يا سيدى " .

" هل تدفع أسرتها إيجار شقتها ؟ " .

قال مالكوم بكثير من الازدراء : " إن أسرتها لا تستطيع دفع أجرة ليلة بأحد الفنادق " .

وبمجرد السماح لها بالنزول من فوق المنصة غادرت ليديا قاعة المحكمة وربما تكون قد أخذت فى طريقها للفرار من المقاطعة . فقد انتهى دورها وأخذت أجرها . وهى لن تخطو بقدمها ثانية داخل مقاطعة فورد . وكان من المحتمل أن وجودها كان ليقوض شهادة

مالكوم ويمنعه من التحدث بحرية ، ولكن غيابها أتاح له الفرصة للتحدث عنها كيفما يشاء .

سأل إيرني بطريقة عابرة : " إنك لست على وفاق مع أسرتها ؟ " .

" إن معظمهم في السجن " .

" نعم . لقد شهدت بالأمس أنها منذ شهرين قامت بشراء سيارة موستانج فورد موديل ١٩٦٨ . هل ساعدتها في شرائها ؟ " .

" لا " .

سأل إيرني وهو ينظر إلى داني بادجيت : " هل لديك أدنى فكرة كيف يمكن لهذه المرأة التي لا تعمل أن تشتري هذه السيارة ؟ " .

" لا " .

" هل لديك فكرة إن كانت قد اشترت أشياء أخرى مرتفعة الثمن مؤخرًا ؟ " .

نظر مالكوم إلى هيئة المحلفين ورأى بعض الوجوه المألوفة وقال : " نعم ، لقد اشترت تلفازًا ملونًا جديدًا لنفسها ودراجة بخارية جديدة لأخيها " .

لقد بدا وكأن الجميع على طاولة الدفاع قد توقفوا عن التنفس . فكانت الخطة التي وضعوها هي رشوة ليديا سرًا وجلبها لقاعة المحكمة لتتلو أكاذيبها وتخلق حجة غياب ثم تنزل من فوق المنصة ثم يتعجلون الأمور ليصدر المحلفون حكمًا على داني قبل أن يستطيع أحد كشف زيف أقوالها . وهي لا تعرف سوى عدد محدود من الأشخاص بالمقاطعة والآن تقطن على مسافة ساعة .

والآن تمخضت تلك الخطة عن نتائج مأساوية ، وقاعة المحكمة برمتها كان بإمكانها رؤية واستشعارٍ مدى توتر لوشيان وموكله .

سأل إيرني : " هل تعرف رجلا يدعى داني بادجيت ؟ " .

قال مالكوم : " لم أسمع عنه مطلقاً " .

" لقد شهدت زوجتك بالأمس أنها ظلت على علاقة به طوال عام تقريبًا " .

ومن النادر أن نرى زوجًا يتلقى مثل هذا الخبر بكل هذا البرود ، ولكن بدا أنه لا بأس في ذلك لدى مالكوم . قال : " هل هذا صحيح ؟ " .

" نعم يا سيدى . وقد قالت إن هذه العلاقة قد انتهت منذ نحو شهرين " .

" حسنًا يا سيدى ـ من الصعب تصديق مثل هذا الأمر ؟ " .

" وما السبب ؟ " .

شعر مالكوم بالارتباك والخجل وركز انتباهه فجأة على حذائه . قال : " حسنًا ، إنه أمر شخصى فى الحقيقة " .

" نعم يا سيد فينس ، أنا واثق من هذا . ولكن فى بعض الأحيان يجب مناقشة الأمور الشخصية فى المحاكمات المفتوحة . فلدينا رجل يخضع للمحاكمة هنا ومتهم بالقتل . إن الوضع جاد هنا ونحتاج إلى أن نعلم الحقيقة " .

أرجح مالكوم ساقه اليسرى فوق ركبته اليمنى وقام بحك ذقنه لبضع ثوان ، ثم قال : " حسنًا يا سيدى ، إن الأمر بسيط . لقد توقفنا عن ممارسة الحب منذ نحو عامين . ولهذا قررنا أن ننفصل " .

سأل إيرنى فى فضول : " وهل هناك سبب معين جعلكما تتوقفان عن ممارسة الحب ؟ " .

" نعم يا سيدى . لقد أخبرتنى أنها تكره ممارسة الجنس معى ، حيث إن ذلك يجعلها تشعر بالغثيان . وقالت إنها تكره ممارسة الجنس مع الرجال " .

وعلى الرغم من أنه كان يعلم الإجابة مسبقًا ، إلا أن إيرنى عزم على أن يبدو مصدومًا بقدر استطاعته ـ شأن كل الحاضرين الآخرين . وقد ابتعد عن المنصة وتحدث إلى هانك هوتن ، ليتيح للمحلفين الفرصة لامتصاص الصدمة . وقال أخيرًا : " لا مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضى " .

اقترب لوشيان من مالكوم فينس وكأنه يحدق فى بندقية محشوة . وقد أخذ يستجمع خيوط الموضوع . ووفقًا لباجى فإن المحامى البارع لا يسأل قط أسئلة إلا إذا كان يعرف إجابتها ، وخاصة إن كان الشاهد خطيرًا مثل مالكوم فينس . لقد كان لوشيان محاميًا بارعًا ولكنه لا يملك أدنى فكرة عما يمكن لمالكوم أن يفجره .

وهو قد اعترف أنه لا يكن أية مشاعر لليديا ، وأنه لا يطيق صبرًا على الحصول على الطلاق ، وأن السنوات الأخيرة معها لم تكن سعيدة ، وما إلى ذلك . كانت دردشة عادية عن الطلاق . وقد تذكر أنه سمع عن حادثة مقتل كاسيلو فى صباح اليوم التالى ، وأنه كان متغيبًا عن المنزل فى الليلة السابقة وعاد متأخرًا للغاية فى هذه الليلة . وبذلك أحرز لوشيان هدفًا ضعيفًا . فقد أثبت بأن ليديا كانت وحدها فى هذه الليلة كما شهدت .

ولكن لم يكن ذلك مهمًا . فباقى المحلفين وجميع الحضور كانوا لا يزالون مندهشين من مدى فداحة آثام ليديا .

بعد فترة راحة طويلة ، نهض لوشيان ببطء وخاطب المحكمة : " يا سيادة القاضى ، إن الدفاع ليس لديه مزيد من الشهود . ومع

ذلك فإن موكلي يود الإدلاء بشهادته . وأود أن أوضح أن تلك الشهادة ضد رغبتي " .

قال لوبس : " تم تسجيل ذلك " .

قال باجي بصوت مرتفع بما فيه الكفاية ليسمعه نصف الحاضرين : " لا أصدق هذا . يا له من خطأ شنيع ! " .

قفز داني بادجيت ومشى باختيال ناحية منصة الشهود . وكانت محاولاته لأن يبتسم تبدو متكلفة ، ومحاولاته لأن يبدو واثقًا من نفسه بدت زهوًا وغرورًا . وقد أقسم بقول الحقيقة ، ولكن لم يتوقع أحد سماعها .

كان سؤال لوشيان الأول هو : " لماذا تصر على الإدلاء بشهادتك ؟ " . وكانت القاعة شديدة الهدوء .

قال وهو ينظر إلى المحلفين : " لأنني أريد أن يعرف هؤلاء الناس الطيبين ماذا حدث بالفعل " .

قال لوشيان وهو يشير بيده ناحية المحلفين : " إذن أخبرهم " .

وكانت روايته للأحداث إبداعية بشكل رائع ؛ حيث لم يكن هناك من يقاطعه أو يدفع أقواله بالبينة . فلقد غادرت ليديا ، ورودا كانت ميتة . وقد بدأ أقواله بالاعتراف بأنه أمضى بضع ساعات مع صديقته ليديا فينس والتي تقطن على بعد أقل من نصف ميل من منزل رودا كاسيلو . وقد كان يعلم بدقة أين تعيش رودا لأنه زارها عدة مرات . ولقد كانت تريد علاقة جادة ولكنه كان منشغلاً بليديا . وقد أقام هو ورودا علاقة مرتين . وكانا يتقابلان بالنوادى الموجودة على حدود الولاية ويمضون ساعات عديدة في الشرب والرقص . لقد كانت جذابة ومعروفاً عنها أنها تقيم علاقات مع الجميع .

وقد أضافت تلك الإهانة لجرح جينجر ، والتى نكست رأسها للأسفل وغطت أذنيها . ولقد رأى المحلفون رد فعلها هذا .

وهو لم يصدق ذلك الهراء الذى قاله زوج ليديا عن كونها ذات ميول شاذة ؛ فالمرأة كانت تستمتع بعلاقاتها مع الرجال . لقد كان مالكوم يكذب حتى يستطيع الحصول على حضانة الطفل .

لم يكن بادجيت شاهدًا سيئاً ، ولكنه كان يشهد لإنقاذ حياته . كانت إجاباته سريعة وكان كثير الابتسامات المتكلفة لهيئة المحلفين ، وكان كلامه منمقًا ومتوافقًا مع بعضه البعض . وكنت أنصت إليه وأراقب المحلفين ، ولم أستطع أن أرى أى تعاطف فى عيونهم . وقد بدا فارجرسون ـ الفتى المعوق ـ متشككاً شأنه شأن أى شاهد آخر . وكان السيد جون دير لايزال يجلس وهو عاقد ذراعيه فوق صدره ومقطب جبينه . أما السيدة كالى والتى لم تكن تحمل أية ضغينة لبادجيت ، فهى مستعدة الآن لترسله إلى السجن بتهمة ارتكاب الزنا بنفس حماستها لإرساله هناك بتهمة القتل .

وقد كان استجواب لوشيان مختصرًا . فموكله كان لديه الكثير من الكذب ليشنق به نفسه ، ولم يكن من المنطقى أن يجعل الأمور أسهل بالنسبة للنيابة . وحينما جلس لوشيان نظر إلى أفراد عائلة بادجيت الأكبر سنًا وكأنه يبغضهم للغاية ، ثم استجمع قواه استعدادًا لما سيحدث .

إن استجواب مثل هذا المتهم المذنب هو حلم كل مدع عام . سار إيرنى بتأن تجاه طاولة العرض ورفع قميص دانى المبقع بالدم . قال لمراسل المحكمة وهو يرفع القميص عاليًا كى يراه المحلفون ثانية : " المستند رقم ثمانية " .

" من أين ابتعت هذا القميص يا سيد بادجيت ؟ " .

تجمد دانى فى مكانه غير واثق إن كان لابد له أن ينكر أنه خاصته أو يعترف بملكيته أو يحاول أن يتذكر من أين اشترى هذا القميص اللعين .

زأر إيرنى تجاهه : " إنك لم تسرقه ، أليس كذلك ؟ " .

" لا " .

" إذن أجب عن سؤالى ، ومن فضلك حاول أن تتذكر أنك تحت القسم . من أين اشتريت هذا القميص ؟ " . وبينما كان إيرنى يتحدث كان يمسك بالقميص أمامه بأطراف أصابعه وكأن الدم لايزال رطبًا وقد يبقع بذلته .

" من توبيلو على ما أعتقد . أنا لا أتذكر فى الحقيقة ، فهو مجرد قميص " .

" منذ متى وهو لديك ؟ " .

سادت فترة صمت أخرى . فكم عدد الرجال الذين يستطيعون تذكر وقت شرائهم لقميص معين ؟

" ربما منذ عام . أنا لا أدون ملاحظات بشأن الملابس " .

قال إيرنى : " ولا أنا . حينما ذهبت للفراش مع ليديا فى هذه الليلة ، هل خلعت هذا القميص ؟ " .

أجاب بفضول : " نعم " .

" أين كان حينما كنتما ... تقيمان علاقة ؟ " .

" على الأرض على ما أعتقد " .

الآن أصبح ما من مجال للشك أن القميص يخصه ، وبذلك أصبح لإيرنى مطلق الحرية أن يقوم بسلخه . فقام بجذب تقرير خاص بمختبر مكافحة الجريمة وقرأه على دانى وسأله كيف وصل دمه إلى القميص . وقاد هذا السؤال إلى مناقشة حول قدراته فى القيادة وحبه للقيادة بسرعة ونوع سيارته وحقيقة أنه كان ثملاً حينما انقلبت

شاحنته . وبينما كان إيرنى يمشى محدثًا صوتًا ، انذهلت من الطريقة التى جعل بها مسألة القيادة تحت تأثير الخمر بكل هذه الأهمية والجدية . وليس من المدهش أن دانى كان ضعيفا ، وبدأ ينهار سريعًا أمام أسئلة إيرنى التهكمية .

ثم عاود الحديث عن دماء رودا . فإن كان بالفراش مع ليديا ، وكان قميصه على الأرض ، كيف بحق السماء شقت دماء رودا طريقها من فراشها إلى فراش ليديا على بعد نصف ميل ؟

قال دانى إنها مؤامرة ، وهو يطرح نظرية جديدة ويحفر حفرة لن يستطيع قط الخروج منها . فقضاء وقت طويل فى زنزانة السجن قد يكون خطيرًا بالنسبة لمجرم مذنب . حسنًا ، ولقد حاول أن يشرح كيف أن شخصًا ما إما حاول أن يلوث قميصه بدماء رودا ـ وهى نظرية أبهجت الحاضرين ـ أو وهو الاحتمال الأرجح أن الشخص الذى تفحص قميصه كان يكذب ، فقط لإلصاق التهمة به . وكلا السيناريوهين كانا ليحققا لدانى كثيرًا من المتعة ولكنه فضل أن يسدد له عدة لكمات قاتلة حول السبب الذى جعله ـ وهو الذى يمتلك بالطبع الكثير من المال لتوكيل أفضل المحامين ـ لم يستأجر خبيرًا خاصًا يأتى إلى المحكمة ليشرح اختبارات بقع الدم لهيئة المحلفين .

ربما لم يستطع إيجاد أى خبير لأنه ما من خبير باستطاعته الوصول للنتائج السخيفة التى أرادها بادجيت .

ونفس الشىء ينسحب على المنى . فإن كان يجامع ليديا إذن كيف وصلت حيواناته المنوية إلى رودا ؟ لا مشكلة ـ إن ذلك مجرد جزء من مؤامرة كبيرة للإيقاع به . فلقد تم تلفيق تقارير المعمل الجنائى ؛ وكان عمل الشرطة يشوبه الأخطاء . وقد ظل إيرنى يسدد إليه اللكمات حتى أصبنا بالإنهاك .

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف وقف لوشيان واقترح فض الجلسة للاستراحة ولتناول الغداء . صاح إيرني عبر قاعة المحكمة : " أنا لم أنته بعد ! " . فقد أراد الانتهاء من عملية الإبادة قبل أن يستطيع لوشيان وضع يديه على موكله ومحاولة إعادة تأهيله ، وعلى الرغم من أنها مهمة كانت تبدو مستحيلة . فكان بادجيت يلهث داخل المقصلة محاولاً تنفس بعض الهواء ، ولكن إيرني لم يسمح له بذلك .

قال القاضي لوبس : " واصل استجوابك " . وقد صاح إيرني فجأة على بادجيت : " ماذا فعلت بالسكين ؟ " .

وقد أفزع السؤال الجميع وخاصة الشاهد الذى عاد للوراء وقال سريعًا : " أنا ، أوه ــــ " ثم سكت .

" أنت ماذا ! هيا يا سيد بادجيت أخبرنا ماذا فعلت بالسكين ، سلاح الجريمة " .

هز داني رأسه بقوة وبدا فزعا لدرجة تمنعه من الكلام . وأخيرًا استطاع أن يقول : " أى سكين ؟ " . ولم يكن من الممكن أن يبدو مذنبًا أكثر من ذلك حتى لو كان السكين قد وقع من جيبه على الأرض .

" السكين التى استخدمتها لقتل رودا كاسيلو " .

" أنا لم أقتلها " .

وشأنه شأن الجلاد البطئ والقاسي ، سكت إيرني طويلاً وأخذ يتباحث مع هانك هوتن ثانية . وبعد ذلك قام بالتقاط تقرير التشريح وسأل داني إذا كان يتذكر شهادة الطبيب الشرعي الأول . فهل كان تقريره أيضًا جزءًا من المؤامرة ؟ لم يكن داني يعرف تمامًا كيف يجيب عن هذا السؤال . إن جميع الأدلة كانت ضده ، إذن ، لابد أن يكون زائفًا هو الآخر .

وجلده الذى وجدوه تحت ظفرها ، هل كان أيضًا جزءاً من المؤامرة ؟ وحيواناته المنوية ؟ وإلى آخر تلك الأدلة ؛ لقد قام إيرنى بسحقه . ومن حين لآخر ، كان لوشيان ينظر من فوق كتفه إلى والد دانى بنظرة تقول : " ألم أقل لك هذا ؟ " .

إن وجود دانى فوق منصة الشهادة أتاح لإيرنى الفرصة أن يقوم بعرض جميع الأدلة ثانية ، وكانت النتيجة مأساوية . فاعتراضاته الواهنة بأن خيوط مؤامرة نسجت ضده بدت سخيفة ؛ بل مضحكة . ومشاهدته وهو ينهار تمامًا أمام هيئة المحلفين كانت أمراً مرضيًا تمامًا . فالفتيان الصالحون كانوا ينتصرون . وبدا المحلفون على استعداد إلى جذب أسلحتهم وتكوين فرقة لإطلاق النار عليه .

ألقى إيرنى بأوراقه القانونية فوق طاولته وبدا مستعدًا لتناول الغداء ، أخيرًا . ودس كلتا يديه فى جيبيه الأماميين وحدق فى الشاهد وقال : " إنك تخبر هيئة المحلفين الآن وأنت تحت القسم أنك لم تغتصب أو تقتل رودا كاسيلو ؟ " .

" أنا لم أفعل ذلك " .

" إنك لم تتبعها حتى منزلها من حدود الولاية فى ليلة السبت هذه ؟ " .

" لا " .

" إنك لم تتسلل إلى منزلها عبر باب الفناء ؟ " .

" لا " .

" واختبأت بخزانة ملابسها حتى وضعت طفليها فى فراشهما ؟ " .

" لا " .

" ولم تقم بالاعتداء عليها حينما دخلت غرفتها لترتدى ملابس النوم ؟ " .

" لا " .

وقف لوشيان وقال في غضب : " أعترض يا سيادة القاضي ، إن السيد جاديس يدلى بشهادته هنا " .

نظر لوبس لطاولة الدفاع قائلاً : " اعتراض مرفوض ! " . لقد أراد القاضى محاكمة عادلة . فتقويض كل الأكاذيب التى لفقها الدفاع كان يتيح لجهة الإدعاء الفرصة لأن يصف مسرح الجريمة بحرية .

" ولم تقم بعصب عينيها بوشاح ؟ " .

كان بادجيت يهز رأسه باستمرار بينما وصل الاستجواب إلى ذروته .

" وقطعت سراولها الداخلى بسكينك ؟ " .

" لا " .

" ولم تقم باغتصابها فى فراشها ، وطفلاها ينامان على مسافة ليست ببعيدة ؟ " .

" لا ، لم أفعل " .

" ولم توقظهما بالضوضاء التى أصدرتها ؟ " .

" لا " .

اقترب إيرنى من منصة الشهود إلى أقصى مسافة تسمح بها المحكمة ونظر بحزن إلى هيئة المحلفين ، ثم استدار ناحية دانى وقال : " لقد هرع مايكل وتيريزا ليتفقدا أمهما ، أليس كذلك يا سيد بادجيت ؟ " .

" لا أعلم " .

" ووجداك فوقها ، أليس كذلك ؟ " .

" أنا لم أكن هناك " .

" وقد سمعت رودا صوتهما ، أليس كذلك ؟ هل صاحا عليك ، أو توسلا إليك كى تبتعد عنها ؟ " .

" أنا لم أكن هناك " .

" وقامت رودا بما كانت أى أم أخرى لتفعله ـ صاحت عليهما كي يهربا ، أليس كذلك يا سيد بادجيت ؟ " .

" أنا لم أكن هناك " .

جأر إيرنى وبدا أن الجدران اهتزت نتيجة ذلك : " لم تكن هناك ! إن قميصك كان هناك ، وآثار أقدامك كانت هناك ، وتركت حيواناتك المنوية هناك أيضًا ! هل تعتقد أن هؤلاء المحلفين أغبياء يا سيد بادجيت ؟ " .

ظل الشاهد يهز رأسه . سار إيرنى ببطء إلى مقعده وجذبه من أسفل الطاولة . وبينما كان على وشك الجلوس قال : " إنك مغتصب ، وقاتل ، وكاذب ، أليس كذلك يا سيد بادجيت ؟ " .

وقف لوشيان وصاح : " اعتراض يا سيادة القاضى . هذا يكفى " .

" اعتراض مقبول . هل لديك مزيد من الأسئلة يا سيد جاديس ؟ " .

" لا يا سيادة القاضى ، لقد انتهى الادعاء من استجواب الشاهد " .

" هل لديك أى تعليق يا سيد ويلبانكس ؟ " .

" لا يا سيادة القاضى " .

" يستطيع الشاهد النزول من فوق المنصة " . وقف دانى ببطء على قدميه . وقد اختفت الابتسامة المتكلفة ، واختفى الزهو منذ فترة طويلة . فكان وجهه أحمر اللون نتيجة ما يشعر به غضب من وهو يتصبب عرقًا .

وبينما كان على وشك النزول من على منصة الشهود والعودة إلى طاولة الدفاع استدار فجأة ناحية المحلفين وقال شيئًا أذهل قاعة

المحكمة . وقد كان وجهه يشع كراهية وأشار بسبابته في الهواء قائلاً : " إن واتتكم الجرأة لإدانتي ، فسوف أقتص من كل واحد منكم " .

قال القاضي لوبس في غضب : " أيها الحاجب ! هذا يكفي يا سيد بادجيت " . كرر داني تهديده بصوت أعلى : " سوف أقتص من كل واحد منكم ! " . هب إيرني واقفاً ولكنه لم يجد شيئاً يقوله . ولماذا يتوجب عليه ذلك ؟ لقد كان المتهم يشنق نفسه . وقد وقف لوشيان كذلك وهو لا يعلم أيضًا ماذا يفعل ! وقد هرع شرطيان وأخذا بادجيت إلى طاولة الدفاع . وبينما كان يمشي مبتعدًا حملق في المحلفين وكأنه ينوى إلقاء قنبلة يدوية عليهم .

وعندما هدأت الأمور أدركت أن دقات قلبي كانت متسارعة من فرط الإثارة . حتى باجي كان مذهولاً لدرجة عقدت لسانه .

قال القاضي : " دعونا نأخذ استراحة الغداء " . فقمنا بمغادرة قاعة المحكمة سريعًا ، وأنا لم أعد جائعًا ، فلقد أردت أن أذهب إلى منزلي وأستحم .

الفصل الثامن عشر

استكملت الجلسة فى الثالثة مساء . وكان جميع المحلفين حاضرين ؛ ولم يقم آل بادجيت بقتل أحد فى أثناء فترة الغداء . وقد ابتسمت لى السيدة كالى ، ولكن لم تكن تلك الابتسامة من قلبها .

وقد شرح القاضى لوبس للمحلفين أن الوقت قد حان للمباحثات الختامية ، والتى ستجرى بعد أن يقرأ عليهم الإرشادات الرسمية ، وينبغى عليهم الإجماع على حكم فى خلال ساعتين تقريبًا . وكانوا ينصتون بإمعان ، ولكننى كنت واثقًا من أنهم لا يزالون مضطربين من جراء صدمة تعرضهم للترهيب بهذا النحو الفاضح . لقد كانت المدينة بأسرها مضطربة . فلقد كانت هيئة المحلفين مجرد عينة منا ، نحن أفراد المجتمع ، وتهديدهم معناه تهديد المجتمع ككل .

كان لإيرنى الكلمة الأولى ، وفى غضون دقائق عاد القميص المبقع بالدم إلى خشبة المسرح ثانية . ولكنه كان على الرغم من ذلك حريصًا على ألا يبالغ فى استخدامه . فالمحلفون استوعبوا ما قيل ، وهم الآن يعرفون الأدلة جيدًا .

كانت مرافعة محامي الولاية شاملة ، ولكنها فى الوقت ذاته مختصرة . وبينما كان يتقدم بالتماسه الأخير لإصدار حكم بالإدانة على المتهم أخذنا فى مراقبة وجوه المحلفين . ولم أر أى تعاطف تجاه المتهم . فكان فارجرسون ـ الفتى المعوق ـ يومئ برأسه بينما يتابع كلام إيرنى . أما السيد جون دير فلم يكن عاقدا ذراعيه وكان ينصت لكل كلمة .

وكان لوشيان حتى أكثر اختصارًا ، ولكنه في ذلك الوقت لم يعد لديه الكثير ليقوله . وقد بدأ بالتحدث عن كلمات موكله الأخيرة لهيئة المحلفين ، واعتذر عن سلوكه . وقد ألقى اللوم على الضغط الواقع عليه في هذه اللحظة . فتخيلوا ـ موجهًا حديثه للمحلفين ـ فتى في الرابعة والعشرين من عمره يواجه إما عقوبة السجن مدى الحياة أو الأسوأ ـ الإعدام شنقا بالغاز . فالضغط الواقع على موكله الشاب ـ وكان دومًا يشير إليه باسمه الأول " دانى " وكأنه فتى صغير برئ ـ كان هائلا لدرجة أنه كان خائفا على قواه العقلية .

وحيث إنه لا يستطيع التعليق على المؤامرة البلهاء التى نسج خيوطها موكله ، وحيث إنه كان يعلم أنه من الأفضل ألا يشير إلى الأدلة ، فقد أمضى نصف ساعة تقريبًا يمتدح الأبطال الذى كتبوا دستورنا وميثاق الحقوق . والطريقة التى فسر بها لوشيان افتراض البراءة وضرورة إثبات المحكمة بما لا يدع مجالاً للشك أن المتهم مذنب جعلتنى أتساءل كيف يمكن لأى متهم أن يأخذ حكمًا بالإدانة .

وقد أتيح للنيابة الفرصة للرد ، ولكن لم يتح ذلك لجهة الدفاع . لذا فكان لإيرنى الكلمة الأخيرة . وقد تجاهل الأدلة ولم يذكر المتهم ، ولكنه اختار ـ بدلاً من ذلك ـ التحدث عن رودا .

شبابها وجمالها ، حياتها البسيطة فى بيتش هيل ، موت زوجها ، وتحدى تربية طفلين وحدها .

وكانت كلماته هذه فعالة للغاية ، وكان المحلفون ينصتون بإمعان . وكانت عبارة إيرنى المتكررة هى : " دعونا لا ننساها " . لقد كان خطيبًا بارعًا ، وقد أرجأ أفضل خطبة إلى النهاية .

ثم قال وهو ينظر فى أعين المحلفين : " ودعونا لا ننسى أمر طفليها . لقد كانا هناك عندما ماتت . وما رأياه كان بشعًا لدرجة أنهما سيظلان دومًا خائفين . إن لهما صوتًا هنا فى قاعة المحكمة هذه ، وأنتم الذين تعبرون عن هذا الصوت " .

قرأ القاضى لوبس إرشاداته على المحلفين ، ثم أرسلهم ثانية لبدء مباحثاتهم . كانت الساعة قد جاوزت الخامسة مساء ، وهو الوقت الذى كانت فيه المتاجر بالميدان قد أغلقت أبوابها بالفعل ، ومضى التجار وزبائنهم فى طريقهم منذ وقت طويل . وكان المرور هادئًا وصف السيارات سهلا .

ولكن لا يصبح الحال هكذا حينما يخرج محلف واحد !

اجتمع معظم الحشد فى حديقة المحكمة ، يدخن ويتحدث ويتوقع المدة التى سيمضيها المحلفون معًا حتى يجتمعوا على حكم . وقد احتشد آخرون بالمقاهى لاحتساء القهوة أو تناول عشاء مبكر . وقد تبعتنى جينجر حتى مكتبى ؛ حيث جلسنا فى الشرفة وأخذنا نشاهد النشاط الدائر حول حكمة . كانت منهارة عاطفيًا ولم ترغب فى فعل شىء سوى مغادرة مقاطعة فورد .

سألتنى : " ما مدى وثاقة علاقتك بهانك هوتن " .

" لم أقابله من قبل . لماذا ؟ " .

" لقد جاءنى وأنا أتناول الغداء وقال إنه كان يعرف رودا جيدًا ، ويعلم أنها لم تكن كثيرة العلاقات وأنها لم تكن على علاقة

بدانى بادجيت على وجه الخصوص . وقد أخبرتـه بـأننى لم أصـدق للحظة أنها كانت على علاقة بهذا الحثالة " .

سألتها : " هل أخبرك أنه كان يواعدها ؟ " .

" لا ، ولكننى استشعرت ذلك . فحينما كنا ننقـب فـى أشـيائها بعد أسبوع مـن جنازتهـا تقريبًـا ، وجـدت اسمـه ورقـم هاتفـه فـى دفترها " .

قلت : " لقد قابلت باجى " .

" نعم " .

" حسنًا ، إن باجي يعيش في المقاطعة منذ فترة طويلة ويظن أنه يعلم كل شيء . وقد أخبرنى يوم الاثنين عنـدما بـدأت المحاكمـة أن رودا وهانك كانا يتواعدان . وقد قال لى إن هانك تـزوج مـرتين وأنـه معروف بأنه زير نساء " .

" إذن فهو ليس متزوجًا ؟ " .

" لا أعتقد هذا . سوف أسأل باجى فى هذا الشأن " .

" أعتقد أننى يجب أن أشعر بأننى أفضل حالاً ؛ لأن أختى كانت تواعد محاميًا " .

" ولماذا يجعلك ذلك تشعرين بأنك أفضل حالاً ؟ " .

" لا أعلم " .

وبعد دقيقة كان هناك اضطراب حول الباب الأمامى للمحكمـة ، سمعت شخصًا ما يصيح بشىء ما عن إصدار " حكم " .

فبعد التباحث لمدة تقل عـن السـاعة كـان المحلفـون مسـتعدين . وحينما جلس المحامون والحاضرون فى أمـاكنهم طلـب القاضـى مـن الحاجب إدخال المحلفين .

همس باجي إلىّ بينما كان الباب يفتح ودخل فارجرسون يعرج أولاً وقال : " إنه مذنب لا محالة . فالمباحثات السريعة تعني دومًا حكمًا بالإدانة " .

وقد تذكرت أن باجي قد توقع من قبل انشقاق أعضاء هيئة المحلفين ، ولكنني لم أذكره بذلك ، ليس في ذلك الوقت على أية حال .

سلم رئيس المحلفين ورقة مطوية للحاجب والذى سلمها بدوره للقاضي . تفحصها القاضي لوبس طويلاً ثم اقترب من مكبر الصوت وقال : " فليقف المتهم " . وقد وقف كل من بادجيت ولوشيان ببطء وانتظرا في ترقب وكأن فرقة إطلاق النار كانت على أهبة الاستعداد .

قرأ القاضي لوبس : " بالنسبة للفقرة الاتهامية الأولى تهمة الاغتصاب ، فقد وجد المحلفون المتهم داني بادجيت مذنبًا . وبالنسبة للفقرة الاتهامية الثانية وهي جريمة القتل من الدرجة الأولى ، فقد وجد المحلفون المتهم داني بادجيت مذنبًا " .

لم يجفل لوشيان ولم يحاول بادجيت ذلك . وقد نظر إلى المحلفين نظرة تملؤها الحقد والكراهية ، ولكنه تلقى منهم في المقابل نفس النظرة .

" تستطيع الجلوس " ، هكذا قال القاضي ثم استدار للمحلفين قائلاً : " أيها السيدات والسادة ، شكرًا لكم على حسن تعاونكم حتى الآن . إننا بذلك انتهينا من مرحلة مذنب أم برئ من المحاكمة . الآن ننتقل إلى مرحلة العقوبة والتي ينبغي عليكم فيها اتخاذ قرار سواء بحبس المتهم مدى الحياة أو بإعدامه . سوف تعودون الآن لفندقكم وسوف نأخذ راحة حتى التاسعة صباحًا . شكرًا لكم وطابت ليلتكم " .

هذا الأمر تمامًا ، وبالطبع كان من المستحيل أن أستطيع المغادرة معها . فقد قمت بإلقاء نظرة على الأطلس ـ فقد كانت سبرينج فيلد وميسورى بعيدتين جدًا عن بعضهما البعض ، مسافة ست ساعات بالسيارة . فالبقاء على اتصال سوف يكون صعبًا ، على الرغم من أننى سأحاول بالتأكيد إن رغبت هى فى ذلك .

ولكننى استشعرت بأن جينجر سوف تختفى من حياتى بنفس السرعة التى ظهرت بها . فلقد كنت واثقًا من أن لديها صديقاً أو اثنين فى بلدها ، لذا فلن يكون مرحبًا بى هناك . وإن حدث ورأتنى فى سبرينج فيلد ، فإنها سوف تتذكر مقاطعة فورد وذكرياتها الشنيعة هناك .

ضغطت على يدها وأخذت على نفسى عهدًا بأن أستمتع بتلك الساعات القليلة بقدر استطاعتى .

وفى ممفيس ، توجهنا صوب المبانى الطويلة عند النهر . وكان أشهر مطعم فى البلدة هو الريندیفوس والذى يقدم طعامًا فاخرًا ، وقد كان مطعمًا رائعًا تمتلكه عائلة يونانية . وكان تقريبًا كل الطعام الجيد فى ممفيس إما يطهوه يونانيون أو إيطاليون .

ووسط البلد فى ممفيس فى عام ١٩٧٠ لم يكن مكانًا آمنًا . وقد أوقفت السيارة فى مرآب وأسرعنا فى أحد الأزقة حتى باب الريندیفوس . وكان دخان طهى الطعام يتصاعد من داخل الثقوب إلى ما بين المبانى مثل الضباب الكثيف . وكانت تلك هى أكثر رائحة ذكية شممتها فى حياتى تقريبًا ، وشأنى شأن معظم رواد المطاعم الآخرين ، فقد شعرت بالجوع بمجرد أن صعدت مجموعة من الدرجات ودخلت المطعم .

وكان يأتى للمطعم الكثير من الرواد فى يوم الخميس . انتظرنا نحو خمس دقائق وحينما نودى على اسمى تبعنا النادل حيث كان

يدور حول الطاولات خلال حجرات أصغر فى داخل دهاليز المطعم . وقد غمز إلىّ ووفر لى طاولة لفردين فى ركن مظلم . وقد طلبنا طعامًا وشرابًا وأخذنا ننتظر .

وقد شعرنا بكثير من الراحة بعد صدور حكم الإدانة . فأى حكم آخر كان ليصبح كارثة ، وكانت جنيجر لتفر من البلدة ولا تعاودها أبدًا . فإنها سوف تفر غدًا ، ولكنها معى الآن . وقد شربنا ابتهاجاً بالحكم . فبالنسبة لجينجر ، فإنه كان يعنى أن العدل قد انتصر . وقد كان يعنى لى ذلك أيضًا ، ولكنه أتاح لنا كذلك ليلة معًا .

وقد تناولت القليل من الطعام مما جعلنى أنتهى من شريحتى وأبدأ فى تناول شريحتها . وقد أخبرتها عن السيدة كالى وتناولنا للغداء معًا فى شرفتها وأبنائها البارزين وماضيها . وقد قالت إنها تعشق السيدة كالى كما تعشق المحلفين الأحد عشر الآخرين .

ولكن مثل هذا الإعجاب لن يدوم طويلاً .

كما توقعت ، كان أبى يستكن فى الطابق العلوى والذى كان يدعوه دومًا مكتبه . ولقد كان هذا الطابق فى برج فيكتورى بالركن الأمامى من منزلنا الرث فى منتصف مدينة ممفيس . وقد أرادت جينجر رؤيته ، وقد بدا فى الظلام خادعًا أكثر مما يبدو فى ضوء النهار . وكان يقع فى حى مشبوه يعج بالمنازل المتهالكة تسكنه عائلات تعيش فى فقر مدقع .

سألت : " ماذا يفعل بالأعلى ؟ " . كنا نجلس فى سيارتى ، وأنا أشغل المحرك عند الحاجز الحجرى . وكان كلب السيدة دكورث الشنوزر ينبح علينا من الطابق الرابع .

" لقد أخبرتك قبل ذلك أنه يتاجر فى السندات والأسهم " .

" ليلاً ؟ " .

" إنه يدرس أحوال السوق . وهو لا يخرج قط " .

" وهل يخسر مالا ؟ " .

" بالتأكيد إنه لا يكسب أية أموال " .

" هل سنلقى التحية عليه ؟ " .

" لا ، إن ذلك سوف يثير حنقه فقط " .

" متى كانت آخر مرة رأيته فيها ؟ " .

" منذ ثلاثة أو أربعة أشهر " . فزيارة أبي كانت هى آخر شىء أود فعله فى هذه اللحظة . فقد كنت متشوقا لقضاء بعض الوقت برفقتها . وقد قدت السيارة إلى خارج المدينة بالضواحى ووجدت فندقا يسمى هوليداى إن يقع على حدود الولايتين .

الفصل التاسع عشر

فى صباح يوم الجمعة بالردهة خارج قاعة المحكمة وجدنى إيساو روفين وكان لديه مفاجأة سارة لى . فثلاثة من أبنائه ـ آل وماكس وبوبى (ألبرتو وماسيمو وروبيرتو) ـ كانوا معه ومتلهفين لإلقاء التحية علىّ . وكنت قد تحدثت مع هؤلاء الأبناء الثلاثة منذ شهر حينما كنت أكتب المقالة الخاصة عن السيدة كالى وأبنائها . وقد تصافحنا بالأيدى وتبادلنا المزاح . وقد شكرونى بأدب على صداقتى بوالدتهم وعلى الكلمات الرقيقة التى كتبتها عن أسرتهم . وكان جميعهم يتحدثون بهدوء ورصانة ووضوح مثل السيدة كالى .

وقد وصلوا فى وقت متأخر من الليلة السابقة كى يدعموا والدتهم معنويًا . وقد تحدث إليها إيساو مرة واحدة فى خلال أسبوع ـ فقد كان مسموحًا لكل محلف بمكالمة هاتفية واحدة ـ وقد كانت متماسكة جيدًا ولكن قلقة بشأن ضغط دمها .

وقد أخذنا نتحدث لدقيقة بينما كنا نتحرك مع الحشد إلى داخل قاعة المحكمة ـ وقد جلسوا ورائى مباشرة . وبعد ذلك بعدة دقائق حينما جلست السيدة كالى ونظرت إلىّ رأت أبنائها الثلاثة . ولقد

ابتسمت ابتسامة مشرقة ، واختفت آثار الإرهاق من حول عينيها على الفور .

وفى أثناء المحاكمة ، رأيت فى وجهها بعض أمارات الفخر والاعتزاز . فقد كانت تجلس فى مكان لم يجلس فيه أى شخص أسود من قبل وكتفها فى كتف مواطنين آخرين وتصدر حكمًا على مواطن أبيض للمرة الأولى فى مقاطعة فورد . وقد رأيت أيضًا أمارات الإثارة التى عادة ما تصاحب المغامرة التى لا يعلم أحد عقباها .

والآن وبعدما جاء أبناؤها للمشاهدة ، فقد امتلأ وجهها فخرًا دون أن يشوبه أى علامة من علامات الخوف . فقد كانت تجلس بمزيد من الاستقامة ، وعلى الرغم من أنها لم تفوت شيئًا حتى الآن بقاعة المحكمة إلا أن عينيها كانتا تتجولان فى كل مكان متلهفة لمعرفة ما سيحدث لكى تنتهى من مهمتها .

وقد شرح القاضى لوبس للمحلفين أنه فى مرحلة تحديد العقوبة ستتقدم الولاية بدليل يوضح الظروف المشددة للعقوبة كدعم لطلبها بإصدار حكم الإعدام . وسوف يطالب الدفاع بتخفيف العقوبة . ولم يتوقع أن يستغرق هذا الأمر طويلاً . لقد كان اليوم هو الجمعة ؛ فقد طالت المحاكمة بما فيه الكفاية بالفعل ، وأراد المحلفون وكل شخص آخر بمقاطعة فورد التخلص من بادجيت حتى يعاودوا ممارسة حياتهم الطبيعية ثانية .

وقد استطاع إيرنى جاديس أن يحدد بدقة الحالة المعنوية السائدة بقاعة المحكمة . وقد توجه بالشكر لأعضاء هيئة المحلفين لإصدارهم الحكم الصائب وهو إدانة المتهم ، واعترف بأنه يشعر بأنه ليس بحاجة إلى مزيد من الشهود . فالجريمة فى حد ذاتها بشعة بما فيه الكفاية وليست بحاجة لزيادتها بشاعة . وقد طلب من المحلفين تذكر صور رودا الفوتوغرافية على الأرجوحة بشرفة

منزل السيد ديس الأمامية وشهادة الطبيب الشرعي حول جروحها الغائرة وكيف توفيت . وطفلاها ، ونرجو منكم عدم نسيان طفليها .

كما لو أن أحدًا يستطيع ذلك .

وقد تقدم بحجة مثيرة تعلل التماسه لإصدار حكم الإعدام . وقد أعطانا نبذة تاريخية عن السبب الذى يجعلنا نحن المواطنين الأمريكيين الصالحين الشرفاء نؤمن لهذا الحد بتلك العقوبة . فقد شرح كيف أنها تعد رادعًا قويًا ، ثم قام بالاقتباس من أحد الكتب الدينية .

ففي خلال ثلاثين عامًا تقريبًا من مقاضاة المجرمين بست ولايات ، لم ير جريمة تستحق عقوبة الإعدام مثل هذه . وحينما نظرت إلى وجوه المحلفين ، أيقنت أنه كان على وشك الحصول على مبتغاه .

وقد اختتم كلامه بتذكير المحلفين بأن كلاً منهم قد تم اختياره في يوم الاثنين بعدما تعهدوا بتطبيق القانون . وقد قرأ عليهم القانون الذى يسن عقوبة الإعدام . وقد قال وهو يغلق كتاب القانون الأخضر الكبير : " ولقد استطاعت النيابة إثبات التهمة على المتهم . وقد وجدتم دانى بادجيت مذنبًا بتهمة الاغتصاب والقتل . والقانون الآن يطالبكم باختيار عقوبة الإعدام . وأنتم ملزمون باختيارها " .

وقد استمر أداء إيرنى الرائع لما يناهز الواحد والخمسين دقيقة - وكنت أحاول تذكر كل شيء - وعندما انتهى ، علمت أن المحلفين لن يشنقوا بادجيت مرة واحدة بل مرتين .

ووفقًا لباجى ، ففي قضية عقوبتها الموت يقوم المتهم - بعد محاولة إثبات براءته وإدانة المحلفين له - باعتلاء المنصة وإبداء أسفه على الجريمة التى ظل ينكر ارتكابها طوال الأسبوع . قال

باجي : " إنهم يظلون يتوسلون ويبكون . شيء يشبه العرض المسرحي " .

ولكن الكارثة التي ارتكبها بادجيت بالأمس جعلت من المستحيل بالنسبة له الاقتراب من المحلفين . وقد استدعى لوشيان لمنصة الشهود والدة داني ، ليتي بادجيت . وقد كانت امرأة في الخمسينات من عمرها ذات ملامح رقيقة وشعر رمادي قصير . كانت ترتدي فستانًا أسود وكأنها بالفعل في مرحلة حداد على ابنها المتوفي . وبقيادة لوشيان ، بدأت تدلي بشهادتها والتي بدت مجهزة مسبقًا بما في ذلك فترات سكوتها . وأخذت تحكي عن داني الفتى الصغير الذي كان يذهب لصيد السمك كل يوم بعد المدرسة ، والذي سقط ذات مرة من فوق الشجرة لتنكسر ساقه ، والذي فاز بجائزة النطق في الصف الرابع . وهو لم يكن مصدر أية متاعب في هذه الأيام ، مطلقًا . في الحقيقة لم يتسبب داني في أية مشكلات طوال فترة نضوجه . لقد كان أخواه دومًا يسببان المشاكل ، أما هو فلا .

كان شهادتها سخيفة للغاية . ولكن كانت هنالك ثلاث أمهات بهيئة المحلفين ـ السيدة كالى والسيدة باربرا بالدوين وماكسين روت ـ وكان لوشيان يصوب تركيزه على إحداهما . فقد كان بحاجة لواحدة فقط .

ولم يكن من المدهش أن السيدة بادجيت سرعان ما انفجرت في البكاء . إنها لم تصدق قط أن ولدها قد ارتكب هذه الجريمة البشعة ، ولكن إن كان المحلفون يعتقدون ذلك فستحاول تقبل هذا الأمر . ولكن لماذا يأخذونه منها ؟ لماذا يقتلون ولدها الصغير ؟ ماذا سيجني العالم من وراء إعدامه ؟

كان ألمها حقيقيًا . وكانت مشاعرها عميقة ومن الصعب مشاهدتها تعبر عنها . فأي إنسان سوف يشعر بالتعاطف إزاء أم

علـى وشك فقدان ولـدها . وفـى النهايـة انهـارت وتركهـا لوشيان تنتحب فوق منصة الشهود . فما قـد بـدأ كـأداء متكلـف ، انتهى بشهادة مثيرة للمشاعر والتى أجبرت معظم المحلفين علـى تنكيس رءوسهم وإمعان النظر فى الأرضية .

وقال لوشيان إنه ليس لديه شهود آخرون . وقد قام هـو وإيرنى بتقديم مرافعـة نهائيـة ملخصـة ، وبحلـول السـاعة الحاديـة عشـر صباحًا اجتمع المحلفون ثانية لتحديد مصير المتهم .

اختفت جنيجر وسط الحشد . وقد ذهبت إلى مكتبى وانتظرت وعندما لم تأت ذهبت عبر الميدان لمكتب هارى ريكس . وقد أرسل سكرتيره لشراء السندوتشات وتناولنا الطعام بغرفة الاجتماعات خاصـته التـى يعمهـا الفوضـى . وشـأنه شـأن معظـم المحـامين بكلانتون ، فقد أمضىٍ الأسبوع بالكامل فى قاعة المحكمة يشاهد قضية لا تعنى له شيئًا ماديًا .

سـألنى بفـم ممتلـئ بالطعـام : " هـل سـتثبت صـديقتك علـى موقفها ؟ " .

سألته : " هل تعنى السيدة كالى ؟ " .

" نعم . هل تؤيد فكرة الإعدام بغرفة الغاز ؟ " .

" ليس لدىَّ فكرة . إننا لم نناقش هذا الأمر " .

" إنها تثير قلقنا هى وهذا الفتى المعوق اللعين الآخر " .

لقد أقحم هارى ريكس نفسه فى القضية بطريقة تجعل المرء يعتقد أنه أصبح يعمل لدى دانى بادجيت والنيابة . ولكنه لم يكن المحامى الوحيد بالبلدة الذى يساند الادعاء سرًا .

قلت : " لقد استغرق منهم الأمر أقل من ستين دقيقة ليجدوا المتهم مذنبًا . أليس ذلك فألاً حسنًا ؟ " .

قال : " ربما ، ولكن المحلفين يفعلون أشياء غريبة عندما يحين وقت اختيار عقوبة الإعدام " .

" إذن ، فإنه سوف يأخذ حكمًا مدى الحياة . فمن خلال ما سمعته عن سجن بارشمان ، فإن الحياة هناك أسوأ من الإعدام بغرفة الغاز " .

قال وهو يمسح وجهه بمنديل ورقى : " إن العقوبة مدى الحياة لا تعنى مدى الحياة يا ويلى " .

سألته : " وماذا تعنى العقوبة مدى الحياة ؟ " .

" عشر سنوات وربما أقل " .

حاولت استيعاب ذلك وقلت : " أتعنى أن عقوبة السجن مدى الحياة فى المسيسيبى تعنى عشر سنوات ؟ " .

" نعم . فبعد عشر سنوات - أو أقل إن كان المتهم حسن السلوك - يكون من حق القاتل المسجون مدى الحياة أن يحصل على إطلاق سراح مشروط . إنه ضرب من الجنون ، ألا تعتقد هذا ؟ " .

" ولكن لماذا ــــــ " .

" لا تحاول فهم ذلك يا ويلى ، إنه القانون . إنه منسوخ بالكتب منذ خمسين عامًا . والأسوأ ، أن المحلفين لا يعرفون ذلك . ولا نستطيع إخبارهم . هل تريد بعضًا من سلطة الكرنب ؟ " .

قمت بهز رأسى .

" فقد قالت محكمتنا العليا المبجلة إنه إذا عرف المحلفون حقيقة السجن مدى الحياة فربما يكونون أكثر تحبيذاً لعقوبة الإعدام . وذلك لن يكون منصفًا للمتهم " .

همست لنفسي : " السجن مدى الحياة هو عشر سنوات " . في المسيسيبي يقومون بإغلاق متاجر المشروبات الكحولية في يوم الانتخابات وكأن المصوتين في حالة عدم فعل ذلك سوف يثملون ويختارون الأشخاص غير المناسبين ، وهو قانون سخيف آخر .

قال هاري ريكس : " الآن أنت فهمت ما يحدث " ، ثم وضع ما تبقى من الساندوتش في فمه . وجذب مظروفًا من فوق أحد الأرفف وفتحه ثم أخرج منه صورة كبيرة باللونين الأبيض والأسود وأعطاها لي . قال وهو يضحك : " لقد ضبطناك يا صديقي " .

كانت صورة لي وأنا أغادر سريعًا حجرة جينجر بالفندق في صباح يوم الخميس . وقد كنت أبدو منهكًا وثملاً ومذنبًا بشيء ما ولكن أيضًا راضيًا .

سألت : " من التقط هذه الصورة ؟ " .

قال : " أحد فتياني . لقد كان يعمل بقضية طلاق ورأى سيارة الشيوعيين الصغيرة التي تستقلها وقرر أن يحظى ببعض المتعة " .

" وهو لم يكن الوحيد " .

قال : " إنها جذابة حقًا ، وقد حاول التقاط صورة عبر الستائر ولكنه لم يستطع ضبط الزاوية " .

" هل تحب أن أوقع لك عليها ؟ " .

" فقط احتفظ بها " .

بعد ثلاث ساعات من المباحثات ، سلم المحلفون ورقة للقاضي لوبس . لقد وصلوا إلى طريق مسدود ولم يحرزوا أي تقدم . وقد أمر ببدء الجلسة وهرعنا نحن عبر الشارع .

فإن لم يستطع المحلفون الإجماع على عقوبة الإعدام ، إذن فبموجب القانون سيصدر القاضي حكمًا بالسجن مدى الحياة .

وقد تملك الخوف منا نحن الحضور بينما كنا في انتظار المحلفين . فثمة شيء ما كان لا يسير على ما يرام هناك : " هل انتصر آل بادجيت أخيرًا ؟ " .

وكان وجه السيدة كالى ممتعضًا بطريقة لم أشهدها من قبل . وكان من الواضح أن السيدة باربرا بالدوين كانت تبكى . وقد أعطى العديد من الرجال الانطباع أنهم كانوا يتبادلون اللكمات وأنهم متلهفون لمواصلة الشجار .

وقد وقف رئيس المحلفين وشرح بعصبية للقاضى أن المحلفين انقسموا ولم يحرزوا أى تقدم فى الساعة الأخيرة . ولم يكن متفائلا بشأن إمكانية الوصول لحكم إجماعى ، وكان الجميع على استعداد للذهاب للمنزل .

وقد سأل القاضى لوبس بعد ذلك كل محلف إن كان يعتقد أو تعتقد فى إمكانية الوصول لحكم جماعى . وقد قالوا جميعًا لا .

وقد بدأت أستشعر الغضب يتصاعد بين صفوف الحاضرين . فكان الناس يتململون ويهمسون ، وهذا بالتأكيد لم يساعد المحلفين .

وقد ألقى علينا القاضى لوبس ما أطلق عليه باجى بعد ذلك " الحكم المدمر " ، أو محاضرة غير معدة مسبقًا عن التقيد بالقانون والإيفاء بالوعود التى قطعت فى أثناء اختيار المحلفين . لقد كانت خطبة طويلة وصارمة عن التذكير بالواجب والتى لا تحمل أى إشارة لليأس .

ولكنها لم تفد فى شىء . فبعد ساعتين كان الجمهور ينصت بإمعان للقاضى لوبس وهو يسأل المحلفين ثانية عما توصلوا إليه ، وكانت النتيجة كسابقتها . شكرهم فى تذمر وأرسلهم لمنازلهم .

وعندما ذهب المحلفون ، استدعى دانى بادجيت وسلخه بألسنة حداد مما جعل جسمي يقشعر . فقد دعاه بالمغتصب والقاتل والجبان والكاذب وأسوأ من كل هذا سارق حيث إنه سلب طفلين من الشخص الذى لم يكن لديهما سواه فى هذه الدنيا . لقد كان اعتداء لفظيًا حارقًا وصاعقًا . وقد حاولت كتابته كلمة بكلمة ، ولكنه كان قويا لدرجة أننى كنت أتوقف لسماعه . وأى رجل دين بارع لم يكن ليستطيع تجسيد الخطيئة بهذه الطريقة .

وإن كان يستطيع ذلك لكان أصدر عليه حكمًا بالإعدام ، إعدامًا سريعًا ومؤلمًا .

ولكن القانون هو القانون وعليه التقيد به . وقد أصدر عليه حكمًا بالسجن مدى الحياة وأمر الشريف كولى بنقله فورًا إلى سجن الولاية في بارشمان . وقد كبله الشريف كولى وأخذه وغادرا .

وقد طرق لوبس بمطرقته بقوة واندفع مغادرًا قاعة المحكمة . كما نشبت مشاجرة بمؤخرة قاعة المحكمة حينما التقى أحد أعمام داني مصادفة بدوك كرول والذى يعمل حلاقًا بالبلدة ومعروفًا بحدة الطبع . وسرعان ما جذبت المشاجرة الكثيرين وقام آخرون بسب عائلة بادجيت وطالبوهم بالعودة إلى جزيرتهم . وقد ظل أحدهم يكرر : " عودوا إلى مستنقعكم ! " . وقد قام النواب بفض المشاجرة وغادر آل بادجيت قاعة المحكمة .

وقد ظل الحضور محتشدًا قليلاً بقاعة المحكمة وكأن المحاكمة لم تنته بعد ، وكأن العدالة لم تكتمل بعد . لقد كانوا غاضبين وثائرين ، وأصبح لدىَّ فكرة عن الكيفية التى يمكن أن يجتمع بها حشد من الناس لإعدام شخص دون إصدار المحكمة حكمًا بذلك .

ولم تعاود جينجر الظهور مرة أخرى . لقد قالت إنها ستمر عليَّ بعدما تدفع حساب الفندق وتغادره كي تودعني ، ولكن من الواضح أنها غيرت رأيها . لقد كان بإمكاني تخيلها وهي تقود سيادتها مسرعة عبر الليل وهي تبكي وتلعن وتعد الأميال حتى تخرج من المسيسيبي . ومن يستطيع لومها على ذلك ؟

فعلاقتنا القصيرةٍ التي بدأت منذ ثلاثة أيام انتهت فجأة كما توقع كلانا ولكن كلاً منا رفض الاعتراف بذلك . وأنا لم أتخيل أنه في الإمكان أن نلتقي ثانية ، وإن حدث فسيكون ذلك على نحو سريع قبل أن ينشغل كل منا بحياته ونفترق ثانية . لابد أنها سوف تلتقي بالعديد من الرجال قبل أن تجد واحدًا مناسبًا تمضي معه بقية حياتها . جلست بالشرفة خارج مكتبي وانتظرت أن تركن سيارتها بالأسفل وأنا أعلم أنها على الأرجح بأركنساس الآن . لقد بدأنا اليوم في غرفتها معًا ونحن متلهفان للعودة إلى قاعة المحكمة لنشهد إصدار حكم الإعدام على قاتل أختها . وفي هذه اللحظة بدأت أكتب مقالاً افتتاحيًا عن الحكم ، والذي عزمت أن يكون انتقادًا قاسيًا على القوانين الجنائية بالولاية . إنه سوف يكون صادقًا وصادرًا من القلب ، وسوف يلعب جيدًا كذلك بمشاعر القراء .

وقد اتصل إيساو وقطع كتابتي للمقال . لقد كان بالمستشفى مع السيدة كالى وطلب منى الإسراع بالحضور .

لقد فقدت الوعي في أثناء استقلالها للسيارة خارج قاعة المحكمة . وقد نقلها إيساو والأبناء الثلاثة سريعًا إلى المستشفى ، وكان من الحكمة القيام بذلك . فقد ارتفع معدل ضغط دمها إلى درجة خطيرة ، وكان الطبيب قلقًا من أن تصاب بسكتة دماغية . ولكن بعد ساعتين استقرت حالتها وبدت أفضل . أمسكت يدها وأخبرتها بأني

فخور للغاية بها وما إلى ذلك . وما أردت أن أعرفه حقًا هو ما حدث بغرفة المحلفين فى أثناء المباحثات .

إنها قصة لن أحصل عليها مطلقاً .

احتسيت القهوة مع آل وماكس وبوبى وإيس-او حتى منتصف الليل فى كافيتريا المستشفى . ولم تقل كلمة حول مباحثات أعضاء هيئة المحلفين .

وقد تحدثنا عنهم وعن أخوتهم وإخواتهم وأطفالهم ووظائفهم وترعرعهم في كلانتون . وقد أخذوا يقصون علىّ الحكايات بينما أخرجت أنا قلمًا وورقة وشرعت فى تسجيل ما يقولونه .

الفصل العشرون

في خلال الستة أشهر الأولى التي أمضيتها في كلانتون كنت في العادة أغادر البلدة في عطلات نهاية الأسبوع . فلم يكن هناك الكثير لأفعله فيها . ففيما عدا حفلات الشواء من حين لآخر في منزل هارى ريكس أو حفلة كوكتيل شنيعة أغادرها بعد عشرين دقيقة من وصولى إليها ، لم يكن هناك أية أنشطة اجتماعية . فمن الواضح أن كل الشباب في نفس مرحلتي السنية كانوا متزوجين ومفهومهم عن الخروج كان مقتصرًا على تناول المثلجات بإحدى الحدائق بالبلدة . أما معظم هؤلاء الذين غادروا المقاطعة للذهاب إلى الجامعة فلم يعودوا ثانية .

ونتيجة لشعورى بالملل ، كنت أقضى عطلات نهاية الأسبوع في العادة في ممفيس في منزل أحد أصدقائى ، وليس في منزلى إطلاقًا تقريبًا . وقد ذهبت عدة مرات إلى نيو أورليانز حيث كانت تعيش صديقة لى من المدرسة الثانوية تستمتع بحياة صاخبة . ولكننى كنت صاحب التايمز لأجل لا أعرفه ، لذا فكان لابد لى من الاستقرار في

كلانتون . لابد أن أعتاد على الحياة في بلدة صغيرة وعطلات نهاية الأسبوع المملة وخلاف ذلك . وقد أصبح المكتب هو ملاذى دائماً .

وقد ذهبت إلى هناك يوم السبت بعد إصدار الحكم في فترة الظهيرة تقريبًا . كان لدىَّ عديد من القصص حول المحاكمة أردت كتابتها ، عوضًا عن أنني لم أنته بعد من المقال الافتتاحى . وكان هناك سبعة خطابات فوق الأرض بجوار الباب الأمامى . وقد ظلت تلك عادة بالتايمز طوال سنوات . ففي الأحيان القليلة التى كان فيها سبوت يكتب شيئًا يثير رد فعل لدى أحد القراء كان يصل للمحرر في العادة خطابًا يسلم باليد ، بحيث يدفعه المرسل من أسفل الباب الأمامى .

وكان هناك أربعة خطابات موقعة ، وثلاثة من مراسلين مجهولين . وكان من بينهما اثنان مكتوبان على الآلة الكاتبة والباقي مكتوب بخط اليد ، بينهم واحد لم أستطع قراءته تقريبًا . وكان جميعهم يعبر عن غضب عارم نتيجة لنجاة دانى بادجيت بحياته . ولم أكن مندهشًا لتعطش أهل البلدة للدماء . ولكننى أصبت بالفزع لإشارة سبعة منهم بطريقة ما إلى السيدة كالى . وكان الخطاب الأول مطبوعًا وغير موقع ، ويقول :

عزيزى المحرر : لقد انحدر مجتمعنا نحو حافة الهاوية حينما استطاع مجرم خارج عن القانون مثل دانى بادجيت أن يغتصب ويقتل وينجو بفعلته . ووجود شخص أسود بهيئة المحلفين لابد وأن يلفت انتباهنا إلى حقيقة مهمة ألا وهى أن هؤلاء الناس لا يفكرون بنفس الطريقة التى يفكر بها الشخص الأبيض الملتزم بالقانون .

وقد كتبت السيدة إديث كارافيل من بيتش هيل بخط جميل :

عزيزى المحرر : أنا أقطن على بعد ميل من مكان وقوع جريمة القتل . وأنا أم لابنين مراهقين . كيف أفسر لهما هذا الحكم ؟ إن القانون الدينى يقول إن العين بالعين . ولكن يبدو أن هذا لا ينسحب على مقاطعة فورد .

وقد كتب مراسل مجهول آخر على ورقة وردية اللون ومعطرة منقوش على حوافها الزهور :

عزيزى المحرر : هل رأيت ما يحدث حينما يوضع السود فى موقع مسئولية . إن هيئة محلفين مكونة بالكامل من البيض لكانت شنقت دانى بادجيت داخل قاعة المحكمة . الآن تقول لنا المحكمة العليا إن السود لابد أن يعلموا أطفالنا ويعملوا كضباط فى شوارعنا وكموظفين بالجهات الحكومية . فليساعدنا الله .

وبصفتي محرر الجريدة (ومالكها وناشرها) كان لى مطلق الحرية فيما ينشر بالتايمز . فكان بإمكانى تحرير الخطابات أو تجاهلها أو انتقاء ما يحلو لى منها . وفيما يتعلق بالموضوعات والأحداث المثيرة للخلاف والجدل ، فإن الخطابات التى ترسل إلى المحرر عادة ما تذكى النار وتثير غضب العامة . كما أنها كانت تروج للصحف ، لأن هذا هو المكان الوحيد الذى يمكن أن تنشر به . فقد كانت مجانية وبمثابة المنبر الذى يستطيع الجميع التعبير عن رأيه من خلاله .

وبينما كنت أقرأ الدفعة الأولى قررت أننى لن أنشر شيئًا يجرح السيدة كالى . وقد شعرت بالغضب لأن الناس كانوا يفترضون أنها بطريقة ما تسببت فى انشقاق المحلفين وحالت دون إصدارهم لحكم بالإعدام .

لماذا كانت المدينة مصممة على أن تلقى بذنب إصدار حكم يرونه غير عادل على الشخص الأسود الوحيد بهيئة المحلفين ؟ وبدون أدنى دليل ؟ وقد عزمت على اكتشاف ما حدث بالفعل فى غرفة المحلفين ، وفكرت على الفور فى هارى ريكس . وباجى بالطبع سوف يقوم بحضور اجتماع صباح يوم الاثنين مع أصدقائه الثملين ويدعى أنه يعلم تمامًا سبب انشقاق المحلفين . وكان أغلب الظن أنه على خطأ . فإن كان هناك من يعرف الحقيقة ، فسوف يكون هارى ريكس .

وقد جاء ويلى ميك وهو يحمل الكلام الشائع بالبلدة . فلم يكن للناس حديث آخر بالمقاهى . كان الناس يمقتون بادجيت ، ويزدرون لوشيان ويلبانكس ، ولكن لم يكن ذلك بالجديد . وهناك احتمال أن يستقيل الشريف كولى ؛ فهو لن يحصل على خمسين صوتًا بالانتخابات . فخصمان آخران بدءا حملتهما الانتخابية بالفعل ولم يتبق على الانتخابات سوى ستة أشهر .

وتقول إحدى القصص إن أحد عشر محلفًا صوتوا للإعدام بغرفة الغاز ومحلفًا واحداً رفض ذلك . " على الأرجح المرأة السوداء " ، على حد قول أحدهم والذى كان يردد الرأى الشائع بأحد مقاهى الشاى فى السابعة تقريبًا بهذا الصباح . ويدعى البعض أن أحد النواب الذى كان يحرس غرفة المحلفين همس لشخص يعرفه شخص آخر أن المحلفين انقسموا إلى شقين كل منهما مكون من ستة أفراد ، ولكن هذا الرأى تم نفيه بحلول التاسعة فى المقاهى . لقد

كانت هناك نظريتان رئيسيتان يدوى صداهما بالميدان فى هذا الصباح . أولاهما أن السيدة كالى أفسدت كل شىء فقط لأنها كانت سوداء ، وثانيهما أن آل بادجيت قد قاموا برشوة اثنين أو ثلاثة من المحلفين تمامًا كما فعلوا مع هذه العاهرة الكاذبة ، ليديا فينس .

ويظن ويلى أن مؤيدى النظرية الثانية أكثر من مؤيدى الأولى ، على الرغم من أن العديدين بدوا على استعداد لتصديق أى شىء . وقد أدركت أن القيل والقال بالمقاهى لا جدوى منه .

وفى نهاية فترة ظهيرة يوم السبت ذهبت إلى الجانب الآخر من البلدة وقدت سيارتى عبر لوتاون . كانت الشوارع تنبض بالحركة ، حيث كان هناك أطفال يقودون دراجاتهم ، وآخرون يلعبون كرة السلة ، وشرفات مكتظة بالأشخاص ، وموسيقى صادرة من الأبواب المفتوحة للسيارات ، وضحكات صادرة من الرجال الذين يقفون على أعتاب المتاجر . فكان الجميع بالخارج وكأنهم يقومون بالإحماء استعداداً للقيام بطقوس ليلة عطلة نهاية الأسبوع . وكان الناس يحملقون ويلوحون وهم معجبون بسيارتى الصغيرة أكثر من بشرتى الشاحبة .

وكان هناك حشد بشرفة السيدة كالى . فكان آل وماكس وبوبى هناك مع رجل الدين ثيرستون سمال ورجل دين آخر أنيق . وكان إيساو بالمنزل يعتنى بزوجته . فقد تم السماح لها بالخروج من المستشفى فى هذا الصباح مع تعليمات مشددة بملازمة الفراش لمدة ثلاثة أيام وعدم القيام بأى مجهود . وقد قادنى ماكس إلى غرفتها .

وكانت تجلس فى الفراش تستند على الوسادات وتقرأ فى أحد الكتب الدينية . وقد ابتسمت حينما رأتنى وقالت : " مرحبًا يا سيد

ترانيور ، من اللطيف حقًا أنك كبدت نفسك عناء المجىء . من فضلك اجلس . إيساو ، اجلب للسيد ترانيور بعض الشاى " . وكعادته دومًا ، قفز إيساو حينما تلقى أمرًا من زوجته .

وقد جلست على كرسى خشبى صلب قريب من فراشها . ولم تبد لى أنها مريضة بالمرة . قلت : " أنا قلق حقا بشأن غداء يوم الخميس المقبل " ، ثم ضحكنا معًا .

قالت : " إننى أستطيع أنا أطهو " .

" لا ، لا تستطيعين ذلك . إن لدىَّ فكرة أفضل . سوف أجلب الطعام معى " .

قالت : " لماذا لا أصدق هذا ؟ " .

قلت : " سوف أشتريه من مكان ما . ربما شىء خفيف ، مثل سندوتشات " .

قالت وهى تربت على ركبتى : " لا بأس بالسندوتشات . سوف تكون الطماطم جاهزة عما قريب " .

وقد توقفت عن التربيت والابتسام وشردت بعيدًا لدقيقة وقالت : " إننا لم نبل بلاء حسنًا ، أليس كذلك يا سيد ترانيور ؟ " . وكانت كلماتها ممتلئة بالحزن والإحباط .

قلت : " إنه ليس حكمًا شعبيًا " .

قالت : " إنه ليس ما أردته " .

وكان هذا هو كل ما قالته عن المباحثات . وقد أخبرنى إيساو بأن المحلفين الأحد عشر الآخرين أقسموا بألا يتحدثون مع أى شخص عن قرارهم . وقد رفضت السيدة كالى القسم ، ولكنها وعدتهم بحماية أسرارهم .

وقد تركتها هناك تستريح وذهبت إلى الشرفة ؛ حيث أمضيت ساعات عدة أنصت لأبنائها وضيوفهم يتحدثون عن الحياة . وقد

جلست فى أحد الأركان أحتسى الشاى محاولاً أن أنأى بنفسى عن حواراتهم . وكنت من حين لآخر أشرد بتفكيرى وأنصت لأصوات لوتاون فى ليلة السبت .

وقد غادر رجلا الدين تاركين آل روفين فقط بالشرفة . وكانوا يتحدثون بدون توقف عن المحاكمة والحكم وكيف كان الناس يتقبلون الأمر بالجهة الأخرى من البلدة .

سألنى ماكس : " هل قام حقًا بتهديد المحلفين " . وقد أخبرته بما حدث وكان إيساو يصدق على كلامى عند الحاجة . وقد شعروا بالصدمة تمامًا مثلما شعرنا نحن عندما رأينا هذا .

قال بوبى : " الحمد لله أنه أخذ حكمًا بالسجن مدى الحياة " ، ولم تواتنى الجرأة لإخبارهم بالحقيقة . فقد كانوا فخورين للغاية بأمهم ، كما كانوا دومًا .

وقد أنهكنى الحديث عن المحاكمة . فغادرت فى حوالى التاسعة وقدت سيارتى ببطء ودون وجهة عبر لوتاون وأنا وحدى وأفتقد جينجر بشدة .

ظلت الأوضاع بكلانتون غير مستقرة طوال أيام بسبب الحكم . وقد استلمت اثنى عشر خطابًا مرسلاً للمحرر ، نشرت ستة منها فى الطبعة التالية . وكان نصفها مكرسًا للمحاكمة ، وهذا بالطبع زاد من الأمور سوءًا .

وبينما تقدم الصيف بدأت أعتقد أن البلدة لن تتوقف قط عن الحديث عن داني بادجيت وروودا كاسيلو .

وفجأة أصبح الاثنان مجرد ذكرى . ففي غمضة عين تقريبًا - في أقل من أربع وعشرين ساعة - نسي الجميع أمر المحاكمة .

فقد أصبح لدى كلانتون - في كلا جهتيها - شيء أهم يتحدثون بشأنه .

الجزء
الثانى



الفصل الحادى والعشرون

فى قرار كاسح لم يترك مجالاً للشك أو التأخير ، أمرت المحكمة بإبطال نظام المدارس المزدوجة على الفور . وبالتالى لم يعد هناك أى مجال للتأجيل أو المقاضاة أو الوعود . لقد كان قرارًا بالدمج العنصرى الفورى ، وشعرت كلانتون بالصدمة شأنها شأن أى بلدة أخرى بالجنوب .

وقد أحضر لى هارى ريكس قرار المحكمة وحاول شرح تعقيداته . ولكنه لم يكن بهذا التعقيد . فكان على كل مدرسة فقط أن تضع خطة للدمج العنصرى .

وقد قال متوقعًا وهو يضع سيجارة غير مشتعلة فى فمه : " سوف يروج هذا لصحيفتك " .

وقد تم عقد كل أنواع الاجتماعات على الفور بكل أرجاء المدينة وقمت بتغطيتها جميعًا . وفى ليلة شديدة الحرارة فى منتصف يونيو ، عقد اجتماع عام بصالة ألعاب إحدى المدارس الثانوية . وكانت المدرجات مكتظة بالجماهير والأرضية مغطاة بالآباء القلقين . وقد تطوع السيد وولتر سوليفان ـ محامى التايمز ـ كذلك للعمل

كمحام لدى هيئة المدرسة . وقد كان هو من يتولى معظم الحديث لأن أحدًا لم ينتخبه بأية طريقة . فلقد فضل السياسيون الاختباء وراءه . كان فظاً وقال إنه فى خلال ستة أسابيع ستبدأ الدراسة بمقاطعة فورد وسيطبق نظام الدمج العنصرى كاملا .

وتم عقد اجتماع آخر صغير في مدرسة السود بشارع بيرلى . وكنت أنا وباجى هناك وكذلك ويلى ميك الذى تولى مسئولية التقاط الصور . ومرة أخرى شرح السيد سوليفان للحشد ما على وشك أن يحدث . ومرتان قوطعت خطبته بالتصفيق .

والاختلاف بين هذين الاجتماعيين كان مذهلاً . فالآباء البيض كانوا غاضبين وخائفين وقد رأيت العديد من النساء تبكى . فاليوم المحتوم قد جاء أخيرًا . ولكن فى مدرسة السود كان يسود جو الانتصار . كان الآباء قلقين ولكنهم كانوا أيضًا يشعرون بالتباهي لأن أطفالهم سيلتحقون أخيرًا بمدارس أفضل . وعلى الرغم من أنه مازال أمامهم الكثير للمطالبة به فى مجالات الإسكان والتوظيف والرعاية الصحية ، فإن الدمج العنصرى بالمدارس الحكومية كان خطوة هائلة على طريق معركتهم لنيل حقوقهم المدنية .

وكانت السيدة كالى وإيساو هناك . وقد كانا يعاملان باحترام بالغ من قبل جيرانهم . فمنذ ست سنوات دخلا من الباب الأمامى لإحدى مدارس البيض مع سام وألقيا به فى طريق الهلاك . فطوال ثلاث سنوات كان هو الطفل الأسود الوحيد فى فصله ، وقد دفعت أسرته ثمن هذا . والآن يبدو أن الأمر كان يستحق هذا ، على الأقل بالنسبة لهما . ولم يكن سام هناك ليعبر عن رأيه .

وقد كان هناك اجتماع آخر بدار العبادة - للبيض فقط وكان الحشد من الطبقة التى تعلو المتوسطة بقليل . وكان منظموها يجمعون المال لبناء أكاديمية خاصة ، والآن وفجأة أصبحت عملية

جمع الأموال أكثر إلحاحًا . والعديد من الأطباء والمحامين كانوا هناك ، وكذلك معظم رواد نادى المدينة . ومن الواضح أن أطفالهم كانوا مميزين للغاية لدرجة تجعل من المستحيل بالنسبة لهم أن يذهبوا إلى مدرسة بها طلبة من السود .

وقد كانوا يعدون خطة سريعة لفتح فصول فى مصنع مهجور بجنوب البلدة . وسوف يقومون باستئجار المبنى لعام أو اثنين حتى تكتمل حملتهم الكبرى . لقد كانوا يبذلون قصارى جهدهم لتوظيف معلمين وشراء الكتب ، ولكن كان قلقهم الأكبر ـ بجانب الهرب من السود ـ ينصب على فريق كرة القدم وماذا سيفعلون بشأنه . وفى بعض الأحيان كان يسود جو من الهستريا وكأن نسبة الخطر على أطفالهم قد زادت بسبب هذا النظام الجديد بنسبة ٧٥٪ .

وقد كتبت تقارير طويلة ونشرت عناوين رئيسية جريئة ، وكان هارى ريكس محقًا . فقد روج هذا الموضوع للجريدة . فى الحقيقة ، فى نهاية شهر يوليو عام ١٩٧٠ بلغ عدد النسخ المبيعة من الصحيفة أكثر من ٥٠٠٠ نسخة ، وهو معدل مذهل . فبعد حادث رودا كاسيلو وتطبيق الدمج العنصرى بدأت أستوعب ما قاله صديقى نيك دينير فى سيراكيوز : " إن الصحيفة الأسبوعية الجيدة ببلدة صغيرة لا تطبع الأخبار ، وإنما المال " .

وكنت بحاجة للأخبار ، وهى فى كلانتون لم تكن دائمًا متوافرة . وفى أسبوع بطىء كنت أنشر خبرًا عن آخر مستجدات الاستئناف فى قضية بادجيت . وكنت أضع هذا الخبر فى العادة بأسفل الصفحة الأمامية وأجعل الأمر يبدو وكأن الفتى من الممكن أن يغادر سجن بارشمان فى أية لحظة . ولم أكن واثقًا إن كان القراء لا يزالون يهتمون بذلك الموضوع أم لا . ولكن فى أغسطس ، حظيت

الجريدة بدفعة جديدة حينما شرح لى دانى بيجماوث باس تفاصيل رياضة كرة القدم بالمدارس الثانوية .

ولم يكن لويلسون كاودل أية اهتمامات رياضية ، وكان ذلك طبيعيًا فيما عدا أن كل مواطن آخر بكلانتون كان يشجع باستماتة فريق الكوجر فى ليالى الجمعة . فكان يزحزح مقالات بيجماوث إلى نهاية الصحيفة ونادرًا ما يقوم بنشر صور . ولكننى شممت رائحة المال وأصبحت أخبار فريق الكوجر تنشر بالصفحة الأمامية .

وكانت علاقتى بالرياضة قد انتهت فى الصف التاسع على يد بحار سادى سابق اختارته مدرستى الإعدادية الصغيرة لسبب ما كى يدربنا . وكان مناخ ممفيس فى أغسطس استوائيًا وكان لابد من حظر ممارسة كرة القدم فى ذلك الوقت . كانت مهمتى هى مسابقة المنافس بدورة أو أكثر بالملعب . وقد كنت أرتدى زى اللعب والخوذة وكل شىء ، وكانت تبلغ درجة الحرارة خمساً وتسعين درجة فهرنهايت والرطوبة مرتفعة ، وقد رفض المدرب لسبب ما أن يعطينا الماء لنشرب . وكانت ملاعب التنس تقع بجوار الملعب وبعد أن انتهيت من التقيؤ رأيت فتاتين يتبادلان ضرب الكرة مع فتيين . وكان وجود الفتيات بالمكان أمراً يبعث على البهجة ولكن ما جذب انتباهى حقاً هو زجاجات المياه الباردة الكبيرة التى كانوا يشربونها وقتما احتاجوا ذلك .

لذا فقد تركت كرة القدم وبدأت فى ممارسة التنس واللعب مع الفتيات ، ولم أندم لحظة على ذلك . وكانت المباريات بمدرستى تعقد فى مساء أيام السبت ، لذا فلم أشترك قط فى طقوس مشاهدة رياضة كرة القدم ليلة الجمعة .

ولكننى غيرت من تلك العادة لاحقاً بسعادة .

فعندما اجتمع فريق الكوجر لإجراء تدريباته الأولى ، كان بيجماوث وويلى هناك لتغطية هذا الحدث . وقد نشرنا صورة كبيرة فى الصفحة الأمامية لأربعة لاعبين ، اثنان بيض واثنان سود ، وأحد أعضاء فريق التدريب والذى كان يضم مساعدًا أسود آخر . وقد كتب بيجماوث عواميد طويلة عن الفريق ولاعبيه وانجازاته ، وكان ذلك فى الأسبوع الأول فقط من التدريب .

وقد غطينا فترة بدء الدراسة ونشرنا لقاءات مع التلاميذ والمدرسين والإداريين وكان موقفنا من الأمر إيجابيًا . فى الواقع ، لقد عانت كلانتون من اضطرابات عرقية طفيفة مقارنة بما عانت منه باقى البلدان فى أقصى الجنوب حينما بدأت الدراسة فى أغسطس هذا .

وكتبت التايمز قصصًا كبيرة عن فرق التشجيع والفرقة الموسيقية والفرق الدراسية بالصف الأول من المدارس الثانوية ـ كل ما استطعنا التفكير فيه . وقد أرفقنا مع كل قصة العديد من الصور . ولم أستطع أن أحصر عدد التلاميذ الذين لم يشاركوا فى هذه المقالات ، ولكن لم يكن عددهم كبيرًا .

وأول مباراة كرة قدم كانت عبارة عن مشاجرة عائلية سنوية ضد فريق كاراواى ، وهى مدينة أصغر كثيرًا ذات مدرب أفضل . وقد جلست إلى جوار هارى ريكس وظللنا نصرخ حتى أصبح صوتنا أجش . وقد نفدت جميع تذاكر المباراة وكان الجمهور فى معظمه من البيض .

ولكن هؤلاء البيض الذين كانوا معترضين بضراوة على التحاق الطلاب السود بمدارسهم حدث لهم تحول مفاجئ في ليلة الجمعة هذه . ففي الربع الأول من المباراة ، تم ميلاد نجم جديد حينما قام ريكى باترسون ـ فتى أسود صغير الحجم والذى كان باستطاعته الطيران ـ بالركض ثمانين ياردة فى أول مرة لمس فيها الكرة . وفى المرة الثانية ركض خمسة وأربعين ياردة ، ومن ذلك الوقت فصاعدا كلما قذف أحدهم إليه بالكرة كان الجمهور يقف ويصيح . فبعد ستة أسابيع من تطبيق قانون الدمج العنصرى بالبلدة رأيت البيض المتعصبين محدودى الأفق وحادى الطباع يصيحون كالمجانين ويقفزون لأعلى وأسفل كلما تلقى ريكى الكرة .

وقد كانت النتيجة النهائية ٣٤ ـ ٣٠ لصالح كلانتون فى مباراة ظل الغموض مكتنفا نتيجتها حتى النهاية ، وقد كرست الصفحة الأمامية بالكامل لأخبار الكرة . وقد واتتنا فكرة جديدة نفذناها على الفور ألا وهى لاعب الأسبوع ، والذى سيحصل على منحة دراسية قدرها ١٠٠ دولار حولناها إلى سند مالى غامض استغرق منا فهم طريقة سداده أشهر . وكان ريكى هو الفائز الأول ، وهكذا تطلب ذلك لقاءً آخر ونشر صورة أخرى .

وحينما فاز فريق كلانتون فى المباريات الأربع الأول ، كانت التايمز هناك لتسجل حماسة الجماهير . وقد ارتفع معدل مبيع جريدتنا إلى خمسة آلاف وخمسمائة نسخة .

فى يوم شديد الحرارة فى أوائل شهر سبتمبر ، كنت أعبر الميدان متجهًا من مكتبى إلى البنك . كنت أرتدى ملابسى المعتادة ـ البنطال الجينز باهت اللون والقميص القطنى المجعد ذى الأزرار

والأكمام المثنية وحذاء الموكاسان بدون جوارب . لقد كنت فى الرابعة والعشرين حينها ، ولأننى كنت صاحب مؤسسة فقد كانت طريقة تفكيرى تنتقل ببطء من جو الدراسة والكلية لجو الوظيفة . وذلك ببطء شديد . فكنت عادة لا أهتم كثيرًا بما أرتديه أو الصورة التى أبدو عليها .

ولكن عدم الاهتمام بالمظهر هذا لم يكن صفة يشترك فيها الجميع .

وقد جذبنى السيد ميلتو وأنا أسير على الرصيف ودفعنى داخل متجر خردواته الصغير . قال بلكنة ثقيلة قلما تجدها بكلانتون : " لقد كنت منتظرك " . لقد كان نمساويًا وله قصة هرب مثيرة من أوروبا والتى ترك بها طفلاً أو اثنين . وقد كان على قائمتى الخاصة بالقصص الإنسانية والتى كنت أنوى استكمالها بعد انتهاء موسم مباريات كرة القدم .

قال لى بينما كنت أقف داخل المتجر بجوار حامل الأحزمة : " انظر إلى نفسك ! " . ولكنه كان يبتسم ، ومع الأجانب من السهل أن تغض الطرف عن فظاظتهم بسبب مشكلات الترجمة .

نظرت إلى نفسى بطريقة ما . أين كانت المشكلة بالتحديد ؟

فى الواقع كانت هناك العديد من المشكلات . فقال : " إنك محترف الآن . رجل مهم فى هذه البلدة ، وترتدى مثل ، آه ، حسنًا ... " ، وأخذ يحك لحيته باحثًا عن الشتيمة المناسبة .

حاولت مساعدته وقلت : " تلميذ ! " .

قال : " لا " ، وهو يهز سبابته للأمام والخلف كما لو أن التلميذ لا يمكن أبدًا أن يبدو بهذا السوء . وقد توقف عن البحث عن الكلمة المناسبة واستكمل محاضرته .

" إنك متفرد حقًا ـ فكم عدد هؤلاء الذين يملكون جريدة ؟ كما أنك متعلم وهذا نادر هنا . ومن الشمال ! إنك شاب ولكنك لا يجب أن تبدو غير ناضج بهذه الطريقة . لابد أن نصلح من مظهرك هذا " .

وقد ذهبنا للعمل على ذلك ، ولم يكن لى حرية الاختيار فى هذا الأمر . فكان ينشر الكثير من الإعلانات بالتايمز ولم يكن بإمكانى أن أقول له إليك عنى . عوضًا عن ذلك فكان كلامه منطقيًا . فقد ولت أيام الدراسة ، وانتهت الثورة . وقد نجوت من الاشتراك فى حرب فيتنام وانتهت حقبة الستينات والجامعة ، وعلى الرغم من أننى لم أكن مستعدًا لأتخذ لى زوجة وأنجب أطفالاً إلا أننى بدأت أشعر بأننى أنضج .

قرر بينما كان يبحث بين حوامل الملابس : " لابد أن ترتدى بزات " . وكان ميلتو معروفًا عنه أنه يسير إلى رئيس أحد البنوك ـ وسط الحشد ـ ويعلق على سوء هندامه ـ بزته أو رابطة عنقه أو قميصه . ولم يكن هو وهارى ريكس على توافق مطلقًا .

ولم أكن أرغب فى البدء فى ارتداء البزات الرمادية ورابطات العنق . وقد جذب حلة زرقاء ذات نسيج مخطط ، وأتى بقميص أبيض ثم ذهب مباشرة إلى حامل رابطات العنق وانتقى رابطة عنقه مخططة باللونين الأحمر والذهبى . وقال حينما انتهى من عملية الانتقاء : " دعنا نجرب هذا " . ثم قال وهو يشير إلى غرفة تبديل الملابس : " هذه الغرفة هناك " . ومن حسن الحظ أن المتجر كان شاغرًا ولم يكن لدىَّ أى اختيار .

ولم أتمكن من ربط رابطة العنق . فتقدم إلىَّ ميلتو وقام بمهارة فائقة بربطها فى ثوان . قال وهو يتفحص المنتج النهائى : " أفضل كثيرًا " . ولم أكن واثقًا من هذا ، ولكننى كنت مذهولاً من هذا التغيير . فلقد جعلنى متفردًا حقًا .

وسواء أردت هذا أم لا ، فكانت البزة على وشك أن تصبح ملكى . فكان ينبغى علىّ ارتداؤها مرة على الأقل .

ولاستكمال الزى وجد قبعة بيضاء تناسب تمامًا مقاس رأسى الأشعث . وبينما كان يضبطها أمسك ببعض الشعر فوق أذنى وقال : " هذا شعر طويل . إنك رجل مهم . حاول أن تقصه " .

وقد قام بطى البنطال الفضفاض والجاكيت والقميص ، وفى اليوم التالى ذهبت إليه كى آخذ ملابسى الجديدة . وقد كنت عازمًا أن آخذها للمنزل وأنتظر حتى يأتى يوم لا يكون فيه الميدان مكتظًا بالناس لأرتديها . وحينها سوف أذهب مباشرة إلى ميلتو لأريه ما فعل بى .

ولكن بالطبع كان لديه خطط أخرى . فقد صمم على أن أرتديها وعندما فعلت ، صمم على أن أخرج بها فى الميدان وأستمع إلى مجاملات الآخرين .

قلت : " أنا فى عجلة من أمرى حقًا " . فقد كانت هناك جلسة منعقدة للمحكمة العليا وكانت منطقة وسط المدينة مشغولة .

قال بأسلوب درامى وهو يهز إصبعه وكأنه يرفض التفاوض ولو لثانية واحدة : " أنا مصمم " .

وقد قام بضبط القبعة ، وكان المكمل النهائى سيجار أسود طويل والذى قام بنزع طرفه وحشره داخل فمى وأشعله . وقال بافتخار : " تبدو كشخص ذى نفوذ الآن . ناشر المدينة الأوحد " .

ولم يتعرف علىّ أحد عند البناية الأولى . وقد رمقنى اثنان من المزارعين عند متجر الطعام ، ولكننى فى ذلك الوقت لم يعجبنى مظهرهما . لقد شعرت أننى أشبه هارى ريكس والذى لا يغادر السيجار فمه . ولكن الفارق أن السيجار الخاص بى كان مشتعلا وكان قويًا للغاية . وقد مررت أمام مكتبه . وكانت السيدة جلاديس

ويلكنز تدير وكالة تأمين زوجها . كانت فى الأربعين من عمرها تقريبًا وجميلة للغاية وأنيقة دومًا . وحينما رأتنى توقفت عما تفعله وقالت : " مرحبًا يا سيد ترايناور . إنك تبدو مختلفًا وأفضل كثيرًا " .

" شكراً لك " .

" إنك تذكرنى إلى حد ما بمارك توين " .

وقد مضيت قدمًا وأنا أشعر على نحو أفضل . وقد علقت سكرتيرتان على مظهرى . قالت إحداهما : " تعجبنى رابطة عنقك " . وقد أوقفتنى السيدة كلير روث سيجرافز وتحدثت إلىَّ عن شىء كنت كتبته منذ أشهر ونسيت أمره تماماً . وبينما كانت تتحدث ، تفحصت بذلتى ورابطة عنقى والقبعة والسيجار كذلك . وقالت أخيرًا وهى محرجة قليلاً من صراحتها : " إنك تبدو وسيمًا يا سيد ترايناور " . بدأت أسير على أنحو أبطأ بالميدان وأدركت أن ميلتو كان محقاً . لقد كنت أمتهن عملاً مهمًا ، ناشرًا ، شخصًا ذا مكانة فى كلانتون حتى وإن كنت لا أشعر بهذه الأهمية ، ولكن المظهر الجديد كان مطلبًا ملحًا .

ولكن كان ينبغى أن أجد نوعًا من السيجار أقل قوة . وبانتهاء جولتى بالميدان بدأت أشعر بالدوار وكان يحب أن أجلس .

وقد أعد السيد ميلتو طلبية أخرى بحلة زرقاء ذات نسيج مخطط واثنتين رماديتين . فقد قال إن بزاتى لا ينبغى أن تكون داكنة مثل تلك الخاصة بالمحامين والمصرفيين ، ولكن فاتحة ولطيفة وغير تقليدية بعض الشىء ـ وقد كرس نفسه لإيجاد بعض رابطات العنق الفريدة من أجلى والأقمشة المناسبة للخريف والشتاء .

وفى خلال شهر ، اعتادت كلانتون على وجود شخصية جديدة بالميدان . فقد بدأت أجذب انتباه الآخرين ، وخاصة الجنس الآخر . وقد سخر هارى ريكس منى ، ولكن بزاته كانت تبدو كوميدية مقارنة بخاصتى .

وقد أحبتها السيدات .

الفصل الثانى والعشرون

فى أواخر سبتمبر وقعت حادثتا وفاة مهمتان فى أسبوع واحد . الأولى كانت حادثة وفاة السيد ويلسون كاودل . وقد مات فى منزله وحيدًا فى غرفة النوم التى عزل نفسه فيها منذ اليوم الذى غادر فيه التايمز . وكان غريبًا أننى لم أتحدث إليه ولو مرة واحدة فى خلال الستة أشهر التى كنت أمتلك خلالها الجريدة ، ولكننى كنت مشغولاً للغاية لأقلق حيال هذا الأمر . وأنا فى الواقع لم أكن بحاجة لأية نصائح من سبوت . وللأسف فأنا لا أعلم أيضًا شخصًا زاره أو تحدث إليه فى خلال الستة أشهر الماضية .

وقد مات يوم الخميس ودفن يوم السبت . وفى يوم الجمعة هرعت إلى متجر السيد ميلتو وعقدنا جلسة بشأن ملابس الجنازة الفاخرة المناسبة التى يجب أن يرتديها شخص فى مكانتى . وقد صمم على أن أرتدى حلة سوداء ، وكان لديه رابطة العنق المناسبة تمامًا . وقد كانت صغيرة وذات خطوط سوداء وحمراء داكنة ، أنيقة للغاية ، وعندما ربطتها وارتديت كامل ملابسى كان مظهرى مبهراً حقا . وقد أتى بقبعة سوداء من مجموعته الخاصة وأقرضنى إياها

بفخر من أجل الجنازة . وقد قال إنه من الخزى حقا أن الأمـريكيين لم يعودوا يرتدون القباعات . وكانت اللمسة الأخيرة عبارة عن عكاز خشبى أسود براق . وعندما أتانى به أخذت أحملق فقط فيـه . قلـت له : " أنا لست بحاجه لعكاز " . فقد بدا غبيًا للغاية .

قال وهو يعطينى إياه : " تلك عصا للسير " .

قلت : " وما الفرق ؟ " .

حينها انخرط فى سرد قصة مربكة عن الدور الحيوى الذى لعبتـه عصا السـير فـي تطـور موضـة الملابـس الرجـالى بأوروبـا الحديثة . ولقد كان متأثرًا للغاية بما يحكيه . وكلما تغلغل داخـل القصة زادت لكنته ثقلاً وقل استيعابى لما يقولـه . ولأرضـيه أخـذت العصا .

وفى اليوم التـالى ، حينمـا دخلـت دار العبـادة لحضـور جنـازة سبوت أخذت السيدات تحملـق فـى . وبعـض الرجـال فعلـوا ذلـك أيضًا ، وهم يتساءلون عما أفعله بقبعة سوداء وعكاز . وفـى همسـات عالية بما فيه الكفاية كى أسمعها ، قال ستان أكتفيدج المصرفى مـن ورائى : " أعتقد أنه سوف يغنى ويرقص لنا " .

أجابه شخص آخر : " لقد كان يتسكع فى متجر ميلتو ثانيـة " .

وقد قمت من دون قصد بضرب العكاز بشدة فى المقصورة أمامى ، وقد أزعجت الضوضـاء الحاضـرين .فلـم أكـن أدرى مـا ينبغـى فعلـه بالعكاز فى أثناء الجلوس فى جنازة . وضـعته بـين سـاقى ووضـعت القبعة فوقه . إن الظهور بالمظهر اللائق يتطلب بذل بعـض الجهـد . وقد نظرت حولى ورأيت ميلتو . كان يبتسم لى بابتهاج .

وقد بدأ الترتيـل وشـرعنا فـى الشعور بالاكتئـاب . وقـام رجـل الدين بعد ذلك بسرد الأحداث الرئيسية فى حيـاة كـادول ـ ولـد فـى عام ١٨٩٦ ؛ وكان الابن الوحيد لمحبوبتنا السيدة إيما كادول ؛ وهـو

أرمل بدون أطفال ؛ وقد شارك فى الحرب العالمية الأولى ؛ وظل لأكثر من خمسين عاماً محرر جريدة مقاطعتنا الأسبوعية . ومن خلال الجريدة حوّل أخبار الوفيات إلى فن نثرى جديد ؛ والذى سيظل دوما شيئاً نتذكره به .

وشرع رجل الدين في التحدث على نحو غير مترابط قليلاً ؛ ثم كسر حدة الملل مغنى منفرد . وكانت تلك هى رابع جنازة أحضرها فى كلانتون . وفيما عدا جنازة أبى ، لم أحضر قط أية جنازة أخرى . ولكن كانت تلك الجنائز بمثابة أحداث اجتماعية ببلدة صغيرة ، وكنت عادة ما أسمع عبارات من قبيل : " أليست تلك جنازة جميلة ؟ " ، و " انتبه ، سوف أراك فى الجنازة " . وعبارتى المفضلة : " إنها كانت لتحب هذا جدًا " .

و " إنها " ، بالطبع تعود على الفقيدة .

وأيضاً يترك الناس أعمالهم ويرتدون أفضل ملابسهم . وإن لم تذهب إلى الجنائز فسوف يعتبرك الآخرون غريب الأطوار . وحيث إن الكثير من الغرابة كانت تكتنفنى وتعمل ضدى ، فقد عزمت على أن أحترم الأموات .

وحالة الوفاة الثانية حدثت فى وقت متأخر من تلك الليلة ؛ وحينما سمعت عنها فى يوم الاثنين ذهبت إلى شقتى وبحثت عن مسدسى .

فقد أصيب مالكوم فنيس بعيارين ناريين فى رأسه وهو يغادر حانة رخيصة بمكان بعيد من مقاطعة تيشومينجو . وكانت تيشومينجو خالية من المشروبات الكحولية ، وكانت الحانة غير شرعية ؛ ولهذا السبب كانت مخفية فى عمق الغابة .

ولم يكن هناك أى شهود على حادث القتل . وكان مالكوم يحتسى الكحوليات ويلعب البلياردو دون أن يتسبب فى أية مشكلات . وقد أخبر اثنان من معارفه الشرطة بأنه غادر وحده فى حوالى الساعة الحادية عشر مساء بعد قضاء نحو ثلاث ساعات بالحانة . وكانت حالته المعنوية مرتفعة ولم يكن ثملاً . وقد قام بتوديعهما وخرج من الحانة وبعد ثوان سمعا إطلاق نار . وقد كانا واثقين من أنه لم يكن مسلحاً .

وكان الملهى الوضيع يقع بنهاية طريق قذر ، وعلى بعد نحو ربع ميل أعلى الطريق ، وكان هناك خفير يحمل بندقية . ويقولون إن وظيفته كانت تحذير مالك الحانة فى حالة اقتراب الشرطة أو أية شخصيات بغيضة أخرى . وكانت تيشومينجو تقع على حدود الولاية وتحمل ضغائن ذات أصل تاريخى مع بعض قطاع الطرق فى ألاباما . وكانت الحانات هى أفضل الأماكن لتسوية الحسابات وما إلى ذلك . وقد سمع الخفير الطلقات النارية التى قتلت مالكوم ، وكان واثقاً من أنه لم تكن هناك سيارة أو شاحنة غادرت المكان بعد ذلك . فأى سيارة كانت لتمر عليه . بمعنى أن من قتل مالكوم لابد وأنه قد أتى من داخل الغابة سيرًا على الأقدام ، ونفذ المهمة . وقد تحدثت إلى شريف مقاطعة تيشومينجو . وقد كان يعتقد أن شخصاً ما كان يلاحق مالكوم . فمما لا شك فيه أن مثل تلك الحانة كانت تعد مكاناً خطيراً . سألته فى يأس متمنياً أن يكون لمالكوم بعض الأعداء على مسافة ميلين : " هل لديك أدنى فكرة عن هذا الشخص الذى يلاحقه ؟ " .

قال : " لا أملك أدنى فكرة ، إن الفتى لم يعش هنا لفترة طويلة " .

وقد ظللت طوال يومين أحمل مسدسي في جيبي ، ثم مرة أخرى بدأت أخاف من عواقب هذا . فإن أراد آل بادجيت النيل مني أو من أحد المحلفين ، أو من القاضي لوبس أو إيرني جاديس أو أي شخص ساعد في الزج بداني داخل السجن ، فلن يكون بإمكاننا فعل الكثير لردعهم .

وقد كرست صحيفة هذا الأسبوع للسيد ويلسون كادول . وقمت بإخراج بعض الصور القديمة من الأرشيف والتي نشرتها جميعاً بالصفحة الأمامية . كما قمنا بنشر شهادات تقدير وقصص والعديد من تعبيرات التعاطف من العديد من أصدقائه والتي دفعت مقابلها . وبعد ذلك قمت بتفريغ كل شيء كتبته عنه في أطول نعي في تاريخ الصحافة .

وكان سبوت يستحق هذا .

ولم أكن واثقاً ماذا أفعل بخصوص قصة مالكوم فينس . إنه لم يكن أحد سكان مقاطعة فورد ، لذا فلم يكن لزاماً عليّ نشر نعي له في جريدتي . ولكن قواعدنا كانت مرنة للغاية فيما يخص هذا الموضوع . فمواطن من مقاطعة فورد انتقل إلى مكان آخر مازال يستحق أن نكتب عنه شيئاً . ولكن شخصاً قام فقط بعبور المقاطعة دون أن يكون له أسرة بها أو أية إسهامات فيها فلا يستحق أن ننشر شيئاً عنه . وكان مالكوم ينتمي للفئة الثانية .

فإن قمت بكتابة القصة بالتفصيل قد يعمد آل بادجيت إلى ترهيب المزيد من الأشخاص بالمقاطعة . ويقومون ببث الرعب في نفوسنا مجددًا . (فهؤلاء الذين سمعوا عن حادث القتل يؤمنون بأن الفاعل لا يمكن أن يكون أحدًا سوى عائلة بادجيت) .

وإن تجاهلت القصة ، فسوف يعني ذلك أنني خائف وأتملص من مسئوليتي كصحفي . وقد ظن باجي أنه خبر يستحق النشر بالصفحة الأولى ، ولكن لم يكن هناك مكان خال عندما انتهيت من كتابة مقال التأبين للسيد كاودل . وقد نشرت الخبر بأعلى الصفحة الثالثة ، تحت عنوان" *مقتل شاهد قضية بادجيت في مقاطعة تيشومينجو*" . وكان عنواني الأول هو" *مقتل مالكوم فينس في مقاطعة تيشومينجو*" ، ولكن باجي شعر بأنه من الضروري أن نرفق كلمة بادجيت مع كلمة مقتل بالعنوان الرئيسي . وكانت القصة مكونة من ثلاثمائة كلمة .

وقد قدت سيارتي حتى كورنيث كي أتطفل قليلاً . فقد أعطاني هاري ريكس اسم محامي طلاق مالكوم ، وهو محام محلي اسم شهرته باد بيريمان . وكان مكتبه يقع في الشارع الرئيسي بين صالون حلاقة ومحل خياطة صيني ، وحينما فتحت الباب أدركت على الفور أن السيد بيريمان سيكون أقل المحامين نجاحًا ممن سأقابلهم طوال حياتي . فكان المكان تفوح منه رائحة القضايا الخاسرة والموكلين الحانقين والفواتير غير المدفوعة . كانت السجادة مبقعة وبالية . وكان الأثاث عبارة عن خردة من فترة الخمسينيات . وكان هناك ضباب فاسد الرائحة ناتج عن التدخين ينتشر في المكان ويقترب للغاية من رأسي .

والسيد بيريمان نفسه لم يكن يبدو عليه مظاهر النجاح والازدهار . وكان يناهز الخامسة والأربعين من عمره ، وذو كرش وشعر أشعث ولحية غير مشذبة وعينين حمراوين . وكان يبدو أن آثار الثمالة مازلت تنحسر تدريجيًا . وقد أخبرني بأنه محامي طلاق وعقارات ، وكان من المفترض أن يبهرني ذلك . وهو إما لم يكن

يتقاضى الكثير من الأتعاب أو أنه كان يجذب الزبائن ممن لديهم القليل ليبيعونه أو يتشاجرون حوله .

وهو لم ير مالكوم منذ شهر ، وذلك كما قال وهو يبحث عن أحد الملفات وسط كومة كبيرة تغطى مكتبه . ولم يتقدم مطلقاً بطلب الطلاق . فمحاولاته للوصول إلى اتفاق مع محامى ليديا قد وصلت إلى طريق مسدود . قال : " وهى قد فرت بعيدًا " .

" أستميحك عذرًا ؟ " .

" لقد اختفت . حزمت أمتعتها بعد المحاكمة وسافرت بعيدًا . لقد أخذت الطفل واختفت " .

وأنا لم أكترث حقًا لما حدث لليديا . فكان اهتمامى الأكبر ينصب على قاتل مالكوم . وقد قدَّم لى باد نظريتين غامضتين واللتين سرعان ما ثبت غباؤهما بعد طرح بعض الأسئلة الرئيسية . وقد قام بتذكيرى بباجى - أحد المنهمكين بالقيل والقال بقاعة المحكمة فى مقاطعة فورد والذى يقوم باختراع شائعة إن لم يجد واحدة جديدة فى غضون ساعة .

ولم يكن لليديا أى أصدقاء أو إخوة أو أى أشخاص آخرين قد يرغبون فى قتل مالكوم عقب انفصالهما ، وبالطبع لم يكن هناك أى انفصال . فالمعركة الحامية لم تكن قد بدأت بعد !

وقد أعطانى السيد بيريمان الانطباع بأنه من ذلك النوع من الناس الذى يهوى الثرثرة وقص الأكاذيب طوال اليوم على حساب العمل . وقد مكثت فى مكتبه ما يناهز الساعة وحينما هممت بالمغادرة هرعت للخارج لاستنشاق بعض الهواء النقى .

وقد قدت سيارتى طوال ثلاثين دقيقة حتى إيوكا ، عاصمة مقاطعة تيشومينجو . وقد وجدت الشريف سبينر فى وقت مناسب كى أدعوه لتناوله الغداء . وفى أثناء تناولنا للدجاج المشوى فى مقهى

مزدحم أخبرنى بآخر مستجدات جريمة القتل . لقد كانت طلقة دقيقة من شخص يعلم المنطقة جيدًا . فهم لم يجدوا شيئًا ـ فلم يجدوا آثار أقدام ، أو أغطية بارود ، لا شىء . وكان السلاح المستخدم من طراز ماجنم ٤٤ ، وقد فجرت طلقتان انطلقتا منه رأس مالكوم . وللمزيد من الدراما أخرج مسدسه الميرى من جرابه ووضعه فوق الطاولة . قال : " هذا مسدس عيار ٤٤ " . ولقد كان أثقل من مسدسى بمقدار مرتين . وقد فقدت شهيتى بعد ذلك .

وقد تحدثوا إلى كل شخص يعرفه استطاعوا الوصول إليه . وقد ظل مالكوم يعيش بهذا المكان طوال خمسة أشهر تقريبًا . ولم يكن لديه سجل إجرامى ، ولم يسبق اعتقاله من قبل ، ولم ينخرط حتى فى مشاجرة باللكمات ، ولم يقامر ، ولم يحدث اضطرابات ولم يتعارك مع أحد من قبل . وكان يذهب إلى الحانة مرة أسبوعيًا حيث كان يلعب البلياردو ويحتسى الكحوليات ، وهو لم يرفع صوته ولو لمرة واحدة . ولم يكن مدينًا لأحد ، ولم تكن لديه فواتير تستحق السداد قبل ستين يومًا . ولم يبد أنه كان على علاقات غير شرعية بإحدى السيدات ، وبالتالى لا وجود للأزواج الغيورين .

قال الشريف : " لا أستطيع إيجاد دافع . إن هذا ليس منطقيًا " .

وقد أخبرته بشأن شهادة مالكوم فى قضية بادجيت والطريقة التى هدد بها المحلفين . وكان ينصت بإمعان ولم يقل الكثير بعد ذلك . وقد تولد لدى انطباع أنه يفضل البقاء بمقاطعة تيشومينجو وألا يورط نفسه مع عائلة بادجيت .

قلت حينما انتهيت : " من الممكن أن يكون ذلك هو الدافع الذى تبحث عنه " .

قال : " الانتقام ؟ " .

قلت : " بالتأكيد . إنهم أناس قذرون " .

قال : " آه ، لقد سمعت عنهم . أعتقد أننا محظوظون لأننا لم نكن من ضمن أعضاء هيئة المحلفين هذه ، ألا ترى هذا ؟ " .

ولم أستطع أن أمحو صورة وجه الشريف من مخيلتى فى أثناء تفوهه بتلك العبارة عند عودتى لكلانتون . لقد ولت أيام رجل القانون المسلح ذى الشخصية المهيبة لقد كان سبينر ممتنًا حقًا لأنه يبعد ولايتين عن آل بادجيت ، وليس له أدنى علاقة بهم .

وقد وصلت تحقيقاته إلى طريق مسدود وأغلقت ملفات القضية .

الفصل الثالث والعشرون

كان السيد هارفى كوين رجلاً ضئيل الحجم ورشيقاً ، وقد ظل يبيع الأحذية والحقائب للسيدات على مدار عدة عقود . كان متجره فى الميدان إلى جوار مؤسسة سوليفان للمحاماة فى صف من المبانى كان قد اشتراه فى أثناء فترة الكساد الاقتصادى . ولقد كان أرمل ، وفر أطفاله من كلانتون بعد المدرسة الثانوية . كان السيد كوين يقود سيارته ومرة كل شهر إلى توبيلو للتعبد هناك .

وكان متجر كوين يقع فى نهاية السوق ، وهو الأمر الذى كان يعد مشكلة ببلدة صغيرة مثل كلانتون . فالسيدات الثريات القليلات بالبلدة كن يفضلن التسوق فى ممفيس حيث يستطعن دفع أسعار أعلى والتحدث بشأن ذلك فى البلدة . ولكى يجعل أحذيته تجذب انتباه هؤلاء السيدات ، كان السيد كوين يرفع سعرها إلى حد مبالغ فيه ، ثم يُجرى تخفيضات كبيرة عليها . وهكذا تستطيع النساء المحليات انتقاء السعر الذى يرغبن فيه فى أى وقت يردن فيه التباهى بأحدث ما اشترينه .

وكان يدير المتجر بنفسه ، يفتحه في وقت مبكر ويغلقه متأخرًا ، عادة بمساعدة طالب يعمل بدوام جزئي . وقبل أن أصل إلى كلانتون بعامين قام باستئجار فتى أسود يبلغ من العمر ستة عشر عامًا يدعى سام روفين كي يقوم بتفريغ المخزون ، ونقلِ البضائع ، وتنظيف المكان والرد على الهاتف . وقد أظهر سام نبوغًا ، وجدية في العمل . كما كان دمثًا ومهذبًا وأنيقًا ، وقبل أن يمضي وقت طويل كان يدير المتجر وحده وقت ذهاب السيد كوين لمنزله يوميًا في الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة تمامًا كي يتناول غداءه سريعًا ويغفو غفوة طويلة .

وقد جاءت إلى المتجر سيدة تدعي آيرس دورانت في أحد الأيام في فترة الظهيرة ووجدت سام وحده تمامًا .كانت آيرس في الواحد والأربعين من عمرها وأمًا لفتيين مراهقين ، أحدهما في نفس فصل سام بمدرسة كلانتون الثانوية . وكانت جذابة إلى حد ما وتهوى مغازلة الرجال وارتداء التنورات القصيرة وكانت عادة ما تنتقي الأحذية من بين تشكيلة السيد كوين الغريبة . وقد جربت نحو اثني عشر حذاءً دون أن تشترى شيئًا ، ولكنها فقط أمضت وقتًا طويلاً بالمتجر . وكان سام يعرف البضاعة الموجودة بالمتجر جيدًا ، وكان حريصًا على أن يجلب لها ما يناسبها .

وقد عادت في اليوم التالي في نفس الوقت وهي ترتدى تنورة أقصر وتضع مساحيق تجميل أكثر . وهي حافية القدمين ، قامت بإغواء سام في مكتبه الصغير خلف عداد النقود مباشرة . وهكذا بدأت بينهما علاقة غير شرعية ستقوم بتغيير مجرى حياة كل منهما .

وعدة مرات كل أسبوع ، كانت آيرس تذهب لشراء الأحذية . وقد عثر سام على مكان أكثر راحة بالأعلى على أريكة وثيرة . وكان يغلق المتجر لفترة خمس عشرة دقيقة ويطفئ الأنوار .

وكان زوج آيرس رقيبًا في دورية الطريق السريع بمسيسيبى ، وقد أثارت شكوكه كل تلك الأحذية الموجودة في خزانتها . وكان الشك جزءًا لا يتجزأ من حياته مع آيرس .

وقد قام باستئجار هارى ريكس ليتحقق من الأمر . وفتى بالكشافة كان بإمكانه اكتشاف أمر العاشقين . فعلى مدار ثلاثة أيام متوالية كانت تذهب إلى متجر كوين فى نفس الوقت ، وعلى مدار ثلاثة أيام متوالية كان سام يوصد الباب الأمامى سريعًا وعيناه تجوبان المكان ، وعلى مدار ثلاثة أيام متوالية كانت جميع الأنوار تطفأ ، وما إلى ذلك . وفى اليوم الرابع تسلل هارى ريكس وريف إلى مؤخرة المتجر . وقد سمعا ضوضاء بالأعلى . وقد اقتحم ريف هذا العش الغرامى وفى غضون خمس ثوان جمع ما يكفى من الأدلة لتدمير حياة كليهما .

وقد قام السيد كوين بطرد سام بعدها بساعة . وقد تقدم هارى ريكس بطلب الطلاق فى مساء هذا اليوم . وقد نقلت آيريس إلى المستشفى بعد ذلك إثر إصابتها بالجروح والسجحات وأنف مكسور . فقد ضربها زوجها بقبضتيه حتى فقدت الوعى . وبعد أن حل الظلام ، طرق ثلاثة من رجال الشرطة المتجولين باب منزل سام فى لوتاون . وقد شرحا لأبويه أنه مطلوب القبض عليه بتهمة اختلاس شىء ما من متجر كوين . وإن تمت إدانته فسوف يمضى نحو عشرين عامًا بالسجن . وقد أخبراهما أيضًا بأن سام قد تم ضبطه يمارس الجنس مع سيدة بيضاء ، متزوجة ، وأن هناك جائزة لمن يستطيع قتله ، وهى خمسة آلاف دولار !

وقد تركت آيرس البلدة مطلقة ودون أطفالها وخائفة من أن تعود ثانية .

وقد سمعت قصة سام هذه بأكثر من شكل . وكانت قد أصبحت قصة قديمة بوصولى إلى كلانتون ، ولكنها كانت مازالت حساسة بما فيه الكفاية لتستطيع شق طريقها إلى الكثير من الحوارات . ففى الجنوب ، لم يكن من غير العادة أن يتخذ الرجال عشيقات من السود ، ولكن سام كان أول حالة مسجلة تتخذ عشيقة من البيض فى كلانتون .

وكان باجى هو من أخبرنى بهذه القصة ، وأكد معظمها هارى ريكس .

وقد رفضت السيدة كالى التحدث بشأن هذا الأمر . فكان سام أصغر أطفالها ولم يكن باستطاعته الذهاب للمنزل . فقد فر هاربًا وانقطع عن المدرسة الثانوية وأمضى العامين الماضيين يتنقل بين منازل إخوته وأخواته . والآن قام بالاتصال بى .

وقد ذهبت إلى قاعة المحكمة وأخذت أفتش فى أدراج الملفات القديمة . ولم أجد أية وثيقة بتهمة موجهة ضد سام روفين . وقد سألت الشريف كولى إن كان هناك مذكرة اعتقال باسم سام . فراوغنى وتفادى الإجابة ، وأراد أن يعلم سبب تنقيبى فى مثل هذا الموضوع القديم . وقد سألته إن كان سيتم اعتقال سام إن عاد للمنزل . ومرة أخرى لم يجبنى بشكل مباشر . وقد حذرنى قائلاً : " احترس يا سيد ترابنور " ولكنه لم يقل شيئًا أكثر من هذا .

ذهبت إلى هارى ريكس وسألته عن القصة الأسطورية بشأن الجائزة التى وضعت فى مقابل رأس سام ـ وقد أخبرنى بشأن موكله السابق ـ الرقيب دورانت ـ والذى كان بحارًا متقاعدًا وخبيرًا فى الرماية ويمتلك عددًا كبيرًا من الأسلحة ويعمل شرطيًا ، وهو حاد

الطباع وقد أحرجه للغاية طيش آيرس وشعر أن الطريقة الوحيدة لاستعادة كرامته هي أن يقتل عشيقها . وقد فكر في قتلها ، ولكنه لم يرغب في الذهاب للسجن . فقد شعر بأنه أكثر أمانًا أن يقتل فتى أسود . فبهذه الطريقة ستكون هيئة المحلفين بمقاطعة فورد أكثر تعاطفًا معه .

قال هارى ريكس : " وقد أراد أن يفعل ذلك بنفسه . وبتلك الطريقة يوفر على نفسه مبلغ الخمسة آلاف دولار " .

وكان يستمتع بسرد تلك الأخبار الكئيبة على مسامعى ، ولكنه أكد لى أنه لم ير موكله منذ عام ونصف وليس واثقًا إن كان السيد دورانت قد تزوج مرة أخرى بالفعل أم لا !

فى ظهيرة يوم الخميس جلسنا على طاولة الطعام بالشرفة وحمدنا الله على هذه الوجبة الشهية التى نحن على وشك تناولها . وكان إيساو بالعمل .

وحيث إن ثمار الحديقة قد نضجت بنهاية الصيف ، فقد استمتعنا بتناول الكثير من الوجبات النباتية . الطماطم الحمراء والصفراء ، والخيار والبصل فى الخل ، والفاصوليا الليمية والبازلاء ، والبامية ، والقرع ، والبطاطس المسلوقة ، والذرة ، وخبز الذرة الساخن دائمًا . والآن وبما أن الجو قد أصبح أكثر برودة وكانت أوراق الشجر تتغير ، كانت السيدة كالى تعد أطباقًا شهية للغاية ـ حساء البط وحساء الحمل ، وصلصة الفلفل والفاصوليا الحمراء ، والأرز مع صلصة اللحم ، والطبق المعتاد الذى يحتوى على اللحم المحمر .

وكانت وجبة هذا اليوم هى الدجاج والزلابية . وكنت أتناول الطعام ببطء ، وهى عادة شجعتنى عليها السيدة كالى . وكنت فى منتصف طريقى للانتهاء من تناول الطعام حينما قلت : " إن سام اتصل بى يا سيدة كالى " .

ابتلعت الطعام وقالت : " وكيف حاله ؟ " .

" إنه بخير . إنه يريد أن يأتى إلى المنزل لقضاء رأس السنة معكم شأنه شأن إخوته ، فهو يريد أن يكون هنا " .

سألتنى : " هل تعلم أين هو ؟ " .

قلت : " هل تعلمين أنت ؟ " .

" لا " .

قلت : " إنه فى ممفيس ، ومن المفترض أن أقابله هنا غدًا " .

وقد بدت مندهشة من سبب تورطى فى مثل هذا الأمر ، وقالت : " لماذا ستقابل سام ؟ " .

" إنه يريد منى مساعدته . لقد أخبره ماكس وبوبى بشأن صداقتنا . وقد قال إنه يعتقد أننى شخص أبيض يمكنه الوثوق به " .

قالت : " من الممكن أن يكون ذلك خطيرًا " .

" بالنسبة لمن ؟ " .

" لكليكما " .

وكان طبيبها قلقًا بشأن وزنها . وكانت هى تقلق بخصوص ذلك الأمر أيضًا ولكن ليس طوال الوقت . فعند طهى الأطباق الدسمة مثل الحساء والزلابية كانت تراعى أخذ كميات صغيرة والأكل ببطء . وقد جعلتها أخبار سام تتوقف عن تناول الطعام تمامًا ؛ فقد طوت منديلها وبدأت تتحدث .

غادر سام كلانتون فى منتصف الليل بأتوبيس جراى هاوند متوجهًا إلى ممفيس . وقد اتصل بكالى وإيساو حينما وصل إلى هناك . وفى اليوم التالى سافر إليه صديق ببعض الملابس والمال . وحينما انتشرت قصته مع آيرس بالبلدة كان كل من كالى وإيساو واثقين من أن طفلهما الأصغر سوف يقتل على يد الشرطة . وكانت سيارة الدورية تتوقف قبالة منزلهما ليل نهار ، وكانا يتلقيان مكالمات هاتفية من أشخاص مجهولين تتضمن تهديدات وألفاظ بذيئة .

وقد تقدم السيد كوين ببعض الأوراق لهيئة المحكمة ، وقد تحدد موعد لجلسة استماع والتى عقدت دون وجود سام . ولم تر السيدة كالى قط مذكرة اعتقال رسمية ، ولكنها فى ذلك الحين لم تكن تعرف كيف تبدو مثل هذه الورقة .

وقد بدت ممفيس قريبة للغاية ، لذا فقد انتقل سام إلى ميلووكى ، حيث اختبأ عند بوبى لبضعة أشهر . ولمدة عامين الآن وهو يتنقل بين منازل إخوته ، بحيث يسافر دومًا فى أثناء الليل ، ويخشى دومًا أن يتم القبض عليه . والأبناء السبعة الآخرون كانوا عادة ما يأتون للمنزل ويرسلون خطابات مرة أسبوعيًا ، ولكنهم كانوا يخشون أن يوردوا أى ذكر لسام . فقد يكون هناك من ينصت .

قالت السيدة كالى وهى تحتسى الشاى : " لقد ارتكب خطأ شنيعًا عندما تورط مع امرأة مثل هذه " . وقد قمت بإفساد غدائها ولكن ليس غدائى ." ولكنه كان يافعًا للغاية . إنه ليس من سعى وراءها ، بل هى " .

وفى اليوم التالى أصبحت حلقة الوصل غير الرسمية بين سام وأبويه .

وقد تقابلنا في أحد المقاهي بالمركز التجارى فى جنوب ممفيس . ومن مكان بعيد أخذ يراقبنى ، حيث انتظر طوال خمسين دقيقة قبل أن يظهر أمامي فجأة ويجلس قبالتي . فعامان من الهروب المستمر قد علماه بعض الحيل .

وكان وجهه اليافع يعكس أمارات الإجهاد الناتج عن الفرار الدائم . وقد حاول بصعوبة الحفاظ على الاتصال البصرى بيننا ، ولكنه لم يكن يستطيع مواصلة ذلك أكثر من بضع ثوان . وليس من المدهش أنه كان معسول الكلام ويلفظ الكلمات بوضوح ومهذب للغاية . وكان ممتنًا للغاية أننى كنت مرحبًا بمساعدته .

وقد شكرنى على كياستى وصداقتى مع والدته . وقد أراه بوبى فى ميلووكى القصص التى نشرتها بالتايمز . وتحدثنا عن إخوته وانتقالاته من جامعة لوس أنجلوس بكاليفورنيا إلى ديوك ، ومنها إلى توليدو ومنها إلى جرينل فى أيوا . وهو لا يستطيع أن يعيش بهذه الطريقة مدة أطول من ذلك . لقد كان يطمح للتوصل إلى حل كى يعود إلى منزله ويحيا حياة طبيعية . وقد أنهى دراسته الثانوية فى ميلووكى وخطط للالتحاق بكلية الحقوق ، ولكن ليس باستطاعته ذلك إن كان سيعيش مثل الهاربين .

قال : " إننى أئن تحت وطأة الكثير من الضغط ، فأنت تعلم أن إخوتى وأخواتى السبعة حاصلون على الدكتوراة " .

وقد شرحت له بحثى غير المثمر عن مذكرة اعتقال ، وأسئلتى للشريف كولى ، وحوارى مع هارى ريكس حول الحالة المزاجية الحالية للسيد دورانت . وقد شكرنى سام على هذه المعلومات ، وعلى رغبتى فى مساعدته .

وقد قلت له مؤكدًا : " إنك لست معرضًا لخطر الاعتقال . ولكنك على الرغم من ذلك معرض لخطر الإصابة بطلق نارى " .

قال : " إننى أفضل الاعتقال على ذلك " .

" وأنا أيضًا " .

وقد قال سام عن السيد دورانت : " إنه رجل مخيف حقًا " . وبعد ذلك سرد عليَّ قصة لم أستوعب كل تفاصيلها . فيبدو أن آيرس تعيش الآن فى ممفيس . وكان سام على اتصال بها . وقد أخبرته بأمور مروعة عن زوجها السابق وولديها المراهقين والتهديدات التى وجهوها إليها . فلم يكن مرحبًا بها بأى مكان فى مقاطعة فورد . وقد تكون حياتها فى خطر أيضًا . وقد قال لها ولداها مرارًا وتكرارًا إنهما يكرهانها ولا يريدان رؤيتها ثانية .

وقد كانت امرأة محطمة والتى أثقلها إثمها ، وتعانى الآن من انهيار عصبى .

قال سام : " وكل ذلك بسببى . ما كان ينبغى علىَّ فعل ذلك ؛ فقد أحسن أهلى تربيتى " .

وقد استمر لقاؤنا ساعة ، وقد تعاهدنا على التقابل ثانية فى خلال أسبوعين . وقد سلمنى خطابين ثقيلين كتبهما لوالديه وودعنا بعضنا بعضًا . وقد اختفى وسط زحام المتسوقين ، ولم أستطع أن أمنع نفسى من التساؤل عن المكان الذى يمكن أن يختبأ فيه فتى فى الثامنة عشرة من عمره ؟ فكيف يسافر ؟ وكيف ينتقل من مكان لآخر ؟ كيف يستطيع أن يبقى على قيد الحياة يومًا بعد يوم ؟ ولم يكن سام أحد فتيان الشوارع الذى تعلم كيف يكسب معاركه بالحيلة والقوة .

وقد أخبرت هارى ريكس عن لقائى بسام فى ممفيس . وكان هدفى النبيل هو أن أقنع السيد دورانت بطريقة ما أن يدع سام وشأنه .

وحيث إننى كنت أعيش على افتراض أننى أحد ألد أعداء آل بادجيت ، فلم تكن لدى رغبة فى زيادة عدد أعدائى واحدًا . وقد جعلت هارى ريكس يتعهد بالتزام السرية ، وقد كنت واثقًا من أنه سيحمى دورى كوسيط فى تلك المشكلة .

وكان سام على استعداد لأن يغادر مقاطعة فورد كى ينهى دراسته الثانوية فى الشمال ، ثم يمكث هناك للالتحاق بالجامعة ربما لباقى حياته . لقد أراد الفتى فقط أن يتمكن من رؤية والديه ، والقيام بزيارات صغيرة إلى كلانتون ، وأن يعيش دون خوفه الدائم من المطاردة .

ولم يهتم هارى ريكس كثيرًا لهذا الأمر ، ولم يشأ كذلك توريط نفسه فيه . ولكنه وعدنى بتوصيل الرسالة إلى السيد دورانت ، ولكنه أيضاً لم يكن متفائلا بأنه سيكون متفاهمًا . فقد قال أكثر من مرة : " إنه وغد حقير " .

الفصل الرابع والعشرون

فى أوائل شهر ديسمبر عاودت الذهاب إلى مقطعة تيشومينجو لأعرف آخر مستجدات القضية من الشريف سبينر . ولم أتفاجأ حينما عرفت أن التحقيقات فى قضية مقتل مالكوم فينس لم تتوصل لشىء جديد . فأكثر من مرة كان سبينر يصف الجريمة بأنها " محكمة " ، دون وجود أية أدلة سوى جثة وعيارين ناريين لم يستطع تتبع السلاح الذى أطلقهما . وقد تحدث رجاله إلى جميع أصدقائه ومعارفه وزملائه بالعمل ، ولم يجدوا شخصًا واحدًا يعرف سببًا يجعل مالكوم فينس يلقى تلك النهاية البشعة .

وقد تحدث سبينر كذلك إلى الشريف ماكى دون كولى ، ولم يكن مثيرًا للدهشة أن استبعد شريفنا وجود أية علاقة بين هذه الجريمة وبين آل بادجيت بمقاطعة فورد . ولكن يبدو أنه يوجد بعض العداء بين الشريفين ، فقد قال سبينر : " إن كولى لا يستطيع الإمساك بشخص خالف قواعد الطريق فى شارع رئيسى " .

ضحكت بصوت مرتفع للغاية وأضفت : " نعم ، إنه وبادجيت لهما تاريخ طويل معًا " .

" لقد أخبرته بأنك تتحرى بشأن هذه القضية ، فقال : " إن هذا الفتى سيؤذى نفسه " . وقد فكرت أنك ربما ترغب فى معرفة ذلك " .

قلت : " شكرًا لك . أنا وكولى نرى الأمور من منظور مختلف " .

" لم يتبق سوى أشهر قليلة على الانتخابات " .

" نعم . وقد سمعت أن لكولى منافسين أو ثلاثة " .

" إننا لا نحتاج سوى لواحد " .

وقد وعدنى مرة أخرى بالاتصال بى إن ظهر شىء جديد ، ولكن كلاً منا كان يعلم جيدًا أن هذا لن يحدث . وقد غادرت إيوكا وقدت سيارتى إلى ممفيس .

شعر الشرطى دورانت بالابتهاج عندما علم بأن تهديداته مازالت تخيف سام روفين . فقد أوصل إليه هارى ريكس أخيرًا الرسالة التى تفيد بأن الفتى مازال هاربًا ، ولكنه يريد بشدة العودة إلى منزله لرؤية والدته .

ولم يتزوج دورانت ثانية . وقد كان وحيدًا للغاية ومتعصبًا بشدة ومحرجًا مما فعلته زوجته . وقد تحدث بصخب إلى هارى عن الطريقة التى دمرت بها حياته ، والأسوأ من ذلك كيف كان ولداه عرضة للسخرية والازدراء بسبب ما فعلته والدتهما . فالأولاد البيض كانوا يوبخونهما ويسخرون منهما يوميًا ـ أما الأولاد السود ـ والذين التحقوا مؤخرًا بمدرسة كلانتون الثانوية ـ فكانوا معتدين بأنفسهم ويعلقون دومًا على الأمر .

وكلا الفتيين كان راميًا بارعًا وصيادًا شرهًا ؛ وقد تعهد الثلاثة على إطلاق النار على رأس سام روفين إن أتيحت لهم الفرصة .

وكانوا يعملون بدقة أين يعيش آل روفين في لوتاون . وقد كان دورانت يعلم بشأن عودة العديد من السود من الشمال لزيارة ذويهم في فترة رأس السنة . وقد وعد هارى ريكس قائلاً : " إن تسلل الفتى لمنزله ، فسوف نكون بانتظاره " .

وكان يحمل كذلك بعض الغل تجاهي ، بسبب القصص الدافئة التي كتبتها عن السيدة كالى وأولادها الأكبر . وقد استطاع أن يعرف عن طريق التخمين أننى حلقة الوصل بين سام وأسرته .

وقد حذرنى هارى بعد أن التقى بدورانت قائلاً : " من الأفضل أن تبتعد عن هذا الأمر . إنه شخصية حقيرة " .

ولم أكن أتطلع لأحظى بشخص آخر يرغب في قتلى .

وقد قابلت سام بمحطة حافلات بالقرب من حدود الولاية على بعد نحو ميل من تينيسي . وقد أرسلت إليه السيدة كالى معى بعض الكعك والفطائر والخطابات وبعض النقود ؛ صندوق خشبى كامل احتل مساحة المقعد الخالية بالكامل في سيارتى السبيتفاير . وكانت تلك هى المرة الأولى في خلال عامين التى تستطيع الاتصال به بأية طريقة . وقد حاول قراءة أحد خطاباتها ، ولكنه تأثر للغاية فقام بوضعه ثانية في المظروف . قال : " أنا مشتاق للمنزل بشدة " ، ثم مسح دموعه وهو يحاول في الوقت ذاته إخفاءها عن السائقين الذين كانوا يتناولون الطعام على مقربة منا . لقد كان فتى ضائعًا وخائفاً .

وبصراحة مطلقة أعدت على مسامعه الحوار الذى أجريته مع هارى ريكس . وقد ظن سام بسذاجة أن السيد دورانت سيوافق على عرضه بأن يبقى بعيدًا عن مقاطعة فورد ، ولكن يأتى لزيارة منزله من حين لآخر . فهو لا يعلم قدر الكراهية التى يكنها له هذا الرجل . ولكنه على الرغم من ذلك كان يعلم قدر الخطر الذى يحدق به .

قلت له : " إنه يريد قتلك يا سام " .

قال : " وسوف يفلت بفعلته ، أليس كذلك ؟ " .

قلت : " وما الفارق الذى سيحدثه ذلك لك ؟ إنك سوف تكون ميتًا حينئذ . والسيدة كالى سوف تفضل أن تكون حيًا بالشمال على أن تكون ميتًا بالمدافن فى الجنوب " .

وقد اتفقنا على التقابل ثانية فى خلال أسبوعين . وقد كان يقوم بشراء هدايا رأس السنة ، ويعزم على شراء هدايا لوالديه وأسرته .

ودعنا بعضنا البعض ، وغادرت مكان تناول الطعام وكنت على وشك الوصول لسيارتى حينما قررت العودة للداخل واستخدام دورة المياه ، والتى كانت توجد فى مؤخرة متجر هدايا مبتذل بجوار المقهى . وقد نظرت من النافذة ورأيت سام وهو يستقل بحرص بالغ سيارة تقودها امرأة بيضاء . وقد بدت أكبر سنًا ، فى أوائل الأربعينات تقريبًا ، لقد كانت آيرس فى الغالب . بعض الناس لا يتعلمون من أخطائهم أبدًا .

بدأ أبناء عائلة روفين فى التوافد على منزل والديهما قبل حلول ليلة رأس السنة بثلاثة أيام . وقد ظلت السيدة كالى تطهى الطعام طوال أسبوع . وقد أرسلتنى إلى متجر البقالة مرتين لشراء أشياء ضرورية . فهم سرعان ما تبنونى داخل أسرتهم ، وكنت أحصل على كل المزايا ، أهمها تناول ما أشاء من الطعام وقتما أشاء .

ونتيجة لترعرهم فى هذا المنزل ، أصبحت حياة الأبناء متمركزة حول والديهم وبعضهم البعض وطاولة تناول الطعام بالمطبخ . وفى أيام العطلات كان هناك دومًا طبق معد من طعام طازج على الطاولة وصنفان أو ثلاثة آخرون فوق الموقد أو داخل الفرن .

وكانت عبارة : " فطائر البقان جاهزة " عادة ما تجعل الصيحات تدوى داخل المنزل الصغير وعبر الشرفة وحتى بالشارع . وقد اجتمعت العائلة على الطاولة حيث شكر إيساو الله سريعًا على أسرته وصحتهم والطعام الشهى الذين هم على وشك تناوله ، ثم قطعت الفطائر إلى شرائح كبيرة ، ووضعت فوق الصحون ووزعت فى جميع الاتجاهات .

وقد تم اتباع نفس النهج مع فطائر القرع وجوز الهند وكعك الفراولة ، إلى آخر القائمة الطويلة . وتلك كانت فقط المشهيات التى كانت ستنتقل بهم من وجبة رئيسية إلى وجبة أخرى .

وبخلاف والدتهم ، فإن أبناء عائلة روفين لم يهتموا بمسألة تناول كميات قليلة من الطعام . وسرعان ما عرفت سبب ذلك . فقد اشتكوا أنه لم يعد باستطاعتهم تناول مثل هذا الطعام . فكان الطعام بالمكان الذى يعيشون فيه غير حريف ، ومعظمه يباع مجمدًا وينتج على نطاق واسع . كما كان هناك العديد من الأطعمة العرقية التى لم يكونوا يستطيعون هضمها . وكان الناس يأكلون بسرعة وعلى عجلة . وقد كانت قائمة الشكاوى طويلة حقًا .

وقد أحسست أن طعام السيدة كالى قد أفسد أبناءها لدرجة أنهم أصبحوا لا يجدون ما يضاهيه أبدًا .

وكانت كارولتا - والتى لم تكن متزوجة وتدرس الدراسات المدينة فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس - أكثر إمتاعًا حينما تقوم بسرد القصص عن أغرب أنواع الطعام التى تجتاح كاليفورنيا . فكان الطعام النيئ هو الصيحة الشائعة الآن - فكان الغداء عبارة عن جزر نيئ وكرفس نيئ ، والذى تتبعه بفنجان صغير من شاى الأعشاب الساخن .

أما جلوريا ـ والتى كانت تدرس الإيطالية فى ديوك ـ فكانت تعتبر أكثر أخواتها السبعة حظاً لأنها كانت لا تزال تعيش بالجنوب . وقد كانت تقوم هى والسيدة كالى دومًا بالمقارنة بين الوصفات المختلفة لطهى أشياء مثل خبز الذرة وحساء البرونسويك وحتى أوراق الكرنب . وكانت تلك المناقشات عادة ما تصبح جادة ويبدأ الرجال فى الإدلاء بملاحظاتهم وآرائهم ، وأكثر من مرة تندلع مجادلات ساخنة .

وبعد الغداء الذى استمر ثلاث ساعات ، طلب منى ليو (ليوناردو) ـ والذى كان يدرس الأحياء فى بوردو ـ أن نقوم بجولة بالسيارة معًا . كان هو ثانى أكبر إخوته ويحمل مظهرًا أكاديميًا يحاول باقى إخوته تجنبه . فكان له لحية ويدخن الغليون ويرتدى سترة مصنوعة من نسيج صوفى خشن وأكمام ، ويستخدم كلمات لابد أنه ظل ساعات يتدرب على التلفظ بها .

وقد ظللنا نجوب شوارع كلانتون بسيارته . وكان يريد أن يعرف أخبار سام وقد أخبرته بكل شىء أعرفه . وفى رأيى ، مهما كان الأمر يستحق ، فكان خطيرًا جدًا بالنسبة له أن يحاول دخول مقاطعة فورد .

وكان يريد أن يعرف بشأن محاكمة دانى بادجيت . وكنت قد أرسلت نسخًا من التايمز لجميع أبناء عائلة روفين . وكان أحد تقارير باجى قد أتى على ذكر التهديد الذى وجهه دانى للمحلفين . وكان مازال يتذكر عبارة دانى : " إن قمتم بإدانتى ، فسوف أنال من كل واحد فيكم " .

سأل ليون : " هل سيتم إطلاق سراحه من السجن فى يوم ما " .

قلت بتردد : " نعم " .

" متى ؟ " .

" لا أحد يعرف ذلك . لقد أخذ حكمًا بالسجن مدى الحياة لارتكابه جريمة قتل وحكمًا آخر بالسجن مدى الحياة لارتكابه جريمة اغتصاب . وعشر سنوات هي أقل مدة مقابل كل جريمة منهما ، ولكنني علمت أن أمورًا غريبة تحدث بعمليات إطلاق السراح المشروطة في مسيسيبي " .

قال : " إذن سوف يمضي في السجن عشرين عامًا على الأقل ؟ " ، وقد كنت واثقًا من أنه كان يفكر في عمر والدته . لقد كانت في التاسعة والخمسين من عمرها .

قلت : " لا أحد يعلم بدقة . فهناك احتمال أن يخرج قبل هذا الوقت " .

فبدا مرتبكًا مما قلته له كما كنت أنا من قبل . والحقيقة هي أنه لم يستطع أحد له علاقة بالنظام القضائي أو نظام العقوبات الإجابة عن أسئلتي بشأن مدة عقوبة داني . فكان نظام إطلاق السراح المشروط بالمسيسيبي بمثابة حفرة عميقة مظلمة ، وقد كنت خائفًا من الاقتراب منها .

وقد أخبرني ليون بأنه سأل والدته كثيرًا عن الحكم ، وعلى وجه التحديد عما إذا كانت قد صوتت للحكم مدى الحياة أو الإعدام . وقد أجابتني بأن المحلفين أقسموا على الحفاظ على سرية المباحثات . وقد سألني : " وماذا تعرف أنت عن هذا الأمر ؟ " .

ليس كثيرًا . لكنها قد لمحت لي بأنها لم تكن موافقة على هذا الحكم ، بيد أنها لم تؤكد لي شيئًا . ففي الأسابيع التالية للحكم كان هناك كم كبير من التكهنات . ومعظم العاملين بدار القضاء أجمعوا على النظرية التي تفيد بأن ثلاثة أو ربما أربعة من أعضاء هيئة المحلفين رفضوا التصويت لحكم الإعدام . وكان الاعتقاد الشائع بأن السيدة كالي ليست من ضمن هذه المجموعة .

سألنى : " هل قام آل بادجيت برشوتهم ؟ " . وقد كان يسير بالسيارة ببطء فى الممر الطويل لمدرسة كلانتون الثانوية .

قلت : " تلك هى القصة الشائعة ، لكن لا أحد يعلم الحقيقة على وجه التحديد . إن آخر حكم بالإعدام صدر فى هذه المقاطعة على متهم أبيض كان منذ أربعين عامًا مضت " .

أوقف سيارته ونظرنا إلى أبواب المدرسة المغطاة بأفرع شجر البلوط . قال : " إذن فقد تم تطبيق الدمج العنصرى أخيرًا " .

" نعم " .

قال : " لم أعتقد قط أننى سأحيا حتى أشهد ذلك اليوم " . ابتسم وهو يشعر برضا بالغ . " لقد كنت أحلم بالذهاب إلى هذه المدرسة . لقد كان أبى يعمل بوابًا هنا حينما كنت فتى صغيرًا ، وكنت آتى إليه فى أيام الآحاد وأسير فى هذه الردهات الطويلة وأرى مدى جمال كل شىء ، وقد كنت مدركًا لسبب عدم الترحاب بى هنا ، ولكننى لم أتقبل هذا يومًا " .

ولم يكن باستطاعتى إضافة الكثير لما يقوله ، لذا فشرعت فى الإنصات فقط . وقد بدا حزينًا أكثر منه متعصبًا .

وقد قمنا فى النهاية بالابتعاد وعبور الجهة الأخرى من البلدة . وفى لوتاون ، اندهشت من كم السيارات التى تحمل لافتات من خارج الولاية والتى كانت مصطفة بجوار بعضها البعض فى الشوارع . وكانت العائلات الكبيرة تجلس فى الشرفات فى الهواء ، وكان الأطفال يلعبون فى الأفنية الأمامية والشوارع . وكانت سيارات أخرى تواصل المجئ وهى تحمل فى مقاعدها الخلفية عبوات ملفوفة بأوراق براقة .

قال ليون : " إن المنزل هو حيث توجد الأم . والجميع يعود من أجل قضاء عطلة رأس السنة هنا " .

وبينما كنا نتوقف بالقرب من منزل السيدة كالى ، شكرنى ليون على صداقتى مع والدته . قال : " إنها تتحدث عنك طوال الوقت " .

قلت : " إن السر فى طعامها " ، ثم ضحكنا معًا . وعند البوابة الأمامية انبعثت رائحة جديدة من المنزل . وقد تسمَّر ليون فى مكانه وتفحص الرائحة ثم قال " فطيرة القرع " . وكان يبدو أنه أصبح خبيرًا فى التعرف على الروائح .

وأكثر من مرة قام كل واحد من الأبناء السبعة بتوجيه الشكر لى على صداقتى بوالدته . لقد شاركت حياتها مع الكثيرين ، وكان لها الكثير من الأصدقاء المقربين ، ولكن خلال أكثر من ثمانية أشهر وهى تمضى جل وقتها معى .

وقد تركتهم فى وقت متأخر من فترة بعد الظهيرة فى ليلة رأس السنة حيث كانوا يستعدون للذهاب لدار العبادة . وبعد ذلك كان من المقرر أن يفتحوا الهدايا ويبدأوا فى الغناء . وكان هناك أكثر من عشرين فردًا من أفراد عائلة روفين بالمنزل ، ولم أستطع أن أتخيل أين سينامون ، ولكننى كنت واثقًا من أن تلك لم تشكل مشكلة لأحد .

وعلى الرغم من كل الترحاب الذى حظيت به ، فقد شعرت بأننى يجب أن أتركهم فى وقت ما . فبعد ذلك كان التجمع زاخرًا بالعناق والدموع والأغانى والحكايات ، وفى حين أنه لم يبد أحد اعتراضًا على تواجدنى أثناء ذلك ، فقد كنت أعلم أن هناك أوقاتاً تحتاج فيها الأسر إلى البقاء بمفردها .

وماذا أعرف أنا عن العائلات والأسر ؟

قدت سيارتى إلى ممفيس ، حيث يقع المنزل الذى أمضيت فيه فترة طفولتى والذى لم يعلق فيه أحد زينات رأس السنة منذ عشر سنوات . وقد تناولنا أنا وأبى العشاء فى حانة صينية لا تبعد كثيرًا

عن المنزل . وبينما كنت أتناول الحساء سيئ المذاق لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في الفوضى التي تعم مطبخ السيدة كالى وكل تلك الصحون الرائعة التي تخرجها من الفرن !

وقد بذل والدى الكثير من الجهد كي يبدو مهتمًا بأمر جريدتي . وكنت أرسل له نسخة منها كل أسبوع ، ولكن بعد بضع دقائق من الدردشة كنت واثقًا من أنه لم يقرأ قط ولو كلمة واحدة فيها . وقد كان يشغل تفكيره علاقة ما غير واضحة بين الحرب في جنوب شرق آسيا وسوق المال .

تناولنا الطعام سريعًا وذهبنا في اتجاهين مختلفين . وللأسف ، فلم يفكر أى منا في جلب هدية للآخر .

وقد تناولت طعام الغداء في يوم رأس السنة مع بيبي والتي ـ بخلاف والدى ـ كانت سعيدة لرؤيتي . وقد دعت ثلاث من صديقاتها الأرامل لتناول اللحم والمشروبات معنا ، وأخذنا نحن الخمسة نتسامر معاً وقد أمطرتهم بقصص عن مقاطعة فورد ، بعضها دقيق والبعض الآخر مبالغ فيه . فالتسكع مع باجى وهارى ريكس قد علمنى فن قص الحكايات .

وبحلول الثالثة مساء ، كنا جميعًا مستغرقين في النوم . وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالى هرعت إلى كلانتون .

الفصل الخامس والعشرون

فى يوم قارس البرودة فى نهاية يناير دوت الطلقات النارية من مكان ما بالميدان . فكنت جالسًا فى مكتبى فى هدوء أكتب قصة عن السيد لامار فارلو وإعادة اتحاده الجديد فى شيكاغو مع كتيبة مشاة الجو بالجيش حينما حطمت رصاصة الحاجز الزجاجى الذى يبعد أقل من عشرين قدمًا عن رأسى . وهكذا انتهى أسبوع بطئ الأحداث بهذه الطريقة .

وكانت تلك الرصاصة هى الثانية أو الثالثة تقريبًا فى سلسلة من الطلقات السريعة . وقد رميت نفسى على الأرض وجميع أنواع الأفكار تجوب رأسى ـ أين مسدسى ؟ هل يشن آل بادجيت هجومًا على البلدة ؟ هل تسعى ورائى الشرطة ودورانت ورجاله ؟ وقد زحفت على يدىّ وركبتىّ إلى حقيبة يدى بينما واصلت الطلقات الدوى بالهواء ، وقد بدت أنها قادمة من خلال الشارع ، ولكن رهبة الموقف جعلتنى لا أستطيع التحديد بدقة . لقد بدا أن صوتها قد ارتفع بعدما أصابت إحداها مكتبى .

فرغت حقيبة اليد ولكننى تذكرت أن المسدس إما بسيارتى أو فى منزلى . لقد كنت غير مسلح وشعرت بالضعف لعدم إمكانى الدفاع عن نفسى . لم يكن من المفترض أن أقع فى هذا الخطأ بعد كل التدريب الذى تلقيته على يد هارى ريكس وريف .

كنت خائفاً للدرجة التى جعلتنى عاجزًا عن الحركة . بعد ذلك تذكرت أن بيجماوث باس كان فى مكتبه بالأسفل ، وشأنه شأن معظم الرجال الحقيقيين فى كلانتون فكان لديه مستودع أسلحة بمكان ما فى مكتبه . فكانت هناك عدة مسدسات فى مكتبه ، وكان يحتفظ ببندقية صيد على الحائط فى حالة إذا ما احتاج إلى أن يخرج ويقتل غزالاً فى أثناء فترة الغداء . فأى شخص سيحاول النيل منى سيلقى مقاومة ضارية أولاً على أيدى فريق عملى . وقد تمنيت ذلك بأية حال .

توقف صوت إطلاق النار ، ثم تعالت أصوات الصيحات والهلع بالشوارع ! كانت الساعة الثانية بعد الظهر تقريبًا ، وكان ذلك هو وقت الذروة بمنطقة وسط المدينة . زحفت تحت مكتبى تمامًا كما تعلمت فى أثناء تدريبات النجاة من خطر الإعصار . ومن مكان ما بالأسفل سمعت بيجماوث يصيح : " ابقوا فى مكاتبكم ! " . وكان بإمكانى تقريبًا رؤيته بالأسفل وهو يمسك بمسدس ٣٠,٠٦ وصندوق ذخيرة ويتلصص من خلال المدخل فى ترقب بالغ . ولم أكن أتخيل مكانًا أسوأ كى يبدأ هذا المعتوه إطلاق النار منه . لقد كانت آلاف الأسلحة فى متناول اليد بميدان كلانتون . فبداخل كل شاحنة كان هناك مسدسان على حامل النافذة ، ومسدس أسفل المقعد . وكان هؤلاء الأشخاص متلهفين لاستخدام أسلحتهم .

فلن يمضى وقت طويل قبل أن يبدأ المحليون فى تبادل إطلاق النار . وفى ذلك الوقت ستصبح المعركة ضارية حقًا .

ثم بدأ إطلاق النار من جديد . ولكن الطلقات لم تكن تقترب كما خيّل لى وأنا أحاول التنفس على نحو طبيعى تحت المكتب وأقوم بتحليل ما يحدث . ومع مرور الثوانى ببطء ، أدركت أننى لست المستهدف من هذا الهجوم . ولكن فقط حدث بالقرب من نافذتى . ثم سمعت صوت أبواق عربات الشرطة ، بعدها ازدادت الطلقات النارية ، وازدادت . ماذا يحدث بحق السماء !

رن جرس الهاتف بالأسفل والتقط أحدهم السماعة سريعًا .

صاح بيجماوث من أسفل الدرج : " ويلى ! هل أنت بخير ! " .

" نعم " .

قال : " إن هناك قناصاً أعلى دار المحكمة ! " .

" عظيم ! " .

قال : " ابق منبطحًا ! " .

قلت : " لا تقلق " .

استرخيت قليلاً ثم رفعت نفسى مسافة تكفى للإمساك بالهاتف . اتصلت بويلى ميك فى منزله ، ولكنه كان قد توجه بالفعل إلينا . بعد ذلك زحفت عبر الأرضية لأحد الأبواب الفرنسية وفتحته . ويبدو أن ذلك قد جذب انتباه القناص . فقام بإطلاق طلقة حطمت الزجاج الذى يعلونى بأربعة أقدام وسقط الزجاج المحطم فوقى كالمطر . ألقيت بنفسى على بطنى وتوقفت عن التنفس لمدة بدت لى أنها ساعة . لقد بدا ذلك القناص عديم الشفقة . فبغض النظر عمن هو ، فإنه يبدو حانقا بسبب شىء ما .

وقد أطلق ثمانى رصاصات بدت أعلى صوتًا الآن بعدما خرجت . ثم توقفت الطلقات فى فترة خمس عشرة ثانية كان القناص يعيد فيها حشو مسدسه ، بعد ذلك أطلق ثمانى رصاصات أخرى . وقد سمعت صوت تحطيم الزجاج وصوت الطلقات وهى تصطدم بالطوب ،

وصوت طلقات تخترق الأعمدة الخشبية . وفجأة وسط هذا الوابل من إطلاق النار ، ساد الهدوء .

وحينما استطعت التحرك ثانية ، جذبت برفق أحد المقاعد الهزازة واختبأت وراءه . كان للشرفة سور حديدى مزخرف والذى بمساعدته وبمساعدة المقعد الذى أمامى استطعت الاختباء وتوفرت لى الحماية . ولا أعلم لماذا شعرت بضرورة الاقتراب أكثر من القناص ، ولكننى كنت فى الرابعة والعشرين من عمرى وأمتلك جريدة ، وأعلم أننى أستطيع كتابة قصة طويلة عن هذا الحادث الدرامى . وقد كنت بحاجة للتفاصيل .

وحينما اختلست النظر عبر المقعد والسور الحديدى رأيت القناص . فكان لدار المحكمة سطح مستو غريب تعلوه قبة ذات أربع نوافذ . وقد استقر القناص بداخلها ، وحينما رأيته للمرة الأولى كان يختلس النظر من فوق عتبة إحدى هذه النوافذ . وقد بدا أن له وجهاً أسود وشعراً أبيض ، وقد جعلنى ذلك أرتعد أكثر . فقد كنا نتعامل مع مخبول .

وقد كان يعيد حشو سلاحه ، وعندما أصبح مستعدًا نهض قليلاً وبدأ يطلق النار عشوائيًا . بدا أنه لا يرتدى قميصًا ، وهو الأمر الذى كان شديد الغرابة حيث إن درجة الحرارة كانت حوالى ٣٠ درجة تحت الصفر مع احتمال سقوط الثليج فى وقت متأخر من فترة بعد الظهيرة . وقد كنت أتجمد من البرد على الرغم من أننى كنت مرتديًا حلة صوفية جميلة ابتعتها من متجر ميلتو .

كان صدره أبيض ومرسوم فوقه خطوط سوداء ، بحيث كان يشبه الحمار الوحشى . لقد كان رجلاً أبيض طلى نفسه جزئيًا باللون الأسود .

وقد اختفت جميع السيارات المارة بالميدان . فالشرطة قد قامت بإغلاق الشوارع وكان رجال الشرطة منتشرين بالمكان وجاثمين للأسفل وراء سياراتهم . وفى نوافذ المتاجر كانت الوجوه تظهر لاختلاس نظرة سريعة ثم تختفى ثانية . وقد توقف إطلاق النار وانحنى القناص للأسفل واختفى لبرهة . بعد ذلك اندفع ثلاثة نواب عبر الرصيف ودخلوا دار المحكمة . وقد مرت دقائق طويلة .

صعد ويلى ميلك الدرجات حتى مكتبى ، وسرعان ما وجدته خلفى . كان يتنفس بصعوبة وكأنه كان يعدو بأقصى سرعة من منزله وحتى الجريدة . همس لى وكأن القناص يستطيع سماعنا : " لقد أصابنا " ، ثم بدأ يتفحص الزجاج المكسور .

قلت وأنا أنظر تجاه الحواجز الزجاجية المحطمة : " مرتان " .

سألنى بينما كان يحرك الكاميرا ذات عدسات المدى الطويل : " أين هو ؟ " .

قلت وأنا أشير إليه : " داخل القبة . كن حذرًا . لقد أطلق النار على الباب حينما فتحته " .

" هل رأيته ؟ " .

" إنه رجل أبيض قد خط نفسه بخطوط سوداء " .

" آه ، إنه أحد هؤلاء " .

" أبق رأسك منخفضًا " .

بقينا جاثمين ورابضين لعدة دقائق . وقد أتى المزيد من رجال الشرطة والذين لم يتوجهوا إلى مكان بعينه وكانوا يبدون خائفين لكونهم هناك ، كما بدا أنهم ليس لديهم أدنى فكرة عما ينبغى فعله .

سأل ويلى فجأة وكأنه كان خائفًا أن يكون قد فاته بعض الدماء : " هل أصيب أحد ؟ " .

" كيف لى أن أعرف ؟ " .

ثم توالت الطلقات ، والتى كانت سريعة للغاية ومفزعة . اختلسنا النظر ورأيناه يطلق النار بسرعة وعلى نحو متكرر . ركز ويلى وبدأ فى التقاط الصور من خلال العدسات طويلة المدى .

كان باجى وأصدقاؤه فى غرفة تناول الطعام بالطابق الثالث والتى لا تقع أسفل القبة مباشرة ولكنها لا تبعد كثيرًا عنها . فى الواقع ، لقد كانوا على الأرجح هم أقرب أشخاص للقناص حينما بدأ فى شن الحرب على الميدان . وبعد استئناف إطلاق النار للمرة التاسعة أو العاشرة ، أصبحوا أكثر رعبًا ومتيقنين من أنهم سيلقون حتفهم ، لذا فقد قرروا تولى الأمر بأنفسهم . فبطريقة ما نجحوا فى فتح النافذة العنيدة بمخبأهم الصغير . وكنا نراقبهم وهم يقومون بتدلية سلك كهربى من النافذة والذى وصل إلى الأرض تقريبًا ، على مسافة أربعين قدمًا للأسفل . وقد ظهرت ساق باجى اليمنى بعد ذلك ؛ حيث قام بدفعها عبر عتبة النافذة وبعد ذلك دفع جسده السمين عبر الفتحة . ولم يكن من المدهش أن باجى صمم على الهبوط أولاً .

قال ويلى وهو يشعر ببعض الابتهاج ويرفع الكاميرا : " يا إلهى ! إنهم ثملون كالظربان " .

وهو يمسك بالحبل الكهربائى بكل ما أوتى من قوة ، قفز باجى من النافذة وبدأ يتسلل حيث الأمان . ولم تكن خطته واضحة . فلم يبد أنه كان يهبط بتوان على الحبل ، فقد كانت يداه مثبتتين فوق الحبل أعلى رأسه . وكان من الجلى أن قدرًا كبيرًا من الحبل مازال هناك بغرفة الطعام وكان من المفترض أن يقوم أصدقاؤه بالإمساك به وتدليته ببطء .

وبينما كانت يداه تعلو رأسه ، أصبح بنطاله أقصر . وسرعان ما ارتفع ليصبح أسفل ركبتيه مباشرة تاركا مساحة طويلة من الجلد

الأبيض الشاحب والذى كان يعلو جوربيه . فلم يكن باجي يهتم لمظهره كثيرًا قبل أو أثناء أو بعد حادثة القناص .

توقف إطلاق النار ، ولبرهة ثبت باجي في مكانه ، وهو يتلوى ببطء بجوار المبنى ، على بعد نحو ثلاث أقدام أسفل النافذة . وكان في الإمكان رؤية ميجور بالداخل متشبثًا بقوة بالحبل . وقد كان بساق واحدة ، وقد كنت قلقًا من احتمال انهياره سريعًا . وخلفه كان بإمكاني رؤية شخصين ، على الأرجح كانا ووبل تاكيت وتشيك إليوت ـ عصابة لعب البوكر المعتادة .

بدأ ويلي يضحك ، وقد كانت ضحكة صغيرة مكتومة جعلت القشعريرة تسرى في جسده بالكامل .

وفي كل فترة زمنية يتوقف فيها إطلاق النار كانت المدينة تتنفس الصعداء وتنظر حولها وتتمنى أن يكون الأمر قد انتهى . وكان كل استئناف لإطلاق النار يخيفنا أكثر من السابق له .

دوت طلقتان في الهواء . تمايل باجي وكأنه قد أصيب ـ على الرغم أنه ما من طريقة تجعل القناص يستطيع رؤيته ! وقد أدت الحركة السريعة إلى تحميل الكثير من الضغط على ساق ميجور ، مما أدى إلى تخاذله وإفلات الحبل من يده ، وقد أخذ باجي يصرخ وهو يسقط كالكتلة الخشبية في داخل صف من النباتات الكثيفة . وقد امتصت النباتات الصدمة وشأنها شأن الترامبولين ارتدت وقذفت بباجي على الرصيف حيث استقر مثل البطيخة وأصبح هو الضحية الوحيدة لهذا الحادث .

وقد سمعت أصوات ضحكات تتعالى من بعيد .

ودون أى رحمة ، قام ويلي بتسجيل هذا المشهد بالكامل . وظلت هذه الصور تتناقل بين أهل البلدة خلسة على مدار أعوام تلت هذا الحادث !

ولفترة طويلة ظل باجي راقدًا على الأرض دون حراك . وقد سمعت شرطيًا بالأسفل يقول : " اتركوا هذا الوغد هناك " .

قال ويلي وهو يلتقط أنفاسه : " إنك لا تستطيع إيذاء سكير " .

وفي النهاية ارتفع باجي على أطرافه الأربعة . وببطء وألم وأخذ يزحف مثل الكلب الذى صدمته شاحنة حتى وصل إلى النباتات التى أنقذت حياته ، ثم ابتعد عن الخطر .

وقد وقفت إحدى سيارات الشرطة على بعد ثلاثة أبواب من المقهى . وقد أطلق القناص وابلاً من الرصاص عليها وحينما انفجر تانك البنزين نسينا أمر باجي . وقد تصاعدت الأزمة حينما انبعث الدخان الكثيف من أسفل السيارة ثم رأينا ألسنة اللهب . وقد وجد القناص ذلك شيقًا ، وطوال بضع دقائق ظل يطلق النار على السيارات فقط . وقد كنت واثقًا من أنه سيجد سيارتى السبيتفاير لا تقاوم ؛ حيث كانت صغيرة للغاية .

وقد أصبح شديد العصبية حينما أطلق رجال الشرطة النار فى اتجاهه أخيرًا . وقد اتخذ اثنان من نواب الشريف كولى مكانًا أعلى الأسطح ، وحينما صعدا إلى القبة انحنى القناص وتوقف عن إطلاق النار .

صاح أحد النائبين على الشريف بالأسفل : " لقد نلت منه ! " .

انتظرنا نحو عشرين دقيقة ، كانت الأمور مستتبة . وكان فى إمكاننا رؤية جوربى باجى وحذائه من خلف النباتات ، ولكن باقى جسده كان مختبئًا . ومن حين لآخر كان ميجور ـ وهو يمسك بكأس فى يده ـ ينظر لأسفل ويقول شيئًا لباجى ، والذى كان يحتضر كما كنا نعتقد .

توافد المزيد من رجال الشرطة على دار القضاء . استرخينا وجلسنا على المقاعد الهزازة ولكننا لم نرفع أعيننا عن القبة . وقد

انضم إلينا بيجماوث ومارجريت وهاردى بالشرفة . وقد رأوا سقوط باجي من الشرفة . وفقط مارجريت هى من كانت تشعر بالقلق عليه .

وقد ظلت سيارة الشرطة تحترق حتى جاءت سيارات الإطفاء وأطفأت النار . فتحت أبواب دار المحكمة وخرج بعض موظفى المقاطعة وبدأوا يدخنون في غضب . وقد نجح شرطيان فى إخراج باجي من النباتات . وكان بالكاد قادرًا على المشى ومن الواضح أنه يتألم بشدة . وقد وضعاه في إحدى سيارات الدورية وأخذوه بعيدًا .

ثم رأينا شرطيًا بالقبة ، وعاد الأمان للبلدة مجددًا . فهرعنا نحن الخمسة إلى دار المحكمة مع باقى القاطنين والعاملين بمنطقة وسط كلانتون .

كان الطابق الثالث مغلقًا . ولم تكن هناك أية جلسات منعقدة ، لذا فقد أخذنا الشريف كولى إلى قاعة المحكمة حيث وعدنا بإطلاعنا على ما حدث بشكل موجز . وبينما كنا نسير فى قاعة المحكمة رأيت ميجور وتشيك إليوت ، ووبل تاكيت وهم ينزلون إلى الردهة بصحبة شرطى . وكانوا ثملين للغاية ويضحكون بشدة لدرجة جعلتهم يلاقون صعوبة في الوقوف على أقدامهم !

وقد ذهب ويلى إلى الأسفل ليستطلع آخر مستجدات الأمور . وكان هناك شخص على وشك مغادرة قاعة المحكمة وقد أراد التقاط صورة للقناص ـ الشعر الأبيض ، الوجه الأسود ، الخطوط السوداء ـ لقد كانت هناك العديد من الأسئلة .

يبدو أن قناصى الشرطة لم يستطيعوا إصابة هدفهم . وقد اتضح أن القناص هو هانك هوتن ، المحامى المحلى الذى ساعد إيرنى

جاديس فى مقاضاة دانى بادجيت . وهو محبوس الآن ولم يصب بأذى .

وعندما أعلن الشريف كولى ذلك فى قاعة المحكمة أصبنا بالصدمة والارتباك . فكانت أعصابنا لا تزال مشدودة على أية حال ولكن كان من الصعب تصديق هذا . " وجد السيد هوتن فى بئر سلم صغير يقود إلى القبة " ، كما قال السيد كولى ، ولكننى كنت مرتاعًا لدرجة أعجزتنى عن تدوين ملاحظات . وقد أضاف : " وهو لم يقاوم عملية اعتقاله والآن هو فى الحبس " .

سأل أحدهم : " ماذا كان يرتدى ؟ " .

" لا شىء " .

" لا شىء ؟ " .

" لا شىء تمامًا . لقد كان هناك ما يبدو على أنه طلاء أحذية على وجهه وصدره ، ولكن فيما عدا ذلك كان عاريًا تمامًا " .

سألته : " ما نوع السلاح الذى كان يستخدمه ؟ " .

" لقد وجدنا بندقيتين قويتين ، وهذا هو كل ما أستطيع الإدلاء به الآن " .

" هل قال شيئًا ؟ " .

" ولا كلمة واحدة " .

وقد قال ويلى إنهم كانوا يلفون هانك بالملاءات ووضعوه فى المقعد الخلفى لسيارة الشرطة . وقد التقط بعض الصور ولكنه لم يكن واثقًا أنها جيدة . قال : " كان هناك العشرات من رجال الشرطة حوله " .

وقد ذهبنا للمستشفى لنطمئن على باجى . كانت زوجته تعمل بالوردية الليلية بغرفة الطوارئ . فقد اتصل بها أحدهم وأيقظها واستدعاها للمستشفى . وحينما قابلناها كانت فى حالة مزاجية

معتلة . قالت : " فقط ذراع مكسور " . وكان يبدو أنها محبطة لأن الإصابة لم تكن خطيرة ! بالإضافة إلى بعض الكشوط والكدمات .

" ماذا كان الأحمق يحاول أن يفعل ؟ " .

نظرت إلى ويلي ونظر ويلي إليّ .

سألتني : " هل كان ثملا ؟ " . وقد كان باجي دائمًا ثملاً .

قلت : " لا أعلم . لقد سقط من نافذة قاعة المحكمة " .

" يا إلهي . لقد كان ثملاً " !

وقد تليت عليها سريعًا ملخصًا لعميلة هروب باجي ، وحاولت أن أجعل الأمر يبدو وكأنه حاول أن يقوم بعمل بطولي في وسط كل تلك الطلقات النارية .

سألتني : " من الطابق الثالث ؟ " .

" نعم " .

" إذن فقد كان يلعب البوكر ويحتسي المشروبات الكحولية وقفز من نافذة الطابق الثالث ؟ " .

قال ويلي وهو غير قادر على منع نفسه : " هذا هو ما حدث تمامًا " .

قلت : " ليس تمامًا " ، ولكنها كانت قد غادرت بالفعل .

وكان باجي يغط بالفعل حينما ذهبنا إلى غرفته . فقد اختلطت العقاقير بالكحول ، وبدا أنه في غيبوبة . همس ويلي : " سوف يتمنى لو أنه استطاع النوم للأبد " .

وقد كان محقاً . فقد ظل الناس يتضاحكون على أسطورة باجي القافز مرات ومرات لعديد من السنوات المقبلة . وكان ووبل تاكيت يقسم أن تشيك إليوت ترك الحبل أولاً ، وأقسم تشيك أن ساق ميجور السليمة التوت وتسببت في ارتخاء الحبل . وسرعان ما أيقنت البلدة

أنه بغض النظر عمن ترك الحبل أولاً ، فالأغبياء الثلاثة الذين تركهم باجي في غرفة الطعام قد تعمدوا إسقاطه في النباتات .

وبعد مضي يومين تم إرسال هانك هوتن إلى مستشفى الأمراض العقلية في وايتفيلد ؛ حيث ظل هناك عدة سنوات . وقد وجهت إليه تهمة محاولة قتل نصف سكان كلانتون ، ولكن بمضي الوقت أسقطت هذه التهمة . فقد أخبر إيرني جاديس أنه لم يكن يحاول إطلاق النار على شخص بعينه ، ولم يرغب في إيذاء أحد ، ولكنه كان فقط غاضبًا لأن البلدة فشلت في إصدار حكم بالإعدام على داني بادجيت .

وقد ترامى إلى مسامعنا بعد ذلك في كلانتون أن الأطباء شخصوا حالته على أنها انفصام في الشخصية . وأنه " وغد معتوه " ، تلك هي المحصلة النهائية التي كان الناس يتداولونها بالشوارع .

وطوال تاريخ مقاطعة فورد لم يسبق لأحد أن فقد عقله بهذه الطريقة الدراماتيكية .

الفصل السادس والعشرون

بعد مضي عام من شرائي للجريدة أرسلت إلى جدتي بيبي شيكاً قيمته ٥٥٠٠٠ دولار ـ المال الذى أقرضتني إياه بالإضافة إلى فائدة قدرها ١٠٪ . وهي لم تناقش معي مسألة الفائدة حينما أعطتني المال ، ولم نقم حتى بإمضاء عقد إلزامي . وكانت فائدة قدرها ١٠٪ تعد كبيرة إلى حد ما ، وقد تمنيت أن تستحثها على إعادة الشيك مرة أخرى إليَّ . وقد أرسلت الشيك وأخذت أترقب وأنتظر البريد ، وبعد نحو أسبوع تلقيت خطاباً من ممفيس .

عزيزى ويليام : لقد أرفقت بهذا الخطاب الشيك الذى أرسلته لى ، فلا حاجة لى إليه فى الوقت الراهن . وإن احتجت إلى المال فى المستقبل ، فسوف نناقش هذا الأمر . إن عرضك لتسديد دينك جعلنى فخورة للغاية بك وبنزاهتك . فما استطعت إنجازه فى عام واحد هناك هو مصدر فخر بالنسبة لى ، وأنا أجد نشوة بالغة فى إخبار أصدقائى عن نجاحك كمحرر وناشر جريدة .

ولابد أن أعترف بأننى كنت قلقة حينما عدت من سيراكيوز . فقد بدوت وكأنك يعوزك التوجيه والحافز وكان شعرك طويلاً للغاية ! ولقد أثبت أننى كنت على خطأ وقمت بقص شعرك (قليلاً) . وقد أصبح كذلك ذوقك فى الملابس رفيعًا وأصبحت أخلاقك راقية .

إنك كل ما أملك فى هذه الدنيا يا ويليام ، وأنا أحبك للغاية . أرجو أن ترسل لى مزيداً من الخطابات .

مع حبى ، بيبى

ملحوظة : هل قام الرجل المسكين حقًا بخلع جميع ملابسه وأطلق النار على البلدة ؟ ما نوع الناس الذين يسكنون عندكم بالبلدة !

وقد توفي زوج بيبى الأول إثر إصابته بمرض ما في عام ١٩٢٤ . ثم تزوجت من تاجر قطن مطلق ورزقا بطفل واحد ، وهى أمى المسكينة . ومات زوجها الثاني ـ جدى ـ فى عام ١٩٣٨ ، تاركا لبيبى ثروة لا بأس بها . وقد توقفت عن الزواج ! وأمضت الثلاثين عامًا المنصرمة فى عد أموالها ولعب البريدج والسفر . وبصفتى الحفيد الوحيد ، فمن المفترض أن أرث كل ما تملك ، على الرغم من أننى لا أعلم إلى متى من الممكن أن تظل على قيد الحياة !

وإن أرادت بيبى أن أرسل لها مزيدًا من الخطابات ، فلها هذا .

وقد قمت بتمزيق الشيك في سعادة وذهبت إلى البنك وسحبت ٥٠٠٠٠ دولار أخرى من ستان أكتفيدج . فقد وجد هاردى طابعة أوفسيت مستعملة فى أتلانتا ، وقد اشتريتها بسعر ١٠٨٠٠٠ دولار ، وقد تخلصنا من طابعتنا القديمة وانتقلنا إلى القرن

العشرين . وقد ارتدت التايمز حلة جديدة ـ طباعة أنظف كثيرًا ، وصور أكثر دقة ، وتصميمات بارعة . وقد وصلت عدد النسخ المبيعة إلى ستة آلاف نسخة ، وكان بإمكانى ملاحظة نمو ثابت بمعدل الأرباح . وقد أدت انتخابات عام ١٩٧١ إلى تعزيز هذه الأرباح كثيرًا .

لقد أذهلني عدد المواطنين الذين هرعوا إلى المكتب الحكومى فى المسيسيبى . فكانت كل بلدة مقسمة إلى خمسة أحياء ، وبكل حى كان هناك موظف منتخب مسئول عن الأمن ، والذى كان يرتدى شارة ويحمل بندقية بالإضافة إلى أى زى آخر يستطيع الحصول عليه ، وإن كان يستطيع تكبد ذلك ـ وهو الأمر الذى يستطيعه دومًا ـ فكان يضع أضواء على سيارته وكان يمتلك سلطة القبض على أى شخص في أى وقت بتهمة ملفقة بإحكام . ولم يكن هذا الشخص بحاجة لتلقى أى تدريب ، أو تعليم . ولم يكن خاضعًا لإشراف شريف المقاطعة أو رئيس الشرطة بالبلدة ، لا أحد فيما عدا المصوتين كل أربعة أعوام . ونظريًا ، فقد كان هذا الشخص موظفاً رسميًا ، ولكن بمجرد انتخابه لا يستطيع معظم هؤلاء الموظفين المسئولين عن الأمن مقاومة إغراء حمل بندقية والبحث عن أناس لاعتقالهم .

وكلما زادت عدد مخالفات المرور التى يكتبها هذا الموظف زاد دخله . لقد كانت وظيفة بدوام جزئى ذات راتب ضئيل ، ولكن على الأقل واحد من الموظفين الخمسة بكل مقاطعة كان يعتمد على هذا الراتب اعتمادًا كليًا . وكان هذا هو الشخص الأكثر إثارة للمتاعب .

وكان بكل مقاطعة أيضًا قاضى صلح منتخب ، وهو موظف قضائى لم يتلق أى تدريب قانونى بالمرة ، تقريبًا فى عام ١٩٧١ . ولم

تتطلب تلك الوظيفة تعليمًا معينًا كذلك ، أو حتى خبرة ، فقط أصوات . وكان قاضى الصلح هذا يفصل فى أمر كل هؤلاء الذين يأتيه بهم الموظف المسئول عن الأمن ، وكانت العلاقة بينهما دائمًا حميمة ومثيرة للريبة والشك . فمن بين السائقين من خارج الولاية الذين يعتقلهم موظف الأمن فى مقاطعة فورد يوجه دومًا قاضى الصلح إلى بعضهم تهمة السباب .

وكان بكل مقاطعة خمسة مراقبين عبارة عن خمسة ملوك صغار هم من يمتلكون السلطة الحقيقة . فبالنسبة لمؤيديهم كانوا يرصفون الطرق ويصلحون مجارى المياه ويزيحون الحصى . وبالنسبة لأعدائهم لم يكونوا يفعلون إلا القليل . وكانت هيئة المشرفين هى المسئولة عن سن جميع القوانين المحلية .

وكان بكل مقاطعة كذلك شريف منتخب ، وجامع ضرائب ، ومحاسب ضرائب وموظف المحكمة العليا ، ومحقق فى أسباب الوفيات المشتبه فيها . وكانت المقطعات الريفية تتشارك فى عضو واحد فى مجلس الشيوخ وممثل عن الولاية . ومن الوظائف الأخرى المتاحة فى عام ١٩٧١ مفوض الطريق العام ، ومفوض الخدمة العامة ، ومفوض الزراعة ، وأمين صندوق الولاية ، ومفتش الحسابات بالولاية ، والنائب العام ونائب الحاكم والحاكم .

وقد كنت أظن هذا النظام سخيفا ومزعجًا حتى بدأ المرشحون لهذه الوظائف يشترون إعلانات بالتايمز . فبنهاية يناير مثلاً كان لأحد موظفى الأمن السيئين بالحى الرابع (والذى يعرف أيضًا باسم بيت فور) أحد عشر خصمًا . ومعظم هؤلاء الرجال المساكين كانوا يأتون إلى مكاتبنا وهم يحملون " إعلانا " قامت زوجاتهم بكتابته بخط أيديهن على ورقة كراسة . وكنت أقرأ تلك الإعلانات وأحررها وأدققها إملائيًا وأصحح ما بها من أخطاء . ثم آخذ منهم النقود وبعد

ذلك أنشر إعلاناتهم الصغيرة والتى كانت تبدأ جميعًا تقريبًا ، بواحدة من هاتين العبارتين : " بعد أشهر من التفكير ... " ، أو " لقد طلب منى كثيرون نشر ... "

وبنهاية فبراير كانت المقاطعة مشغولة بانتخابات أغسطس . وكان للشريف كولى خصمان واللذان كانا يشكلان تهديدًا كبيرًا له . وكان الموعد النهائى للترشيح للمنصب هو شهر يونيو ، ولم يكن كولى قد تقدم بطلبه بعد ؛ الأمر الذى أثار الشك فى أنه قد لا يخوض الانتخابات .

وكان الأمر لا يستدعى إلا القليل لإثارة الظن والشكوك فى نفوس الناس خاصة فى أمر يتعلق بالانتخابات .

كانت السيدة كالى تؤمن بشدة فى الاعتقاد القديم الذى يفيد بأن تناول الطعام فى المطاعم هو إهدار للمال ، وبالتالى فهو خطيئة . فكانت قائمة الآثام الخاصة بها أطول قليلاً من تلك الخاصة بمعظم الأشخاص الآخرين ، وخاصة أنا . فقد استلزم الأمر نحو ستة أشهر كى أقنعها بالذهاب إلى مطعم كلود لتناول الغداء فى أحد أيام الخميس . وحاولت أن أقنعها بأننى إن قمت أنا بدفع الحساب فلن نهدر بذلك أموالها . وبذلك فلن تكون قد ارتكبت إثمًا ، وإن زادت آثامى ، فأنا واحد ولا ضرر فى ذلك . وتناول الطعام بالخارج كان بالتأكيد إحدى حسناتى .

ولم أكن قلقًا بشأن رؤية الآخرين لى فى وسط مدينة كلانتون مع سيدة سوداء . فلم أكترث لما سيقوله الآخرون ، ولم أكترث لكونى الشخص الأبيض الوحيد فى كلاود . ولكن ما كان يثير قلقى حقا ومنعنى تقريبًا من اقتراح الفكرة فى المقام الأول هو تحدى إدخال

السيدة كالى وإخراجها من سيارتي السبيتفاير . فهي ليست مصممة للبدينات مثلها .

وكانت هي وإيساو يمتلكان سيارة بويك قديمة والتي كانت تتسع ذات يوم لثمانية أطفال . فحتى لو زادت السيدة كالى مائة رطل كانت لتستطيع الدخول والخروج بسهولة من الباب الأمامي .

ولم تكن تفقد أي وزن . وكان ارتفاع ضغط دمها ومعدل الكوليسترول لديها يثيران قلق أبنائها بشدة . لقد كانت في الستين من عمرها وتتمتع بصحة وافرة ، ولكن كان الخطر يلوح لها من بعيد .

سرنا عبر الشارع ثم حدقت السيدة كالى في سيارتي . كنا في مارس ، وكانت هناك رياح مع فرصة سقوط أمطار ، لذا فلم أنزل سقيفة السيارة . وفي تلك الوضعية المغلقة بدا المقعدان الأماميان أصغر حجمًا .

قالت : " أعتقد أننا لن ننجح في هذا " . وقد استغرق مني الأمر ستة أشهر حتى آتي بها إلى هذه المسافة ، لذا فالعودة لم تكن اختيارًا واردًا . فتحت باب السيارة واقتربت بحرص بالغ .

قالت : " أية اقتراحات ؟ " .

قلت : " نعم ، جربي طريقة الجلوس أولاً ، ثم إدخال باقي جسمك " .

وقد نجح الأمر أخيرًا ، وحينما شغلت المحرك كنت جالسًا وكتفي في كتفها . قالت وهي مرعوبة وكأنها تستقل طائرة صغيرة للمرة الأولى : " إن البيض يقودون سيارات غريبة " . ضغطت على الدوبرياج وأدرت العجلات وخطونا فوق الحصى وانطلقنا بالسيارة ونحن نضحك .

أوقفت السيارة أمام المكتب وساعدتها فى الخروج . وقد اتضح أن الدخول كان أسهل كثيرًا . وفى داخل الجريدة قدمتها إلى مارجريت رايت ودافى بيجماوث باس وقمنا بجولة معًا . كانت تشعر بالفضول إزاء الطابعة الجديدة التى جعلت الصحيفة تبدو الآن أفضل كثيرًا . سألتنى قائلة : " من يتولى أمر تصحيح البروفات هنا ؟ " .

قلت : " أنت " . فوفقاً لها كنا نرتكب ثلاثة أخطاء إملائية كل أسبوع . فكنت مازلت آخذ القائمة منها كل خميس ونحن نتناول الغداء .

قمنا بجولة حول الميدان وفى النهاية وصلنا إلى مطعم كلاود ؛ المطعم المخصص للسود والذى يقع إلى جوار مغسلة البلدة . وهذا المطعم موجود هناك منذ سنوات طوال ، وكان يقدم أفضل الطعام بالبلدة . ولكنه لم يكن يقدم قوائم بالطعام لأنك تأكل أى شىء قاموا بطهيه فى هذا اليوم . فيوم الأربعاء كان يوم سمك السلور ، أما الجمعة فكان يوم الشواء ، وبالنسبة لباقى الأيام فأنت لا تعلم ما ستأكل حتى يخبرك كلود ! وقد قام بتحيتنا وهو يرتدى مئزرًا قذرًا ، وأشار ناحية طاولة تقع عند النافذة الأمامية . وكان المقهى نصف ممتلئ وقد تلقينا بعض التحديقات الفضولية .

والغريب أن السيدة كالى لم تلتق من قبل بكلود . وكنت أعتقد أن الأشخاص السود يعرفون بعضهم بعضًا فى كلانتون ، ولكن السيدة كالى قالت لى إن الوضع لم يكن كذلك . كان كلود يعيش بالمدينة نفسها ، وكانت هناك شائعة بشعة منتشرة فى لوتاون تفيد بأنه لا يذهب إلى دار العبادة . وهى لم تتطلع قط لمقابلته ، وقد حضروا جنازة معًا من عدة سنوات ولكنهما لم يتقابلا .

وقد قمت بتقديمهما إلى بعضهما البعض ، وحينما تذكر كلود الاسم والوجه قال : " عائلة روفين ، إن جميعهم أطباء " .

قالت السيدة كالى مصححة له خطأه : " بل حاصلين على الدكتوراة " .

كان كلود عالى الصوت وفظًا ، ولا يقدم وجبات مجانية للفقراء ، ولا يذهب إلى دار العبادة ، وقد بغضته السيدة كالى على الفور . وقد شعر هو بذلك ولم يكترث كثيرًا وذهب ليصيح على شخص ما بالخلف . وقد جلبت لنا النادلة شايًا مثلجًا وخبز الذرة ، وكلاهما لم يحظيا بإعجاب السيدة كالى . فلم يكن الشاى قوى النكهة وكان بدون سكر تقريبًا ـ وفقًا للسيدة كالى ـ وكان خبز الذرة بحاجة لبعض الملح وتم تقديمه باردًا ، وهو خطأ لا يغتفر !

قلت بصوت خفيض : " إنه مطعم يا سيدة كالى . فهلا استرخيت ؟ " .

" إننى أحاول ذلك " .

" لا ، إنك لا تحاولين . كيف من المفترض أن نستمتع بوجبتنا إن كنت مستاءة من كل شيء ؟ " .

قالت : " يا لها من رابطة عنق جميلة ! " .

قلت : " شكرًا لك " .

فلم يكن هناك من كان سعيدًا بمظهرى الجديد أكثر من السيدة كالى . فقد قالت لى إن الزنوج يحبون الأناقة وارتداء الملابس حسب الموضات الرائجة . وهى مازالت تشير إلى نفسها بكلمة " زنجى " أو " نيجرو " .

فى أعقاب حركة الحقوق المدنية والمشكلات المعقدة التى أثارتها ، كان من الصعب معرفة ما ينبغى أن نطلقه على السود . وكان الأكبر سنًا وهيبة من السود مثل السيدة كالى يحبون أن نطلق عليهم لقب " زنوج " ، أما من هم فى درجة أقل على السلم الاجتماعى فكانوا " ملونين " .

وعلى الرغم من أنني لم أسمع السيدة كالى مطلقًا وهى تستخدم هذه الكلمة فلم يكن من غير المعتاد بالنسبة للطبقات العليا من السود أن يشيروا إلى الطبقات الدنيا منهم بكلمة " نيجر " .

ولم أكن قد أدركت بعد تلك المسميات والطبقات ؛ لذا فقد التزمت باستخدام اللقب الأكثر أمانًا وهو " السود " . وكان لهؤلاء ممن يعيشون معي في الجزء المخصص للبيض قاموس كامل لوصف السود ، جزء ضئيل منه كان محببًا .

في هذه اللحظة كنت أنا الشخص غير الزنجي الوحيد بمطعم كلود ، ولم يثر هذا حنق أحد .

صاح كلود من خلف النضد : " ماذا ستأكلان " . وكانت هنالك لوحة مكتوب عليها : طعام اليوم عبارة عن صلصة فلفل تكساس والدجاج المحمر وشرائح اللحم . وقد كانت السيدة كالى واثقة أن الدجاج أو اللحم سيكونان بدون شك متوسطا النضج ، لذا فقد طلبنا صلصة الفلفل .

وقد أمدتني بتقرير عن حديقتها . كانت النباتات الخضراء الخاصة بالشتاء جميلة حقًا . وكانت هي وإيساو يستعدان لزراعة محصول الصيف . وقد تنبأ تقويم المزارعين بصيف معتدل وأمطار خفيفة ـ وهو نفس التوقع كل عام ـ وقد كانت متحمسة للغاية لأن الطقس سيصبح أكثر دفئًا وسنعاود تناول الغداء بالشرفة حيث مكانه الأصلي . وقد بدأت الحديث عن ألبرتو ـ أكبر أبنائها ـ وبعد نصف ساعة حدثتني عن سام أصغر أبنائها ، فقد عاد إلى ميلووكي ويعيش مع روبرتو ويعمل ويدرس بالليل . وجميع أبنائها وأحفادها كانوا بخير .

وقد أرادت التحدث عن " السيد هانك هوتن المسكين " ؛ فكانت تتذكره جيدًا من المحاكمة على الرغم من أنه لم يتحدث مطلقًا إلى

المحلفين . وقد أحطتها علمًا بآخر مستجدات الحادث . فكان يعيش الآن في غرفة ذات حوائط مبطنة والتي سيبقى بها لبعض الوقت .

وسرعان ما امتلأ المطعم بالرواد . سار كلود باتجاهنا وهو يحمل الأطباق وقال : " بمجرد أن تنتهوا من تناول الطعام ، غادروا المطعم " . وقد اعتبرت السيدة كالى ذلك إهانة ولكن كلود كان معروفا بأنه يخبر زبائنه دومًا بالمغادرة بعد الانتهاء من تناول الطعام . وفى أيام الجمعة حينما كان يأتي ذوو البشرة البيضاء إلى المطعم لتناول الطعام المشوى ويكون المكان مزدحمًا يضع منبهًا ويقول بصوت عال : " أمامكم عشرون دقيقة " .

وقد ادعت أنها مقتت التجربة برمتها - الفكرة فى حد ذاتها ، المطعم ، مفرش المائدة الرخيص ، الطعام ، كلود ، الزحام ، كل شيء . ولكن كل ذلك كان مجرد ادعاء . فقد كانت سعيدة فى داخلها لأن شابًا أنيقًا اصطحبها لتناول الغداء . فلم تمر أى من صديقاتها بمثل هذه التجربة .

وبينما كنت أساعدها على الخروج من السيارة برفق فى لوتاون ، فتحت حقيبتها وأخرجت ورقة صغيرة . فلم يكن هناك سوى خطأين إملائيين فى هذا الأسبوع ، والغريب أنهما كانا فى الإعلانات المبوبة ، وهو قسم كانت مارجريت هى المسئولة عنه .

سرت معها حتى منزلها . قلت : " لم يكن الأمر سيئًا ، أليس كذلك ؟ " .

قالت : " لقد استمتعت للغاية . شكرًا لك . هل ستأتى فى يوم الخميس القادم ؟ " . وكانت تسألنى هذا السؤال كل أسبوع ، وكانت إجابتى واحدة أيضًا .

الفصل السابع والعشرون

فى فترة الظهيرة فى اليوم الرابع من يوليو كانت درجة الحرارة ١٠١ درجة وجعلتنا الرطوبة نشعر بأن الجو أكثر حرارة . كان العمدة يقود موكبًا على الرغم من أنه لم يكن أحد المرشحين وكانت انتخابات الولاية والانتخابات المحلية فى عام ١٩٧١. وكانت انتخابات الرئاسة فى عام ١٩٧٢. وكانت انتخابات هيئة القضاء فى عام ١٩٧٣. وكانت انتخابات البلدية فى عام ١٩٧٤. وكان المسيسيبيون يحبون التصويت بقدر حبهم لكرة القدم .

كان العمدة يجلس بالمقعد الخلفى من سيارة كورفيت موديل ١٩٦٢ ويرمى بالحلوى إلى الأطفال الذين اصطفوا على الأرصفة بالميدان . وخلفه كانت هناك فرقتان موسيقيتان من مدرستى كلانتون وكاراواى الثانويتين وفرق كشافة ، وأولاد يركبون دراجات ، وعربة إطفاء جديدة ، وعشر عربات ذات منصات ، ومجموعة من الفرسان فوق الأحصنة ، ومجموعة من سيارات فورد الجديدة ، وثلاثة جرارات من نوع جون دير . وكان المحلف رقم ثمانية ، السيد مو تيل ، يقود واحدًا . وكان يحمى المؤخرة مجموعة من

رجال شرطة البلدة والمقاطعة ، والذين يرتدون جميعًا زيًا رسميًا رائعًا .

وقد كنت أشاهد الموكب من شرفة الطابق الثالث لبنك الضمان . فكان ستان أكتفيدج يقيم حفلا سنويًا هناك . وحيث إننى فى ذلك الوقت كنت مودعًا بالبنك مبلغًا ضخمًا فقد تمت دعوتى لشرب الليمون ومشاهدة الاحتفال .

ولسبب لم يستطع أحد تذكره ، كان أعضاء نادى الروتارى هم المسئولون عن الخطب . وقد قاموا بإيقاف قطيرة مسطحة كبيرة ؟ بجوار خفير التحالف وزينوها بالرايات الصفراء والحمراء والبيضاء والزرقاء . وحينما انتهى الموكب ، تجمع الحشد حول القطيرة ؟ وانتظروا فى لهفة وشغف . ولم يكن تنفيذ حكم بالإعدام على الطراز القديم بالميدان ليجمع عددًا أكبر من الناس بهذا الشكل .

وقد تقدم السيد ميرفن بيتس - رئيس نادى الروتارى - إلى الميكروفون ورحب بالجميع . وكان الدعاء هو الاستهلال التقليدى لأى حدث عام فى كلانتون ، وتمشيًا مع روح الدمج العنصرى الجديدة قام بدعوة رجل الدين ثيرستون سمال - رجل الدين بدار العبادة التى تذهب إليها السيدة كالى - وذلك لموازنة دفة الأمور . ووفقًا لـ " ستان " فإنه يكون هناك عدد أكبر من السود فى وسط المدينة فى هذا العام .

ومع وجود مثل هذا الحشد لم يستطع رجل الدين سمال أن يكون مختصرًا . فقد طلب من الله مباركة كل شخص وكل شىء على الأقل مرتين . وكانت مكبرات الصوت تتدلى من قوائم منتشرة حول دار المحكمة ، وقد كان صوته يدوى بمنطقة وسط المدينة برمتها .

وكان المرشح الأول هو تيمى جو بلوك ، وهو شاب من " بيت فور " والذى كان يرغب فى العمل كموظف مسئول عن الأمن . وقد

سار عبر القطيرة المسطحة وكأنه يسير فوق معبر يقود من البحر إلى البر ، وحينما وقف خلف الميكروفون ونظر إلى الحشد بدا وكأنه أغشي عليه . وقد نجح فى لفظ اسمه ثم مد يده إلى جيبه حيث أخرج الخطبة . ولم يكن قارئًا جيدًا ، ولكن فى خلال عشر دقائق طويلة للغاية استطاع التعليق على زيادة معدل الجريمة ومحاكمة جريمة القتل التى انعقدت مؤخرًا والقناص . فإنه لم يكن يحب القتلة وبالطبع كان ضد القناصين . وسوف يعمل جاهدًا لحمايتنا من كليهما .

وكان التصفيق خفيفًا حينما انتهى . ولكنه على الأقل تمكن من الحضور . فكان هناك اثنان وعشرون مرشحًا لمنصب موظف الأمن فى خمسة أحياء ، ولكن سبعة فقط هم من واتتهم الشجاعة لمواجهة الجمهور . وحينما انتهينا أخيرًا من موظف الأمن وقضاة الصلح ، لعبت فرقة وودى جيتس وفتيان البلدة بعض الموسيقى ، وقد سعد الحشد حقًا بفترة الراحة .

وفى عدة أماكن بحديقة قاعة المحكمة ، كان يتم تقديم الطعام والمرطبات . وكان نادى ليونز يقدم بالمجان شرائح البطيخ الباردة . وسيدات نادى الحديقة كن يبعن المثلجات منزلية الصنع . وقد اجتمع الحشد أسفل شجر البلوط القديم ليختبأوا من الشمس .

وقد رشح ماكى دون كولى نفسه لمنصب الشريف فى آخر مايو . وكان له ثلاثة خصوم ، أشهرهم رجل شرطة من وحدة كلانتون يدعى تى . آر . ميرديث . وحينما أعلن السيد بيتس أنه حان موعد تحدث المرشحين لمنصب الشريف ترك المصوتون الظل واحتشدوا ثانية عند القطيرة .

كان فريك أوزوالد يرشح نفسه للمرة الرابعة . وفى المرات الثلاث السابقة كان يحتل المركز الأخير ، ويبدو أنه سيحتل نفس

المركز ثانية ، ولكن من الجلى أنه كان يستمتع بالتجربة . وهو لم يكن يحب الرئيس نيكسون ، وقال أشياء بغيضة عن سياسته الخارجية وخاصة علاقته مع الصين . وقد كان الحشد منصتًا ، ولكنه بدا مرتبكًا بعض الشيء .

وكان تريس ماكنات يرشح نفسه للمرة الثانية . وقد بدأ خطبته قائلا : " أنا فى الحقيقة لا تهمنى الصين اللعينة كثيرًا " . وكان ذلك مرحًا ولكنه غبيًا كذلك . فالسباب على الملأ - وفى حضور السيدات - سوف يكبده العديد من الأصوات . وقد كان منزعجًا من المعاملة اللينة التى يتلقاها المجرمون على يد الحكومة . وكان معترضًا على أى جهد لبناء سجن جديد فى مقاطعة فورد - فكان ذلك إهداراً لمال دافعى الضرائب ! فقد أراد عقوبات قاسية ومزيدًا من المساجين ، بل حتى توثيق السجناء بسلسلة واحدة وإنهاكهم بالأشغال الإجبارية .

ولم أسمع شيئًا بخصوص أى سجن جديد .

وبسبب مقتل كاسيلو واهتياج هانك هوتن ، خرجت الجريمة الآن عن نطاق السيطرة فى مقاطعة فورد ، وذلك وفقًا لتريس . فقد كنا بحاجة لشريف جديد يطارد المجرمين وليس يصادقهم . وكانت عبارته المتكررة : " دعونا ننظف المقاطعة ! " . وكان الحشد إلى جانبه .

وكان تى . آر . ميرديث محاربًا يبلغ من العمر ثلاثين عامًا ويدعمه القانون . كان متحدثًا مثيراً للغثيان ، ولكنه كان يرتبط بصلة قرابة بنصف المقاطعة ، وفقًا لستان . وكان ستان يعلم مثل هذه الأمور ، لأنه كان تربطه صلة قرابة بالنصف الآخر . وقد توقع قائلا : " سوف يفوز ميرديث بألف صوت فى الانتخابات النهائية " . وقد آثار رأيه هذا جدلاً بين جمهور المدعوون .

وكان ماكى دون هو آخر المتحدثين . إنه يتولى منصب الشريف منذ عام ١٩٤٣ ، وكان يريد مدة واحدة أخرى . قال ستان : " إنه يقول هذا منذ عشرين عامًا " . أخذ كولى يتحدث عن خبرته وكل ما يعلمه عن المقاطعة وأهلها . وحينما انتهى كان التصفيق مهذبًا ولكنه ليس مشجعًا !

وكان هناك مرشحان لمنصب جامع الضرائب ، وهو بدون شك المنصب الأقل شعبية بالمقاطعة . وحينما تحدثا ، انفض الحشد ثانية متجهين إلى المثلجات والبطيخ . وقد ذهبت إلى مكتب هارى ريكس حيث كان يعقد حفل آخر على الرصيف .

وقد استمرت الخطب طوال فترة ما بعد الظهيرة . كنا فى صيف ١٩٧١ وفى ذلك الوقت كان على الأقل ٥٠٠٠٠ شاب أمريكى قد لقى حتفه فى فيتنام . ولو كان أى حشد مشابه من الناس بأى مكان آخر من البلاد لقام بتحويل هذا الأمر لتظاهرة قاسية لشجب الحرب . وكانوا ليضايقون السياسيين بالإكثار من الأسئلة والتحديات . وكانوا ليحرقون الأعلام والمخططات .

ولكن لم يأت أحد على ذكر فيتنام فى اليوم الرابع من يوليو هذا .

وكنت قد استمتعت كثيرًا بمظاهرة سيراكيوز داخل الحرم الجامعى وخارجًا بالشوارع ، ولكن مثل هذه الأنشطة لم تكن معروفة فى أقصى الجنوب . لقد كانت حربًا ، لذا فإن الوطنيين الحقيقيين هم من يؤيدون الحرب . لقد كنا نقف فى وجه الشيوعية ؛ أما الوجوديين والراديكاليين بالشمال وكاليفورنيا فكانوا يخشون خوض الحرب .

ابتعت طبق مثلجات الفراولة من سيدات الحديقة ، وبينما كنت أدور حول قاعة المحكمة سمعت اهتياجًا واضطرابًا . فمن نافذة

الطابق الثالث الخاصة بغرفة تناول الطعام قام شخص محب للمزاح بتدلية دمية مصغيرة لباجى . وكان النموذج يتدلى ويديه تعلوان رأسه ـ مثل باجى الحقيقى ـ ويحمل على صدره لافتة مكتوب عليها " ساجس " . وللتأكد من أن الجميع سيفهمون مرمى المزحة قام بوضع زجاجتى خمر فارغتين فى داخل كل فتحة من جيبى بنطال الدمية .

وأنا لم أر باجى فى هذا اليوم ، وهذا طبيعى . وبعد ذلك ادعى أنه لا يعرف شيئًا عن هذا الأمر . وليس من المثير للدهشة أن ويلى التقط العديد من الصور لتلك الدمية .

صاح أحدهم : " إن ثيو هنا " ؛ مما أثار حماسة الجمهور . وكان ثيو مورتون هو عضو مجلس الشيوخ الخاص بولايتنا . وكانت منطقته تغطى أجزاءً من أربع مقاطعات ، وعلى الرغم من أنه كان يعيش فى بالدوين إلا أن زوجته كانت من كلانتون . وكان يمتلك دارين للمسنين ومقبرة ، ومعروف بأنه استطاع النجاة من ثلاث حوادث طائرات . وهو لم يعد يعمل كطيار . كان ثيو نابضًا بالحيوية ـ فظًا وتهكميًا ومرحًا ، ولا يمكن توقع ما يمكن أن يفعله تمامًا فوق المنبر . وكان خصمه شابًا تخرج لتوه من كلية الحقوق ويقال إنه يعد نفسه لمنصب الحاكم . كان اسمه وارين ، وقد ارتكب وارين خطأ مهاجمة ثيو بخصوص تشريع مريب ، والذى سنّه خلال الجلسة الأخيرة ، وزاد من دعم الولاية لمرضى دور المسنين .

لقد كان انتقادًا لاذعًا . وقد كنت أقف وسط الحشد أشاهد وارين وهو يشن هجومه العنيف ، وفوق كتفه الأيسر مباشرة كان بإمكانى رؤية كلمة " ساجس " تتدلى من النافذة .

بدأ ثيو خطبته بتقديم زوجته ، ريكس إيلا ، والتى تنتمى إلى كلانتون . وقد تحدث عن أبويها وأجدادها وعماتها وأعمامها ،

وقبل أن يمضى وقت طويل ، كان ثيو قد أتى على ذكر نصف الحشد . فكانت كلانتون بمثابة منزله الثانى ، منطقته ، أهله ، العناصر التى كان يعمل جاهدًا لخدمتها فى جاكسون .

كانت خطبة إنسانية وسلسة ، ومرتجلة لم يسبق تحضيرها . ولقد كنت أنصت بإمعان لهذا الرجل الواقف على المنبر .

وقد كان رئيس لجنة الطرق الرئيسية بمجلس شيوخ الولاية ، وطوال بضع دقائق ظل يتباهى بكل الطرق الجديدة التى قام ببنائها فى مسيسيبى الشمالية . وكانت لجنته تناقش أربعمائة تشريع مختلف فى كل جلسة . أربعمائة تشريع ، أربعمائة مشروع قانون أو قانون . وبصفته الرئيس ، فكان مسئولاً عن كتابة القوانين . وكان هذا ما يفعله أعضاء مجلس الشيوخ . فكانوا يسنون القوانين الجيدة ويلغون القوانين السيئة .

وكان خصمه الصغير قد أنهى لتوه كلية الحقوق ، وهو إنجاز مشهودٍ . أما ثيو فلم تتح له الفرصة لارتياد الجامعة لأنه كان منشغلاً بمحاربة اليابانيين فى الحرب العالمية الثانية . ولكن يبدو أن خصمه الصغير قد أهمل دراسته للحقوق ، وإلا لنجح فى اختبار مهنة المحاماة من المحاولة الأولى .

قال : " لقد أخفق فى امتحان مهنة المحاماة أيتها السيدات والسادة ! " .

وفى توقيت ممتاز صاح شخص يقف وراء وارين الصغير مباشرة قائلا : " تلك كذبة حقيرة ! " . نظر الحشد إلى وارين وكأنه فقد صوابه . استدار ثيو ناحية الصوت وقال فى شك : " كذبة ؟ " .

مد يده فى جيبه وأخرج ورقة مطوية : " إن لدى الدليل هنا ! " . أمسك بطرف الورقة وبدأ يلوح بها . ودون أن يقرأ حرفا واحدًا مما كان مكتوبًا بالورقة أيًا كان ، قال : " كيف نستطيع أن

نولى ثقتنا إلى رجل لم يستطع النجاح فى اختبار مهنة المحاماة ونجعله يكتب قوانيننا ؟ السيد وارين وأنا نقف على قدم مساواة - لم ينجح أى منا فى اختبار مهنة المحاماة . ولكن المشكلة هى أنه أمضى ثلاث سنوات بكلية الحقوق تجعله مخولاً للنجاح فى مثل هذا الاختبار " !

وكان مؤيدو ثيو يترنحون من الضحك . وكان وارين الصغير ثابتًا فى مكانه ويبدو أنه أراد الفرار .

وواصل ثيو هجومه قائلا : " ربما إن كان قد ذهب إلى مدرسة الحقوق بالميسيسيبى بدلاً من تينيسى لاستطاع أن يفهم قوانيننا ! " .

وقد كان معروفًا بمثل هذه الانتقادات العامة . فقد قام مرة بإهانة خصم كان قد ترك مهنة وعظ دينيه بفضيحة . فقد أخرج شهادة خطية بقسم ، وادعى أنه يملك دليلاً أن رجل الدين السابق كان يقيم علاقة مع زوجة أحد زملائه . وهو لم يقرأ الشهادة مطلقًا .

ولم يكن يعنى الحد الأقصى للخطبة والذى يبلغ عشر دقائق لثيو شيئًا . فقد أخذ يقطع الوعود بتخفيض الضرائب ، وفعل شىء ما للتأكد من أن القاتلين سيأخذون فى معظم الحالات أحكامًا بالإعدام . وعندما انتهى أخيرًا ، شكر الحشد على دعمهم له طوال عشرين عامًا . وقد ذكرنا أن فى آخر انتخابات أعطى أهل فورد الطيبين إليه - وإلى ريكس إيلا - ٨٠ ٪ من أصواتهم .

كان التصفيق عاليًا وطويلاً ، وكان وارين قد اختفى بالفعل . وكذلك أنا . فقد سأمت من الخطب والسياسة .

بعد مضى أربعة أسابيع ، فى وقت الغسق تقريبًا من أول ثلاثاء بأغسطس اجتمع نفس الحشد حول دار المحكمة لإحصاء الأصوات .

وكان الجو قد أصبح أكثر اعتدالاً ، فكانت درجة الحرارة اثنتان وتسعون درجة فقط والرطوبة ٩٨ ٪ .

والأيام الأخيرة من الانتخابات هي حلم أي مراسل صحفي . فقد كانت هناك مشاجرة باللكمات بين اثنين من المرشحين لمنصب قاضي الصلح خارج دار عبادة خاصة بالسود . وقد رفع كل منهما دعوة قضائية يتهم فيها الآخر بالقذف والتشهير ودس أصوات زائفة بصناديق الاقتراع . وقد تم القبض على رجل تم ضبطه وهو يطلي أشياء فاحشة على إحدى لوحات ثيو الإعلانية (وقد اتضح بعد ذلك - بعد الانتخابات - أن أحد أتباع ثيو هو من قام باستئجار هذا الرجل لتشويه لوحات السيناتور . وقد ألقي اللوم على وارين الصغير . " خدعة شائعة " وفقًا لباجي) . وقد طلب من نائب الولاية العام التحقيق في مسألة ارتفاع نسبة الاقتراع الغيابي . " هذا هو ما يحدث دومًا في الانتخابات " ، كان هذا تعليق باجي . وكانت الحماسة متقدة في هذا اليوم ، وقد جاءت البلدة بأكملها للتصويت والتمتع برياضة الانتخابات الريفية .

وقد أغلقت صناديق الاقتراع في السادسة ، وبعد ذلك بساعة كان الميدان مكتظًا بالمواطنين المترقبين النتيجة في شغف . وتوافد الناس من كل أرجاء البلدة . وقد كونوا مجموعات صغيرة حول مرشحيهم بل استخدموا حتى لوحات الحملة لحماية أماكن وقوفهم . والعديد منهم جلب الطعام والمشروبات ! وأتى معظمهم بمقاعد قابلة للطي وكأنهم هنا لمشاهدة مباراة بيسبول . وقد تم وضع لوحتين كبيرتين جنبًا إلى جنب بالقرب من باب دار المحكمة الأمامي بغرض تسجيل نتائج الانتخابات عليهما .

أعلنت الموظفة بالميكروفون بصوت عال يمكن سماعه على بعد خمسة أميال : " لقد أتتنا النتائج من كاراواى الشمالية " . وسرعان ما أصبح الموقف أكثر جدية .

قال باجي : " إن نتائج كاراواى الشمالية تأتى أولاً دائمًا " . كانت الساعة تناهز الثامنة والثلاثين دقيقة ، وكان الظلام قد حلّ تقريبًا . كنا نجلس بالشرفة خارج مكتبى ، فى انتظار الأخبار . وقد خططنا تأجيل طباعة الصحيفة يومًا وننشر " طبعة خاصة عن الانتخابات " في يوم الخميس . وقد استغرق الأمر بعض الوقت للموظفة كي تقرأ نتائج الاقتراع لكل مرشح عن كل منصب . وبعد قليل قالت : " وبالنسبة لمنصب الشريف " . وقد أنصت عدة آلاف من الناس بإمعان .

" ماكى دون كولى ٨٤ صوتًا ، تريس ماكنات ٢١ ، تى . آر . ميرديث ٦٢ ، فريك أوزوالد ١١ " . تعالت الهتافات بجهة الحديقة التى يخيم فيها مؤيدو كولى .

قال باجي : " إن كولى يتمتع بشعبية عالية فى كاراواى . ولكنه سوف ينهزم " .

سألت متعجبًا : " ينهزم ؟ " . أعلنت الموظفة نتائج ثمانية وعشرين دائرة انتخابية وكان باجي بالفعل يتوقع الفائزين .

قال : " نعم ، ففى الأماكن التى لا يعرف فيها المنتخبون تى . آر ، يشترى ماكى دون المسئولين على الانتخابات . انتظر لترى نتيجة كلانتون " .

وببطء بدأت النتائج تتدفق من أماكن لم أسمع عنها قط : بليزنت هيل ، شادى جروف ، كليبى ، ثرى كورنرز ، كلوفر هيل ، جرين ألى ، بوسوم ريدج ، ماسى ميل ، كاليكو ريدج . وكان وودى جيتس

وفتيان البلدة الآخرون ـ والذين يبدون متواجدين دومًا ـ يقفون وسط الحشد على الحديقة .

وقد قام آل بادجيت بالتصويت فى دائرة انتخابية صغيرة تدعى دانسينج كريك . وعندما أعلنت الموظفة نتائج تلك البلدة وحصل كولى على ٣١ صوتًا فى حين حصل باقى المنافسين مجتمعين على ثمانية أصوات ، صدرت أصوات ازدراء واستهجان من الحشد . وكانت دائرة كلانتون الشرقية هى التالية ، وهى أكبر دائرة انتخابية والمكان الذى قمت بالتصويت فيه . وقد حصل كولى على ٢٨٥ صوتًا ، وتريس على ٤٧ . وحينما حصل تى . آر على ٦٤٤ صوتاً انتشر الصخب بالمكان .

جذبنى باجى واحتفلنا مع باقى البلدة . فقد خسر كولى فى الانتخابات النهائية .

وعندما علم الخاسرون بضآلة قدرهم ، جمعوا هم ومؤيدوهم أمتعتهم وغادروا المكان . وفى الساعة الحادية عشر تقريبًا تضاءل عدد الموجودين كثيرًا . وبعد منتصف الليل غادرت المكتب ودلفت إلى الميدان وأنا أسترجع أصوات ومشاهد ذلك الحدث الرائع .

لقد كنت فخورًا للغاية بالبلدة . ففى أعقاب جريمة قتل بشعة وحكم قضائى مربك ، احتشدنا معًا وأعلنا بصراحة أننا لن ندع الفساد يفرض سطوته علينا . إن التصويت الإجماعى ضد كولى كان هو طريقتنا لردع آل بادجيت . فللمرة الثانية خلال مائة عام لن يكون بإمكانهم شراء الشريف .

وقد حصل تى . آر . ميرديث على ٦١ ٪ من الأصوات ، وهى أغلبية كبيرة . وحصل ثيو على ٢٨ ٪ ، وهى هزيمة ساحقة على الطراز القديم . وقد طبعنا ثمانية آلاف نسخة من الجريدة والتى كانت تحمل عنوان " عدد الانتخابات " ، وبعنا كل واحدة منها . وقد أصبحت مؤمنًا بأهمية الإدلاء بصوتى كل عام . فلقد كانت الديمقراطية فى أزهى عصورها .

الفصل الثامن والعشرون

قبل حلول العيد بأسبوع في عام ١٩٧١ ، حل الحزن على كلانتون إثر إذاعة خبر مقتل أحد أبنائها فى فيتنام . فقد تم أسر بيت مونى ، الرقيب الأول الذى يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا ، فى كمين بالقرب من هيو فى قلب فيتنام . وبعد بضع ساعات وجدوا جثته .

ولم أكن أعرف عائلة مونى ، ولكن مارجريت كانت تعرفهم جيدًا . اتصلت بى وأعلمتنى بالخبر ، وقالت إنها بحاجة لبضعة أيام إجازة . فكانت أسرتها تعيش بنفس الشارع الذى تقطن به عائلة مونى للعديد من السنوات . وقد كان ابنها وبيت صديقين حميمين منذ الطفولة .

أمضيت بعض الوقت فى الأرشيف ووجدت فى عام ١٩٦٦ قصة مارفين لى ووكر ، الفتى الأسود الذى كان أول جندى من المقاطعة يلقى حتفه فى فيتنام . وكان هذا قبل أن يهتم السيد كاودل بمثل هذه الأمور ، وكانت تغطية التايمز لهذا الأمر مخزية حقًا . فلم يتم نشر شيء عنها بالصفحة الأولى ، بل كانت مجرد قصة مكونة من

مائة كلمة فى الصفحة الثالثة بدون صورة . وفى ذلك الوقت لم يكن لدى أهل كلانتون فكرة عن مكان فيتنام هذه .

إذن فشاب صغير ـ والذى لم يكن فى إمكانه الذهاب إلى مدارس أفضل وعلى الأرجح لم يكن يستطيع التصويت والذى فى أغلب الظن كان خائفا من الشرب من الصنبور العام عند قاعة المحكمة ـ قد لقى حتفه فى بلد عدد قليل فقط من أهل بلدته هم من يستطيعون إيجاده على الخريطة . وكان موته هو الشيء الصحيح واللائق . فيجب محاربة الشيوعيين أينما كانوا .

وقد أمدتنى مارجريت بالتفاصيل التى كنت أحتاج إليها لكتابة قصة . فقد تخرج بيت من مدرسة كلانتون الثانوية فى عام ١٩٧٠ . وكان يلعب لمنتخبى كرة القدم والبيسبول ، لمدة ثلاث سنوات . وكان طالب الشرف والذى خطط لأن يعمل مدة عامين ويوفر نقودًا ثم يذهب إلى الكلية . وكان من سوء حظه ارتفاع أعداد الشباب الذين يطلبونهم للخدمة العسكرية ، وفى ديسمبر من عام ١٩٧٠ تم استدعاؤه .

ووفقا لمارجريت ـ وهذا شيء لم يكن فى إمكانى نشره ـ كان بيت رافضًا بشدة للذهاب . وقد تشاجر مع والده طوال أسابيع بسبب الحرب . فقد أراد الابن الذهاب إلى كندا وتجنب كل هذا الهراء . وكان الأب مرتاعًا من فكرة أن يحمل ابنه لقب الهارب من الخدمة العسكرية . فاسم العائلة سوف ينهار ، وما إلى ذلك . وقد نعت ابنه بالجبان . فقد خدم السيد مونى فى كوريا ، ويبغض للغاية الحركة المناهضة للحرب . وقد حاولت السيدة مونى تلطيف الجو بينهما ، ولكنها من الداخل كانت رافضة أيضًا لإرسال ابنها لمثل هذه الحرب غير الشعبية . وقد لان بيت فى النهاية ، وهو الآن عائد إلى وطنه فى صندوق .

أقيمت الجنازة فى دار العبادة الرئيسية ، والتى ظل آل مونى يرتادونها لسنوات طويلة . وكان بيت يذهب إلى تلك الدار منذ صغره ، الأمر الذى بث الكثير من الراحة فى نفوس أسرته وأصدقائه . وهو الآن فى قد مات ، على الرغم من صغر سنه .

وقد جلست مع مارجريت وزوجها . كانت تلك هى أول وآخر جنازة أحضرها لجندى فى التاسعة عشرة من عمره . وبالتركيز على التابوت ، نجحت تقريبًا فى تجنب أصوات البكاء والنحيب من حولى . وقد أدلى مدرب كرة القدم فى مدرسته الثانوية بخطبة ثناء عليه اغرورقت من أثرها أعين الحاضرين بما فيهم أنا .

كنت بالكاد أرى ظهر السيد مونى بالصف الأمامى . فيا له من أسى عميق يعانيه هذا الرجل المسكين فى صمت ! !

وبعد ساعة هربنا وشققنا طريقنا إلى مقبرة كلانتون حيث رقد بيت بعد الانتهاء من مراسم الجنازة العسكرية والموكب المصاحب لها . وحينما عزف البوق النشيد الوطنى جعلتنى صرخات والدة بيت أرتعد . فقد ظلت متشبثة بالتابوت حتى أنزلوه إلى القبر . وقد انهار والده فى النهاية ، واعتنى به عدد من رجال الدين .

يا لها من خسارة ! ظللت أكرر هذه العبارة بينما كنت أجوب الطرقات وحدى ، وأنا متوجه إلى مكتبى ثانية . وفى تلك الليلة ، وأنا مازلت وحدى ، أخذت ألعن نفسى لالتزامى مثل هذا الصمت ، ولكونى بهذا الجبن . لقد كنت محرر جريدة ، اللعنة ! فسواء كنت أشعر بأننى مخول لهذه الوظيفة أم لا ، فأنا المحرر الوحيد بالبلدة . فإن كنت أرفض بشدة أمرًا ما ، إذن فلدىَّ السلطة والقوة كى أتحدث عنه !

قبل بيت مونى لقى أكثر من خمسين ألفًا من شباب أمريكا حتفهم فى الحرب ، على الرغم من أن الجيش كان يخفى دومًا العدد الصحيح .

وفى عام ١٩٦٩ ، أدركَ الرئيس نيكسون ومستشار الأمن القومى هنرى كسينجر أنه لا يمكن الفوز فى حرب فيتنام ، أو بالأحرى لن تحاول الولايات المتحدة الفوز بعد الآن . وقد احتفظا بذلك الأمر لنفسيهما . فإنهما لم يقوما بإيقاف عملية التعبئة . وبدلاً من ذلك واصلا الادعاء بأنهما واثقان من النجاح فى مهمتهما .

ومن ذلك الوقت وحتى انتهاء الحرب فى عام ١٩٧٣ ، لقى نحو ثمانية عشر ألف جندى آخر مصرعهم بما فيهم بيت مونى فى الحرب .

وقد نشرت مقالى الافتتاحى بالصفحة الأولى فى نصفها السفلى أسفل صورة كبيرة لبيت وهو يرتدى الزى العسكرى . وقد قلت فيه :

إنِ وفاة بيت مونى لابد أن تجعلنا نطرح على أنفسنا سؤالاً مهمًا . ماذا بحق السماء نفعل فى فيتنام ؟ فطالب نابغ ورياضى موهوب وقائد مدرسى ، والذى كان ليصبح رجلاً ذا شأن فى المستقبل وأحد أفضل أبنائنا يصاب بطلق نارى عند حافة نهر لم نسمع قط عنه فى بلدة لا تهمنا فى شىء .

والسبب الرسمى - والذى نسمعه منذ عشرين عامًا - هو أننا هناك لمحاربة الشيوعية . فإن رأيناها تنتشر فلابد - حسب كلمات الرئيس السابق ليندون جونسون - أن نتخذ " ... جميع الإجراءات اللازمة كى نتصدى لهذا العدوان " .

كوريا وفيتنام . والآن قواتنا بلاوس وكامبوديا على الرغم من أن الرئيس نيكسون ينكر ذلك . أين سنذهب بعد ذلك ؟ هل ينبغى أن نرسل بأبنائنا فى كل مكان وأى مكان بالعالم كى نتوسط فى حروب الآخرين الأهلية ؟

كانت فيتنام مقسمة إلى بلدين حينما انهزم الفرنسيون هناك فى عام ١٩٥٤ . فيتنام الشمالية وهى بلدة فقيرة يحكمها شيوعى يدعى هوتشى مينه . وفيتنام الجنوبية وهى بلدة فقيرة كان يحكمها ديكتاتور قاس يدعى نجو دينه ديم حتى لقى مصرعه فى الانقلاب فى عام ١٩٦٣ . ومنذ ذلك الحين والجيش يحكم الجزء الجنوبى .

وقد ظلت فيتنام فى حالة حرب منذ عام ١٩٤٦ حينما بدأت فرنسا محاولتها الفاشلة فى القضاء على الشيوعيين . وكان فشلهم مروعًا ، لذا فقد هرعنا كى نريهم الطريقة الصحيحة لكسب حرب . وكان فشلنا مدويًا أكثر من فشل الفرنسيين ، بيد أننا لم نستسلم بعد .

فكم شاب آخر مثل بيت مونى ينبغى أن يموت قبل أن تقرر الحكومة ترك فيتنام وشأنها ؟

وكم عدد الأماكن حول العالم التى سنرسل قواتنا إليها للقضاء على الشيوعية ؟

ماذا بحق السماء نفعل فى فيتنام ؟ إننا الآن نقوم بدفن جنود صغار بينما لا يزال السياسيون الذين يديرون الحرب يفكرون فى الانسحاب من فيتنام .

واستخدام مثل هذه اللغة السيئة من شأنه أن يثير حنق البعض ، ولكننى لم أكترث لهذا . فكانت اللغة القوية ضرورية لإنارة الطريق للوطنيين الذين يعيشون فى الظلمات . وعلى الرغم من سيل المكالمات والخطابات استطعت أن أحظى بصديق .

فحينما عدت من غداء يوم الخميس مع السيدة كالى (حساء الحمل بداخل المنزل بجانب المدفئة) ، كان بوبا كروكيت ينتظرنى فى مكتبى . كان يرتدى بنطالاً من الجينز وحذاء ذا رقبة وقميصًا مصنوعًا من الفلانيل وكان ذا شعر طويل ، وبعد أن قدم نفسه لى شكرنى على مقالى الافتتاحى . فقد كان هناك بعض الأشياء التى يريد أن يزيحها من فوق صدره ، وحيث إننى كنت محشو بالطعام كالديك الرومى وضعت قدمى على مكتبى وأخذت أنصت لفترة طويلة .

لقد ترعرع فى كلانتون وأنهى المدرسة هنا فى عام ١٩٦٦ . وكان أبوه يمتلك دار المسنين التى تبعد ميلين عن جنوبى البلدة ؛ فكانوا من أملاك الأطيان . وقد وصله خطاب الاستدعاء للتقدم للخدمة العسكرية فى عام ١٩٦٧ ولم يفكر فى شىء سوى الإسراع لمحاربة الشيوعيين . وقد نزلت وحدته فى الجنوب فى وقت مناسب للحاق بالفرقة الموجودة هناك . وبعد ثلاثة أيام بأرض المعركة فقد ثلاثة من أصدقائه .

وأهوال الحرب لا يمكن وصفها بدقة ، على الرغم من أن بوبا أوضح لى الصورة بشكل كافٍ . رجال تحترق ، وآخرون يصرخون طلبًا للمساعدة ، والخطو فوق الأشلاء ، وجر الجثث من ميدان المعركة ، والاستيقاظ طوال ساعات دون نوم ، أو تناول الطعام ، واستنفاد الذخيرة الحربية ، ورؤية العدو يزحف تجاهك فى أثناء الليل . كما فقدت كتيبته مائة رجل فى أول خمسة أيام . قال بعينين مغرورقتين بالدموع : " بعد أسبوع علمت أننى سأموت . وفى هذا الوقت أصبحت جنديًا بارعًا . ويجب أن تصل لتلك المرحلة حتى تستطيع النجاة " .

وقد أصيب مرتين ، ولكنها كانت إصابات طفيفة عولجت فى مستشفيات الميدان . وهو لم يصب بشىء خطير يستدعى عودته لوطنه . وقد حدثنى عن إحباط خوض معركة لا تسمح لك حكومتها بأن تفوز بها . قال : " لقد كنا جنودًا أفضل ، وكانت معداتنا وأسلحتنا أفضل كثيرًا . كما كان قادتنا بارعين للغاية ، ولكن الأغبياء فى واشنطن لم يدعوهم يخوضون حربًا " .

وكان بوبا يعرف عائلة مونى ، وتوسل لبيت كثيرًا لئلا يذهب . وقد شاهد مراسم الدفن من بُعد ، وأخذ يلعن كل من رآهم والعديد ممن لم يرهم .

قال : " إن هؤلاء الحمقى بالبلدة لا يزالون يؤيدون الحرب ، هل تصدق ذلك ؟ أكثر من خمسين ألفاً لقوا حتفهم ، وهؤلاء ممن تلقاهم فى شوارع كلانتون يجادلونك بأنهم ماتوا لسبب عظيم " .

قلت : " لكنهم لا يتجادلون معك " .

قال : " لا . لقد ضربت اثنين منهم . هل تلعب البوكر ؟ " .

ولم أكن ألعبها ، ولكننى سمعت الكثير من الحكايات المشوقة عن لعبة البوكرِ فى كل أنحاء البلدة . وسريعًا ما فكرت بأن ذلك قد يكون مثيرًا حقًا . قلتُ : " قليلاً " ، وأنا أفكر فى أننى إما أستطيع إيجاد كتاب عن قواعد اللعبة ، أو أطلب من باجى أن يعلمنى إياها .

قال : " إننا نلعب فى ليالى الخميس ، فى دار المسنين . والكثيرون ممن شاركوا فى الحرب سيكونون هناك . سوف تستمتع كثيرًا " .

" الليلة ؟ " .

قال : " نعم ، فى حوالى الثامنة . سنلعب قليلاً ونحتسى المشروبات ونروى قصص الحرب . إن أصدقائى يريدون مقابلتك " .

قلت وأنا أتساءل أين يمكن أن أجد باجي : " سوف أكون هناك " .

تم دفع أربعة خطابات من تحت باب الجريدة في فترة ما بعد الظهيرة من هذا اليوم ؛ وكلها عبارة عن انتقادات قاسية لي ولاعتراضي على الحرب . وقد قال السيد إى . إل . جرين - الذى شارك في حربين وأحد المشتركين بالتايمز منذ فترة طويلة - على الرغم من أن ذلك قد لا يدوم طويلاً - من بين أشياء كثيرة :

> إذا لم نوقف الشيوعية فسوف تنتشر فى جميع أنحاء العالم . وفى أحد الأيام سوف تصبح على عتبة أبوابنا ، وسوف يسألنا أبناؤنا وأحفادنا عن السبب الذى جعلنا لم نتحل بالشجاعة الكافية لإيقاف هذا الوباء قبل انتشاره .

وقد كتب السيد هيربرت جلينواتر الذى توفى أخوه فى حرب كوريا :

> كانت وفاته فاجعة مازالت تؤلمنى كل يوم . ولكنه كان جنديًا ، بطلاً ، أمريكيًا حقيقيًا ، ووفاته ساعدت فى ردع الكوريين الشماليين وحلفائهم ، الصين الشيوعية وروسيا . أما عندما نخشى الحرب ، فلن نهزم سوى أنفسنا .

وقد قال السيد فليكس توليفر من شادى جروف إننى ربما أكون قد أمضيت فترة طويلة بالشمال حيث يخشى الناس حمل السلاح .

وقال إن أكثر من يؤدون الخدمة العسكرية هم شباب شجعان من الجنوب ، وإن كنت لا أصدق هذا ، فلابد أن أجرى مزيدًا من البحث . فهناك عدد غير متجانس من الضحايا الجنوبيين بكوريا وفيتنام . وختم رسالته بفصاحة قائلاً :

لقد كان الثمن الذى دفعناه لقاء حريتنا غاليًا للغاية وهو أرواح عدد لا يعد ولا يحصى من الجنود الشجعان . ولكن ماذا لو كنا خائفين للغاية من خوض الحرب ؟ كان أناس مثل هتلر واليابانيين لا يزالون يمتلكون السلطة . ومعظم العالم المتحضر كان ليصبح عبارة عن حطام . وكنا لنصبح منعزلين وننهار فى النهاية .

وقد قررت نشر كل خطاب ولكننى تمنيت أن يكون هناك واحد أو اثنان يدعمان مقالى الافتتاحى . ولكن النقد لم يضايقنى بالمرة . فقد شعرت بأننى كنت محقًا . وقد كنت أكتسب مزيدًا من الخبرة ، وهى ميزة إضافية بالنسبة للمحرر .

بعد تلقى إرشادات سريعة من باجى ، خسرت مائة دولار فى لعبة البوكر مع بوبا والفتيان . وقد دعونى مرة أخرى .

كنا خمسة شباب نجلس حول الطاولة ، وكنا جميعًا فى منتصف العشرينات . ثلاثة منا شاركوا فى حرب فيتنام - بوبا وداريل رادك والتى كانت أسرته تمتلك شركة البروبين ، وسيدريك يونج وهو فتى أسود ذو إصابة حادة بساقه . أما اللاعب الخامس فكان أخو بوبا الأكبر دافيد ، والذى أعفى من الخدمة العسكرية بسبب ضعف نظره ، والذى أعتقد أنه كان هناك فقط لتعاطى الماريجوانا .

وكانوا يلعبون البوكر ليلة كل خميس تقريبًا ، وكـانوا يرحبـون بانضمامى لهم دومًا . وحينما تركتهم فى منتصـف الليـل ، كـانوا لا يزالـون يحتسـون الكحوليـات ويتعـاطون المخـدرات ويتحـدثون عـن فيتنام . ولكننى كنت قد سمعـت مـا يكفينـى عـن الحـرب فـى هـذا اليوم .

الفصل التاسع والعشرون

وفي الأسبوع التالى خصصت صفحة كاملة للخلاف الذى أثرته حول الحرب . وقد نشرت بها الخطابات التى وصلتنى ، وهى سبعة عشر خطابًا إجمالاً ، اثنان منهما فقط كانا إلى حد ما يدعمان رأيي المعارض للحرب . وقد دعانى الناس شيوعيًا وليبراليًا وخائنًا ونازحًا من الشمال ، والأسوأ من كل ذلك جبانًا لأننى لم أشارك فى الحرب ! وكان كل خطاب موقعًا ، فلم تكن هناك خطابات من مرسلين مجهولين فى هذا الأسبوع ؛ فهؤلاء الأشخاص كانوا وطنيين متشددين ، والذين كانوا يبغضوننى وأرادوا من المقاطعة معرفة ذلك .

ولكننى لم أكترث لهذا . فقد وطأت داخل عش للدبابير وأصبحت البلدة الآن مختلفة بشأن الحرب . وعلى الرغم من أن الأغلبية كانت منحازة للحرب إلا أننى استطعت استثارة مشاعر قوية .

وكان رد الفعل إزاء تلك الخطابات السبعة عشر مذهلاً . فجاءت مجموعة من طلاب المدرسة الثانوية لإنقاذى وسلمونى شارة قاموا

بصنعها . فكانوا معارضين للحرب بشدة ، ولم يرغبوا فى المشاركة فيها ، وعلاوة على ذلك كانوا مندهشين للغاية من أن معظم خطابات الأسبوع الماضى كانت من أناس كبار فى السن للغاية بالنسبة للخدمة العسكرية . " إنها دماؤنا وليست دماؤهم " ، كانت تلك هى عبارتى المفضلة .

وقد قام العديد من الطلاب بتحديد خطاب معين قمت بنشره وأخذوا فى انتقاده بحدة . فكانت بيكى جينكنز تشعر بالحنق من عبارة السيد روبرت إيرل هاف : " ... لقد بنينا أمتنا بدماء جنودنا . إن الحروب ستبقى دومًا مهمة بالنسبة لنا " .

قالت الفتاة : " إن الحروب ستبقى دومًا مهمة بالنسبة لنا مادام الرجال الجاهلون والجشعون يحاولون فرض إرادتهم على الآخرين " .

وقد علق كيرك والاس على رسالة السيدة ماتى لويز فيرجسون ووصفها السيىء لى . وفى الفقرة الأخيرة كتب : " للأسف ، إن السيدة فيرجسون لن تتعرف على شيوعى أو ليبرالى أو خائن أو نازح من الشمال حتى لو رأته بعينيها . إن الحياة فى بوسوم ريدج أمدتها بالحماية من مثل هؤلاء الأشخاص " .

وفى الأسبوع التالى خصصت كذلك صفحة كاملة للخطابات الواحد والثلاثين الخاصة بالطلاب . وقد وصلنى كذلك ثلاثة خطابات من الجهة المؤيدة للحرب ، وقمت بنشرها أيضًا . وكان رد الفعل عبارة عن سيل آخر من الخطابات والتى نشرتها جميعًا كذلك .

وعبر صفحات التايمز أخذت فى الاعتراض على الحرب حتى وقت رأس السنة ؛ حيث أعلن الجميع الهدنة فجأة واستعدوا للاحتفال .

توفى السيد ماكس هوكيت فى أول يوم من السنة الجديدة من عام ١٩٧٢ . طرقت جيلما على نافذة منزلى باكرًا فى صباح هذا اليوم حتى جعلتنى أستيقظ من النوم وأذهب إليها . وكنت قد نمت مدة خمس ساعات وبحاجة ليوم كامل من النوم العميق . ربما ليومين .

وقد تبعتها إلى المنزل القديم ، وكانت تلك هى زيارتى الأولى فى داخل المنزل منذ عدة أشهر ، وقد شعرت بالصدمة عندما رأيت مدى الفوضى التى تعم المنزل . ولكن كانت هناك أمور أكثر إلحاحًا . سرنا نحو الدرج الرئيسى بالبهو الأمامى ، حيث انضمت ويلما إلينا . أشارت بإصبع معوج ومجعد ناحية الأعلى وقالت : " إنه بالأعلى . أول باب على اليمين . لقد صعدنا إليه مرة فى الصباح " .

وقد كانتا تدخلان غرفته مرة واحدة كل يوم . وهما الآن فى أواخر السبعينات ، وعلى وشك أن تلحقا بالسيد ماكس .

كان مستلقيًا فى فراش كبير ومغطى حتى رقبته بملاءة قذرة . وكان جلده بنفس لون الملاءة . وقفت إلى جواره لدقيقة لأتأكد من أنه لم يكن يتنفس . فأنا لم يتم استدعائى من قبل لإعلان وفاة أحد ، ولكن لم يكن ذلك الاستدعاء من شخص يهمنى كثيرًا ، وقد بدا السيد ماكس وكأنه ميت منذ شهر .

عدت أدراجى للأسفل حيث كانت ويلما وجيلما تنتظرانى حيث تركتهما . وقد نظرتا إلىَّ وكأننى سأخبرهما بتشخيص مختلف .

قلت : " أخشى أنه توفى " .

قالت جيلما : " نحن نعلم هذا " .

قالت ويلما : " أخبرنا ماذا نفعل ؟ " .

وكانت تلك أول جثة يتم استدعائى لتولى أمرها ولكن الخطوة التالية بدت واضحة . قلتُ : " حسنًا ، ربما ينبغى أن نتصل بالسيد ماجارجل فى دار الجنائز " .

قالت ويلما لجليما : " ألم أقل لك هذا ؟ " .

ولم تتحركا من مكانهما ، لذا فقد ذهبت إلى الهاتف واتصلت بالسيد ماجارجل . قال : " إنه أول يوم فى العام الجديد " . فبدا أن مكالمتى أيقظته .

قلت : " إنه مازال ميتًا " .

قال : " هل أنت واثق ؟ " .

قلت : " نعم ، أنا واثق . لقد رأيته لتوى " .

قال : " أين هو ؟ " .

قلت : " فى الفراش . فقد مات فى سلام " .

قال : " فى بعض الأحيان ينام غريبو الأطوار هؤلاء بعمق ، كما تعلم " .

أشحت وجهى عن التوءم حتى لا تسمعان جدالى مع الرجل بشأن وفاة أخيهما وإن كان مازال حيًّا أم لا ، وقلت : " إنه ليس نائمًا يا سيد ماجارجل بل متوفيًا " .

" سوف آتى فى خلال ساعة " .

سألته : " هل هناك شيء آخر ينبغى فعله ؟ " .

" مثل ماذا ؟ " .

" لا أعلم ، الاتصال بالشرطة أو شيء من هذا القبيل ؟ " .

" وهل مات مقتولاً ؟ " .

" لا " .

" إذن لماذا تريد الاتصال بالشرطة ؟ " .

" آسف لأننى سألت ! " .

وقد دعتانى إلى داخل المطبخ لاحتساء فنجان من القهوة سريعة التحضير . وعلى النضد كان يوجد علبة مبيض قهوة ، وإلى جوارها صحن كبير يحتوى على حبوب القهوة والتى كانت مخلوطة

وجاهزة . فيبدو أن ويلما وجيلما قاما بإعداد طعام الإفطار لأخيهما وحينما لم يأت ذهبا للاطمئنان .

وكانت القهوة شنيعة المذاق حتى أضفت السكر إليها . جلستا على الطاولة الصغيرة وأخذتا تراقبانى فى فضول . كانت أعينهما حمراء ، ولكنهما لم تكونا تبكيان .

قالت ويلما وهي تبدو أنها تعلن عن قرار أخذته بعد تفكير دام سنوات : " إننا لا نستطيع البقاء هنا " .

وأضافت جيلما : " إننا نريدك أن تشترى المكان " . وبمجرد أن تنتهى إحداهما من عبارتها كانت الأخرى تبدأ عبارة أخرى .

" سوف نبيعه لك ... "

" مقابل مائة ألف دولار ... "

" وسوف نأخذ المال ... "

" وننتقل إلى فلوريدا "

سألت : " فلوريدا ؟ "

" إن ابنة عمنا تسكن هناك ... "

" إنها تعيش فى قرية جميلة للمسنين والمتقاعدين ... "

" إنها رائعة للغاية ... " .

" وهم يعتنون بك هناك جيدًا ... "

" وميلبرتا توجد بالقرب من هناك أيضًا " .

ميلبرتا ؟ لقد ظننت أنها مازالت تحوم حول المنزل في مكان ما وتتسلل عبر الظلال . وقد قالت لى إنهما وضعاها فى دار للمسنين منذ بضعة أشعر . وكانت هذه الدار توجد بمكان ما شمالى تامبا . وهذا هو المكان الذى أرادتا الذهاب إليه وتمضية ما تبقى من عمرهما به . فكان بيتهما الحبيب كبيراً عليهما للغاية . وقد كانتا تعانيان من ضعف فى فخذيهما وركبتيهما وعينيهما . فكانتا تتسلقان

الدرجات مرة فى اليوم - " أربع وعشرين درجة " كما أخبرتنى جيلما - وتخشيان بشدة السقوط والوفاة إثر ذلك . ولم تكونا تملكان ما يكفى من المال لجعله آمناً ، ولم ترغبا فى إنفاق ما لديهما من مال على الخادمات ومشذبى الحشائش ، والآن السائق .

" ونريدك أن تشترى السيارة المرسيدس كذلك ... "

" فنحن لا نستطيع القيادة كما تعرف ... "

" فكان ماكس هو من يقلنا إلى أى مكان ... "

وكنت من حين لآخر - فقط من أجل المتعة - أختلس النظر لعداد مسافات سيارة ماكس . كانت قراءته المتوسطة تقل عن ألف ميل كل عام . فبخلاف المنزل كانت السيارة فى حالة ممتازة .

وكان بالمنزل ست حجرات نوم ، وأربعة طوابق ، وقبو ، وأربعة أو خمسة حمامات ، وحجرة معيشة وحجرة طعام ، ومكتبة ، ومطبخ ، وشرفات كبيرة متهالكة ، وكنت واثقاً من أنها زاخرة بكنوز العائلة المدفونة هناك منذ قرون . وسوف يستلزم الأمر أشهر فقط لتنظيفه قبل إعادة بناء المكان . وكانت مائة ألف دولار هى مبلغ هزيل مقابل منزل كهذا ، ولكن عدد الصحف الذى يباع فى الولاية بأكملها لا يكفى لتجديد هذا المكان .

وماذا عن كل هذه الحيوانات ؟ القطط والطيور والأرانب والسناجب والسمك الذهبى ، فكان المكان عبارة عن حديقة حيوانات .

لقد كنت أبحث عن عقار لشرائه ، ولكن الحق يقال لقد اعتدت على دفع مبلغ ٥٠ دولار شهريًا ووجدت صعوبة فى تغيير ذلك . لقد كنت فى الرابعة والعشرين من عمرى وعزب ، وكنت أستمتع للغاية برؤية الأموال وهى تتراكم فى البنك . فلماذا أخاطر بتعريض نفسى لأزمة مالية بشراء هذا المنزل مقابل هذا المبلغ الكبير من المال .

وقد اشتريته بعد يومين من الجنازة .

في يوم خميس بارد ومطير من أيام فبراير أوقفت سيارتي أمام منزل آل روفين في لوتاون . كان إيساو ينتظرني بالشرفة . سألني وهو ينظر إلى السيارة : " هل قمت بمقايضة سيارتك ؟ " .

قلت : " لا ، مازلت أملك السيارة الصغيرة . تلك سيارة السيد هوكيت " .

" لقد ظننت أنها سوداء " . لقد كان هناك عدد قليل من السيارات المرسيدس في مقاطعة فورد ، ولم يكن من الصعب معرفة هوية صاحب كل منها .

قلت : " لقد قمت بطلائها " . فأصبح لونها الآن أحمر داكنًا . فكان ينبغي أن أغطي السكاكين التي كان السيد هوكيت قام برسمها على البابين الأماميين ، وأنا لم أقرر تغيير لونها إلا حينما كنت في ورشة التصليح .

وقد ذاعت شائعة بأنني حصلت على سيارة آل هوكيت المرسيدس بالخداع . في الحقيقة لقد دفعت الثمن المسجل في دليل السيارات ـ وهو ٩٥٠٠ دولار . وقد صدَّق على البيعة القاضي روبين في . ألتي ـ قاضي القضاة الرئيسي في مقاطعة فورد . وقد صدَّق أيضًا على عقد بيع المنزل مقابل ١٠٠٠٠٠ دولار ، وهو مبلغ زهيد إلى حد ما ، ولكنه بدا أفضل كثيرًا حينما ثمَّن اثنان عينتهما المحكمة المنزل بمبلغ قدره ٧٥٠٠٠ دولار و ٨٥٠٠٠ دولار . وقد قال أحدهما إن أي تجديد لمنزل آل هوكيت سيستلزم " ... نفقات باهظة وأموالاً لا حصر لها " .

وقد عمل هارى ريكس ـ المحامى الخاص بى ـ على التأكد من أننى رأيت هذه العبارة .

كان إيساو يبدو محبطاً ، ولم يكن الجو السائد بالداخل أفضل كثيرًا . وكان المنزل تفوح منه كالعادة دومًا رائحة صلصة لحم شهى ينضج داخل الفرن . واليوم كان الغداء هو لحم الأرانب .

صافحت السيدة كالى وعلمت على الفور أن شيئًا رهيبًا قد حدث . التقط إيساو مظروفًا وقال : " لقد جاءنا خطاب استدعاء للخدمة العسكرية لسام " . وضعه على الطاولة كى أراه ثم غادر المطبخ .

وكان الكلام قليلاً فى أثناء تناول الغداء . فقد كانا مقهورين ومنشغلى التفكير ومرتبكين للغاية . وقد شعر إيساو بأن ما ينبغى فعله هو أن يحترم سام رغبة بلده فى انضمامه للجيش . وقد شعرت السيدة كالى بأنها فقدت سام مرة بالفعل . وكانت فكرة فقدانه مرة أخرى غير محتملة بالنسبة لها .

وفى تلك الليلة اتصلت بسام وأخبرته بالأخبار السيئة . كان فى توليدو يمضى بضعة أيامٍ فى ماكس . تحدثنا لمدة تزيد عن الساعة ، وقد بذلت جهدًا مضنيا لإقناعه بعدم جدوى ذهابه إلى فيتنام . ولحسن الحظ ، فقد كان ذلك هو رأيه أيضًا .

وفى خلال الأسبوع التالى ، تحادثت بالساعات هاتفيًا مع سام وبوبى وآل وليون وماكس وماريو ؛ حيث كنا نتباحث فيما يجب أن يفعله سام . ولم يكن سام أو أى من إخوته يؤمن بعدالة هذه الحرب ، ولكن ماريو وسام شعرا بأنه لا ينبغى مخالفة القانون . وقد كنت بمثابة حمامة السلام وسط هذه المجموعة ، وكان بوبى وليون يتبنيان موقفًا وسطاً . وكان سام يترنح بين مختلف الآراء ، ويبدو أنه يكوِّن رأيًا مختلفا كل يوم . فلم يكن هذا بالقرار اليسير ، ولكن مع مرور الأيام بدا أنه يتحدث إلىَّ أكثر مما يتحدث إلى أى

شخص آخر . وحقيقة أنه أمضى عامين يتنقل بين مكان لآخر ساعدت كثيرًا .

وبعد أسبوعين من التفكير العميق أخذ سام القطار وسافر إلى أونتاريو . وقد اتصل بى فى إحدى الليالى وطلب منى أن أخبر والديه بأنه على ما يرام . وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى قدت سيارتى إلى لوتاون وأخبرت إيساو والسيدة كالى بأن ابنهما الأصغر قد اتخذ أفضل قرار فى حياته .

وقد بدت كندا بالنسبة لهما وكأنها تبعد مليون ميل . ولكننى أخبرتهما بأنها ليست بأبعد من فيتنام !

الفصل الثلاثون

وكان المقاول الثانى الذى قمت بتوكيله لنقل ملكية منزل هوكيت يدعى السيد ليستر كلومب من شادى جروف . وقد زكاه لى بشدة باجى ، والذى يعلم بالطبع كيف يجدد منزلاً . وقد زكاه كذلك ستان أكتفيدج بالمصرف . وحيث إن ستان استطاع أن يثبت الرهن العقارى عند ١٠٠٠٠٠ دولار فقد أخذت بنصيحته .

والمقاول الأول لم يأتِ ، وحينما اتصلت به بعدما انتظرت ثلاثة أيام وجدت هاتفه مرفوعاً من الخدمة ـ الأمر الذى اعتبرته نذير شؤم .

وعلى مدار أيام ظل السيد كلومب وابنه يتفقدان المنزل . وكانت تتملكهما الرهبة من هذا المشروع ، ويعلمان أن الأمر سيكون بمثابة كابوس إن تعجلهما أحد ، وخاصة أنا . كانا بطيئين ويتبعان نظاماً منهجياً ، بل حتى كانا يتحدثان على نحو أكثر بطئًا من باقى سكان مقاطعة فورد ، وسرعان ما أدركت أن كل شيء يفعلانه يكون بعد دراسة مسبقة . وأنا على الأرجح لم أساعد فى الإسراع من

الأمور عندما أخبرتهما بأننى أعيش بالفعل فى منزل مريح فى مبنى تابع للمبنى الرئيسى ؛ وبالتالى فإننى لن أصبح بلا مأوى إن لم يسرعا .

وكان معروفًا عنهما أنهما يقظان وينتهيان من عملهما فى الوقت المحدد . وقد وضعتهما هذه السمعة على رأس قائمة مقاولى تجديد المبانى الماهرين .

وبعد بضعة أيام من التفكير العميق اتفقنا على خطة مفادها أن أدفع لهما على أساس أسبوعى لقاء مجهودهما والمؤن ، بالإضافة إلى زيادة قدرها ١٠٪ مقابل المصروفات الرئيسية والتى كنت أتمنى أن تعنى مزيداً من الربح . وقد تطلب الأمر أسبوعاً لإقناع هارى ريكس بأن يعد عقداً يلخص ذلك الاتفاق . وكان قد رفض في البداية ونعتنى بكل أنواع الشتائم .

وقد بدء كلومب العمل بالتنظيف والهدم ، ثم تولى أمر السقف والشرفات . وعندما انتهينا من هذا ، جلسنا معاً ووضعنا خطة المرحلة التالية . وفى أبريل من عام ١٩٧٢ بدأ المشروع .

وعلى الأقل كان واحدًا من عائلة كلومب يأتى يوميًا لمباشرة العمل مع عمال البناء . وقد أمضيا الشهر الأول فى التخلص من كل الطيور والحياة البرية التى اتخذت من هذا المنزل مأوى لها طوال عقود .

أوقف أحد رجال الشرطة الجوالين سيارة مكتظة بطلاب السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية بعد ساعات قليلة من تخرجهم . وكانت السيارة مليئة بالخمر ، وقد استطاع الشرطى ـ والذى تخرج

حديثاً وعلى دراية بمثل هذه الأمور ـ أن يستشعر شيئاً مريبًا ؛ فأخيراً شقت المخدرات طريقها إلى مقاطعة فورد .

فكانت هناك ماريجوانا بالسيارة . وقد اتهم الطلاب الستة بجناية حيازة المخدرات ، وكل تهمة أخرى استطاع رجال الشرطة إلصاقها بهم . كانت البلدة مصابة بالصدمة ـ فكيف أمكن للمخدرات أن تتخلل مجتمعنا الصغير ؟ كيف نستطيع التصدى لمثل هذا الأمر ؟ وقد تعمدت تغطية الخبر بشكل محدود ، فليس منطقياً أن أقسو على ستة طلاب صغار ارتكبوا خطأ ما ، وقد سمع أحدهم الشريف ميرديث يقول إن مكتبه سيعمل بحسم لإزاحة هذا " البلاء " عن مجتمعنا ، فقال : " إننا لسنا في كاليفورنيا " .

وسرعان ما أصبح سكان كلانتون حذرين من تجار المخدرات ، على الرغم من أنه لا أحد كان يعرف من هم أو كيف يبدون !

ولأن رجال الشرطة كانوا على أهبة الاستعداد ويقظين للغاية ولا يوجد شيء أحب إلى نفوسهم من اعتقال أشخاص آخرين بتهمة الاتجار أو حيازة المخدرات ، فقد انتقل مقر ممارسة لعبة البوكر لمكان مختلف ، بأعماق المقاطعة . فكان بوبا كروكيت وداريل رادك يعيشان في منزل قديم متهدم وخرب مع محارب آخر لا يلعب البوكر يدعى أولى هيندس . وكانوا يطلقون على منزلهم هذا اسم حجر الثعلب أو فوكس هول . وكان مخبئا بعمق في واد صغير ضيق عند نهاية طريق قذر لا تستطيع أن تجده حتى في وضح النهار .

وكان أولى هيندس يعاني من كل أنواع اضطرابات ما بعد الحرب وعلى الأرجح العديد من الاضطرابات التى أصيب بها قبيل الحرب كذلك . وقد كان من مينيسوتا ، وكان يحارب مع بوبا وشهد معه ويلات الحرب التى كانت بمثابة الكوابيس لكليهما . وكان قد أصيب بطلق نارى وتعرض للحرق ، ثم تم أسره لفترة وجيزة ولكنه

استطاع الهرب ، وأخيرًا قام الجيش بتسريحه والسماح له بالعودة للوطن إثر تأكيد أحد الأطباء النفسيين بالجيش أنه بحاجة إلى مساعدة فورية وجادة . ولكن يبدو أنه لم يحصل عليها قط . وعندما قابلته في المرة الأولى كان نصفه العلوى عاريًا مما كان يكشف عن العدد الهائل من الندبات والأوشام التى تغطى جسمه ، كما كانت تكسو وجهه تعبيرات جوفاء عرفت بعد ذلك أنها لا تغادره أبدًا .

وقد كنت ممتنًا لأنه لا يلعب البوكر . فقد تولد لدى انطباع بأنه إن خسر دورين فإنه سيسحب مسدسه الإم ـ ١٦ وربما يطلق النار على أحدنا .

وكان الاعتقال بتهمة حيازة المخدرات ورد فعل البلدة إزاء ذلك هما مصدر الكثير من السخرية والمزاح . فقد ثارت البلدة وكأن هؤلاء المراهقين الستة هم أول من يتعاطون المخدرات بالمقاطعة ، فمنذ إلقاء القبض عليهم ويعتقد الناس أن البلدة تمر بأزمة خطيرة . وكانوا يعتقدون أنه ببعض اليقظة والحذر والحدة يستطيعون إبعاد وباء المخدرات لمكان آخر من المقاطعة .

وقد قام الرئيس نيكسون بزرع الألغام فى ميناء هايفونج ، وكان يضرب هانوى بالقنابل بضراوة . وقد أثرت ذلك الموضوع وانتظرت رد الفعل ، ولكن لم يكن هناك من كان مهتمًا بأمر الحرب فى هذه البلدة .

وكان داريل قد سمع شائعة تفيد بأن هنالك فتى أسود قد هرب من الخدمة العسكرية وهرب إلى كندا . ولم أنبس ببنت شفة .

قال بوبا : " يا له من فتى ذكى وحاذق ! " .

وسرعان ما عاودنا الحديث عن المخدرات ثانية . وقد أبدى بوبا إعجابه بسيجارة الماريجوانا خاصته وقال : " يا إلهى ! إنها رائعة حقًا . إن تلك ليست من منتجات آل بادجيت " .

قال داريل : " إنها من ممفيس . مخدرات مكسيكية " .
وحيث إننى لم أكن أعلم شيئًا عن طرق وصول المخدرات إلى البلدة فقد تعمدت الإنصات بإمعان لبضع ثوان ، وعندما تأكدت أنه ما من أحد سيتطرق لهذا الموضوع ثانية ويضيف شيئًا جديدًا قلت : " لقد كنت أعتقد أن آل بادجيت ينتجون مواد عالية الجودة " .
قال بوبا : " من الأفضل لهم أن يقتصروا على إنتاج الكحوليات غير الشرعية فقط " .
قال داريل : " فهذا لا بأس به إن لم يكن باستطاعتك الحصول على أى شىء آخر . لقد كانوا هم المحتكرون للسوق منذ بضع سنوات . فقد بدأوا فى زراعة المخدرات قبل أى أحد آخر هنا بفترة طويلة . أما الآن فلديهم منافسة " .
قال بوبا : " لقد سمعت أنهم سيتوقفون عن الاتجار فى المخدرات ويعودون إلى الاتجار فى الكحوليات وسرقة السيارات " .
سألت : " لماذا ؟ " .
" لأنه يوجد المزيد من تجار المخدرات الآن . كما أن شرطة الولاية والشرطة الفيدرالية والمحلية تكثف من تحرياتها ويقظتها الآن ، ولديهم طائرات هليكوبتر والمزيد من ضباط المراقبة . فنحن هنا لسنا بالمسكيك ؛ حيث لا يهتم أحد بما تزرعه أو تفعله " .
سمعنا صوت طلق نارى بالخارج ، لا يبعد عنا كثيرًا . ولكن لم يفزع الآخرون كثيرًا حينما سمعوا هذا الصوت . فسألت : " ماذا عسى ذلك أن يكون ؟ " .
قال داريل : " إنه أولى . فبعد إحدى النوبات المرضية يلبس نظارته الخاصة بالرؤية الليلية ويحمل مسدسه عيار " إم - ١٦ " ويذهب للبحث عن الطيور وما إلى ذلك . وهو يسمى ذلك بالصيد " .

ومن حسن الحظ أنني خسرت ثلاثة أدوار متتالية ووجدت حجة مناسبة للمغادرة .

بعد تأخير طويل ، أكدت أخيرًا محكمة مسيسيبي العليا إدانة المتهم داني بادجيت . فمنذ أربعة أشعر مضت كانت المحكمة قد أصدرت حكمًا إجماعيًا ـ ستة مقابل ثلاثة ـ بتأكيد الحكم . ولكن لوشيان ويلبانكس تقدم بالتماس لعقد جلسة استماع ، وقد تمت الموافقة على طلبه . وقد ظن هارى ريكس أن ذلك قد يكون بادرة سوء .

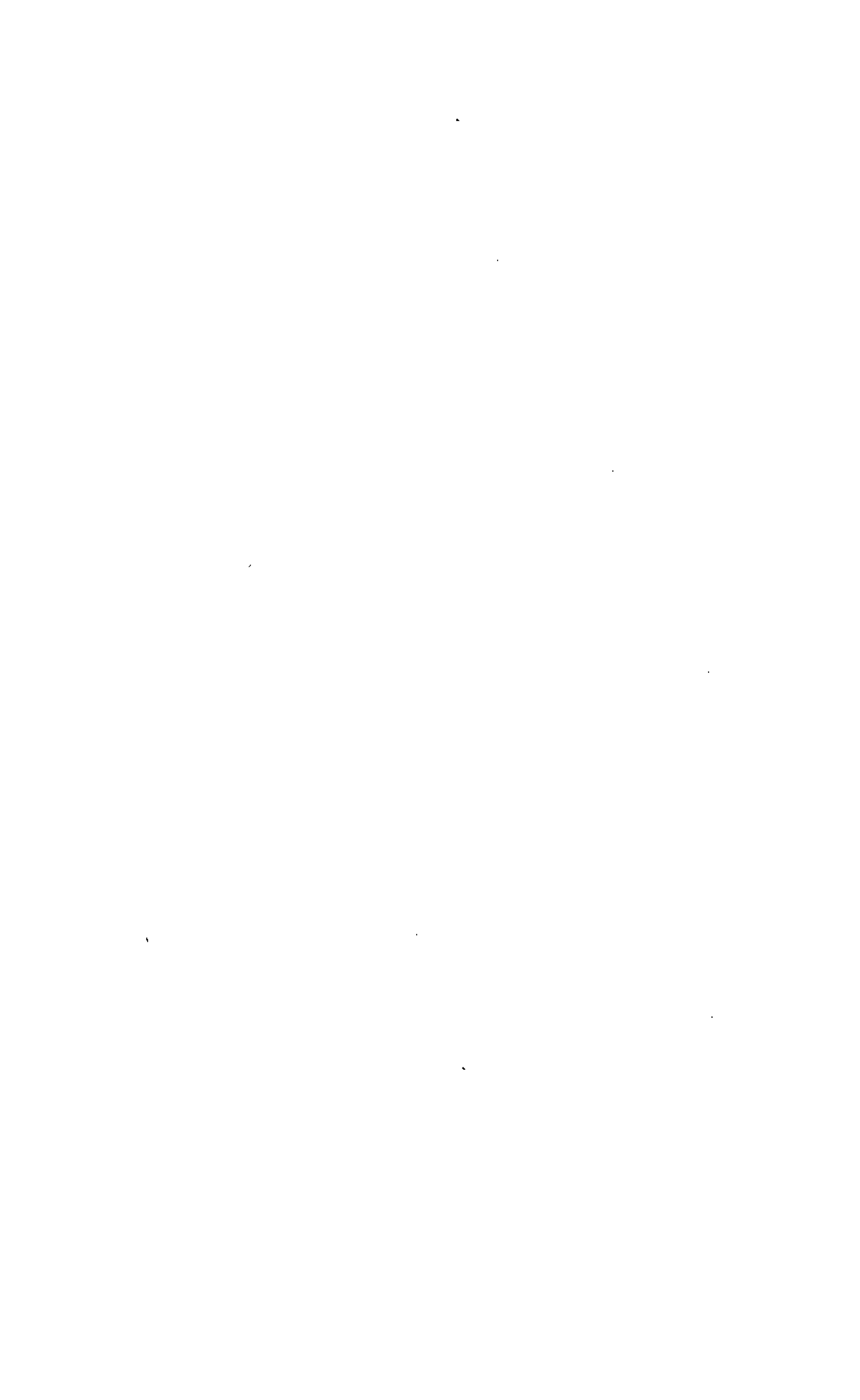
وقد عقدت جلسة الاستماع ، وبعد نحو عامين من المحاكمة حسمت المحكمة الأمر . فجاءت نسبة التصويت لتأكيد حكم الإدانة خمسة إلى أربعة .

وقد أثار هذا الحكم حفيظة لوشيان ويلبانكس ، وادعى أن إيرنى جاديس قد أتيحت له كثير من الحرية لإثبات أن دانى بادجيت مذنب في أثناء استجوابه في المحاكمة . فبقيامه بتوجيه أسئلة عن وجود طفلي رودا في غرفة النوم ورؤيتهما لعملية الاغتصاب ، نجح إيرنى في أن يضع أمام المحلفين معلومات افتراضية لم تكن موجودة ضمن أدلة إدانة المتهم .

وقد قرأ عليَّ هارى ريكس جميع مذكرات وقائع الدعوى وقام بتسجيل الاستئناف كي أسمعه ، وقد كان قلقًا لأن ويلبانكس لديه حجة قانونية . وإن قام بالتصديق عليها خمسة قضاة ، فسوف يُرسل المتهم مرة أخرى إلى كلانتون ليحاكم ثانية . ومن ناحية أخرى ستكون محاكمته ثانية مفيدة للجريدة ، لكن من ناحية

أخــرى لم أكــن أرغــب فــى أن يخــرج آل بادجيــت مــن جزيــرتهم ويجوبون كلانتون متسببين فى إثارة المتاعب .

وفى النهاية قام خمسة قضاة بـرفض الحجـة القانونيـة وأغلقت القضية . وقد نشرت تلـك الأخبـار السـعيدة فـى الصـفحة الأولى مـن التايمز وتمنيت ألا أسمع ثانية اسم دانى بادجيت .



الجزء
الثالث



الفصل الحادى والثلاثون

بعد خمس سنوات وشهرين من وضع ليستر كلومب وابنه قدميهما في منزل هوكيت ، انتهيا من عملية الترميم . فقد انتهت المحنة وكانت النتائج مذهلة حقا .

وبمجرد أن تقبلت طريقة عملهما الواهنة والفاترة ، شرعت في انتظار الصيد الثمين الذى سيكون بحوزتى فيما بعد . ومرتان خلال العام الأخير من المشروع حاولت أن أعيش بالمنزل بطريقة ما في وسط الركام . وفي أثناء هذه الفترات كنت ألاقى صعوبة ضئيلة في الحياة وسط الغبار ورائحة الطلاء والردهات المسدودة وأعطال الكهرباء والماء الساخنٍ وغياب التدفئة وتكييف الهواء ، ولكننى لم أستطع أن أتكيف مطلقاً مع أصوات الشواكيش والمناشير في الصباح الباكر . وهما لم يكن من عادتهما الاستيقاظ باكرًا كما ترامى إلى مسامعى - وهو الأمر الذى لم يكن من عادة المقاولين - ولكنهما كان يبدآن العمل الجاد يوميًا في الثامنة والنصف . وقد كنت أستمتع للغاية بالنوم حتى العاشرة . ولم يجدِ هذا الترتيب ، وبعد كل محاولة أقوم بها

لأعيش فى المنزل الكبير كنت أعود أدراجى عبر الممر الحصوى لأصل إلى شقتى حيث الهدوء النسبى .

وفى مرة واحدة فقط خلال السنوات الخمس عجزت عن دفع أجرٍ كلومب وولده فى الوقت المحدد . وقد رفضت أن أقترض مالا للمشروع على الرغم من أن ستان أكتفيدج كان مستعدًا دومًا أن يقرضنى ما أحتاج . فبعد الانتهاء من العمل كل يوم جمعة كنت أجتمع مع ليستر الأب فى العادة عند طاولة الخشب الرقائقى المؤقتة بالردهة ونقوم ونحن نحتسى مشروبًا باردًا بحساب المقابل الذى ينبغىٍ دفعه لقاء الجهد والمؤن بالإضافة إلى نسبة ١٠٪ ، ثم أحرر له شيكا . وقد نحيت سجلاته جانبًا وفى خلال أول عامين أخذت أحسب باستمرار تكلفة عملية التجديد . ولكن بعد مرور العامين توقفت عن إضافة المصروفات الأسبوعية إلى التكلفة التراكمية . فلم أكن أرغب فى معرفة المصروفات التى كنت أتكبدها .

ولقد أفلست ، ولكننى لم أكترث لذلك . فلقد استنفدت ما لدىَّ من أموال ، وبدأت أترنح على حافة الإفلاس ، ولكننى تمكنت من تفادى السقوط وتداركت الأمر سريعًا .

وأصبح لدىَّ شىء رائع أزهو به طوال حياتى ، شىء استطعت الحصول عليه من خلال الوقت والجهد والاستثمار . وكان دكتور مايلز هوكيت قد قام ببناء هذا المنزل فى عام ١٩٠٠ تقريبًا . وكان ذا طراز فيكتورى مميز ، وله سطحان مرتفعان بالواجهة ، وبرج يمتد حتى أربعة طوابق ، وشرفات كبيرة على كلا جانبى المنزل . وعلى مر السنوات ، قام آل هوكيت بطلاء المنزل باللونين الأزرق والأصفر ، وقد وجد السيد كلومب الأب جزءًا مطليًا باللون الأحمر البراق أسفل ثلاث طبقات من الطلاء الجديد . وقد قررت الابتعاد عن الألوان الصارخة واخترت اللون الأبيض والبيج والبنى الفاتح

للزركشة . أما السقف فكان نحاسيًا . ومن الخارج كان المنزل يبدو ذا طراز فيكتورى بسيط ، وقد استغرق منى سنوات كى أضفى الحيوية إليه .

ومن الداخل ، استعادت الأرضيات الصنوبرية بالطوابق الثلاثة جمالها الأصلى . وقد قمنا بهدم الحوائط وتوسيع الحجرات والردهات . وقد اضطر كلومب وولده إلى هدم المطبخ بالكامل وبناء واحد آخر من القبو . وقد انهارت المدفأة فى حجرة المعيشة نتيجة للضغط الذى سببته الثقابة التى لا تتوقف عن العمل . وقد قمت بتحويل المكتبة إلى غرفة صغيرة وهدمت مزيداً من الحوائط حتى يصبح فى الإمكان رؤية المطبخ عن بُعْد بمجرد دخول الردهة . وقد أضفت نوافذ فى كل مكان ؛ فقد تم بناء المنزل فى الأصل ليبدو كالكهف .

وقد اعترف السيد كلومب لى بأنه لم يشرب الجعة من قبل ، ولكنه تناولها معى ونحن نحتفل بالانتهاء من أعمال الترميم بإحدى الشرفات الجانبية . وقد سلمته ما تمنيت أن يكون الشيك الأخير وتصافحنا والتقط لنا ويلى ميك صورة معًا .

وكانت معظم الغرف خالية من الأثاث وسوف يستلزم الأمر سنوات كى أستطيع وضع لمسات ديكورية مناسبة ، وكذلك مساعدة شخص ما يتمتع بمعرفة وحس ذوقى يفوقنى . وعلى الرغم من أنه كان شبه خال من الأثاث إلا أن المنزل بدا كتحفة فنية . وكان يجب إقامة حفل !

وقد اقترضت مبلغ ٢٠٠٠ دولار من ستان وابتعت أفضل المشروبات من ممفيس . وقد وجدت متعهد حفلات مناسب من توبيلو (فكان المتعهد الوحيد فى كلانتون متخصصًا فى طهى الضلوع وسمك السلور ، وقد أردت أن أقدم وجبات أكثر رقيًا) .

وقد ضمت قائمة المدعوين الرسمية ثلاثمائة مدعوًا ، وهم كل من أعرفهم بالبلدة ، وبعض من لا أعرفهم . أما القائمة غير الرسمية فقد تضمنت هؤلاء الذين سمعونى أقول : " سوف أقيم حفلاً كبيرًا ريثما أنتهى من ترميم المنزل " . وقد دعوت بيبى وثلاثة من صديقاتها من ممفيس . كما دعوت أبى ، ولكنه كان قلقًا للغاية بخصوص التضخم وسوق الأسهم . ودعوت أيضًا السيدة كالى ، وإيساو ، ورجل الدين ثيرستون سمال ، وكلود ، وثلاثة موظفين من المحكمة ، ومعلمين ، ومدرب مساعد فى لعبة كرة السلة ، وأمين صندوق فى مصرف ، وأصغر محامٍ بالبلدة . وبذلك كان عدد الحاضرين من السود اثنى عشر فردًا ، وكنت لأدعو المزيد إن كنت أعرف أناسًا أكثر من السود . فقد عزمت على إقامة أول حفل مختلط فى كلانتون .

وقد أحضر هارى ريكس المشروبات الكحولية وصحناً كبيراً من النقانق وأوشك تقريبًا أن يفسد الحفل . وقد جاء كل من بوبا كروكيت وعصابة جحر الثعلب وهم تحت تأثير المخدر ومستعدين للاحتفال . وكان السيد ميلتو هو الوحيد الذى يرتدى السترة السوداء الخاصة بالسهرة . كما جاء بيستون وتم رؤيته وهو يغادر عبر الباب الخلفى وبحوزته حقيبة ممتلئة بالمأكولات . وظل وودى جيتس ورجال شرطة المقاطعة يلعبون الورق لساعات بالشرفة الجانبية . كما حضر كلومب وولده وكل فريق العمل ؛ فقد كانت لحظة مشهودة بالنسبة لهم ، وقد حرصت على أن ينالوا كل الفضل فيما أصبح عليه المنزل . وقد جاء لوشيان ويلبانكس متأخرًا وسرعان ما انخرط فى مجادلة ساخنة حول السياسة مع عضو مجلس الشيوخ ثيو مورتون والذى أخبرتنى زوجته ريكس إيلا أن هذا هو أكبر حفل تحضرها فى كلانتون خلال عشرين عامًا . وقد جاء شريفنا

الجديد ترايس ماكنات بصحبة العديد من رجاله الذين كانوا يرتدون البزات الرسمية (وكان تي . آر ميرديث قد توفي العام الماضي إثر إصابته بسرطان القولون) . ومن الشخصيات التي كنت أكن لها التقدير القاضي روبين في . أتلي ، والذى أخذ يقص حكايات طريفة عن الدكتور مايلز هوكيت بالغرفة الصغيرة . وقد مكث رجل الدين ميلارد ستارك نحو عشر دقائق فقط ، وغادر سريعًا . وقد أصيب باجي بالإغماء في حجرة النوم بالطابق الثاني حيث وجدته في ظهيرة اليوم التالي . أما التوءم ستوكس واللذان يمتلكان متجر بيع الأجهزة فقد جاءا وهما يرتديان مئزرين جديدين متطابقين تمامًا . وقد كانا في السبعين من عمرهما ويعيشان معًا ، ولم يتزوجا قط ويرتديان مآزر متطابقة كل يوم . فأنا لم أحدد للحفل ملابس معينة ، فكانت الدعوة تقول : " حضور الحفل لا يشترط ارتداء ملابس رسمية " .

وكانت المرجة الأمامية مغطاة بخيمتين بيضاويتين كبيرتين ، ومن حين لآخر كان الحشد يخرج من أسفلهما . وقد بدأ الحفل في الواحدة من ظهر يوم السبت ، وكان ليستمر حتى ما بعد منتصف الليل إن كان قد تبقى أية مشروبات أو أطعمة . وبحلول العاشرة ، كان وودى جيتس وفرقته منهكين ، فلم يتبق شيء لشربه سوى بعض المشروبات الساخنة ، ولا شيء لتناوله سوى بعض الرقائق ولا شيء آخر لرؤيته . فقد رأى المدعوون المنزل بالكامل وأبدوا إعجابهم به .

وفي وقت متأخر من صبيحة اليوم التالي ، قليت بيضًا لبيبي وصديقاتها . وقد جلسنا في الشرفة الأمامية وتناولنا القهوة وشرعنا

فى التعليق على الفوضى التى كانت تعم المكان منذ ساعات قليلة . وقد استغرقت عملية التنظيف أسبوعًا كاملاً .

خلال السنوات التى عشتها فى كلانتون سمعت العديد من القصص الرهيبة عن الحبس فى سجن الولاية فى بارشمان . كان السجن هناك عبارة عن أرض زراعية منبسطة فى الدلتا ـ وهى أخصب منطقة زراعية فى الدلتا ـ والتى تبعد ساعتين عن غربى كلانتون . كانت الظروف المعيشية هناك بائسة ـ ثكنات ضيقة والتى كانت تسبب الاختناق فى الصيف والتجمد فى الشتاء ، طعام شنيع ، رعاية طبية شحيحة ، نظام استعبادى ، عمليات اغتصاب وحشية ، أعمال شاقة إجبارية ، حراس ساديين ، والقائمة لا نهاية لها ومثيرة للشفقة حقا .

وعندما فكرت فى دانى بادجيت ـ وهو الأمر الذى كنت أقوم به كثيرًا ـ كنت أشعر بالراحة دومًا لأننى أعرف أنه كان فى بارشمان ينال المعاملة التى يستحقها . فقد كان محظوظًا بما فيه الكفاية لأنه لم يجلس على المقعد فى غرفة الغاز .

ولكننى كنت مخطئًا .

ففى أواخر الستينات ، فى محاولة للتخفيف من الزحام داخل بارشمان قامت الولاية ببناء سجنين ملحقين ، أو " معسكرات " كما كانوا يطلقون عليهما ، وكانت الخطة هى وضع ألف من المسجونين الذين لم يقوموا بارتكاب جرائم عنيفة فى سجن أكثر تحضرًا . وكانوا سيتلقون تدريبًا مهنيًا حتى يصبحوا مؤهلين لأداء وظائف جديدة . وواحد من هذين السجنين كان يقع بالقرب من بلدة برومفيلد الصغيرة ، والتى تبعد ثلاث ساعات عن جنوبى كلانتون .

وقد مات القاضي لوبس في عام ١٩٧٢ . وفي أثناء محاكمة بادجيت ، كان كاتب المحكمة لديه هي امرأة شابة من البلدة تدعى دارلا كلابو . وقد ظلت تعمل لدى لوبس لبضع سنوات ، وبعد وفاته غادرت المدينة . وحينما دلفت إلى مكتبي في وقت متأخر من ظهيرة أحد أيام الصيف من عام ١٩٧٧ علمت أنني قد رأيتها في مكان ما في الماضي البعيد .

وقد قدمت دارلا نفسها لي ، وسرعان ما تذكرت أين رأيتها . فعلى مدار خمسة أيام متوالية في أثناء محاكمة بادجيت كانت تجلس أسفل المنصة بجوار طاولة العرض تسجل كل كلمة . وهي الآن تعيش في آلاباما ، وقد قادت سيارتها طوال خمس ساعات كي تأتي لتخبرني بشيء ما . وقد جعلتني أقسم بأن أبقي الأمر سرًا .

وكان موطنها الأصلي هو برومفيلد . وقبل أسبوعين كانت تزور والدتها حينما رأت وجهًا مألوفًا يسير على الرصيف في وقت الغداء تقريبًا . لقد كان داني بادجيت يسير بصحبة شخص ما . وقد أصيبت بفزع شديد لدرجة أنها تعثرت على حافة الحاجز الحجري وكادت أن تقع .

وقد دلفا بداخل مطعم محلي وجلسا لتناول الغداء . وقد رأتهما دارلا من خلال الزجاج وقررت ألا تدخل . فثمة احتمال أن يتعرف عليها بادجيت ، ولم تعلم على وجه التحديد لم أخافها هذا .

وكان الرجل الذي بصحبته يرتدي بزة رسمية كانت شائعة في برومفيلد ـ بنطال البحرية ، قميص أبيض قصير بأكمام قصيرة يحمل عبارة " تسهيلات برومفيلد لإصلاح الأحداث " بخط صغير على الجيب ، وكان يرتدي أيضًا حذاء رعاة بقر برقبة أسود ولا يحمل مسدسًا . وقد قالت إن بعضًا من الحراس الذين يتولون مسئولية المسجونين في أثناء فترة عملهم لهم حرية اختيار حمل

مسدس . ولكن من الصعب تخيل رجل أبيض فى مسيسيبى يرفض طواعية حمل سلاح إن أتيحت له حرية الاختيار ، ولكنها اعتقدت أنه ربما لم يرغب دانى بادجيت فى أن يكون حارسه الخاص مسلحًا .

كان دانى يرتدى بنطالاً أبيض وقميصاً أبيض من القطن الخشن وقميص أبيض ربما حصل عليهما من المعسكر . وقد استمتع الاثنان بالغداء الطويل وبديا صديقين حميمين . ومن سيارتها أخذت دارلا ترقبهما وهما يغادران المطعم . وقد تبعتهما عن بعد وهما يتمشيان بسعادة مسافة عدة بنايات حتى دخل دانى بناية تشتمل على مكتب إقليمي لهيئة الطريق العام لمسيسيبى . وقد استقل الحارس إحدى حافلات المعسكر وقاد بعيدًا .

وفى صباح اليوم التالى ، دخلت والدة دارلا المبنى بحجة تقديم شكوى عن طريق بحاجة إلى إصلاح . وقد أخبرها الموظف بوقاحة أنه لا يوجد مثل هذا الإجراء ، وفى أثناء نقاشها معه استطاعت أن ترى الشاب الذى وصفته لها دارلا تفصيليًا . كان ممسكًا بلوح شبكى ويبدو أنه أحد الموظفين الذين لا جدوى منهم .

وكان لأم دارلا صديقة كان ابنها يعمل موظفًا بمعسكر برومفيلد . وقد أكد لها أن دانى بادجيت قد انتقل هناك فى صيف ١٩٧٤ .

وعندما انتهت من سرد القصة قالت : " هل ستقوم بنشر هذا الأمر فى جريدتك ؟ " .

كنت مضطربًا ولكنني استطعت فهم ما يحدث . قلت : " سوف أتحقق من هذا الأمر أولا وستعتمد تغطيتى لها على ما أجده " .

" أرجوك قم بنشرها . إن ما يحدث هذا ليس عدلاً " .

" إنه أمر لا يصدق " .

" إن هذا الغلام كان لابد أن يكون فى عداد الأموات الآن " .

" أوافقك الرأى " .

" لقد حضرت ثمانى محاكمات جرائم قتل مع القاضى لوبس وتلك المحاكمة فقط هي التى أعجز عن نسيانها " .

" وأنا أيضًا " .

وقد جعلتنى أقسم بألا أوردها بالذكر ثانية ، وتركت عنوانها . وقد أرادت أن أرسل لها بنسخة من الجريدة إن قمت بتغطية القصة .

فى السادسة فى صباح اليوم التالى لم أجد صعوبة فى النهوضٍ من الفراش . وقد توجهت أنا وويلى إلى برومفيلد . وحيث إن كلا من السبيتفاير والمرسيدس كانا ليلفتان النظر فى أى بلدة صغيرة فى المسيسيبى ، فقد استقللنا سيارته الفورد . وقد وجدنا المعسكر بسهولة ، على بعد ثلاثة أميال من البلدة . وقد وجدنا مبنى مكتب هيئة الطرق العامة . وفى الظهيرة أخذنا مواقعنا فى الشارع الرئيسى . وبما أن بادجيت يمكنه أن يتعرف على أى منا بسهولة ، فقد واجهتنا مشكلة محاولة الاختباء فى شارع مزدحم فى مدينة غريبة دون أن نثير أية شكوك . وقد جلس ويلى فى الشاحنة وهو يشغل الكاميرا فى وضع الاستعداد . أما أنا فقد جلست فوق أحد المقاعد واختبأت وراء جريدة .

ولم يكن هناك أثر له فى اليوم الأول . وقد قدنا عائدين إلى كلانتون ، ثم فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى غادرنا ثانية متوجهين إلى برومفيلد . وفى الحادية عشرة والنصف توقفت حافلة

السجن أمام مبنى الهيئة . وقد دخل الحارس وأخذ سجينه وسارا معًا لتناول الغداء .

وفى السابع عشر من يوليو من عام ١٩٧٧ نشرت بالصفحة الأولى أربع صور كبيرة ـ واحدة لدانى وهو يسير على الرصيف ويمزح مع حارسه ، وأخرى لهما وهما يدخلان سيتى جريل ، وأخرى لمبنى الهيئة ، وأخرى لبوابة معسكر برومفيلد . وكان العنوان الرئيسى يعوى قائلا : بادجيت ليس فى السجن وإنما فى المعسكر .

وقد بدأ تقريرى كالتالى :

بعد أربع سنوات من اتهامه بارتكاب جريمة اغتصاب بشعة وقتل رودا كاسيلو ، ومعاقبته بالسجن مدى الحياة فى سجن الولاية فى بارشمان ، تم نقل دانى بادجيت إلى معسكر ملحق جديد فى برومفيلد . وبعد قضاء ثلاث سنوات هناك ، فإنه يتمتع بكل المزايا التى من الممكن أن يتمتع بها شخص ذو نفوذ ـ وظيفة مكتبية فى هيئة الطرق السريعة ، حارس خاص ، وجبات غداء فخمة (بورجر بالجبن ومخفوق اللبن) فى مقاهى محلية حيث لم يسبق للرواد الآخرين أن سمعوا من قبل عنه أو عن جرائمه .

وقد تعمدت كتابة القصة سامة وساخرة بقدر استطاعتى . وقد قمت بمضايقة إحدى النادلات فى سيتى جريل حتى أخبرتنى بأنه لا يتناول سوى البورجر بالجبن والبطاطس المحمرة ، وأنه يأتى ثلاث مرات أسبوعيًا ، وهو من يتولى دومًا أمر دفع الحساب . وقد

أجريت عشرات الاتصالات الهاتفية بهيئة الطرق الرئيسية حتى وجدت مشرفًا يعلم شيئًا ما عن بادجيت . وقد رفض المشرف الإجابة عن أسئلتي ، وقد جعلته يبدو كما لو أنه مجرم . وكان دخول معسكر برومفيلد بنفس القدر من الإحباط . وقد أوردت جميع مجهوداتي تفصيليًا وغطيت القصة وجعلت الأمر يبدو كما لو أن جميع البيروقراطيين متورطون مع بادجيت . ولم يكن هناك أحد فى بارشمان يعلم شيئًا عن هذا الأمر ، أو إن كانوا يعلمون فإنهم يرفضون التحدث بشأنه . وقد اتصلت بمفوض الطرق الرئيسية (وهو موظف منتخب) ، ومأمور سجن بارشمان (ونحمد الله أنها كانت وظيفة رسمية) ، والنائب العام ، ونائب المحافظ ، وأخيرًا المحافظ نفسه . وكانوا جميعًا مشغولين للغاية بالطبع ؛ لذا فإننى تحدثت إلى تابعيهم وجعلتهم يبدون كالحمقى .

وقد بدا عضو مجلس الشيوخ ثيو مورتون مصدومًا . وقد وعد بالتنقيب عن الأمر والاتصال بى ثانية . وقد أخذت أنتظر .

وكان رد فعل سكان كلانتون متضاربًا ومتباينًا . فالعديد ممن اتصلوا بى أو أوقفونى بالشارع كانوا غاضبين وأرادوا أن يفعل أحدهم شيئًا ما إزاء ذلك . وقد آمنوا حقًا حينما عوقب بادجيت بالسجن مدى الحياة وخرج مكبلاً بالأصفاد بأنه سيمضى بقية حياته فى غياهب سجن بارشمان . وقد بدا القليلون غير مكترثين ويريدون نسيان أمر بادجيت تمامًا . فقد كانت أخباره قد عفى عليها الزمن .

وكان البعض محبطًا ، والبعض الآخر سخر من الأمر دون أن يصاب بالدهشة . فقد اعتقدوا أن آل بادجيت قد استخدموا نفوذهم مرة أخرى ، ووجدوا الجيوب المناسبة ، وشدوا الخيوط الصحيحة . وقد كان هارى ريكس من ضمن هذه الفئة . " لماذا كل هذه الجلبة يا فتى ؟ لقد قاموا بشراء الحكام من قبل " .

وقد أفزعت صورة دانى وهو يسير بالشارع حرًا طليقًا السيدة كالى بشدة . وقال لى إيساو حينما ذهبت إليهما فى يوم الخميس التالى لتناول الغداء : " إنها لم تنم طوال الليل . أتمنى لو لم تعثر عليه " .

ولحسن الحظ ، فقد ترامى إلى مسامع الجرائد بممفيس وجاكسون الخبر وقامت بتجسيده بأفضل ما يكون . فقد قامت تلك الصحف بتصعيد الأمر بطريقة جعلت تدخل السياسيين ضرورة قصوى . فقام المحافظ والنائب العام وكذلك عضو مجلس الشيوخ مورتون بقيادة حملة تهدف إلى إعادة الفتى إلى بارشمان ثانية .

وبعد أسبوعين من تفجيرى للقصة ، عاد دانى بادجيت إلى سجن الولاية .

وفى اليوم التالى تلقيت مكالمتين هاتفيتين ، واحدة فى المكتب والأخرى فى المنزل حينما كنت نائمًا . وكان المتحدثان مختلفين ، لكن كلتا المكالمتين تحملان نفس الرسالة : أنا ميت بلا محالة .

وقد قمت بإبلاغ مكتب التحقيقات الفيدرالية فى أوكسفورد ، والتى أرسلت لى باثنين من عملائها فى كلانتون . وقد سربت هذا الخبر إلى أحد المراسلين الصحفيين فى ممفيس ، وسرعان ما عرفت المدينة بأكملها أننى قد تعرضت للتهديد ، وأن المباحث الفيدرالية تحقق فى الأمر . ولمدة شهر كان الشريف ماكنات يضع سيارة دورية أمام مكتبى لمدة أربع وعشرين ساعة . وكانت سيارة أخرى تقف عند مدخل منزلى فى أثناء الليل .

وبعد سبع سنوات من التردد ، حملت المسدس ثانية !

الفصل الثانى والثلاثون

لم تكن هناك إراقة فورية للدماء . ولم أنس تلك التهديدات ولكنها بمرور الوقت أصبحت أقل سوءًا . ولم أتوقف مطلقاً عن حمل سلاح ـ فقد كان دومًا في متناول يدى ـ ولكننى فقدت الاهتمام به . فقد كنت أجد صعوبة في تصديق أن آل بادجيت سيخاطرون بقتل محرر الجريدة المحلية ويواجهون جميع القلاقل التى تتمخض عن ذلك . حتى لو لم تكن المدينة مفتونة حبًا بى كما كان الحال مع السيد كاودل ، فإن الاهتياج والاضطراب اللذين سينتجان عن مثل تلك الجريمة سيفوق ما يمكن لآل بادجيت أن يتحملوه .

فهم الآن منعزلون ومتقوقعون على أنفسهم أكثر من أى وقت مضى . فبعد هزيمة ماكى دون كولى فى الانتخابات عام ١٩٧١ ، أثبتوا مرة أخرى براعتهم فى تغيير خططهم . فقد جذب دانى إليهم الانتباه بشكل لم يكونوا يرغبونه ، وقد عقدوا العزم على تشتيت هذا الانتباه . وقد توغلوا أكثر وعلى نحو أعمق داخل جزيرتهم ، وقاموا بزيادة الحراسة اعتقادًا منهم بأن الشريف التالى

تى . آر ميرديث أو خليفته تيرس ماكنات قد يغير عليهم فى أى وقت . فكانوا يقومون بزراعة محاصيلهم ويهربونها من الجزيرة فوق متن البواخر أو الطائرات والشاحنات والتى تبدو ظاهريًا أنها محملة بالأخشاب .

وقد استشعر آل . بادجيت بدهائهم المعهود أن تجارة الماريجوانا قد تصبح شديدة الخطورة ، لذا فقد بدأوا يستثمرون أموالهم فى شركات شرعية . فقاموا بشراء شركة مقاولات طرق ، وسرعان ما قاموا بتحويلها إلى مزايد موثوق به لمشروعات الحكومة . كما اشتروا مصنع أسفلت ومصنع خرسانة ريدى ميكس ، ومصنع لإعداد الحصى بالجزء الشمالى من الولاية . وكان بناء الطرق من الأعمال الفاسدة بالمسيسيبى ، والتى كان آل بادجيت يعرفون جيدًا كيف يديرونها .

وقد شرعت فى مراقبة هذه الأنشطة عن كثب بقدر استطاعتى . وقد حدث ذلك قبل إصدار قانون حرية الصحافة وقوانين الاجتماعات المفتوحة . وكنت أعرف أسماء بعض الشركات التى اشتراها آل بادجيت ، ولكن كان من المستحيل فيما يبدو أن أعرفها جميعًا . فلم يكن باستطاعتى نشر شىء ، فلم تكن هناك قصة ، فكان كل شىء يبدو شرعيًا وقانونيًا ظاهريًا .

وقد انتظرت دون أن أعلم على وجه التحديد ماذا أنتظر . إن دانى بادجيت سيعود فى أحد الأيام ، وحينما يفعل فإنه قد يختفى ببساطة داخل الجزيرة ولا يراه أحد ثانية ، أو أنه قد يفعل بالعكس .

قليل فقط من سكان كلانتون هم من كانوا لا يذهبون إلى دار العبادة . وكان باقي أهل البلدة يعلمون تمامًا من هؤلاء ، وقد كان هناك دومًا دعوة شائعة بأن تأتي " لتتعبد معنا " . فكانت تحية الوداع " أراك في دار العبادة " شائعة مثلها تمامًا مثل " نراك قريبًا " .

وقد أمطرني الناس بمثل تلك الدعوات في أعوامي القليلة الأولى في المدينة . فبمجرد أن ذاع الخبر أن مالك جريدة التايمز ومحررها لا يذهب إلى دار العبادة ، أصبحت أشهر منبوذ في البلدة . وقد قررت فعل شيء ما حيال هذا الأمر .

فكل أسبوع كانت مارجريت هي التي تتولى أمر إعداد صفحتنا الدينية . وكان هنالك أيضًا بعض المقالات التي يكتبها رجال الدين الفصحاء . كما كنا ننشر تنويهات عن مواعيد الدروس الدينية واجتماعات لم الشمل ووجبات العشاء المجانية ، والعديد من الأنشطة الأخرى .

وبالاستعانة بهذه الصفحة ودليل الهاتف ، أعددت قائمة تشمل جميع دور العبادة في مقاطعة فورد ، وكان عددها ثمان وثمانين دار عبادة . وقد كان هدفي هو زيارة كل واحدة منها ، وهو شيء كنت واثقاً من أنني لم أفعله من قبل ، وعمل بطولي سيضعني في مكانة بارزة وسط الرواد الدائمين لدور العبادة .

فكانت الطوائف متباينة ومربكة ـ فكيف يمكن أن نؤمن بنفس العقائد ويحدث بيننا كل هذا الانشقاق ؟

فكانت العقيدة مباشرة وواضحة ، ولكن التفاصيل كانت كثيرة للغاية .

وفي عام ١٩٧٤ بدأت مغامرتي الملحمية ، وشرعت في زيارة كل دار عبادة في مقاطعة فورد . وكانت الأولى هي كالفاري فول جوسبل

والتى تقع على طريق حصوى يبعد ميلين عن البلدة . وكما هو معلن تبدأ الطقوس فى العاشرة والنصف ، وقد وجدت مكانًا شاغرًا بالمقصورة الخلفية ، أبعد ما يكون عن النشاط الدينى . وقد قام الآخرون بالترحيب بى بحرارة وانتشر الخبر بأن زائرًا مخلصًا كان حاضرًا . ولم أتعرف على أى شخص هناك . وكان رجل الدين بوب يرتدى بزة بيضاء ، وقميص بحرية ، ورابطة عنق بيضاء ، وكان شعره الأسود الكثيف ملصوقًا بعناية فى مؤخرة جمجمته . وقد بدأ الناس يصيحون حينما شرع فى إلقاء تصريحاته . وقد ظلوا يلوحون بأيديهم ويهتفون . وعندما بدأت الخطبة بعد ساعة أخيرًا كنت مستعدًا للمغادرة وقد استمرت خمسا وخمسين دقيقة وتركتنى مرتبكًا ومجهدًا . وفى بعض الأحيان كان المبنى يهتز من وقع أقدام الحاضرين على الأرض ، وكانت النوافذ تصدر صريرًا . وبعد فترة وقف رجل دين آخر وفى عرض مذهل بدأ يقول شيئًا بلغة لم يسبق لى سماعها من قبل . وقد طبق قبضته وأغلق عينيه بشدة وانطلق من فمه سيل من الكلمات الفصيحة . ولم يكن هذا تمثيلاً أو مجرد هراء . وبعد بضع دقائق وقفت فتاة من فريق الترتيل وبدأت تترجم إلى الإنجليزية . لقد كان يحكى عن رؤية تحمل رسالة من الله ، لهؤلاء الذين ارتكبوا آثامًا لا تغتفر وموجودون بدار العبادة اليوم .

صاح رجل الدين بوب : " توبوا إلى الله " ، ونكس الجميع رءوسهم .

ماذا لو كان رجل الدين يتحدث عنى ؟ نظرت حولى ولاحظت أن الباب كان موصدًا ويحميه رجلان آخران .

وانتهت الخطبة فى النهاية ، وبعد ساعتين من جلوسى هناك فررت من البناية . فقد كنت بحاجة إلى شراب .

وقد كتبت مقالاً صغيرًا جميلاً عن زيارتي لدار عبادة كالفارى فول جوسبل ونشرته بالصفحة الدينية . وقد علقت على الجو الدافئ الذى يسود دار العبادة .

ولست بحاجة لأن أقول أن المقال حظى بإعجاب واسع .

وعلى الأقل مرتين شهريًا كنت أذهب إلى دار العبادة . كنت أجلس مع السيدة كالى وإيساو وأنصت إلى خطبة رجل الدين ثيرستون سمال طوال ساعتين وعشرين دقيقة (فقد كنت أحسب الفترة الزمنية لكل خطبة) . وكانت أكثر الخطب اختصارًا هى تلك التى يلقيها رجل الدين باستور فيل بيش فى دار عبادة كاراواى - مدتها سبع عشر دقيقة فقط . وكانت دار العبادة تلك هى أكثر الدور برودة . فكان جهاز التدفئة معطلاً عن العمل ، وربما هذا هو ما جعل الخطبة أكثر اختصارًا . كنت أجلس مع مارجريت فى دار عبادة كلانتون وأستمع إلى رجل الدين ميلارد ستارك وهو يتحدث عن خطيئة شرب الخمر . وللأسف فقد كنت أعانى من آثار الشرب فى هذا الصباح ، وقد ظل ستارك ينظر لى .

وقد وجدت دار عبادة هارفست تابيرناكل فى غرفة خلفية بمحطة خدمة مهجورة فى بيتش هيل ، وقد جلست مع ستة آخرين بينما ظل رجل جامح العينين يدعى بيتر يصيح علينا طوال ساعة . وقد كان عمودى الدينى فى هذا الأسبوع مختصرًا .

وعلى قائمتى كانت دار العبادة الرابعة والستين هى كاليكو ريدج والتى توجد بأعماق تلال الجزء الشمالى الشرقى من المقاطعة . ووفقا لأرشيف التايمز ، ففى دار العبادة هذه عام ١٩٦٥ أصيب شخص يدعى السيد راندى بوفى بلدغتين من الأفعى ذات الجرس فى أثناء طقوس العبادة التى تجرى فى وقت متأخر . وقد كتب للسيد بوفى النجاة وتم إقصاء الأفاعى لفترة من الوقت . ولكن أخبار

تلك الواقعة ذاعت بكل مكان ، وبعدما نالت مقالاتى الدينية بخصوص دور العبادة شعبية ، سألنى الآخرون كثيرًا إن كنت أنوى زيارة كاليكو ريدج .

وكانت إجابتى المعتادة هى : " إننى أنوى زيارة جميع دور العبادة " .

وقد حذرنى باجى قائلاً : " إنهم لا يحبون الزوار " .

وقد رحب بى الآخرون بحرارة فى كل دار عبادة سواء خاصة بالسود أو البيض ، كبيرة أو صغيرة ، ريفية أو مدينية ـ لدرجة أننى كنت أجد صعوبة فى أن يعامل رجال أتقياء أحد الضيوف بوقاحة .

ورواد دار عبادة كاليكو ريدج لم يكونوا وقحين ، ولكنهم لم يكونوا سعداء لرؤيتى كثيرًا أيضًا . وقد رغبت فى رؤية الأفاعى ، ولكن من مكان آمن بالصف الخلفى . وقد ذهبت إليها فى إحدى ليالى السبت ؛ حيث يقال إنها لا تظهر سوى ليلاً .

وأنا لم أر أية ثعابين . كان هناك فقط بعض الاضطرابات أسفل المنبر حيث كان يستحثنا رجل الدين على التقدم للأمام والنحيب ندمًا على آثامنا .

وفى وقت متأخر من هذه الليلة لمحت وجهًا كنت قد رأيته من قبل . لقد كان وجهًا مختلفًا تمامًا ـ رفيعًا وشاحبًا وهزيلاً ويعلوه شعر رمادى . وأنا لم أستطع التعرف عليه ، ولكنى كنت أعلم أنه مألوف . كان الرجل يجلس بالصف الثانى من الأمام بالجانب الآخر من الحرم الصغير ، وبدا أن ذهنه كان بعيدًا تمامًا عما يحدث من صخب . وفى بعض الأوقات كان يبدو كما لو أنه يصلى ، ثم كان يجلس فى الوقت الذى يقف فيه الجميع . وهؤلاء ممن حوله بدوا وكأنهم يتقبلونه ويتجاهلونه فى الوقت ذاته .

وقد استدار مرة ونظر إلىّ مباشرة . لقد كان هانك هوتن ، المحامى السابق الذى أطلق النار على البلدة فى عام ١٩٧١ ! لقد تم اصطحابه فى سترة المجانين إلى مستشفى الأمراض العقلية التابعة للولاية ، وبعد بضع سنوات ذاعت شائعة بأنهم سمحوا له بالخروج . ولكن لم يره أحد على الرغم من ذلك .

وطوال يومين حاولت التقصى عن هانك هوتن . ولم تثمر اتصالاتى بمستشفى الأمراض العقلية شيئًا . وكان لهانك شقيق فى شادى جروف ولكنه رفض التحدث . وقد أخذت أتسكع حول كاليكو ريدج ولكن ـ كما كان متوقعًا ـ لم يكن هناك من كان ليفشى بمعلومات لغريب مثلى .

الفصل الثالث والثلاثون

فى أثناء جولتى على دور العبادة سمعت العديد من رجال الدين يوبخون الحاضرين ويحثونهم على العودة فى غضون ساعات قليلة لإنهاء شعائر العبادة بالشكل الصحيح . وأنا لم أقم بعد الحاضرين قط ، ولكن كقاعدة عامة فإن نصفهم هو ما كان يمتثل لهذا الأمر فقط .

وفى أغلب الأحيان كنت أجعل دراستى للاختلاف بين الطوائف فى ساعات النهار .

وكان هناك آخرون يمارسون طقوساً مختلفة . فقد ساعد هارى ريكس مكسيكيًا يدعى بيب على إيجار مبنى وافتتاح مطعم على بعد بناية واحدة من الميدان . وقد حقق مطعم بيب نجاحًا نسبيًا فى فترة السبعينات مع ما يقدمه من طعام جيد يحتوى دومًا على الكثير من التوابل . فلم يستطع بيب قط مقاومة إضافة الفلفل إلى طعامه بغض النظر عن حقيقة حرقه لحناجر زبائنه .

وفى أيام العطلات الأسبوعية يحظر بيع المشروبات الكحولية فى مقاطعة فورد بالكامل . فهى لا تباع بالتجزئة ولا تقدم فى المطاعم . وكان لدى بيب حجرة خلفية بها طاولة طويلة وباب له قفل يوصده . وكان يسمح لهارى ريكس وضيوفه باستخدام هذه الغرفة وتناول وشرب كل ما يحلو لهم . وكانت المارجريتا خاصته لذيذة للغاية . وقد استمتعنا بتناول العديد من الأطباق الشهية والحريفة ، والتى كنا نتبعها جميعًا بشرب المارجريتا القوية . وكان عدد الحاضرين فى العادة يبلغ اثنى عشر رجلاً ، نصفهم تقريبًا متزوجون حديثًا . وقد هددنا هارى ريكس بالقتل إن أخبرنا أحدًا عن غرفة بيب الخلفية هذه .

ولقد أغارت علينا شرطة كلانتون ذات مرة ، ولكن فجأة لم يستطع بيب أن ينطق بكلمة واحدة بالإنجليزية . وكان الباب الذى يقود إلى الحجرة الخلفية موصدًا ومختبأ جزئيًا كذلك . وقد أطفأ بيب الأنوار وأمضينا نحو عشرين دقيقة منتظرين فى الظلام ، ونحن لا نزال نشرب ، ونستمع إلى رجال الشرطة وهم يحاولون التواصل مع بيب . ولا أعلم لماذا كنا قلقين . فكان قاضى المدينة وهو محامى يدعى هارولد فينكلى يجلس بنهاية الطاولة ويتجرع كأسه الرابع أو الخامس من المارجريتا .

وليالى عطلات نهاية الأسبوع تلك لدى بيب كانت فى العادة طويلة وزاخرة بالشغب ، وبعدها كنا نصبح فى حالة لا تسمح لنا بالقيادة . وكنت أذهب إلى مكتبى وأنام على الأريكة . وقد كنت هناك نائمًا وأنا أعانى من آثار الإفراط فى الشراب حينما رن جرس الهاتف بعد منتصف الليل . لقد كان المتحدث هو مراسل صحفى أعرفه من الصحيفة اليومية الأولى فى ممفيس .

سألنى : " هل ستغطى جلسة الاستماع لإطلاق السراح المشروط غدًا ؟ " . غدًا ؟ وفي حالتى تلك كان ذهنى مشوشاً مما جعلنى لا أدرك أى يوم هذا .

غمغمت قائلاً : " غدًا ؟ " .

قال ببطء : " الاثنين ، الثامن عشر من سبتمبر " .

ولكننى كنت واثقًا من أننا فى عام ١٩٧٨ .

سألته : " أى جلسة استماع ؟ " ، وذلك فى محاولة يائسة منى لإيقاظ نفسي وتجميع الأفكار معًا .

" تلك الخاصة بدانى بادجيت . ألا تعلم بشأنها ؟ " .

" يا إلهى ، لا ! " .

" إنها ستعقد فى العاشرة صباحًا فى بارشمان " .

" لابد أنك تمزح ! " .

" لا ، لقد اكتشفت لتوى هذا الأمر . يبدو أنهم لا يعلنون عن مثل هذه الأخبار " .

جلست فى الظلام لفترة طويلة وأنا ألعن مرة أخرى تلك الولاية المتخلفة التى تدير مثل تلك الأمور المهمة بمثل هذه الأساليب السخيفة . كيف يمكن فى الأساس الموافقة على عقد جلسة استماع لدانى بادجيت ؟ لقد مر على جريمة القتل والإدانة ثمانى سنوات . وقد أخذ حكمين بالسجن مدى الحياة ، كل منهما لمدة عشر سنوات على الأقل . وقد افترضنا أن هذا يعنى حبسه لمدة عشرين عامًا كحد أدنى .

قدت السيارة إلى منزلى فى حوالى الثالثة صباحًا ، ونمت نحو ساعتين ، ثم أيقظت هارى ريكس والذى كان فى حالة تجعل من الصعب التفاهم معه . تناولت بسكويت النقانق وارتشفت القهوة القوية وتقابلنا فى مكتبه فى حوالى السابعة . كانت حالة كل منا

المزاجية معتلة للغاية ، وبينما كنا نتصفح كتبه القانونية كنا نستخدم لغة كريهة وكلمات حادة ، ليست موجهة إلى بعضنا البعض ولكن إلى نظام إطلاق السراح المشروط غير الواضح واللين والذى وضعته الهيئة التشريعية منذ ثلاثين عامًا مضت . فكانت القوانين غامضة ، تاركة بذلك مساحة فسيحة ومسهبة للسياسيين وتابعيهم لفعل ما يشاءونه .

وحيث إن معظم المواطنين الملتزمين بالقانون بعيدون عن نظام إطلاق السراح ، فإنه لم يكن يمثل أولوية بالنسبة لهيئة التشريع . وحيث إن معظم سجناء الولاية كانوا إما فقراء أو سود أو غير قادرين على استخدام النظام لصالحهم ، كان من السهل قصفهم بعقوبات قاسية وإبقاؤهم داخل السجون . ولكن بالنسبة لمتهم لديه بعض العلاقات وبعض السيولة النقدية ، كان نظام إطلاق السراح عبارة عن متاهة من القوانين المتناقضة التى تسمح للنظام بإعفاء من يفضله .

ففى مكان ما بين النظام القضائى وقانون العقوبات ونظام إطلاق السراح تحول الحكمين " المتتاليين " بالسجن مدى الحياة الخاصين بداني بادجيت إلى حكمين " متزامنين " . فهما الآن يسيران بمحاذاة بعضهما البعض كما حاول هارى ريكس أن يشرح لى .

سألت : " ولم ذلك ؟ " .

" يستخدم هذا القانون فى القضايا التى يدان فيها المتهم بأكثر من تهمة . إن الأحكام المتوالية قد تجعله يمضى ثمانين عامًا بالسجن ، ولكن الحكم العادل هو عشر سنوات فقط . لذا فإنها تسير بمحاذاة بعضها البعض " .

هززت رأسى رافضًا ، وهذا أثار حنقه .

وفى النهاية أرغمت الشريف تيرس ماكنات على الرد على الهاتف . وقد بدا ثملاً مثلنا تمامًا على الرغم من أنه كان معروفا

بعدم تعاطيه للمسكرات تمامًا . ولم يكن ماكنات يعلم شيئًا عن جلسة الاستماع لإطلاق السراح . وقد سألته إن كان ينوى حضور الجلسة ، ولكنه أخبرنى بأن يومه كان زاخرًا بالفعل بالاجتماعات المهمة .

وكنت راغبًا فى الاتصال بالقاضي لوبس ، ولكنه توفى منذ ستة أعوام . وكان إيرنى جاديس قد تقاعد ويصطاد الأسماك الآن فى مرتفعات سموكي . وكان خليفته روفس باكلي يعيش فى مقاطعة تايلر ، وكان رقم هاتفه غير مدرج فى الدليل .

وفى الثامنة صباحًا قفزت داخل سيارتى وأنا أحمل البسكويت وكوب من القهوة الباردة .

على مسافة ساعة غربى مقاطعة فورد ، أصبحت الأرض مسطحة للغاية وبدت الدلتا . لقد كان إقليمًا غنيًا من حيث التربة ، ولكنه فقير من حيث الظروف المعيشية ، ولكننى لم أكن فى حالة مزاجية تسمح لى بأن أتأمل المكان وأبدى تعليقى عليه . لقد كنت شديد العصبية لأننى سأقتحم جلسة استماع لإطلاق سراح سرية .

ولقد كنت شديد العصبية ومتوترًا لأننى سأطأ بقدمى داخل بارشمان ، والذى كان جحيمًا فوق الأرض .

وبعد ساعتين رأيت أسوارًا بجوار الحقول ، ثم أسلاكًا شائكة . وسرعان ما رأيت لافتة ، واستدرت لأدخل عبر البوابة الرئيسية . وقد أخبرت الحارس بالكشك بأننى مراسل صحفى وأنه يوجد بالداخل جلسة استماع لإطلاق سراح . قال وهو يسجل اسمى : " توجه للأمام ثم انحرف يسارًا عند المبنى الثانى " .

كانت هناك مجموعة من المبانى بالقرب من الطريق السريع ، وصف من المنازل البيضاء التي تشبه تلك الموجودة بأى شارع من شوارع المسيسيبى . وقد اخترت المبنى " أدمين (أ) " ودلفت بداخله باحثًا عن السكرتيرة . وقد وجدتها ، فأرسلتنى بدورها إلى المبنى التالى ، الطابق الثانى . كانت الساعة العاشرة تقريبًا .

كان هناك أناس يقفون عند نهاية الردهة ، يتسكعون خارج إحدى الغرف . كان أحدهم واحدًا من حراس السجن ، والآخر كان شرطيًا تابعًا للولاية ، وآخر يرتدى سترة مجعدة .

قلت معلنًا : " أنا هنا لحضور جلسة الاستماع " .

قال الحارس وهو يشير بإصبعه : " إنها هناك " . ودون أن أطرق ، فتحت الباب كما كان ليفعل أى مراسل صحفى جسور ووطأت بقدمى للداخل . وكان النظام قد استتب لتوه ، وبالطبع لم يكن حضورى متوقعًا .

كانت هيئة إطلاق السراح مكونة من خمسة أعضاء ، وكانوا يجلسون خلف طاولة عالية بعض الشيء وكانت اللوحات التى تحمل أسماءهم موضوعة أمامهم . وبطول أحد الجدران كانت هناك طاولة أخرى يجلس عليها آل بادجيت ـ دانى ووالده وأمه وعمه ولوشيان ويلبانكس . وفى الناحية المقابلة خلف طاولة أخرى ، كان يجلس عدة موظفين تابعين للهيئة والسجن .

وقد حدق الجميع فى عند دخولى العاصف . استقرت عيناى على آل بادجيت ، ولثانية واحدة تبادلنا نظرات الازدراء التى يكنها كل منا تجاه الآخر .

صاح رجل ضخم سيىء الهندام يجلس فى منتصف الهيئة قائلاً : " هل بإمكانى مساعدتك ؟ " . كان اسمه باريت راى جيتر ،

رئيس الجلسة . وشأنه شأن الأربعة الآخرين ، تم تعيينه من قبل الحاكم كمكافأة له على جمع الأصوات .

قلت : " إنني هنا لحضور جلسة محاكمة داني بادجيت " .

صاح لوشيان وهو يهم بالوقوف : " إنه مراسل صحفي ! " ، ولبرهة اعتقدت أنهم ربما يندفعون لاعتقالي ويزجون بي في السجن مدى الحياة .

سأل جيتر : " لحساب من ؟ " .

قلت : " جريدة التايمز بمقاطعة فورد " .

" ما اسمك ؟ " .

" ويلي ترواينور " . كنت أحدق في لوشيان وكان ينظر إلى وهو يقطب جبينه .

قال جيتر : " إن تلك جلسة محاكمة مغلقة يا سيد ترواينور " . ولم يكن القانون واضحًا فيما إذا كانت جلسة المحاكمة هذه لابد أن تكون مغلقة أو مفتوحة ، لذا فقد أصبحت مغلقة .

سألت : " ومن له حق الحضور ؟ " .

" هيئة إطلاق السراح والسجين وأسرته والشهود ومحاميه وأية شهود من الجانب الآخر " . وقد كان يعني بالجانب الآخر أسرة الضحية ، والذين بدوا في هذا المكان الفتية الأشرار .

سألت : " ماذا عن شريف مقاطعتنا ؟ " .

قال جيتر : " إنه مدعو أيضًا " .

" إن شريفنا لا يعلم شيئًا عن تلك الجلسة . لقد تحدثت إليه منذ ثلاث ساعات . في الواقع ، لم يعلم أحد في مقاطعة فورد شيئًا عن هذه الجلسة حتى ما بعد الثانية عشر من منتصف ليلة أمس " . وقد بث كلامي هذا الارتباك بين أعضاء هيئة إطلاق السراح . وقد أخذ آل بادجيت يتباحثون مع لوشيان .

وقد أخذت إحدى المختصات فى تقصى سيرة دانى تتحدث بإسهاب عن علاقتها بالمتهم . وقد اختتمت شهادتها بإبداء رأيها بأن المتهم قد ندم على ما فعله وتمت إعادة تأهيله بالكامل ولا يمثل أى تهديد للمجتمع بل أنه أصبح مستعدًا لأن يكون مواطنًا صالحا منتجًا .

كم كلفهم كل هذا ؟ لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير في هذا السؤال . كم دفعوا ؟ وما المدة التى قضاها آل بادجيت في البحث عن الجيوب المناسبة ؟

وكان لوشيان هو التالى . فدون أن يهب أحد لمعارضته أو إزعاجه - جاديس ، الشريف ماكنات ، ولا حتى هانك هوتن المسكين - انخرط لوشيان فى إعادة صياغة تخيلية لوقائع الجريمة ، وخاصة شهادة الدفع بالغيبة للشاهدة ليديا فينس . وادعى أن المحلفين انقسموا بشأن أمر إدانته . وقد شعرت برغبة فى قذفه بشىء ما والبدء بالصراخ . فربما يجعله ذلك على الأقل صادقا .

أردت أن أصرخ : " كيف يمكنه أن يكون نادمًا إلى هذه الدرجة إن كان بريئًا ؟ " .

وأخذ لوشيان ينتقد المحاكمة وكيف أنها كانت غير عادلة تمامًا . وقد تلقى هو كل اللوم لأنه لم يلح بما فيه الكفاية لتغيير مسار المحاكمة ، لمكان آخر من الولاية ، حيث السكان غير متحيزين وأكثر تفتحًا . وحينما سكت فى النهاية بدا أن اثنين من أعضاء الهيئة قد غلبهما النعاس .

وكانت السيدة بادجيت هى الشاهدة التالية ، وقد تحدثت عن الخطابات التى تبادلتها مع ولدها خلال تلك السنوات الثمانى الماضية الطويلة للغاية . ومن خلال رسائله رأته أكثر نضجًا وأكثر

إيمانًا بالله ومتلهفًا للغاية على نيل حريته كي يخدم مواطني بلدته .

يخدمهم بأن يقدم لهم توليفة قوية من المخدرات ؟! أو ربما خمر الذرة من النوع الفاخر ؟!

وبما أننا كنا نتوقع بعض الدموع ، فقد بكت قليلاً . لقد كان ذلك جزءًا من العرض ويبدو أنه ترك أثرًا طفيفًا على أعضاء الهيئة . في الواقع حينما درست وجوههم تولد لدى انطباع بأنهم قد اتخذوا قرارهم منذ فترة طويلة .

وكان داني هو الشاهد الأخير ، وقد أدى عملاً رائعًا في السير على الخط الرفيع بين إنكار جرائمه والتعبير عن ندمه لارتكابها . قال : " لقد تعلمت من أخطائي " ، كما لو أن الاغتصاب والقتل هي مجرد حماقات صغيرة لم يتأذ منها أحد . وقال : " وقد أكسبتني مزيدًا من النضج " .

وفي السجن كان عبارة عن كتلة من النشاط ، يتبرع للعمل في المكتبة ويغني مع مجموعة الترتيل ويساعد فريق روديو البارشمان وينظم مجموعات الذهاب إلى المدارس وترهيب الأطفال من ارتكاب الجرائم .

كان اثنان من أعضاء الهيئة ينصتان . وكان هناك واحد لايزال نائماً . وجلس اثنان آخران في تأمل عميق وكأنهما مصابان بسكتة دماغية .

ولم يذرف داني أية دموع ، ولكنه اختتم شهادته بحجة متقدة العاطفة لإطلاق سراحه .

أعلن جيتر : " ما عدد شهود المعارضة ؟ " . وقفت ونظرت حولي فلم أجد أحدًا آخر من مقاطعة فورد ثم قلت : " أعتقد أنني الشاهد الوحيد " .

" تابع يا سيد ترواينور " .

ولم يكن لدى أدنى فكرة ماذا أقول ، أو ما الذى كان مسموحًا به أو محظورًا فى مثل هذه القضية . ولكن وفقًا لما شهدته لتوى ، فكرت فى أنه فى إمكانى قول ما يحلو لى . فالقاضى جيتر البدين سيطالبنى بالجلوس بالطبع إن تطرقت داخل أرض محظورة .

نظرت إلى أعضاء الهيئة وحاولت أن أبذل قصارى جهدى لأتجاهل طعنات آل بادجيت وانخرطت فى وصف تصويرى لحادث القتل والاغتصاب . وقد قلت كل شيء استطعت تذكره ، ولكننى أكدت على وجه الخصوص أن الطفلين شهدا بعضًا من الحادث أو كله .

وقد انتظرت أن يعترض لوشيان ، ولكن لم يصدر من مجموعتهم سوى الصمت . وأعضاء الهيئة الذين كانوا مصابين بغيبوبة قبل قليل استيقظوا فجأة ، وأخذوا يراقبوننى ، وينصتون بإمعان للتفاصيل البشعة لحادث القتل . وصفت الجروح . وجسدت مشهد وفاة رودا بين يدى السيد ديس وهى تقول : " لقد كان دانى بادجيت . لقد كان دانى بادجيت " .

وقد نعت لوشيان بالكاذب واستهزأت بما قاله عن المحاكمة . وقلت إن الأمر لم يتطلب من المحلفين أكثر من ساعة ليجدوا المتهم مذنبًا .

وبسرد أدهشنى أنا نفسى قمت بالتحدث عن شهادة دانى المثيرة للشفقة فوق منصة الشهود : استخدام المكر والخداع لتغطية أكاذيبه . قلت : " كان لابد أن تتم مقاضاته بتهمة الحنث باليمين " .

" وحينما انتهى من الشهادة ، بدلاً من أن يعود إلى مقعده سار باتجاه صفوف المحلفين ورفع إصبعه فى وجوههم وقال : إن قمتم بإدانتى فسوف أقتص من كل واحد منكم " .

وقد اهتز أحد أعضاء الهيئة ويدعى هوراس أدلر فى مقعده وقال من غير تفكير موجهًا كلامه لآل بادجيت : " هل هذا صحيح ؟ " .

قلت سريعًا قبل أن تتاح للوشيان الفرصة أن يكذب ثانية : " إن كل شيء مسجل فى تقرير القضية " . كان يقف ببطء على قدميه .

ألح أدلر فى السؤال : " هل هذا صحيح يا سيد ويلبانكس ؟ " .

سأل عضو آخر فى الهيئة : " هل قام بتهديد هيئة المحلفين ؟ " .

قلت : " إن لدى نسخة من التقرير . وسوف يسعدنى أن أرسلها لك " .

سأل أدلر للمرة الثالثة : " هل هذا صحيح ؟ " .

قلت : " لقد كان هناك ثلاثمائة شخص فى قاعة المحكمة " ، ثم ظللت أحدق فى لوشيان وأقول له بعينى ، لا تفعل هذا ، لا تكذب حيال هذا الأمر .

قال أحد أعضاء الهيئة : " اصمت يا سيد ترانيور " .

قلت ثانية : " إن كل شيء مسجل فى تقرير القضية " .

صاح جيتر : " يكفى هذا ! " .

كان لوشيان واقفا ويحاول التفكير فى رد مناسب . كان الجميع منتظرين وأخيرًا قال : " أنا لا أتذكر كل شيء قيل فى المحاكمة " ، فضحكت أنا ضحكة سخرية قصيرة ، ثم قال : " ربما قال موكلى شيئًا ما مثل هذا ، ولكنها كانت لحظة انفعال ، وفى أوج أية معركة من الوارد أن يحدث شيء مثل هذا . ولكن إذا وضعنا فى اعتبارنا السياق ... " .

صحت على لوشيان قائلاً : " اللعنة على السياق " ، ثم أخذت خطوة باتجاهه وكأنني أنوى لكمه فى وجهه . وقد سار أحد الحراس باتجاهى فتوقفت . قلت فى غضب : " إن هذا مكتوب صراحة فى تقرير القضية ! " . ثم استدرت ناحية الهيئة وقلت : " كيف تجلسون هناك وتتركونهم يكذبون بهذه الطريقة ؟ ألا تريدون أن تسمعوا الحقيقة ؟ " .

سأل جيتر : " هل لديك شيء آخر لتقوله يا سيد ترواينور ؟ " .

" نعم ! أتمنى ألا تجعل هذه الهيئة نظامنا القضائى يبدو فاشلاً وتسمح لهذا الرجلِ بمغادرة السجن بعد ثمانى سنوات . فهو محظوظ بما فيه الكفاية لأنه يجلس بيننا الآن وليس فى عداد الأموات حيث ينتمى . وأتمنى إن عقدتم جلسة استماع أخرى ـ هذا إن كانت هناك جلسة أخرى ـ لإطلاق سراح المتهم أن تقوموا بدعوة بعض من رجال مقاطعة فورد الصالحين . ربما الشريف أو المدعى العام . وهل يمكنكم كذلك إبلاغ أسرة الضحية ؟ فإن لهم الحق فى أن يكونوا هنا حتى تروا وجوههم حينما تطلقون سراح هذا القاتل " .

وقد جلست وأنا أستشيط غضبًا . نظرت إلى لوشيان ويلبانكس وقررت أننى سوف أعمل جاهدًا كى أظل أمقته طوال حياتى وحياته ، اعتمادًا على أى حياة تنتهى أولاً . وقد أعلن جيتر عن فترة راحة قصيرة ، وقد افترضت أنهم بحاجة للاجتماع فى حجرة خلفية وعد نقودهم . ربما يستدعون السيد بادجيت لدفع مزيد من المال لعضو أو اثنين من أعضاء الهيئة . ولإثارة حنق محامى الهيئة ، قمت بتدوين صفحات من الملاحظات من أجل التقرير الذى حظر علىّ كتابته .

وقد انتظرنا ثلاثين دقيقة قبل أن يعودوا ثانية ، وهم يبدون مذنبين بطريقة ما . وقد طلب جيتر من الأعضاء التصويت . وقد

صوّت اثنان لصالح إطلاق السراح المشروط ، واثنان ضده ، وامتنع واحد عن التصويت . أعلن جيتر : " تعلن المحكمة رفضها لإطلاق سراح المتهم " ، وانفجرت السيدة بادجيت في البكاء ، ثم احتضنت داني قبل أن يأخذوه بعيدًا .

مر لوشيان وآل بادجيت أمامي عند مغادرتهم للقاعة . تجاهلتهم وأخذت أحدق في الأرض وأنا منهك وأعاني من آثار الشراب ومصاب بالصدمة والدهشة لأن المحكمة رفضت الالتماس .

أعلن جيتر : " والجلسة التالية خاصة بالمتهم تشارلز دى . باوى " ، وكانت هناك حركة حول الطاولات عند إدخال المتهم التالى . وقد سمعت شيئًا عن تحرش جنسى ، ولكنى كنت متعبًا لدرجة لم تجعلنى أكترث كثيرًا . وفى النهاية غادرت القاعة وسرت بالردهة شبه متوقع أن يداهمنى آل بادجيت ، وكان ذلك لا بأس به لأننى كنت أفضل إنهاء هذا الأمر .

ولكنهم تفرقوا ، ولم يكن هناك أثر لهم حينما كنت أغادر البناية وأقود سيارتى خارج البوابة الرئيسية عائدًا إلى كلانتون .

الفصل الرابع والثلاثون

كانت جلسة الاستماع لإطلاق السراح المشروط تتصدر الصفحة الأولى بجريدة التايمز بمقاطعة فورد . وقد حشوت داخل التقرير جميع التفاصيل التى استطعت تذكرها ، وفى الصفحة الخامسة نشرت مقالاً لاذعًا عن الجلسة . أرسلت بنسخة منه إلى كل عضو من أعضاء هيئة إطلاق السراح ونسخة لمحاميها ، وكذلك نسخة لكل عضو من أعضاء هيئة التشريع والنائب العام ونائب الحاكم ، وأرسلت للحاكم نسخة تكميلية . وقد تجاهلها معظمهم ولكن محامي هيئة إطلاق السراح لم يفعل ذلك .

فقد أرسل لى خطابًا طويلا قال فيه إنه حانق بسبب " انتهاكى المتعمد لإجراءات هيئة إطلاق السراح " . وكان يفكر فى عقد جلسة مع النائب العام يقومان فيها بتقييم خطورة أفعالى ، وربما يقاضوننى ، وقد يتسبب عن ذلك عواقب وخيمة .

وقد أكد لى المحامي الخاص بى هارى ريكس أن الاجتماعات السرية لهيئة إطلاق السراح غير دستورية بالمرة وتعد انتهاكًا

صريحاً للتعديل الدستورى الأول ، وأنه يسعده الدفاع عنى فى المحكمة الفيدرالية ـ مقابل أجر أقل بالطبع .

وقد تبادلت خطابات ساخنة مع محامى الهيئة طوال شهر قبل أن يسأم من أمر مقاضاتى .

وكان لريف ـ مطارد سيارات الإسعاف الخاص بهارى ريكس ـ صديق حميم يدعى باستر ، وهو راعى بقر ضخم يحمل مسدسًا فى كل جيب . وقد استأجرت باستر مقابل مائة دولار فى الأسبوع وادعيت أنه حارسى الخاص . وطوال ساعات قليلة بالنهار كان يتسكع حول الجريدة أو يجلس فى المشى أو فى إحدى الشرفات ، أو فى أى مكان يمكن للآخرين من خلاله رؤيته حتى يعلموا أن ويلى ترااينور مهم بما فيه الكفاية كى يعين حارسًا شخصيًا . فإن اقترب آل بادجيت بما فيه الكفاية كى يطلقوا النار علىَّ ، فعلى الأقل سوف يجدون من يبادلهم إطلاق النار .

بعد سنوات من اكتساب الوزن بدون توقف وتجاهل تعليمات أطبائها ، لانت السيدة كالى فى النهاية . فبعد زيارة سيئة للعيادة أعلنت لإيساو أنها سوف تتبع نظامًا غذائياً ـ ١٥٠٠ سعر حرارى فى اليوم عدا يوم الخميس . وقد مر شهر دون أن ألحظ أى نقصان فى وزنها . ولكن فى اليوم التالى لنشر تقريرى بالتايمز عن جلسة الاستماع بِدت فجأة وكأنها فقدت خمسين رطلاً .

فبدلا من قلى الدجاج قامت بطهوه فقط . وبدلاً من عجن البطاطس المهروسة بالزبد والكريمة الدسمة وتغطيتها بصلصة مرق اللحم ، قامت بسلقها . ولكن الطعام كان لا يزال شهيًا ، على الرغم من أن جسمى كان قد اعتاد هذه الجرعة الأسبوعية من الدهون .

وبعد الدعاء سلمتها خطابين من سام . وكالعادة قرأتهما فورًا في حين بدأت أنا في تناول الغداء . وكالعادة ابتسمت وضحكت ومسحت دمعتها في النهاية ، ثم قالت : " إنه بخير " .

وبمثابرة آل روفين المعهودة أنهى سام عامه الجامعى الأول في الاقتصاد ، وكان يوفر مالاً للالتحاق بكلية الحقوق . وكان يريد بشدة العودة إلى الوطن ، وكان متعبًا من برودة الجو هناك . وفوق كل شيء كان يفتقد أمه بشدة ، وطعامها بالطبع !

وقد عفا الرئيس كارتر عن الهاربين من الخدمة العسكرية ، وكان سام مترددًا بين البقاء في كندا أو العودة إلى الوطن . فالعديد من أصدقائه المغتربين هناك كانوا ينصحونه بالبقاء والسعي للحصول على الجنسية الكندية ، وقد كان واقعًا تحت تأثيرهم بشدة . وكانت هناك امرأة كذلك في الصورة ، على الرغم من أنه لم يخبر والديه عنها .

وفي بعض الأحيان كنا نبدأ بالتحدث عن الأخبار ولكننا في العادة كنا نتحدث عن أخبار الوفيات أو حتى الإعلانات المبوبة . وحيث إنها كانت تقرأ كل كلمة ، كانت السيدة كالى تعلم من يبيع بعض كلاب الصيد ومن يرغب في شراء جزازة حشائش مستعملة في حالة جيدة . وحيث إنها كانت تقرأ كل كلمة في كل أسبوع فإنها كانت تعلم المدة التي ظلت فيها مزرعة صغيرة أو سيارة متنقلة مطروحة للبيع في السوق . وكانت تعلم الأسعار والقيم . فكانت أي سيارة تمر بالشارع أثناء تناولنا الغداء فتسألني : " أى موديل هذا ؟ " .

فكنت أجيبها : " إيه بلاى ماوث واستر ٧١ " .

فتسكت لبرهة ثم تقول : " إن كانت بحالة جيدة ، فإنها تساوى نحو ألفين وخمسمائة دولار " .

وذات مرة كان ستان أكتفيدج راغبًا فى بيع قارب صيد يبلغ طوله أربعة وعشرين قدمًا كان يمتلكه . اتصلت بالسيدة كالى والتى قالت : " نعم ، هناك رجل من كاراواى كان يبحث عن واحد منذ ثلاثة أسابيع " . وقد تحققت من قسم الإعلانات المبوبة ووجدت الإعلان . وقد باع له ستان القارب فى اليوم التالى .

وكانت تحب كذلك التنويهات القانونية ، وهى واحدة من أكثر الإعلانات التى تدر ربحًا على الجريدة . فكان من الضرورى أن تنشر فى الجريدة المحلية صكوك نقل الملكية وحبس الرهن وقضايا الطلاق والأشياء المتعلقة بإثبات صحة وصية المتوفى وإعلانات الإفلاس وجلسات المحاكمة وعشرات التنويهات القانونية . وكنا ننشرها جميعًا ونتقاضى عنها أموالاً طائلة .

قالت : " أرى أنك نشرت إثبات صحة وصية السيد إفريت واينرايت " .

قلت وفمى ملئ بالطعام : " أنا لا أتذكر نعيه ، متى توفى ؟ " .

قالت : " منذ خمسة أو ستة أشهر . ولكن نعيه لم يكن جيداً بما فيه الكفاية " .

قلت : " إننى أستعين فقط بما تعطينى إياه عائلة المتوفى . هل كنت تعرفينه ؟ " .

" كان يمتلك محل بقالة بالقرب من خطوط السكة الحديد للعديد من السنوات " . وقد تولد لدى انطباع من نبرة صوتها أنها لم تكن تكترث كثيرًا لأمر السيد إفريت واينرايت .

قلت : " هل كان رجلا صالحا أم العكس ؟ " .

قالت : " لقد كان لديه قائمتان للأسعار ، واحدة للبيض وواحدة بأسعار أعلى للسود . ولم تكن على بضائعه أية بطاقات ، كما أنه كان الصراف الوحيد . فكان زبونًا أبيض يناديه قائلاً : " يا سيد

واينرايت ، ما سعر عبوة اللبن المكثف هذه ؟ " ، فكان يصيح قائلاً : " ثمانية وثلاثين سنتًا " . ثم بعد دقيقة كنت أسأله : " من فضلك يا سيد واينرايت ، ما سعر عبوة اللبن المكثف هذه ؟ " ، فكان يقول : " أربعة وخمسين سنتًا " ! إنه لم يكن يحاول إخفاء هذا الأمر ، فلم يكن ليكترث لهذا " .

وطوال تسع سنوات ، سمعت قصصًا عن الأيام الخوالى . وفى بعض الأحيان كنت أعتقد أننى سمعت جميع الحكايات ، ولكن تشكيلة السيدة كالى لم تنضب أبدًا .

سألتها : " ولماذا كنت تتسوقين من هناك ؟ " .

قالت : " لقد كان المتجر الوحيد الذى بإمكاننا التسوق منه . وكان السيد مونتى جريفين يدير متجرًا أفضل خلف دار السينما القديمة ، ولكن لم يصبح بإمكاننا التسوق هناك حتى عشرين عامًا مضت " .

تعجبت قائلاً : " ومن الذى كان يمنعكم ؟ " .

قالت : " السيد مونتى جريفين . فإنه لم يكن يهتم إن كان بحوزتك مالاً ، ولكنه لم يرغب فى وجود أية زنوج بمتجره " .

قلت : " لكن السيد واينرايت لم يهتم لذلك ؟ " .

قالت : " بل كان مهتمًا . فهو لم يكن يريدنا ، ولكنه كان يريد أموالنا " .

وقد أخبرتنى بقصة غلام أسود كان يتسكع حول المتجر حتى أمسك به السيد واينرايت وضربه بمكنسة وطرده بعيدًا . وللانتقام ، ظل الفتى يقتحم المتجر مرة أو مرتين كل عام طوال فترة طويلة ولم يتمكن أحد من القبض عليه . كان يسرق السجائر والحلوى ويحطم جميع المكانس .

سألتنى : " هل صحيح أنه ترك كل أمواله لإحدى دور العبادة " .

" تلك هى الشائعة التى يتناقلها الناس " .

" ما المبلغ الذى تركه ؟ " .

" نحو مائة ألف دولار " .

" يقول الناس إنه يحاول دخول الجنة بأمواله " . وقد توقفت منذ فترة طويلة عن الدهشة من الأخبار التى تسمعها السيدة كالى من الجهة الأخرى من البلدة . فالعديد من صديقاتها يعملن كمديرات منزل هناك . والخادمات عادة ما يعرفن كل شىء .

وقامت مرة أخرى بإدارة دفة الحوار لتتحدث عن موضوع الآخرة والحياة بعد الموت . فكانت السيدة كالى قلقة للغاية على روحى . فقد كانت قلقة لأننى لم أكن تقيًا بالدرجة المطلوبة . ففى اعتقادها ، بمجرد أن يصل المرء لسن معنية " سن التكليف " ، فإنه لكى يزحزح عن النار لابد أن ينصاع لتعاليم دينه .

وكانت السيدة كالى تحمل على عاتقها حملاً ثقيلاً لأننى لم أكن أفعل ذلك .

وبعد زيارتى لسبع وسبعين دار عبادة مختلفة ، يجب أن أعترف بأن الغالبية العظمى من أهل مقاطعة فورد يشاركونها معتقداتها . وبالطبع كان هناك بعض التنوعات .

ومع ذلك ، فقد كان هناك أمل فىّ . فكانت السيدة كالى سعيدة لأننى أذهب لدور العبادة وأتلقى التعاليم الدينية . لقد كانت مقتنعة ـ وتصلى من أجلى كثيرًا ـ بأنه فى يوم ما سيمس الإيمان قلبى ، ولن أعصى الله ثانية ، وحينها سنمضى سرمديتنا معاً .

فكانت السيدة كالى تنتظر بلهفة اليوم الذى تنتقل فيه إلى الدار الآخرة حيث مثواها الأخير .

قالت : " سوف يترأس رجل الدين سمال عشاء خيريًا هذا الأسبوع " . لقد كانت بذلك تدعونى لأن أذهب معها إلى دار العبادة . ولكن طقوس رجل الدين سمال الطويلة كانت تفوق قدرتى على التحمل ..

قلت : " شكرًا لك ولكننى سأواصل جولتى على دور العبادة فى الأسبوع المقبل " .

كانت دار العبادة الثامنة والسبعين فى قائمتى عبارة عن جوهرة صغيرة فى أسفل تل ، بجوار خليج أسفل مجموعة من شجر البلوط التى يبلغ عمرها مائتى عام على الأقل . كان مبنى ذا إطار أبيض وطويل وغيرٍ عريض وله سقف قصديرى منحدر وبرج أحمر ، والذى كان طويلا لدرجة أنه تاه وسط شجر البلوط . وكانت الأبواب الأمامية مفتوحة على مصراعيها مما يغرى أى أحد للدخول والعبادة . وكان هناك حجر أساس منقوش عليه التاريخ ١٨١٣ .

جلست بالصف الأخير ـ مكانى المعتاد ـ بجوار رجل حسن الهندام يبدو أنه يعيش فى تلك المنطقة منذ فترة طويلة . وقد قمت بإحصاء ستة وخمسين مصليًا آخر فى هذا الصباح . كانت النوافذ مفتوحة وفى الخارج كان هناك نسيم خفيف يتخلل الأشجار ويلطف من حدة الصباح المحموم .

وكان رجل الدين هناك رجلاً لطيفًا . وقد قابلته مرتين على مر السنين بينما كنت أتجول هنا وهناك لجمع المعلومات اللازمة لكتابة أخبار الوفيات . وإحدى الفوائد التى جنيتها من جولتى على دور العبادة هى تعرفى على رجال الدين . فقد زاد ذلك أخبار الوفيات ثراءً .

حدق رجل الدين في الحاضرين وأدرك أنني كنت الزائر الوحيد . وقد دعاني ورحب بي وأخذ يمزح معي ويستحثني على تغطية هذه الزيارة بشكل جيد في التايمز . فبعد أربع سنوات من زيارة سبع وسبعين دار عبادة والكتابة عنها أصبح من المستحيل أن أذهب لإحدى الدور دون أن يلاحظني أحد .

ولم أعلم قط ماذا أتوقع في تلك الدور الريفية وفي أغلب الأحيان كانت الطقوس عادية وطويلة .

وبينما كنت أغادر المبنى ، رأيت رجلاً قعيداً يدفعه أحدهم على الطريق المنحدر الخاص بالمعاقين . لقد كان وجهًا رأيته قبل ذلك وقد سرت باتجاهه لألقي التحية . لقد كان ليني فارجرسون - الفتى المعوق - المحلف رقم ثمانية أو سبعة ، والذي يبدو أن حالته قد تدهورت . فأثناء المحاكمة في عام ١٩٧٠ كان قادرًا على السير وإن كان ليس بشكل جيد . الآن أصبح قعيداً . قدّم والده نفسه إليّ ، وكانت والدته منخرطة في توديع النساء الأخريات .

سألني فارجرسون : " هل تسمح لي بدقيقة ؟ " . وفي المسيسيبي يعني هذا السؤال : " إننا بحاجة للتحدث وقد يطول الحديث بعض الشيء " . جلست على مقعد أسفل إحدى شجر البلوط . دفعه والده نحوي ثم تركنا وحدنا .

قال : " إنني أقرأ جريدتك كل أسبوع . هل تظن أن بادجيت سيخرج من السجن ؟ " .

" بالطبع . إنها فقط مسألة وقت . يمكنه طلب عقد جلسة استماع لإطلاق سراحه مرة كل عام " .

قال : " هل سيعود إلى هنا ، إلى مقاطعة فورد ؟ " .

هززت كتفي لأنني لا أملك أدنى فكرة ثم قلت : " ربما . إن آل بادجيت لا يبتعدون عن أرضهم " .

أخذ يفكر في هذا لبرهة . لقد كان نحيلاً وأحدب الظهر مثل كبار السن . وكما أتذكر ، فإنه كان تقريبًا في الخامسة والعشرين وقت المحكمة . فأنا وهو في نفس السن تقريبًا ولكنه يبدو أكبر مني مرتين على الأقل . وكنت قد سمعت قصة إصابته قبل ذلك - فكان قد أصيب في منشرة .

سألته : " هل يخيفك هذا ؟ " .

ابتسم وقال : " لا شيء يخيفني يا سيد ترواينور . إن الله يرعاني " .

قلت وأنا مازلت متأثرًا بالخطبة الدينية التي سمعتها : " نعم بالتأكيد " . وبسبب حالته الجسدية والكرسي المتحرك ، كان من الصعب فهم شخصية ليني . فقد آسى كثيرًا . كان إيمانه قويًا وراسخًا ولكنني للحظة ظننت أنني رأيت أمارات الترقب والرهبة على وجهه .

سارت السيدة فارجرسون ناحيتنا .

سأل ليني : " هل ستكون هناك حينما يطلقون سراحه ؟ " .

" أحب ذلك ولكنني لا أعرف كيف " .

" هل ستتصل بي حينما تعلم أنه خرج ؟ " .

" بالطبع " .

كانت السيدة فارجرسون تشوي لحمًا لغداء هذا اليوم ولم تكن لتقبل رفضي لدعوتها . وشعرت فجأة بأنني جائع ولم يكن هناك كالعادة طعامًا شهيًا في منزل هوكيت . فكان طعام اليوم عبارة عن ساندوتش بارد وكوب من الشراب في الشرفة الأمامية أتبعهما بقيلولة طويلة .

كان ليني يعيش مع والديه في منزل يقع على الطريق الحصوي على بعد ميلين من دار العبادة . كان والده ساعي بريد ووالدته

معلمة . وكان له أخت كبرى فى توبيلو . وفى أثناء تناول طعام الغداء الشهى والذى يشبه فى مذاقه اللذيذ طعام السيدة كالى - والمكون من اللحم والبطاطس والشاى أعدنا إحياء قضية كاسيلو وجلسة المحاكمة الأولى لدانى بادجيت . ربما كان لينى لا يكترث كثيرًا لإطلاق سراح دانى المحتمل ، ولكن والديه كانا قلقين للغاية من هذا الاحتمال .

الفصل الخامس والثلاثون

وصلت الأخبار المهمة إلى كلانتون فى ربيع عام ١٩٧٨ . فشركة بارجين سيتى كانت فى طريقها إلينا ! فشأنها شأن محلات ماكدونالدز ومحلات الأطعمة السريعة الأخرى التى انتشرت فى كل مكان بالبلاد ، كانت شركة بارجين سيتى عبارة عن سلسلة محلات قومية تنتشر بسرعة هائلة فى بلدان الجنوب الصغيرة . ومعظم أهل البلدة شعروا بالسعادة لهذا . ولكن بعضهم شعر بأن ذلك هو بداية النهاية .

وكانت تلك الشركة تجتاج البلاد بسب ما تقدمه متاجرها من خصومات هائلة على البضائع . وكانت متاجرها واسعة ونظيفة وتتضمن مقاهى وصيدليات وبنوك وحتى متخصصين فى البصريات ووكالات سفر . وكانت أية بلدة صغيرة لا تضم أحد فروع بارجين سيتى تعتبر بلدة حقيرة بدون قيمة .

وقد اختاروا خمسين أكراً بشارع ماركت على بعد ميل تقريباً من ميدان كلانتون . وقد اعترض بعض الجيران وعقد مجلس المدينة

جلسة استماع عامة للاتفاق على السماح ببناء المتجر من عدمه . وقد لاقى متجر بارجين سيتى الكثير من المعارضة سابقاً ، ولكن كان لديه دوما استراتيجية شديدة الفعالية .

كانت حجرة المجلس مكتظة بأناس يحملون شعارات بارجين سيتى البيضاء والحمراء ـ *بارجين سيتى : نعم الجار ونحن نريد وظائف* . وكان المهندسون والمعماريون والمقاولون هناك بصحبة سكرتيراتهم وزوجاتهم وأطفالهم . وكان مرسومًا على شفاهم صورة مضيئة للنمو الاقتصادى وعوائد ضرائب المبيعات ومائة وخمسين وظيفة للمحليين وأفضل البضائع بأقل الأسعار .

وكانت السيدة دوروثى هوكيت من المعارضين لإقامة المشروع . فكان العقار الخاص بها مجاورا للموقع ، ولم تكن ترغب فى تحمل كل الصخب والأضواء الذى سيجلبها المشروع . وكان مجلس المدينة يبدو متعاطفا معها ، ولكن القرار كان قد اتخذ منذ فترة طويلة . وحينما لم يتقدم أحد ليبدى اعتراضه على بارجين سيتى وقفت وسرت ناحية المنصة . فكنت أومن بأنه كى نحافظ على منطقة وسط كلانتون لابد أن نحمى المتاجر والمحلات والمقاهى والمكاتب المنتشرة بالميدان . وبمجرد أن نبدأ فى التوسع لن نستطيع أن نضع حدا لذلك . سوف تنجرف البلدة فى عشرات الاتجاهات ، كل منها يشمل جزءًا صغيرا لما كان كلانتون الأصلية .

وكانت معظم الوظائف التى يعدون بها فهى فى مقابل الحد الأدنى من الأجور . أما الزيادة فى عوائد ضرائب المبيعات للبلدة فسوف تكون على حساب التجار الذين ستفسد عليهم بارجين سيتى تجارتهم . إن الناس فى مقاطعة فورد لن يستيقظوا فى أحد الأيام ويبدأوا فجأة فى شراء المزيد من الدراجات والثلاجات فقط لأن بارجين سيتى تقدم عروضا مذهلة .

وقد أتيت على ذكر مدينة تيتوس ، والتى تبعد ساعة عن جنوبى كلانتون . فمنذ عامين افتتح متجر بارجين سيتى هناك . ومنذ ذلك الحين أغلق أربعة عشر متجرًا للبيع بالتجزئة ومقهى . كما أصبح الشارع الرئيسى هناك شبه مهجور .

وتحدثت عن مدينة مارشال ، التى توجد بالدلتا . ففى خلال الثلاث سنوات التى تلت افتتاح بارجين سيتى أغلق أقدم التجار هناك متاجرهم ، فتم إغلاق صيدليتين ومتجرين صغيرين ومتجر بقالة ومتجر لبيع الأجهزة ومحل ملابس للسيدات ومحل هدايا ومحل كتب صغير ومطعمين . وقد تناولت ذات مرة الغداء فى المطعم المتبقى وقالت لى النادلة ـ التى تعمل هناك منذ ثلاثين عامًا ـ إن أرباحهم قد انخفضت إلى نصف ما كانت عليه من قبل . وكان ميدان مارشال شبيه بميدان كلانتون فيما عدا أن معظم الأماكن المخصصة لانتظار السيارات كانت شاغرة . وكان هناك عدد قليل فقط من الناس هم من يسيرون فوق الأرصفة .

كما تحدثت عن مدينة تاكرفيل والتى يبلغ عدد سكانها نفس عدد سكان كلانتون . وبعد عام من افتتاح متجرٍ بارجين سيتى هناك اضطرت المدينة أن تدفع ١,٢ مليون دولار ثمنًا لإصلاحات الطريق كى يستوعب كم المرور الهائل الذى تلى هذا المشروع .

وقد سلمت الحاكم ورجال المجلس نسخًا من دراسة أجراها أستاذ فى الاقتصاد فى جامعة جورجيا ، فقد تتبع عمليات افتتاح بارجين سيتى فى الجنوب خلال الست سنوات الماضية ، وقيمَ النتائج المادية والاجتماعية التى أحدثتها الشركة على المدن التى يقل عدد سكانها عن عشرة آلاف مواطن . فقد بقيت عوائد ضرائب المبيعات كما هى ؛ فقد انتقلت حركة البيع ببساطة من التجار القدماء إلى بارجين سيتى . وكان معدل الوظائف كما هو ؛ فتم

استبدال الموظفين في المتاجر القديمة بوسط المدينة بموظفين جدد في بارجين سيتي . ولم تقم الشركة بأي استثمار ملموس في المجتمع بخلاف شرائها للأرض التي بنت عليها مبناها . في الحقيقة ، إنها لم تضع حتى أموالها في البنوك المحلية . ففي منتصف الليل من كل ليلة كانت الإيرادات اليومية ترسل إلى الفرع الرئيسي في جانزفيل ، فلوريدا .

وقد خلصت الدراسة إلى أن هذا التوسع مربح بالنسبة لحاملي أسهم بارجين سيتي ، ولكنه كان مدمراً لاقتصاد معظم المدن الصغيرة ، ولكن الدمار الحقيقي كان ثقافياً . فمع خلو المتاجر من الزبائن وخلو الأرصفة من المارة ، كانت الحياة الثرية في الشوارع الرئيسية وميادين قاعات المحاكم تحتضر سريعاً .

وكان الالتماس المؤيد لبارجين سيتي يضم ٤٨٠ صوتاً . أما التماسنا المعارض فكان يضم ١٢ صوتاً . وقد صوت أعضاء المجلس بالإجماع (٥ ــ ٠) لصالح المشروع . وقد كتبت مقالاً حياً حاد اللهجة وطوال شهر كنت أتلقى خطابات لاذعة . ففي أول مرة في حياتي ينعتني أحد بـ " الوغد " .

وفي خلال شهر كانت الجرافات قد ساوت خمسين أكراً بالأرض تماماً ، وتم بناء الحواجز الحجرية والميازيب ، وقد أعلن عن الافتتاح الكبير في الأول من ديسمبر في رأس السنة . فمع وجود المال الوفير لم تكن الشركة تهدر وقتاً إضافياً في بناء مبانيها . فكان من المعروف أن للشركة إدارة حاسمة وناجحة .

وقد احتل المتجر ومرآب إيقاف السيارات الخاص به نحو عشرين أكراً . وقد بيع الجزء المتبقي سريعاً لسلاسل محلات أخرى ، وقبل أن يمضي وقت طويل وافقت المدينة على افتتاح محلات أخرى ، منها محطات بنزين ومركز للترفيه وثلاثة مطاعم

لبيع الأكلات السريعة ومتجر أحذية ومتجر أثاث ومحل بقالة كبير .

ولم أستطع أن أرفض نشر إعلانات بارجين سيتى . وأنا لم أكن بحاجة لمالهم ، ولكن بما أن التايمز كانت الجريدة المحلية الوحيدة كان لابد من نشر إعلاناتهم . (وكرد فعل لعملية التوسع التى استثرتها فى عام ١٩٧٧ ظهرت جريدة أخرى صغيرة تابعة للحزب اليمينى تدعى " كلانتون كرونيكل " ولكنها كانت تعانى صعوبات بالغة) .

وفى منتصف نوفمبر قابلت ممثل الشركة واتفقنا على نشر سلسلة من الإعلانات الغالية استعداداً للافتتاح . وكنت أبالغ فى الأسعار بقدر استطاعتى ولكنهم لم يشكوا من ذلك مطلقاً .

وفى الأول من ديسمبر قام المحافظ والسيناتور مورتون - وعدد من الشخصيات البارزة الأخرى - بقص شريط المتجر . وقد اندفعت الجماهير الغفيرة خلال الأبواب وبدأوا فى التسوق مثل الجوعى الذين عثروا على طعام . وكانت الطرق الرئيسية المؤدية إلى المدينة مكتظة بالسيارات .

وقد رفضت أن أغطى هذا الحدث فى الصفحة الأمامية ، وقمت بكتابة قصة صغيرة عنها فى الصفحة السابعة ، وقد أغضب ذلك المحافظ وعضو مجلس الشيوخ - مورتون - وباقى الشخصيات البارزة . فقد توقعوا أن ينشر حدث قص الشريط بالصفحة الأولى .

كان موسم رأس السنة قاسيًا على تجار وسط المدينة ، فبعد ثلاثة أيام من رأس السنة سقطت أول ضحية حينما أعلن متجر ويسترن أوتو القديم عن إغلاق أبوابه . لقد ظل هناك فى نفس هذا المبنى طوال أربعين عاماً يبيع الدراجات والأجهزة والتليفزيونات . وقد أخبرنى المالك السيد هوليس بار بأن جهاز تلفاز ملون من نوع " زينث "

كلفه ٤٣٨ دولاراً وبعد أن قام بتخفيض السعر عدة مرات عرضه للبيع بسعر ٥١٠ دولارات . ولكن بارجين سيتي كانت تبيعه بسعر ٣٩٩ دولاراً .

وكان خبر إغلاق متجر ويسترن أوتو بالطبع يتصدر الصفحة الأولى .

وقد تلى ذلك إغلاق صيدلية سوين الواقعة إلى جوار تي شوبي ، ثم متجر هدايا ماجي الذى يقع إلى جوار متجر السيد ميلتو للخردوات . وقد قمت بتغطية كل خبر من هؤلاء وكأن شخصًا ما قد توفى وكانت قصصى تشبه إلى حد ما أخبار الوفيات .

وقد أمضيت فترة ما بعد الظهيرة فى أحد الأيام مع التوءم ستوكس فى متجر الأجهزة الخاص بهما . كان مبنى قديمًا رائعًا ، ذا أرضيات خشبية متربة وأرفف مرتخية تحمل ملايين البضائع ومدفأة خلفية يناقشان الأمور أمامها حينما يصاب عملهما بالركود . ولم يكن بإمكانك أن تجد أى شىء فى هذا المتجر ولم يكن من المفترض أن تجد شيئًا . فكان النظام المتبع هو أن تسأل التوءم مثلا عن هذا " الشىء المسطح الصغير الذى يتلولب داخل العمود الموجود بصندوق طرد المرحاض " . بعد ذلك يختفى أحد التوءم فى داخل كومة الأدوات ويظهر بعد قليل وهو يحمل ذلك الشىء الذى يجعل صندوق الطرد يعمل . وأنت لا تستطيع أن توجه مثل هذا السؤال فى بارجين سيتى .

جلسنا عند المدفأة فى يوم شتوى بارد واستمعنا إلى الحديث الصاخب للسيد سيسل كليد بول ، وهو رائد جيش أسبق والذى إن تولى أمر السياسة القومية سوف يقتص من الجميع فيما عدا الكنديين . وكان أيضًا ليقتص من بارجين سيتى ، وباستخدام أبشع الألفاظ وأكثرها حدة ، شن هجومًا عنيفًا على الشركة بحماسة

كبيرة . وكان أمامنا وقت طويل للتحدث لأنه لم يكن هناك أية زبائن . وقد أخبرنى أحد الشقيقين بأن مبيعاتهما انخفضت بنسبة ٧٠٪ .

وفى الشهر التالى ، أغلقا أبواب المتجر الذى افتتحه والدهما فى عام ١٩٢٢ . وفى الصفحة الأولى نشرت صورة المؤسس وهو يجلس خلف طاولة فى عام ١٩٣٨ . وقد نشرت مقالاً افتتاحيًا آخر من نوع " ألم أقل لكم هذا " ؛ موجهًا إياه إلى كل من لايزال يقرأ خطبى المسهبة .

وقد حذرنى هارى ريكس كثيرًا قائلاً : " إنك تكثر من الوعظ ، ولا أحد ينصت إليك " .

كان من النادر أن يرتاد أحد المكتب الأمامى من التايمز . كانت هناك بعض الطاولات المبعثر فوقها نسخ حديثة من الجريدة . وكان هناك مكتب كانت مارجريت تستخدمه فى بعض الأحيان لكتابة الإعلانات . وكان جرس الباب الأمامى يدق طوال اليوم حيث يأتى الناس ويذهبون . ونحو مرة كل أسبوع ، كان شخص غريب يصعد إلى مكتبى الذى أتركه مفتوحًا دائمًا . وفى أغلب الأحيان يكون أحد الأقرباء المكلومين الذى يأتى ليناقش معى نعيًا سوف أقوم بنشره .

نظرت إلى أعلى فى ظهيرة أحد أيام مارس من عام ١٩٧٩ لأجد أمامى رجلا يرتدى حلة لطيفة يقف إلى جوار الباب . وبخلاف هارى ريكس الذى أحدث جلبة منذ أن كان فى الشارع وسمعه كل من فى المبنى حينما أتانى أول مرة ، فذلك الرجل صعد الدرج دون أن يصدر صوتًا .

كان اسمه جارى ماكجرو ، استشارى من ناشفيل والذى كان متخصصًا فى صحف المدن الصغيرة . وبينما كنت أعد قدحًا من القهوة أخبرنى بأن أحد زبائنه ميسورى الحال يخطط لشراء العديد من الصحف فى المسيسيبى عام ١٩٧٩ . ولأنه كان لدىً سبعة آلاف مشترك ولست مديونًا وأمتلك طابعة أوفسيت ، ولأننا الآن نتولى عملية الطباعة لست جرائد أسبوعية صغيرة ، بالإضافة إلى أدلة الشراء التى تنشرها ، كان زبونه متحمسًا للغاية لشراء جريدة التايمز بمقاطعة فورد .

سألته : " إلى أى مدى هو متحمس ؟ " .

" إنه متحمس للغاية . ووفقًا للأسعار السائدة فى السوق نستطيع تقييم شركتك " .

وقد غادر مكتبى وقمت أنا بالاتصال ببعض الأشخاص كى أتأكد من مصداقيته . وقد تأكدت من صحة كلامه وأحصيت مواردى الحالية . وبعد ثلاثة أيام تقابلنا مجددًا ، هذه المرة ليلاً . فلم أكن أرغب فى وجود ويلى أو باجى أو أى شخص آخر على مقربة منا . فأخبار انتقال ملكية جريدة التايمز من شخص لآخر من شأنها أن تكون موضوعًا ساخنًا يجعل المقاهى تفتح أبوابها فى الثالثة صباحًا بدلاً من الخامسة .

وقد أخذ السيد ماكجرو يحسب الأرقام كمحلل محترف بينما انتظرت أنا والتوتر يتملكنى كما لو أن ما سيقوله سيغير مجرى حياتى بالكامل .

" الجريدة تساوى مائة ألف دولارٍ بعد خصم الضرائب ، بالإضافة إلى راتبك الذى يقدر بخمسين ألفًا . وانخفاض قوة العملية الشرائية سيضيف للمبلغ عشرين ألفًا أخرى ، بدون فائدة لأنك لست مديونًا . وبذلك يكون الإجمالى هو مائة وسبعين ألف دولار نقدًا ،

وبعد أن نضرب هذا المبلغ في سنة يصبح لدينا مليون وعشرون ألف دولار " .

سألته : " وماذا عن المبنى ؟ " .

نظر حوله وكأن السقف قد ينهار فى أى لحظة ، وقال : " إن مثل هذا المبنى لا يساوى الكثير " .

قلت : " مائة ألف " .

" حسنًا " . ومائة ألف أخرى مقابل الطابعة الأوفسيت والمعدات الأخرى . وبذلك تكون القيمة الإجمالية مقاربة لاثنين مليون دولار " .

فسألته وأنا أكثر توترًا : " هل هذا عرض ؟ " .

أجاب : " قد يكون كذلك . لابد أن أتناقش فيه أولاً مع عميلى " .

ولم يكن لدى أدنى نية لبيع التايمز . فقد ترسخت قدماى داخل هذا المجال وصادفت بعض ضربات الحظ وعملت جاهدًا فى كتابة القصص وأخبار الوفيات وبيع صفحات من الإعلانات ، والآن وبعد تسع سنوات تساوى شركتى الصغيرة أكثر من مليون دولار .

وكنت ما أزال شابًا وأعزب على الرغم من أننى سئمت من كونى وحيدًا يعيش في منزل ضخم به ثلاث قطط متبقية من إرث هوكيت تأبى أن تموت . وقد تقبلت حقيقة عدم استطاعتى إيجاد عروس بمقاطعة فورد . فكل الفتيات اللائقات تزوجن فى العشرين من عمرهن ، وقد كنت كبيرًا لترضى بى فتاة فى هذه السن . وقد واعدت كل الشابات المطلقات ، ومعظمهن كن يقبلن سريعًا دعوتى للقدوم إلى منزلى حيث يحلمن بإنفاق كل المال الذى يشاع أننى أملكه . والوحيدة التى أعجبتنى حقًا كان لديها ثلاثة أطفال صغار .

ولكن انظر إلى كل تلك الأشياء التي من الممكن فعلها إن كان بحوزتك مليون دولار . فمنذ أن تلقيت هذا العرض لم أستطع أن أبعده عن ذهني . فقد أصحبت الوظيفة أكثر مللاً . وبدأت أستاء من أخبار الوفيات السخيفة وضغط المواعيد النهائية الذى لا ينتهي . وكنت أخبر نفسي على الأقل مرة يوميًا بأنني لست مضطرًا إلى أن أجوب الشوارع كي أبيع الإعلانات . فبإمكاني التوقف عن كتابة المقالات الافتتاحية ، ومعاناة تلقي الخطابات القذرة التي ترسل إلىّ .

ولكن بعد أسبوع ، أخبرت جارى ماكجرو بأن التايمز ليست للبيع . وقد قال لى إن زبونه قرر شراء ثلاث صحف بنهاية العام ، إذن فلدىّ متسع من الوقت للتفكير فى الأمر .

ولحسن الحظ أن أحدًا لم يعلم شيئًا عن مناقشاتنا تلك .

الفصل السادس والثلاثون

فى ظهيرة أحد أيام الخميس من شهر مايو تلقيت مكالمة هاتفية من محامى هيئة إطلاق السراح . فجلسة الاستماع الثانية لبادجيت سوف تعقد يوم الاثنين المقبل .

قلت : " إنه توقيت مناسب " .

سأل : " ولم ذلك ؟ " .

" فنحن ننشر الجريدة يوم الأربعاء ، إذن فليس لدىَّ وقت لنشر الخبر قبل جلسة الاستماع " .

قال : " إننا لا نراقب جريدتك يا سيد ترايبنور " .

قلت : " لا أصدق هذا " .

قال : " إن ما تعتقده ليس مهمًا . لقد قررت الهيئة عدم السماح لك بحضور جلسة الاستماع . لقد انتهكت قواعدنا فى المرة السابقة بنشر وقائع الجلسة " .

" إذن أنا ممنوع من الحضور ؟ " .

" هذا صحيح " .

" سوف آتى على أية حال " .

أغلقت الهاتف واتصلت بالشريف ماكنات . وقد تم إخباره هو الآخر بموعد الجلسة ، ولكنه لم يكن يعلم إن كان بإمكانه الحضور أم لا . فقد كان منشغلاً بمشكلة فقدان طفل (من ويسكونسين) ، وكان من الواضح أنه لا يرغب كثيرًا فى الاحتكاك بآل بادجيت .

أما محامي مقاطعتنا ـ السيد روفس باكلي ـ فكان لديه جلسة سطو مسلح يوم الاثنين فى مقاطعة فان بورن . وقد وعد بإرسال خطاب يعارض فيه إطلاق السراح ، ولكن الخطاب لم يصل قط . وكان القاضي الدورى عمر نوس يترأس نفس الجلسة ، لذا فلم يكن بإمكانه الحضور كذلك ، وبدأت أعتقد أنه لن يتواجد هناك أحد يعارض إطلاق سراح بادجيت !

وكنوع من المزاح طلبت من باجي الذهاب . وقد تردد ثم سرعان ما ألقى بوجهى قائمة من الأعذار .

ذهبت إلى هارى ريكس بهذه الأخبار . كان لديه قضية طلاق سيئة تبدأ في يوم الاثنين فى توبيلو ، ولولا ذلك كان ليذهب معى إلى بارشمان . قال : " إنهم سيطلقون سراح الفتى يا ويلى " .

قلت : " لقد منعنا ذلك فى العام الماضى " .

" بمجرد أن تبدأ جلسات إطلاق السراح ، يصبح خروج المتهم من السجن مسألة وقت " .

" ولكن شخصًا ما عليه الوقوف أمامهم " .

" ولماذا نشغل أنفسنا بهذا الأمر ؟ إنه سيخرج فى النهاية . لماذا نثير حنق آل بادجيت ؟ لن تجد متطوعين يقبلون الذهاب إلى الجلسة " .

وكان من الصعب حقًا إيجاد متطوعين ، حيث فضلت البلدة بأكملها الاختباء . وقد تخيلت جمهورًا غاضبًا يحتشد داخل قاعة المحكمة للاستماع إلى الجلسة وإثارة الاضطراب بها .

ولكن جمهوري الغاضب كان مكونًا من ثلاثة أشخاص .

وقد وافق ويلي ميك على الإتيان معي ـ على الرغم من أنه لم يكن ينوى التحدث . فإن كانوا جادين بشأن منعي من الدخول فسوف يحضر ويلي ويمدني بكل التفاصيل . وقد فاجأنا الشريف ماكنات بحضوره .

كانت الحراسة مشددة في الردهة خارج قاعة المحكمة . وحينما رآني محامي الهيئة استشاط غضبًا وتبادلنا الكلمات اللاذعة . وقد أحاطني الحراس المرتدون للزى الرسمي . وقد كانوا يفوقوننا عددًا كما أنني كنت غير مسلح . وتم طردي من المبنى ووضعي في سيارتي ثم وقف حارسان وحشيان منخفضا الذكاء يحرساني .

ووفقًا لويلي كانت الجلسة شديدة النظام . كان لوشيان هناك بصحبة العديد من آل بادجيت . وقد قرأ محامي المقاطعة تقريرًا جعل داني بادجيت يبدو مثل فتى الكشافة . وقد أخذت متقصية سيرته تثني عليه مجددًا . وقد تحدث لوشيان طوال عشر دقائق ، الهراء المعتاد . وقد تحدث والد داني أخيرًا والتمس من المحكمة إطلاق سراح ولده . فقد كانوا في أمس الحاجة له في موطنهم حيث تعمل العائلة في الأخشاب والحصى والأسفلت والشاحنات والمقاولات والشحن . فسوف يعمل في عدة وظائف لعدد طويل من الساعات ، الأمر الذي لن يسمح له بإيقاع نفسه في مزيد من المشكلات .

وقد مثل الشريف سكان مقاطعة فورد . كان متوترًا ولم يكن بالخطيب الفصيح ، ولكنه أبلى بلاء حسنًا في إعادة تجسيد

الجريمة . ولكن من الواضح أنه أغفل توجيه تركيز أعضاء الهيئة بأن دانى بادجيت قد قام بتهديد المحلفين الذى اختيروا من نفس صناديق الاقتراع التى تحوى الأشخاص الذين انتخبوه .

وقد صوت أربعة من أعضاء الهيئة مقابل واحد لصالح إطلاق سراح بادجيت !

كانت مدينة كلانتون محبطة للغاية . فى أثناء المحاكمة كانت المدينة متعطشة للغاية لإراقة الدماء وشعرت بالمرارة حينما لم تصدر المحكمة حكمًا بالإعدام . ولكن الآن انقضى تسع سنوات ، ومنذ جلسة الاستماع الأولى وتقبل الناس حقيقة أن دانى بادجيت سيخرج من السجن فى النهاية . ولكن لم يتوقع أحد أن يحدث هذا بمثل هذه السرعة ، ولكن بعد جلسة الاستماع تغلبنا على الصدمة .

وقد نتج إطلاق سراحه عن عاملين غريبين . الأول هو أن رودا كاسيلو لم يكن لها أية أقرباء يطالبون بتحقيق العدالة . ولم يكن لها إخوة غاضبون يبثون دومًا الحياة فى القضية . وقد اختفى طفلاها ونسى الناس أمرهما . لقد عاشت حياة منعزلة ولم تترك أصدقاء مقربين قد يرغبون فى الانتقام من قاتلها .

والعامل الثانى هو أن آل بادجيت كانوا يعيشون فى عالم آخر . فنادرًا ما كان يراهم أحد فى الأماكن العامة ، فلم يكن من الصعب أن نقنع أنفسنا بأن دانى سيذهب إلى الجزيرة ولن يراه أحد ثانية . إذن ما الفرق الذى سيشكله هذا لسكان مقاطعة فورد ؟ السجن أو جزيرة بادجيت ؟ فإن لم نره ثانية ، فلن نتذكر جرائمه . ففى خلال التسع سنوات التالية لمحاكمته لم أر قط ولو فردًا واحدًا من آل بادجيت فى كلانتون . وفى مقالى الافتتاحى القاسى عن الحكم بإطلاق السراح

قلت : " قاتل من ذوات الدم البارد أصبح مرة أخرى بيننا " . ولكن هذا لم يكن صحيحًا .

ولم تجلب قصة الصفحة الأولى أو المقال الافتتاحي أية خطاباتٍ من العامة . فقد تحدث الناس عن إطلاق السراح ، ولكن ليس طويلاً وليس بحدة .

دخل باجي مكتبى فى وقت متأخر من صباح أحد الأيام بعد أسبوع من إطلاق سراح بادجيت وأغلق الباب خلفه ، الأمر الذى يعد دومًا فأل خير . فقد سمع بعض الأخبار المثيرة التى يجب أن ينقلها لى والباب مغلق .

وأنا فى العادة أصل إلى مكتبى فى الساعة الحادية عشرة . ويبدأ هو فى تصيد الأخبار فى فترة الظهيرة ؛ مما يمنحنا نحو ساعة نناقش فيها الشائعات وأخبار البلدة .

نظر حوله وكأن الجدران تتصنت علينا ثم قال : " لقد دفع آل بادجيت مائة ألف لإطلاق سراح الفتى " .

ولم يذهلنى المبلغ ولا حتى مسألة الرشوة فى حد ذاتها ، ولكنى كنت مندهشًا لأن باجى توصل لمثل هذه المعلومة .

قلت : " لا ، لم يحدث هذا " . فتلك كانت هى الطريقة التى تستحثه على قول المزيد .

قال وهو معتد بنفسه جوابه المعتاد حينما يكون لديه سبق ما : " إن هذا هو ما أخبرك به " .

سألته : " ومن أخذ المال ؟ " .

" هذا هو الجزء الشيق . إنك لن تصدق هذا " .

" من ؟ " .

" سوف تصاب بالصدمة " .

" من ؟ " .

وببطء شديد انخرط فى إشعال سيجارة . وفى السنوات الأولى من معرفتى به كنت أستشيط غضبًا حينما يؤخر إعلان ما لديه من أنباء مثيرة بهذه الطريقة ، ولكننى مع الوقت اعتدت على ذلك وبدأت أعتقد أنه لا ضرر فى هذا . لذا فقد واصلت كتابة الملاحظات .

قال وهو يتفكر ويتأمل : " ولكن لا يجب أن يفاجئك هذا ، فهو لم يفاجأنى إطلاقًا " .

" هل ستخبرنى أم لا ؟ " .

" ثيو " .

" عضو مجلس الشيوخ مورتون ! " .

" إن هذا هو ما أخبرك به " .

كنت مصدومًا بما فيه الكفاية وكان لابد أن أجعله يشعر بذلك وإلا تفقد القصة إثارتها . سألت : " ثيو ؟ " .

قال : " إنه نائب رئيس لجنة التصحيح بمجلس الشيوخ . ووجوده هناك منذ فترة طويلة جعله يدرك كيف يجذب الخطوط الصحيحة . لقد أراد مائة ألف ورغبت عائلة بادجيت فى دفعها ، فعقدوا الصفقة . الأمر بهذه البساطة " .

قلت وأنا أعنى ذلك : " لقد كنت أعتقد أن ثيو ممن لا يأخذون الرشاوى " ، وقد استثارت تلك العبارة ضحكة مبالغًا فيها لدى باجى .

قال : " لا تكن ساذجًا " . فمرة أخرى هو يعلم كل شىء .

قلت : " أين سمعت هذا ؟ " .

قال : " لا أستطيع أن أقول لك " . فكان هناك احتمال أن عصابة البوكر خاصته قد قامت بترويج هذه الشائعة لرؤية السرعة التى سوف تتردد بها خلال الميدان قبل أن تعود إليهم ، ولكن كان هناك

احتمال آخر أن باجي يقول الحقيقة . ولكن لم يكن ذلك مهمًا . فالأموال لا يمكن تتبعها .

فقط حينما توقفت عن الحلم بشأن التقاعد المبكر وأخذ الأموال والانتقال بعيدًا والسفر إلى أوروبا ومنها إلى أستراليا ، وفقط حينما بدأت أعتاد ثانية على روتين تغطية القصص وكتابة أخبار الوفيات وبيع الإعلانات لكل تاجر فى البلدة ، عاود السيد جارى ماكجرو الظهور فى حياتى . وقد أحضر زبونه معه .

كان راى نوبل واحدًا من الرؤساء الثلاثة لشركة تمتلك بالفعل ثلاثين جريدة أسبوعية فى أقصى الجنوب وتريد شراء المزيد . وشأنه شأن صديقى بالجامعة نيك دينير فقد تربى فى كنف أسرة تعمل فى مجال الصحافة ولديه خبرة كبيرة بها . وقد جعلنى أتعهد له بالمحافظة على سرية الموضوع ، ثم قال لى إن شركته كانت تريد شراء التايمز بالإضافة إلى الصحف الأخرى فى مقاطعة تايلور وفان بورين . وقد كان ينوى التخلص من كل المعدات بالجريدتين الأخريين ويقومون بالطباعة فى كلانتون فقط لأنه كان لدينا طابعة أفضل . وكانوا سيدمجون الحسابات ومعظم مبيعات الإعلانات . وكان عرضهم الذى يقدر بـ ١,٢ مليون دولار هو أكبر تقدير لقيمة شركتى المالية .

وهم الآن يعرضون على ١,٣ مليون دولار . نقدًا .

قال نوبل : " وبعد حساب الأرباح سوف تخرج من هنا وبحوزتك مليون دولار " .

قلت وكأننى أعقد مثل هذه الصفقات أسبوعيًا : " أستطيع أن أحسب هذا وحدى " . وقد ظلت كلمة مليونير تسرى داخل جسدى .

وقد ضغطوا علىّ قليلاً . وقد قدموا نفس هذا العرض للصحيفتين الأخريين ، وتولد لدى انطباع أن الصفقة لا تسير بالشكل الذى تمنوه . فكانت التايمز هى حجر الأساس . فكان لدينا معدات أفضل ونسبة مبيعات أكبر .

وقد رفضت العرض ثانية وغادرا مكتبى ، ولكن كان ثلاثتنا يعرف جيدًا أن هذا لن يكون حديثنا الأخير .

بعد أحد عشر عامًا من فراره من مقاطعة فورد ، عاد سام روفين بنفس الطريقة التى غادر بها - فى حافلة فى منتصف الليل . وأنا لم أعلم بخبر رجوعه سوى بعدها بيومين ، فقد ذهبت لتناول الغداء فى يوم الخميس ووجدت سام هناك يجلس على كرسى هزاز فى الشرفة بابتسامة عريضة تشبه ابتسامة والدته . وقد بدت السيدة كالى أصغر بعشر سنوات لأن ابنها الآن عاد سالمًا إلى المنزل . وقد قامت بقلى الدجاج وطهى جميع أنواع الخضراوات الموجودة فى حديقتها . وقد انضم إلينا إيساو وأخذنا نتناول الطعام طوال ثلاث ساعات .

وقد حاصل سام على درجة جامعية ويخطط للالتحاق بكلية الحقوق . وكاد أن يتزوج من امرأة كندية ، ولكن الأمور لم تسر على ما يرام ، حيث رفض والداها بشدة هذا الارتباط . وقد ارتاحت السيدة كالى حينما علمت بانفصالهما . ولم يأت سام على ذكر هذه العلاقة فى خطاباته لوالدته .

وقد خطط للبقاء فى كلانتون لبضعة أيام بحيث لا يغادر المنزل ويتجول فقط فى لوتاون فى أثناء الليل . وقد وعدته بالتحدث إلى هارى ريكس ورؤية ما يمكن أن أعرفه عن الشرطى دورانت

وولديه . ومن خلال التنويهات القانونية التي نشرتها كنت أعرف أن دورانت تزوج ثانية ثم طلق زوجته مرة أخرى .

وكان يريد أن يرى البلدة ، لذا ففي وقت متأخر من ظهيرة هذا اليوم أخذته في سيارتي السبيتفاير . وبينما كان يختبأ أسفل قبعة فريق ديترويت تايجرز لكرة السلة شرع في مشاهدة المدينة الصغيرة التي مازال يطلق عليها الوطن . وقد أريته مكتبي ومنزلي وبارجين سيتي وأقصى غرب البلدة . كما تجولنا حول دار المحكمة وأخبرته عن القناص ومحاولة باجي الدرامية للهروب - على الرغم من أن السيدة كالي قد قصت عليه معظم هذه الحكايات في خطاباتها .

وحينما أنزلته أمام منزل روفين قال : " هل خرج بادجيت حقًا من السجن ؟ " .

" لم يره أحد ، ولكنني واثق من أنه عاد لمنزله " .

" هل تتوقع أن يقوم بإثارة مشكلات ؟ " .

" لا ، لا أعتقد ذلك " .

" ولا أنا . ولكنني لا أستطيع إقناع أمي بذلك " .

" لن يحدث شيء يا سام " .

الفصل السابع والثلاثون

الطلقة الوحيدة التى أردت لينى فارجرسون قتيلاً كانت قد أطلقت من بندقية صيد عيار ٣٠,٠٦ . وكان القاتل يبعد تقريبًا مسافة مائتى ياردة عن الشرفة الأمامية حيث مات لينى . فكانت الغابات الكثيفة تبدأ خلف الحديقة الواسعة التى تحيط بالمنزل ، وهناك احتمال كبير أن من جذب الزناد قد تسلق شجرة وكان باستطاعته رؤية لينى المسكين من مكان ممتاز .

ولم يسمع أحد الطلقة . فكان لينى يجلس بالشرفة فى كرسيه المتحرك يقرأ واحداً من الكتب العديدة التى كان يستعيرها كل أسبوع من مكتبة كلانتون . وكان والده يسلم البريد ، وكانت والدته تتسوق فى بارجين سيتى . وفى أغلب الظن ، فإنى لينى لم يشعر بأى ألم ومات على الفور . فقد اخترقت الرصاصة الجانب الأيمن من رأسه فوق فكه مباشرة وخرجت من فوق أذنه اليسرى تاركة فتحة كبيرة .

وحينما وجدته والدته ، كان ميتًا منذ بعض الوقت . وقد استطاعت بطريقة ما أن تسيطر على نفسها ولا تمس الجثة أو مسرح الجريمة . كانت الدماء تغطى الشرفة بأكملها ، بل وتتساقط حتى على الدرجات الأمامية .

وقد سمع ويلى الخبر من مذياع الشرطة واتصل بى وهو يحمل الخبر المفزع : " لقد بدأت عملية الانتقام . لقد قتِلَ فارجرسون ؛ الفتى المعوق " .

جاء ويلى إلى المكتبة وصعدت إلى شاحنته وذهبنا معًا إلى مسرح الجريمة . ولم يقل أى منا ولو كلمة واحدة ، ولكننا كنا نفكر فى نفس الشىء .

كان لينى لا يزال بالشرفة . لقد أوقعته الطلقة من فوق مقعده وكان راقدًا على جانبه وينظر إلى المنزل . وقد طلب منا الشريف ماكنات عدم التقاط أية صور ، وقد انصعنا على الفور . فنحن لم نكن لننشر مثل هذه الصور فى الجريدة بأية حال من الأحوال .

كان الأصدقاء والأقرباء يحتشدون حول المنزل ، وكان رجال الشرطة يقودونهم نحو باب جانبى . وقد طلب الشريف ماكنات من رجاله حجب الجثة عن الأنظار . وقد حاولت أن ألقى نظرة على هذا المشهد المروع - كان رجال الشرطة يحومون حول لينى فى حين أن هؤلاء الذين يحبونه كانوا يحاولون إلقاء نظرة عليه قبل الدخول إلى المنزل لمواساة والديه .

وعندما وضعت الجثة فى النهاية فوق محفة واستقرت داخل عربة الإسعاف ، جاء إلىَّ الشريف ماكنات واتكأ على الشاحنة بجوارى .

قال : " هل تفكر فيما أفكر فيه ؟ " .

" نعم " .

" هـل تسـتطيع أن تـأتينى بقائمـة بأسمـاء أعضـاء هيئـة المحلفين ؟ " .

وعلى الرغم من أننا لم نقم قط بنشر أسماء المحلفين إلا أن تلك المعلومات كانت لدىَّ في ملف قديم . قلت : " بالتأكيد " .

سألنى : " كم سيستغرق منك هذا الأمر من وقت ؟ " .

" أمهلنى ساعة . ما خطتك ؟ " .

" سوف نحذر هؤلاء الأشخاص " .

وبينما كنا نغادر ، كان رجال الشرطة يمشطون الغابات الكثيفة حول منزل فارجرسون .

أخذتِ القائمة إلى مكتب الشريف وتفحصناها معًا . وفى عام ١٩٧٧ كنت قد كتبت نعى المحلف رقم خمسة السيد فريد بيلروى ، وهو حارس غابة متقاعد والذى مات فجأة بعد إصابته بالتهاب رئوى . وعلى حد علمى فإن العشرة الآخرين لا يزالون أحياء .

أعطى ماكنات القائمة لثلاثة من رجاله . وقد تفرقوا لإيصال الخبر الذى لم يكن أحد يرغب في سماعه . وقد تطوعت لإخبار كالى روفين .

كانت تجلس في الشرفة تشاهد إيساو وسام وهما يلعبان الشطرنج . وقد ابتهجوا لرؤيتى ولكن هذه البهجة سرعان ما تلاشت . قلت في أسى : " إننى أحمل لك بعض الأخبار السيئة يا سيدة كالى " . نظروا إلىّ في انتظار ما سأقول .

" لينى فارجرسون ـ ذلك الفتى المعوق الذى كان في هيئة المحلفين معك ـ تعرض للقتل في ظهيرة هذا اليوم " .

غطت فمها بيدها وسقطت داخل مقعدها الهزاز . أسرع سام للإمساك بها ثم ربّت كتفها . وقد سردت عليهم ما حدث باختصار .

قالت السيدة كالى : " لقد كان فتى تقيًا . لقد صلينا معًا قبل أن نبدأ المباحثات " . ولم تكن تبكى ولكنها كانت على وشك ذلك . وذهب إيساو ليحضر لها حبوب ضغط الدم . وقد جلس هو وسام إلى جوارها بينما جلست أنا على الأرجوحة . وكنا جميعًا محتشدين بالشرفة الصغيرة ، وطوال فترة طويلة لم نقل إلا القليل . وقد انخرطت السيدة كالى في نوبة من التفكير العميق .

كانت ليلة ربيعية دافئة ذات قمر نصف مكتمل ، وكانت شوارع لوتاون تعج بالأطفال فوق الدراجات ، وجيران يتحدثون عبر الأسوار ، ومباراة كرة سلة محمومة فى نهاية الشارع . وقد أصبح بعض الأطفال البالغين العاشرة من عمرهم مفتونين بسيارتى السبيتفاير ، وقد ذهب سام أخيرًا ليبعدهم عنها . كانت تلك هى المرة الثانية فقط التى أمكث فيها معهم بعد حلول الظلام . سألت : " هل الحال دائمًا هكذا كل ليلة ؟ " .

قال سام وهو يتوق إلى التحدث : " نعم ، حينما يكون الطقس لطيفًا . إنه مكان رائع ليكبر فيه المرء . فالجميع يعرفون بعضهم البعض . حينما كنت في التاسعة من عمرى كسرت حاجب ريح إحدى السيارات بالكرة . وقد فررت على الفور إلى المنزل ، وحينما وصلت إلى هنا كانت أمى تقف بالشرفة الأمامية . كانت تعلم بالأمر . وقد أرغمتنى على العودة إلى مسرح الجريمة والاعتراف بخطئى والوعد بتعويض الخسارة " .

قال إيساو : " وقد فعلت ذلك " .

قال : " لقد اضطررت للعمل ستة أشهر لأوفر مبلغ مائة وعشرين دولارًا " .

وقد ابتسمت السيدة كالى ابتسامة صغيرة حينما تذكرت هذا الأمر ، ولكن ذهنها كان مشغولاً للغاية بلينى فارجرسون . وعلى الرغم من أنها لم تره منذ تسع سنوات ، فإنها مازالت تتذكره بوضوح . وقد أحزنها خبر وفاة لينى ، ولكنه أفزعها كذلك !

أعد إيساو الشاى بالليمون ، وعندما عاد من الداخل قام فى هدوء بإخفاء مسدس ذى ماسورتين خلف المقعد الهزاز ، فى متناول اليد ، ولكن بعيدًا عن ناظريها .

وبمرور الساعات ، قل عدد السيارات بالشارع ودخل الجيران منازلهم . وقد اعتقدت أنه لو بقيت السيدة كالى فى المنزل فسوف تكون هدفًا صعبًا . فكانت هناك منازل مجاورة ومنازل أخرى عبر الشارع . ولم تكن هناك أية تلال أو أبراج أو أراضى مجاورة شاغرة على مرمى البصر .

ولم أقل ذلك على الملأ ، ولكننى كنت واثقًا من أن سام وإيساو يفكران فى نفس الأمر . وعندما كانت مستعدة للذهاب إلى الفراش قلت لها تصبحين على خير وعدت أدراجى إلى السجن . كان مكتظًا برجال الشرطة ، ويسوده جو يشبه ذلك الخاص بالكرنفالات والذى يمكن فقط لجريمة قتل أن تولده . ولم أستطع أن أمنع نفسى من الرجوع بذاكرتى تسع سنوات إلى الليلة التى أعتقل فيها دانى بادجيت وقميصه المغطى بالدماء .

واثنان من المحلفين فقط هم الذين لم يعثر رجال الشرطة عليهم وكلاهما قد انتقل بعيدًا . وكان الشريف ماكنات يحاول تقصى آثارهما . وقد سأل عن السيدة كالى وقلت له إنها بأمان . ولم أخبره بأن سام عاد إلى منزله .

وقد أغلق باب مكتبه وقال إنه سيسألنى معروفاً : " هل من الممكن أن تذهب غدًا إلى لوشيان ويلبانكس ؟ " .

" لم أنا " .

" حسنًا ، بإمكانى الذهاب إليه ، ولكننى شخصيًا لا أطيق هذا الوغد ، وهو يبادلنى نفس الشعور " .

" الجميع يبغضون لوشيان " .

" فيما عدا ... " .

" فيما عدا ... هارى ريكس ؟ " .

" هارى ريكس . ما رأيك لو ذهبت أنت وهارى ريكس لتتحدثا إلى لوشيان ؟ اسألاه إن كان من الممكن أن يتوسط بيننا وبين آل بادجيت . أعنى أننى لابد أن أتحدث إلى دانى ، أليس كذلك ؟ " .

قلت : " أعتقد هذا ، فأنت الشريف " .

" فقط تحدث قليلاً إلى لوشيان ويلبانكس . هذا كل ما فى الأمر . وإن مضت الزيارة على ما يرام فربما أذهب أنا للتحدث إليه . فالأمر يختلف إن ذهب الشريف بنفسه للمساومة فى البداية " .

قلت ولم أكن أمزح : " أفضل أن تضربنى بالسوط على ذلك " .

قال : " ولكنك ستقوم بهذا الأمر ؟ " .

قلت : " سأفكر فى هذا " .

لم ترق الفكرة لهارى ريكس أيضًا . فلماذا يجب أن نتورط أنا وهو فى الأمر ؟ ناقشنا تلك المسألة ونحن نتناول إفطارًا مبكرًا فى المقهى ، وهى الوجبة التى كنا غير معتادين على تناولها ، ولكننا لم نرغب فى تفويت الموجة الأولى من القيل والقال بمنطقة وسط المدينة . ولا عجب أن المكان كان مكتظًا بالخبراء الذى كانوا يكررون كل أنواع التفاصيل والنظريات الخاصة بمقتل فارجرسون . وقد

أنصتنا أكثر مما تحدثنا ، وغادرنا المكان فى حوالى الساعة الثامنة والنصف .

وعلى بعد بنايتين من المقهى كان يقع المبنى الذى يوجد به مكتب ويلبانكس . وبينما كنا نسير أمامه قلت لهارى : " دعنا ندخل " .

كانت عائلة ويلبانكس هى إحدى العائلات العريقة فى حياة كلانتون الاجتماعية والتجارية والقانونية . ففى السنوات الذهبية من القرن الماضى كانوا يمتلكون الأراضى والبنوك ، ودرس جميع رجال العائلة القانون ، بعضهم فى الجامعات العريقة . ولكن أخذ حال هذه الأسرة فى التدهور منذ العديد من السنوات الآن . وكان لوشيان هو آخر فرد من هذه العائلة ، وكان هناك احتمال كبير أن يتم شطبه من جدول المحامين .

وقد قامت السكرتيرة إيثل تويتى التى تعمل بدوام كلى بتحيتنا بوقاحة ، وسخرت من هارى ريكس تقريبًا ، والذى همس إلى : " إنها أحقر عاهرة فى البلدة " . وأعتقد أنها سمعته . وكان من الواضح أنهما يتشاكسان مع بعضهما البعض منذ سنوات عديدة . كان مديرها فى مكتبه . ماذا كنا نريد ؟

قال هارى ريكس : " نرغب فى رؤية لوشيان . فلأى سبب آخر سنأتى إلى مكتبه ؟ " . اتصلت به بينما انتظرنا نحن . صاح عليها هارى ريكس بعد برهة : " ليس لدينا النهار بأكمله ! " .

قالت : " تفضلا " ، وهى ترغب فى التخلص منا أكثر من أى شىء آخر . صعدنا الدرجات . كان مكتب لوشيان ضخمًا ، فيبلغ عرضه وطوله على الأقل ثلاثين قدمًا ؛ وذو سقف يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام وله صف من الأبواب الفرنسية تطل على الميدان . كان مكتبه بالجانب الشمالى أمام التايمز مباشرة مع وجود دار المحكمة تفصل

بينهما . وحمدًا لله أنه لم يكن باستطاعنى رؤية شرفة لوشيان من شرفتي .

قام بتحيتنا بلامبالاة ، وكأننا قطعنا عليه فترة تأمل جادة . وعلى الرغم من أننا في وقت مبكر من الصباح ، إلا أن الفوضى الموجودة في مكتبه كانت تولد الانطباع بأنه كان يعمل طوال الليل . كان لديه شعر رمادى طويل يتدلى على رقبته ، ولحية صغيرة مشذبة غير مسايرة للموضة ، وعينان حمراوان تدلان على إفراطه في شرب الخمر . سأل ببطء شديد : " ما المناسبة ؟ " . نظرنا إلى بعضنا البعض في ازدراء .

قال هارى ريكس : " كان هناك حادث قتل بالأمس يا لوشيان . لينى فارجرسون ـ الفتى المعوق بهيئة المحلفين " .

قال وهو يوجه الكلام إلىّ : " أعتقد أن هذا الحوار ليس للنشر " .

قلت : " نعم . لقد طلب منى فقط الشريف ماكنات أن آتي وألقى عليك التحية . وقد دعوت هارى ريكس " .

" إذن فتلك زيارة اجتماعية فقط ؟ " .

قلت : " ربما . فقط لنتحدث قليلاً عن حادث القتل " .

قال : " لقد سمعت التفاصيل " .

سأل هارى ريكس : " هل تحدثت إلى دانى بادجيت مؤخرًا ؟ " .

قال : " ليس منذ جلسة إطلاق السراح " .

قال هارى : " هل هو في المقاطعة ؟ " .

" إنه في الولاية ، ولا أعلم أين بالتحديد . فعبوره حدود الولاية دون تصريح يعد انتهاكًا لشروط إطلاق السراح " .

إذن لم يطلقوا سراحه داخل ولاية أخرى ، فلننقل مثلاً ويمينج ؟ فقد بدا غريبًا أن يطالبوه بالبقاء بالقرب من المكان الذى ارتكب فيه جرائمه . فلماذا لا يبعدوه عنا !

قلت : " إن الشريف ماكنات يود التحدث إليه " .

قال : " حقا ؟ وما دخلك ودخلى أنا بهذا ؟ فلتخبر الشريف بأن يذهب ويتحدث إليه " .

قال هارى ريكس : " إن الأمر ليس بهذه البساطة يا لوشيان ، وأنت تعلم هذا " .

" هل لدى الشريف أى دليل ضد موكلى ؟ هل لديه سبب يجعل موكلى يرتكب هذه الجريمة يا هارى ريكس ؟ إنك لا تستطيع فقط أن توجه الاتهام لكل من تعرفهم . إن الأمر لا يسير على هذا المنوال " .

قلت : " لقد قام بتهديد المحلفين بشكل مباشر " .

" منذ تسع سنوات " .

" لكنه لا يزال تهديدًا ، وكلنا نتذكره . والآن بعد إطلاق سراحه بأسبوعين ، لقى أحد أعضاء هيئة المحلفين فى قضيته حتفه " .

" إن هذا ليس كافيًا يا رفاق . أعطونى المزيد من الأدلة وقد أتحدث إلى موكلى . حتى الآن ليس لديكما سوى تخيلات . الكثير منها ، فهذه المدينة لا تفعل شيئًا سوى الانخراط فى القيل والقال " .

قال هارى ريكس : " إنك لا تعلم أين هو ، أليس كذلك يا لوشيان ؟ " .

قال : " أنا أعتقد أنه بالجزيرة مع باقى أفراد العائلة " . وقد استخدم كلمة " باقى" وكأنهم مجموعة من الفئران !

وباقى أفراد الأسرة يكونون فى العادة مصدومين للغاية لدرجة لا تجعلهم قادرين على التفكير بوضوح أو اتخاذ أية قرارات . فالأقوياء منهم كانوا يسيرون هائمين على وجوههم فى أثناء المحنة . أما الضعفاء فكانوا عاجزين عن فعل شىء سوى البكاء . وكانت السيدة فارجرسون أقوى الاثنين ، ولكن صدمة إيجاد ولدها وقد تهشمت نصف رأسه جعلها تبدو مثل الشبح . أما السيد فارجرسون فكان فقط يحدق فى الأرض .

وقد قام رجل الدين كوبر بالاستعلام عن المعلومات الأساسية والتي كان يعرف معظمها بالفعل . فمنذ إصابته فى عموده الفقرى منذ خمس عشر عامًا كان لينى ينتظر بشغف ذهابه إلى الجنة واستعادة صحته هناك فى رحاب الله . وقد حضرنا خطبة تحمل ذلك المضمون وكانت السيدة فارجرسون ممتنة للغاية للمجهود الذى بذلناه . وقد سلمتنى صورة لـ " لينى " وهو جالس عند بحيرة يصطاد ، وقد وعدتها بنشرها فى الصفحة الأولى .

وكما يحدث دومًا مع الأبوين المكلومين فقد شكرانى بحرارة وأصرا على احتضانى حينما هممت بالمغادرة . فالمنتحبون عادة ما يحبون إطلاق العنان لمشاعرهم بهذه الطريقة وخاصة فى دار الجنائز .

وقد توقفت لدى بيب واشتريت حلة مكسيكية ثم قدت سيارتى إلى لوتاون حيث وجدت سام يلعب كرة السلة بينما كانت السيدة كالى نائمة بالداخل وإيساو يحرس المنزل بمسدسه . وفى النهاية تناولنا الطعام فى الشرفة بالرغم من أنها أتت بطعام جاهز . ولم تكن جائعة . وقد أخبرنى إيساو بأنها لم تأكل سوى القليل طوال اليوم .

وقد جلبت لعبة الطاولة خاصتى معى وعلمت سام كيف يلعبها . كان إيساو يفضل الشطرنج . وكانت السيدة كالى متأكدة أن أى لعبة تتضمن إلقاء النرد تعتبر محرمة ، ولكنها لم تكن فى حالة مزاجية تسمح بإلقاء محاضرة علينا . جلسنا طوال ساعات إلى أن حل الليل وشاهدنا طقوس حى لوتاون . وقد جاءت فترة الإجازة الصيفية ، وكانت الأيام أطول وأكثر حرارة .

وكان باستر حارسى الخاص الذى يعمل لدى بدوام جزئى يمر علىّ كل نصف ساعة . فكان يبطئ أمام منزل آل روفين وكنت ألوح له إن كانت الأمور تسير على ما يرام ، فيبتعد على الفور ويعود إلى ممشى منزل هوكيت . وقد وقفت إحدى سيارات الشرطة على بعد بنايتين من منزل روفين واستقرت هناك طوال فترة طويلة . فقد قام الشريف ماكنات باستئجار ثلاثة من رجال الشرطة السود ، كانت مهمة اثنين منهما مراقبة المنزل .

وكان هناك آخرون يحرسون المنزل كذلك . فبعد أن خلدت السيدة كالى للفراش أشار إيساو ناحية شرفة منزل براكستونز وقال : " إن تالى هناك يحرس المنزل كذلك " .

قال سام : " لقد أخبرنى أنه سيسهر طوال الليل ليتولى أمر الحراسة " . سيضحى من الصعب إذن أن يبدأ أحدهم بإطلاق النار فى لوتاون .

غادرت المنزل بعد الحادية عشرة وعبرت الجهة الأخرى من البلدة وقدت سيارتى فى شوارع كلانتون الخالية من المارة فكان التوتر والترقب يسودان كلانتون لأن أيًا كان هذا الذى بدأ فلن ينتهى قبل فترة طويلة .

الفصل الثامن والثلاثون

أصرت السيدة كالى على حضور جنازة لينى فارجرسون . وقد اعترض سام وإيساو على ذلك بشدة ، ولكن كالمعتاد دومًا فمتى أصرت على شيء لا يجدى معها أى نقاش ! وقد تناقشت فى هذا الأمر مع الشريف ماكنات ، والذى أورد إلىّ خلاصة القول حيث قال : " إنها امرأة ناضجة " . وهو لم يكن يعلم أى محلفين آخرين يخططون للحضور ، ولكن على أية حال كان من الصعب التكهن بمثل هذه الأمور .

اتصلت كذلك برجل الدين كوبر لأحذره . وكان رده كالتالى : " يسعدنا أن تأتى السيدة كالى لدار عبادتنا الصغيرة . ولكن حاول أن تأتى مبكرًا " .

وعندما خطت السيدة كالى هى وإيساو وسام داخل دار العبادة حدق فيهم الحاضرون سريعاً وكان هذا هو كل ما فى الأمر . وقد وصلنا قبل الموعد بخمس وأربعين دقيقة وكانت دار العبادة شبه ممتلئة عن آخرها . وقد نظرت خلال النوافذ الطويلة المفتوحة حيث

كانت السيارات لا تتوقف عن الوصول . وقد تم تعليق مكبر صوت فوق إحدى أشجار البلوط العتيقة وتجمع حشد كبير من حوله بعد أن أصبح من المستحيل وضع قدم أخرى داخل دار العبادة .

وقد دفنوه خلف دار العبادة ، في مقبرة صغيرة محاطة بسور مشيد من الحديد . أمسكت السيدة كالى بيدى وشرعت تصلى بخشوع بينما كانوا يضعونه داخل المقبرة . ومعظم الحشد كان هناك للتحدث قليلاً مع السيد والسيدة فارجرسون قبل المغادرة . وقد أشار الشريف ماكنات إلىّ وكأنه يريد التحدث معي . سرنا حتى مقدمة دار العبادة حيث لا يمكن لأحد أن يسمعنا . كان يرتدى زيه الرسمي ويضع فى فمه عود الأسنان الذى يضعه دوماً هناك . سأل : " هل حالفك الحظ مع ويلبانكس ؟ " .

قلت : " لا ، لم أذهب إليه ثانية . ولكن هارى ريكس ذهب مرة أخرى بالأمس ولكن دون جدوى " .

قال : " أعتقد أننى سأتحدث إليه " .

" بإمكانك ذلك ، ولكنك لن تصل معه لشيء " .

نقل عود الأسنان من ناحية إلى ناحية أخرى بفمه بنفس الطريقة تقريباً التى ينقل بها هارى ريكس السيجار دون أن يؤثر ذلك في وضوح كلامه . " ليس لدينا شيء آخر .لقد قمنا بتمشيط الغابات حول المنزل ولم نجد أثراً أو أى آثار أقدام . إنك لن تنشر هذا ، أليس كذلك ؟ " .

" لا " .

" كانت هناك بعض الآثار فى أعماق الغابة حول منزل فارجرسون . وقد تتبعنا كل واحد منها ولم نجد شيئا على الإطلاق ".

" إذن فدليلك الوحيد هو الرصاصة " .

" الرصاصة والجثة " .

" هل رأى أحد دانى بادجيت ؟ " .

" ليس بعد . لقد وضعت سيارتين على طريق ٤٠١ ، المؤدى إلى الجزيرة . وليس بإمكانهما رؤية شىء ، ولكن على الأقل يعلم آل بادجيت الآن أننا هناك . إن هناك مائة مدخل ومخرج من الجزيرة ولكن آل بادجيت وحدهم هم من يعرفونها جميعاً " .

كان آل روفين يتقدمون ببطء نحونا ، ثم وقفوا ليتحدثوا إلى أحد رجال الشرطة السود .

قال ماكنات : " إنها على الأرجح أكثرهم أماناً " .

سألته : " هل هناك أحد آخر بأمان ؟ " .

" سوف نكتشف هذا . إنه سيحاول ثانية يا ويلى ، ثق فى هذا . فأنا مقتنع بذلك للغاية " .

قلت : "وأنا أيضاً " .

كان نيد راى زوك يمتلك أربعة آلاف أكرات من الأرض فى الجزء الشرقى من المقاطعة . وكان يزرع القطن وفول الصويا بكميات كبيرة تجعله يجنى أرباحاً لا بأس بها . وكان يشاع أنه أحد المزارعين القلائل الذين كانوا يجنون أرباحاً وفيرة من المحصول . وحدث ذات مرة بأملاك هذا الرجل فى مكان عميق فى مزرعة مواشى أن أخذنى هارى ريكس منذ تسع سنوات لمشاهدة أول وآخر مصارعة ديكة فى حياتى .

وفى وقت ما من الساعات الأولى من الرابع عشر من يونيو دخل مخرب ما حجرة معدات زوك الكبيرة وقام بتفريغ بعض الزيت فى عبوات وخبأها وسط المعدات ، وبالتالى حينما يصل العاملون فى

حوالى الساعة السادسة صباحاً لا يكون هناك أى أثر لعمل تخريبى . وقد تفحص أحد العمال منسوب الزيت كما كان معتاداً أن يفعل واكتشف أمر قلة المنسوب ، وعلى الرغم من غرابة ذلك إلا أنه لم يقل شيئاً وقام بتزويد جالونين . أما العامل الآخر فكان قد تفحص منسوب الزيوت فى مساء اليوم السابق كما كان معتاداً ، وكانت النتيجة أن توقف الجرار الثانى فجأة بعد ساعة حيث تعطل المحرك . وقد قام السائق بالرجوع عدواً مسافة نصف ميل إلى غرفة المعدات وأبلغ مدير المزرعة بالعطل .

وبعد ساعتين ، جاءت شاحنة صيانة ذات لون أخضر وأصفر ووقفت بجوار الجرار المعطل عن العمل . وقد خرج منها اثنان من عمال الصيانة ونظرا إلى الشمس الحارقة والسماء الصافية ، ثم سارا حول الجرار لإلقاء نظرة عليه . ثم قاما بفتح صندوق عربة الصيانة وشرعا فى إخراج المعدات ومفاتيح الربط . وقد أصابتهما حرقة الشمس وسرعان ما أصبحا يتصببان عرقاً .

ولإضفاء بعض البهجة على يومهما قاما بتشغيل الراديو فى شاحنتهما ورفعا الصوت للغاية . فكان فى الإمكان سماع صوت غناء ميرل هاجرد عبر مزارع فول الصويا .

وقد غطت الموسيقى على صوت الطلقة النارية التى انطلقت من بندقية من مكان بعيد . وقد أصابت الطلقة مو تيل مباشرة فى أعلى ظهره واخترقت رئتيه وخلفت فتحة فى صدره عند خروجها . وقد قال شريكه مراراً وتكراراً إن الشىء الوحيد الذى سمعه هو صوت نخر قوى قبل ثانية أو اثنتين من سقوط مو أسفل محور العجلة . وقد ظن فى البداية أن شيئاً ما انفصل عن الجرار وأصاب مو . وقد جره ريد إلى الشاحنة وقادها سريعاً وهو مهتم بما حدث لصديقه أكثر من اكتراثه لما أصابه . وفى غرفة المعدات استدعى مدير الزراعة

عربة الإسعاف ولكن متأخراً للغاية . فقد مات مو تيل هناك على الأرضية الأسمنتية المتربة للمكتب الصغير . وقد كنا نطلق عليه السيد " جون دير " أثناء المحاكمة . وكان يجلس في منتصف الصف الأمامي ، وذو لغة جسدية سيئة . وحينما قتل كان يرتدى نفس الزى الأصفر اللون الذى كان يرتديه كل يوم فى أثناء المحاكمة . لقد كان هدفاً سهلاً .

وقد رأيته من بعد من خلال الباب المفتوح . فقد سمح لنا الشريف ماكنات بالدخول إلى غرفة المعدات بشرط عدم التقاط صور . وقد ترك ويلى آلة التصوير الخاصة به فى شاحنته .

فمرة أخرى كان ويلى يستمع إلى أخبار الشرطة حينما أذيع هذا التقرير - " إطلاق النار فى مزرعة نيد راى زوك ! " . فكان ويلى يجلس دوماً على مقربة من المذياع ، وفى هذا الأيام لم يكن هو الوحيد الذى يقوم بذلك . فنتيجة لحالة التوتر التى كانت تسود البلدة كان الجميع ينصتون للأخبار وكل طلقة نارية كانت يطلقها أحدهم كانت سبباً يجعل الجميع يقفز داخل شاحنته ويذهب لمعرفة الأمر .

وقد طلب منا ماكنات بعد فترة قصيرة المغادرة . فقد وجد رجاله زجاجات الزيت التى تم تفريغها كما عثروا على نافذة تم فتحها عنوة للعبور من خلالها إلى الغرفة .

وقد قاموا بمسح المكان بحثاً عن بصمات ، ولكنهم لم يجدوا شيئاً كما قاموا بتمشيط الغابات حول حقول فول الصويا ولم يجدوا أثراً للقاتل كذلك . ولكن فى الوحل بجانب الجرار عثروا على بندقية عيار ٣٠,٠٦ وسرعان ما تم مطابقتها مع هذه التى قتلت لينى فارجرسون .

ظللت أحوم حول مكتب الشريف حتى بعد حلول الظلام . وكما كان متوقعاً ، فكان المكان تعمه الفوضى ؛ حيث كان رجال الشرطة يتحركون هنا وهناك يضاهون الأقوال وينقبون عن التفاصيل . وكان جرس الهاتف يرن بلا توقف . بالإضافة إلى أن سكان البلدة غير القادرين على السيطرة على فضولهم كانوا يتوقفون عند مكتب الشريف ويسألون إن كان قد طرأ شىء جديد .

ولكن لم يكن هناك شىء جديد . فقد حبس ماكنات نفسه فى مكتبه مع رجاله وأخذوا يفكرون فيما سيفعلونه . فكانت أولويته هى حماية المحلفين الثمانية المتبقين . فقد مات ثلاثة بالفعل ـ السيد فريد بيلروى (إثر إصابته بالالتهاب الرئوى) والآن لينى فارجرسون ، وأخيرًا مو تيل . وقد انتقل أحد المحلفين إلى فلوريدا بعد عامين من المحاكمة . وفى هذه اللحظة كانت هناك سيارة شرطة تقف أمام كل منزل من منازلهم . وقد غادرت وذهبت إلى مكتبى لأعمل فى قصة مقتل مو تيل ، ولكن جذب انتباهى أنوار مكتب هارى ريكس . كان فى حجرة الاجتماعات غارقاً بين ملفاته وأوراقه القانونية المتكدسة ؛ المشهد الذى جعلنى أشعر بالصداع . أخذنا مشروبين من ثلاجة مكتبه الصغيرة وذهبنا فى رحلة بالسيارة .

وفى حى خاص بالطبقة العاملة من البلدة سرنا بالسيارة عبر شارع ضيق ومررنا على منزل مصطف أمامه الكثير من السيارات فى شكل يشبه الدومينو . قال : " هنا تعيش ماكسين روت . لقد كانت بهيئة المحلفين " . وقد تذكرت السيدة روت . وقد كان منزلها الصغير المصنوع من الطوب الأحمر ليس به شرفة أمامية للتحدث منها ، لذا فكان جيرانها منتشرين حول سقيفة بلا جدران ويجلسون فوق مقاعد قابلة للطى . وكان فى الإمكان رؤية البنادق .

وكان كل مصباح بالمنزل مضاءً ، وكانت هناك سيارة شرطة واقفة عند صندوق البريد ويتكأ شرطيان على صندوقها يدخنان السجائر ويحدقان فينا بينما كنا نمر أمامهما . توقف هارى ريكس وقال لأحد الشرطيين : " عمت مساء يا تروى ".

قال تروى وهو يتقدم نحونا : " مرحباً يا سيد هارى " .

قال : " يا له من حفل يقيمونه هنا " .

قال الشرطى : " إنه من الغباء حقاً أن يبدأ أحد فى إثارة المتاعب هنا " .

قال هارى ريكس : " إننا فقط نلقى نظرة " .

قال تروى : " من الأفضل أن ترحلا . إن لديهم رغبة فى إطلاق النار على أى أحد " .

" خذ حذرك " . سرنا مبتعدين وانحرفنا حول مزرعة دواجن شمالى البلدة حيث يوجد ممر ضيق بالقرب من برج الماء . وفى منتصف الطريق كان الشارع مزدحما على كلا جانبيه بالسيارات . سألت : "من يسكن هنا ؟ ".

قال : " السيد إيرل يورى . كان يجلس فى المقعد الخلفى ، فى أبعد مكان عن الحاضرين " .

كان هناك حشد من الناس مكتظاً بالشرفة الأمامية . وكان البعض يجلسون على الدرجات . والبعض الآخر كان يجلس على مقاعد فوق الأعشاب . وفى مكان ما وسط هذا الحشد كان السيد إيرل يورى مختبئاً يحميه أصدقاؤه وجيرانه .

ولم تكن الحراسة على منزل السيدة كالى أقل من تلك . فكان الشارع أمام منزلها يعج بالسيارات ومن المتعذر عبوره . كانت مجموعات من الرجال تجلس فوق السيارات ، بعضهم يدخن وبعضهم يمسك ببندقيات . وفى المنزل المجاور والمنازل التى توجد

عبر الشارع كانت الشرفات والأرضية مكتظة بالأشخاص ، فقد تجمع نصف سكان لوتاون هناك ليتأكدوا من أن السيدة كالى تشعر بالأمان . كان يسود مناخ احتفالى ، وشعور عام بوجود حدث فريد .

وحيث إننا كنا ذوى وجوه بيضاء ، فكان إمعان النظر فينا أشد . ولم نستطع التوقف حتى تحدثنا إلى الشرطيين ، وبمجرد أن وافقوا على وجودنا هدأ الحشد . أوقفنا السيارة وسرت إلى المنزل حيث قابلنى سام عند الدرجات الأمامية . وقد بقى هارى ريكس عند السيارة يتحدث إلى رجال الشرطة .

كانت فى الداخل فى غرفة نومها تقرأ كتاباً دينيًّا مع إحدى صديقاتها . وكان يوجد العديد من رجال الدين بالشرفة مع سام وإيساو ، وكانوا يتوقون إلى سماع تفاصيل مقتل مو تيل . وقد أمددتهم بكل ما أعرفه والذى لم يكن بالكثير .

وبحلول منتصف الليل بدأ الحشد يتشتت . وقد نظم سام ورجال الشرطة دورية حراسة ليلية ووضعوا حراسًا مسلحين فى كلتا الشرفتين الأمامية والخلفية . وكان عدد المتطوعين كبيرًا . ولم تحلم السيدة كالى يومًا بأن منزلها اللطيف العامر بطاعة الله قد يتحول إلى حصن مسلح ، ولكن فى مثل هذه الظروف لا يمكن أن تكون محبطة .

ثم أخذنا نجوب الشوارع التى يسودها التوتر حتى وصلنا إلى منزل هوكيت ، حيث وجدنا باستر نائمًا فى سيارته بالمشى . ووجدنا بعض المشروبات وجلسنا فى الشرفة الأمامية نتصارع مع الناموس ونبدى تقديرنا لما يحدث .

قال هارى ريكس : " إنه مثابر للغاية . انتظر بضعة أيام حينما يتعب كل هؤلاء الجيران من الجلوس فى الشرفات ويحتاج الجميع

لبعض الاسترخاء . فالمحلفون لن يعيشوا طويلاً مختبئون داخل منازلهم . إنه سينتظر " .

وقد ترامى إلى مسامعنا معلومة صغيرة قاسية غير معلنة وهى أنه منذ أسبوع تلقت شركة الجرارات مكالمة شكوى . ففى مزرعة أندرسون جنوب البلدة تعطل جرار آخر فى ظروف مشابهة . ولم يتم إرسال مو تيل الذى كان أحد الفنيين الأربعة بالشركة لإصلاحه . فكان شخصًا آخر يرتدى القميص الأصفر هو من تم رصده خلال عدسة بندقية الصيد .

قلت موافقا : " إنه صبور ودقيق " . فكان يفصل بين جريمتى القتل أحد عشر يومًا ولا يوجد دليل واحد تركه القاتل خلفه . فإن كان القاتل حقا هو دانى بادجيت ، فإن هناك تعارضًا صارخًا بين جريمته الأولى ـ رودا كاسيلو ـ وجريمتيه الأخريين . فقد تقدم مستواه من قاتل وحشى يقتل بدافع العاطفة إلى قاتل بارد رابط الجأش . ربما هذا ما علمه إياه قضاء فترة تسع سنوات بالسجن . فكان لديه متسع من الوقت لتذكر وجوه الاثنى عشر شخصًا الذين زجوا به فى السجن والتخطيط لعمليته الانتقامية .

قال هارى ريكس : " إنه لم ينته بعد " .

إن جريمة قتل واحدة كانت لتعتبر عشوائية . ولكن جريمتى قتل تعنيان أنه هناك نمطًا متبعًا . أما الجريمة الثالثة فسوف ترسل بجيش من رجال الشرطة إلى جزيرة بادجيت لشن حرب عليهم .

قال هارى ريكس : " إنه سوف ينتظر . ربما لفترة طويلة " .

قلت : " إننى أفكر فى بيع الجريدة يا هارى ريكس " .

أخذ رشفة طويلة من الشراب ثم قال : " ولماذا ستفعل ذلك ؟ " .

" من أجل المال . إن تلك الشركة فى جورجيا تقدم لى عرضًا مغريًا " .

" كم ؟ " .

" الكثير . أكثر مما حلمت به . وبذلك لن أكون مضطرًا للعمل لفترة طويلة . ربما لن أضطر للعمل على الإطلاق " .

وفكرة عدم العمل صدمته بشدة . فكان روتين حياته اليومية عبارة عن عشر ساعات من العمل الفوضوى مع زبائن قضايا الطلاق العاطفيين والمتعصبين . حتى إنه كان يعمل بالليل حينما يصبح المكتب هادئًا ويستطيع التفكير . وكان يعيش حياة هنيئة ولكنه كان يكدح لقاء كل قرش . سأل : " منذ متى وأنت تمتلك الجريدة ؟ " .

" منذ تسع سنوات " .

" من الصعب تخيل الجريدة بدونك " .

" ربما يكون هذا سببًا لبيعها . أنا لا أريد أن أصبح ويلسون كاودل آخر " .

" وماذا ستفعل ؟ " .

" أرتاح وأسافر وأرى العالم ، وأبحث لى عن سيدة لطيفة أتزوجها وأنجب أطفالا . إن هذا منزل كبير " .

" إذن فأنت لن تنتقل من هنا ؟ " .

" إلى أين ؟ إن هذا موطنى " .

أخذ رشفة طويلة أخرى ثم قال : " لا أعرف . دعنا نفكر فى الأمر " . وبهذا غادر الشرفة وقاد سيارته مبتعدًا .

الفصل التاسع والثلاثون

مع تكدس الجثث كان من المستحيل أن تكون القصة أكثر إثارة . وفى صباح اليوم التالى جاء مراسل صحفى أعرفه من ممفيس إلى مكتبى ، وبعد نحو عشرين دقيقة انضم إلينا مراسل آخر من جريدة جاكسون . وكانت كلتا الجريدتين تغطيان مسيسيبى الشمالية ؛ حيث كانت أكثر الأخبار إثارة فى العادة هى انفجار مصنع أو اتهام موظف حكومى .

وقد أمددتهما بتفاصيل جريمتى القتل ، وجلسة إطلاق سراح بادجيت ، والخوف الذى اجتاح المقاطعة . ونحن لم نكن متنافسين ـ فهما كان يعملان لدى صحيفتين يوميتين ليس بينهما تعارض . ومعظم المشتركين فى جريدتى كانوا مشتركين كذلك إما فى ممفيس أو جاكسون . وكانت جريدة توبيلو اليومية تحظى بشهرة كبيرة أيضًا .

وفى الحقيقة أنا لم أعد مهتمًا ـ ليس بالأزمة الحالية ـ ولكن بالصحافة كمهنة . فكان العالم فى انتظارى . وبينما كنت أجلس

هناك أرتشف القهوة وأتبادل المعلومات مع هذين المحاربين ـ والذى كان كلاهما أكبر منى ويتقاضيان نحو ٤٠٠٠٠ دولار فى السنة ـ وجدت أنه من الصعب أن أصدق أن باستطاعتى الخروج من هذا المكان بمليون دولار . لقد كنت ألاقى صعوبة فى التركيز .

وفى النهاية غادرا وتوجه كل منهما فى اتجاه مختلف . وبعد دقائق قليلة اتصل بى سام قائلاً : " لابد أن تأتى فورًا " .

وكانت وحدة رثة صغيرة مازالت تحرس شرفة روفين . وكانت أعين الأربعة غائمة ويبدون جميعًا بحاجة للنوم . وقد قادنى سام عبر المعسكر المؤقت ودخلنا إلى المطبخ حيث كانت السيدة كالى تقشر الفاصوليا الليمية ، وهى المهمة التى كانت تقوم بها دومًا فى الشرفة الخلفية . ابتسمت لى بدفء واحتضنتنى ولكن كان يبدو عليها التعب . قالت : " من هنا " . وأومأ سام وتبعناها إلى حجرة نومها الصغيرة . وقد أغلقت الباب خلفنا وكأن هناك من يرصدنا ثم اختفت داخل خزانة ضيقة . انتظرنا فى شغف بينما كانت تبحث عن شىء ما هناك .

ظهرت أخيرًا وبحوزتها دفتر حلزونى ، والذى فيما يبدو أنه كان مخبئًا بعناية . قالت وهى تجلس على حافة الفراش : " ثمة شىء ما ليس منطقيًا " . جلس سام بجوارها وجلست أنا على مقعد هزاز قديم . كانت تقلب أوراق ملاحظاتها التى كتبتها بخط يدها وقالت : " ها هو " .

ثم قالت : " لقد قطعنا وعودًا بألا نتحدث مطلقاً عما حدث بغرفة المحلفين ، ولكن هذا مهم للغاية لدرجة لا ينبغى معها إخفاؤه . حينما تأكدنا أن السيد بادجيت مذنب كان التصويت سريعًا وبالإجماع . ولكن حينما أصبحنا بصدد اتخاذ قرار بشأن حكم الإعدام كان هناك اعتراض عليه . وأنا بالتأكيد لم أرغب أن يموت

أحد ولكننى وعدت باتباع القانون . وقد تأزمت الأمور واستخدم البعض كلمات حادة ، بل كان هناك بعض الاتهامات والتهديدات . ولم يكن هذا بالموقف الذى يحب أحد التورط فيه . وحينما أصبحت حدود المعركة واضحة كان هناك ثلاثة محلفين يعارضون حكم الإعدام ، ولم يكن هناك أدنى احتمال للعدول عن رأيهم " .

أرتنى صفحة فى دفترها . وكان خط يدها الواضح والمميز مقسمًا إلى عمودين - واحد يشتمل على تسعة أسماء وآخر يشتمل على ثلاثة فقط - إل . فارجرسون ومو تيل وماكسين روت . حدقت ببلبه إلى الأسماء وأنا يهيأ لى أننى أنظر إلى قائمة أسماء ضحايا القاتل .

سألت : " متى كتبت هذا ؟ " .

قالت : " لقد كنت أكتب ملاحظات فى أثناء المحاكمة " .

فلماذا قد يرغب دانى بادجيت فى قتل المحلفين الذين رفضوا الحكم عليه بالإعدام ؟ هؤلاء الذين أنقذوا حياته ؟

سأل سام : " إنه يقتل الأشخاص الخطأ ، أليس كذلك ؟ أعنى أن ذلك ليس منطقيًا ، فإن كنت تسعى للانتقام فلماذا تقتص من هؤلاء الذين حاولوا إنقاذ حياتك ؟ " .

قالت السيدة كالى : " كما قلت ، ثمة شىء ما ليس منطقيًا " .

قلت : " إنكما تفترضان أنه يعلم بما صوت به كل محلف . فعلى حد علمى ، وكما ترامى إلى مسامعى ، فلم يخبر المحلفون أى شخص بما حدث فى أثناء المباحثات . كما أن قرار الدمج العنصرى جعل الناس يتناسون أمر المحاكمة سريعًا . وقد تم شحن بادجيت إلى بارشمان فى نفس يوم إدانته بالجريمة . إن هناك احتمالاً أنه يقتل الأشخاص الذين يجد سهولة فى الوصول إليهم أولاً ، وهما السيد فارجرسون والسيد تيل " .

قال سام : " قد يكون ذلك محض صدفة " .

أخذنا نتفكر في الأمر فترة طويلة . ولم أكن واثقًا إن كان ذلك معقولاً ، فأنا لم أكن واثقا من أى شيء ، ثم طرأت إلى خاطرى فكرة أخرى فقلت : " يجب أن نتذكر أن المحلفين الاثنى عشر قد أدانوا المتهم ، وكان ذلك بعد أن قام بتهديدهم مباشرة " .

قالت السيدة كالى وهى غير مقتنعة : " نعم " . لقد كنا نحاول أن نضفى المنطق على شيء غير مستساغ بالمرة .

قلت : " على أية حال ، لابد أن أخبر الشريف بهذه المعلومة " .

قالت : " لقد قطعنا وعوداً بعدم الكشف عما حدث بغرفة المحلفين " .

قال سام : " لقد كان ذلك منذ تسع سنوات يا أمى . ولم يكن باستطاعة أحد أن يتكهن بما يحدث الآن " .

قلت : " إن ذلك مهم من أجل ماكسين روت على وجه الخصوص " .

قال سام : " ألا تظنين أن بعض المحلفين الآخرين قد كشفوا بالفعل عن نفس هذه المعلومة ؟ " .

قالت : " ربما ، ولكن كان ذلك منذ فترة طويلة . ولا أعتقد أن أحدًا منهم كان يسجل الملاحظات " .

كان هناك اضطراب عند الباب الأمامي . فقد وصل بوبى وليون وآل . فقد تقابلوا فى سانت لويس وقادوا السيارة طوال الليل حتى وصلوا إلى كلانتون . ارتشفنا القهوة حول طاولة المطبخ وأحطتهم أنا خبرًا بآخر التطورات . وقد دبت الحياة فجأة فى السيدة كالى والتى بدأت تفكر فى الوجبات التى ستقوم بطهيها وأعدت قائمة بالخضراوات التى ستجعل إيساو يجنيها .

كان الشريف ماكنات يقوم بجولات ، حيث قرر زيارة كل محلف . وكان ينبغي أن أدلى بما عرفته لشخص ما ، لذا فقد ذهبت إلى مكتب هارى ريكس وانتظرت في شغف إلى أن انتهى من الإدلاء بشهادة . وحينما أصبحنا بمفردنا أخبرته عن قائمة السيدة كالى وتقسيمها للمحلفين . وكان قد أمضى الساعتين المنصرمتين فى مساومة ساخنة مع مجموعة من المحامين وكانت حالته المزاجية سيئة .

وكالعادة كانت لديه نظرية مختلفة تمامًا وأكثر تشاؤمًا .

قال في تحليل سريع للموقف : " كان من المفترض أن يقوم هؤلاء الثلاثة بإحداث انشقاق فى هيئة المحلفين فيما يختص بحكم الإدانة . ولكنهم استسلموا لسبب ما ، وربما ظنوا أنهم يفعلون الصواب بإبعاده عن غرفة الغاز ، ولكن بالطبع لم يكن بادجيت يفكر بهذه الطريقة . فطوال تسع سنوات كان مستاءً لأن حلفاءه الثلاثة لم يحدثون انشقاقًا فى هيئة المحلفين . وقد فكّر فى أن ينتقم منهم أولاً ثم ينتقم من باقي الأعضاء " .

قلت مجادلا : " لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون لينى فارجرسون أحد حلفاء أو جواسيس دانى بادجيت " .

قال : " فقط لأنه معاق ؟ " .

قلت : " فقط لأنه شاب ورع للغاية " .

قال : " لقد كان عاطلا عن العمل يا ويلى . وكان ذات يوم يستطيع العمل ولكنه كان واثقًا من أن حالته ستزداد سوءًا على مر السنين . ربما كان بحاجة للمال . يا إلهى من ليس بحاجة إليه . وآل بادجيت لديهم أكوام من المال " .

عارضته قائلا : " أنا لست مقتنعًا بهذا " .

قال : " إن ذلك أكثر منطقية من نظرياتك الحمقاء . فماذا كنت تقول ـ شخص آخر هو من يقوم بقتل المحلفين ؟ " .

قلت : " أنا لم أقل هذا " .

قال : " جيد . لأنني كنت على وشك أن أدعوك بالمعتوه " .

قلت : " لقد دعوتني بألفاظ أقبح من هذا " .

قال : " ليس في هذا الصباح " .

قلت : " ووفقًا لنظريتك ، فإن كلاً من مو تيل وماكسين روت قد تقاضيا رشوة كذلك من بادجيت ، ثم خذلا داني بشأن مسألة الإدانة ، ثم راجعا نفسيهما فيما يختص بحكم الإعدام ، ثم الآن يدفعان الثمن لأنهما لم يقوما بإحداث انشقاق في المحلفين من البداية ؟ أليس هذا ما تقوله يا هاري ريكس ؟ " .

قال : " هذا صحيح ! " .

قلت : " أتعلم ، إنك أنت المعتوه . لماذا قد يوافق رجل نزيه وكادح يبغض الجريمة ويرتاد دار العبادة مثل مو تيل أن يأخذ مالاً من آل بادجيت ؟ " .

قال : " ربما قاموا بتهديده " .

قلت : " ربما ! وربما لم يقوموا بذلك ! " .

قال : " إذن ما هي نظريتك ؟ " .

قلت : " إن بادجيت هو الفاعل ، ولكن تصادف أن أول اثنين اختار أن يقتلهما هما اثنان من المحلفين الثلاثة الذين رفضوا التصويت لحكم الإعدام . إنه لم يعلم كيف سارت المباحثات . فقد انتقل إلى بارشمان بعد اثنتي عشرة ساعة من صدور الحكم . وقد قام بإعداد قائمته . كان فارجرسون هو الأول لأنه كان هدفًا سهلاً فقط . وتيل كان الثاني لأن آل بادجيت كان بإمكانهم اختيار مكان ارتكاب الجريمة " .

قال : " ومن الثالث ؟ " .

قلت : " لا أعلم ، ولكن هؤلاء الأشخاص لن يبقوا محبوسين طويلاً في منازلهم . فإنه سوف ينتظر ويدع الأمور تهدأ ، ثم يبدأ في وضع الخطط ثانية " .

قال : " وبإمكانه أن يحظى ببعض المساعدة " .

قلت : " تمامًا " .

ولم يكن جرس هاتف هارى ريكس يتوقف عن الرنين . حدق فيه حينما انتهينا من الكلام وقال : " لابد أن أعود للعمل " .

قلت : " أعتقد أننى سأذهب إلى الشريف . أراك لاحقاً " . وكنت خارج مكتبه حينما صاح : " اسمع يا ويلى ، لدى شىء أرغب فى قوله لك " .

استدرت لمواجهته .

" قم ببيعها وخذ الأموال وانطلق . فأنت تستحق هذا " .

" شكرًا لك " .

" ولكن لا تغادر كلانتون ؟ " .

" لن أفعل " .

كان السيد إيرل يورى يدير شركة آلات رصف للطرق خاصة بالمقاطعة . وكان يرصف الطرق الريفية التى تمتد حتى أماكن نائية ، من بوسوم ريدج إلى ما بعد شادى جروف . وبما أنه كان يعمل وحده فقد تقرر أن يبقى فى مأوى عربات المقاطعة بضعة أيام حيث لديه العديد من الأصدقاء الذين يملكون جميعًا بنادق فى شاحناتهم وكانوا يقظين تمامًا . وقد اجتمع الشريف ماكنات مع السيد يورى ومشرفه ووضعوا معًا خطة لحمايتهم .

وقد اتصل السيد يورى بالشريف وقال إن لديه معلومات مهمة . وقد اعترف بأنه لا يتذكر سوى القليل ، ولكنه كان واثقًا من أن الفتى المعوق ومو تيل رفضا بشدة حكم الإعدام ، وأنه كان هناك شخص آخر انضم إليهما كذلك ، ربما كانت واحدة من السيدتين ، ربما كانت السيدة السوداء . إنه فقط لم يستطع أن يتذكر تمامًا ، وعلى أية حال فقد انقضت تسع سنوات . وقد وجّه نفس السؤال إلى ماكنات ـ " لماذا يقوم دانى بادجيت بقتل المحلفين الذين رفضوا الحكم عليه بالإعدام ؟ " .

وحينما دلفت إلى مكتب الشريف ، كان قد انتهى لتوه من التحدث إلى السيد يورى وكان مرتبكًا للغاية كما ينبغى له أن يكون . أغلقت الباب وأعدت على مسامعه حوارى مع السيدة كالى . قلت : " لقد رأيت دفتر ملاحظاتها أيها الشريف . كان العضو الثالث الذى رفض التصويت لحكم الإعدام هو السيدة ماكسين روت " .

وطوال ساعة أفرغنا فى قالب جديد كل الحوارات التي أجريتها مع سام وهارى ريكس ، ومرة أخرى لم يبد شيء منطقيًا . وهو لم يصدق أن آل بادجيت قد قاموا بشراء أو ترهيب لينى أو مو تيل ، وكان واثقًا كذلك فى ماكسين روت حيث إنها سليلة عائلة صارمة . وقد اتفق معى إلى حد ما أنها كانت محض صدفة أن يقوم بادجيت بقتل هذين المحلفين على وجه الخصوص ، وأن بادجيت لم يكن يعرف شيئًا عن مباحثات المحلفين . والمثير أنه ادعى أنه قد اكتشف بعد مضى عام على صدور الحكم أن المحلفين انقسموا تسعة إلى ثلاثة بخصوص حكم الإعدام ، وأن مو تيل كان يعارض بعنف مثل هذه العقوبة .

ولكن خلص كل منا ـ وخاصة مع وجود شخص مثل لوشيان ويلبانكس إلى جانبهم ـ أن هناك احتمالاً كبيراً أن تكون المعلومات التى عرفها آل بادجيت عن المباحثات أكثر كثيرًا من تلك التى نعلمها نحن . فكل شيء كان محتملاً .

ولم يكن هناك شيء منطقى .

وبينما كنت متواجدًا بمكتبه ، اتصل بماكسين روت . كانت تعمل أمينة مكتبة فى مصنع أحذية شمالى البلدة وأصرت على الذهاب إلى العمل . وكان الشريف ماكنات فى مكتبها هذا الصباح يتفحص المكان ويتحدث إلى مديرها وزملائها ليتأكد من أن الجميع يشعر بالأمان . كان اثنان من نوابه يقفان خارج المبنى تحسبًا لوقوع أية متاعب وينتظران ليقلا ماكسين إلى منزلها حينما تنتهى من العمل .

وقد ظلا يتحادثان فى الهاتف وكأنهما صديقان قديمان لبضع دقائق ، ثم قال ماكنات : " اسمعى يا ماكسين ، أنا أعلم أنك ومو تيل وفارجرسون كنتم المحلفين الوحيدين الذين صوتوا ضد حكم الإعدام لدانى بادجيت ... " ، وقد سكت حينما قاطعته .

ثم أردف : " حسنًا ، ليس مهمًا كيف عرفت ذلك . المهم أن ذلك يجعلنى قلقًا للغاية بشأن سلامتك . قلق للغاية " .

ظل ينصت إليها لمدة دقائق قليلة . وبينما كانت تثرثر بلا توقف كان يقاطعها من حين لآخر قائلاً أشياء من قبيل : " حسنًا يا ماكسين ، أنا لا أستطيع الذهاب إلى هناك والقبض على الفتى " .

وأضاف : " أكدى على إخوتك أن يحتفظوا بتلك البنادق فى شاحناتهم " .

ثم قال : " إننى أعمل بالقضية يا ماكسين وحينما يكون بحوزتى أدلة كافية سوف أحصل على مذكرة بالقبض عليه " .

واستطرد قائلاً : " لقد فات أوان إصدار حكم بالإعدام عليه يا ماكسين . لقد فعلتي ما كنت تعتقدين أنه الصواب في وقتها " .

وكانت تبكي حينما انتهى الحوار . قال ماكنات : " إنها مسكينة حقاً . إن أعصابها محطمة " .

قلت : " لا أستطيع لومها . أنا نفسي متوتر للغاية " .

الفصل الأربعون

أقيمت جنازة مو تيل في دار عبادة ويلو رود ، دار العبادة رقم ستة وثلاثين على قائمتي وواحدة من الدور المفضلة لدى . كانت تقريبًا على حدود مدينة كلانتون ، جنوبي الميدان . ولأنني لم أقابل السيد تيل قط فلم أذهب إلى جنازته . ومع ذلك فقد حضرها الكثيرون الذين لم يلتقوا به أبدًا .

فإن كان قد مات إثر الإصابة بأزمة قلبية في سن الواحد والخمسين كان سينظر الناس إلى موته بوصفه فجائي ومأساوي وكانت جنازته لتجتذب حشدًا كبيرًا من الناس . ولكن إطلاق النار عليه في عملية انتقامية على يد قاتل أطلق سراحه مؤخرًا كان صعب المقاومة بالنسبة للأشخاص الفضوليين في البلدة . وقد ضم الحشد معارف أولاد السيد تيل الأربعة البالغين منذ المدرسة الثانوية ، والذين لم يعد أحد يتذكرهم ، وأرامل كبيرات في السن واللاتي لم يكن يفوتهن جنازة جيدة ، ومراسلين من خارج البلدة ، والعديد من

الرجال الذين كانت علاقتهم به تقتصر على حقيقة امتلاكهم لشركة جرارات جون دير .

وقد بقيت مبتعدًا وكتبت نعيه . وكان ولده الأكبر لطيفًا بما فيه الكفاية ليتوقف عند مكتبى ويمدنى بالتفاصيل . كان فى الثالثة والثلاثين من عمره ويبيع سيارات فورد الجديدة فى توبيلو . وقد مكث معى طوال ساعتين ، وأراد منى فى يأس أن أؤكد له أن دانى بادجيت على وشك الاعتقال والحبس .

وقد تقرر دفن مو تيل فى مقبرة كلانتون . وقد سارت الجنازة مسافة طويلة وعبرت الميدان ومنه إلى شارع جاكسون أمام التايمز مباشرة . ولم تربك حركة المرور بالمرة . فكان جميع سكان البلدة يشيعونها .

باستخدام هارى ريكس كوسيط ، حدد لوشيان ويلبانكس موعدًا مع الشريف ماكنات . وقد أتى لوشيان على ذكرى أنا بالتحديد واشترط عدم وجودى . ولم يكن ذلك مهمًا ، فقد كتب هارى ريكس ملاحظاته وأخبرنى بكل شىء مع التأكيد على أن تفاصيل اللقاء غير قابلة للنشر .

ومن بين الحاضرين فى مكتب لوشيان كان روفس باكلى محامى المقاطعة الذى خلف إرنى جاديس فى عام ١٩٧٥ . وكان باكلى يحظى بشعبية ، وعلى الرغم من أنه لم يكن راغبًا فى التورط فى جلسة إطلاق سراح بادجيت إلا أنه يتوق الآن لتسليمه للعامة لإعدامه بدون محاكمة . وكان هارى ريكس يزدرى باكلى ، وكان هذا الشعور متبادلاً . وكان لوشيان يزدريه كذلك ، ولكنه كان يكره الجميع لأن الجميع كانوا يكرهونه . وكان الشريف ماكنات يبغض

لوشيان ولا يحب كثيرًا هارى ريكس ، وكان يضطر للعمل مع بـاكلى على الرغم من بغضه الداخلى له .

ومع الوضع فى الاعتبار هذه المشاعر المتضاربة والمتعارضة ، كنت سعيدًا للغاية لعدم دعوتى إلى الاجتماع .

وقد بدأ لوشيان بالتصريح بأنه تحدث إلى كل من دانـى بادجيـت ووالده جيل . فقد تقـابلوا فـى مكـان مـا خـارج كلانتـون بعيـدًا عـن الجزيرة . وكان دانى بخير ، يعمل يوميًـا بمكتـب شـركة مقـاولات الطرق الخاصة بأسرته ، ذلك المكتب الذى يقع داخـل مينـاء هـاربر الآمن لجزيرة بادجيت .

ولا عجب فى أن دانى بادجيت قد أنكر أن يكون لـه أدنـى صلة بمقتل لينى فارجرسـون أو مـو تيـل ، بـل كـان مصـدومًا لمـا يحـدث وغاضبًا لاعتباره المتهم الأول . وقد أكد لوشيان أنـه اسـتجوب دانـى بقسوة لدرجة أنـه آثـار حنقـه ، ولكنـه لم يسـتطع أن يتـبين أدنـى إشارة لعدم الصدق فى كلامه .

وقـد أطلـق النـار علـى لينـى فارجرسـون فـى ظهـيرة الثالـث والعشرين من مايو . وفى هـذا الوقـت كـان دانـى بمكتبـه ، وهنـاك أربعة أشخاص من الممكن أن يأكدوا ذلك . ويبعـد منـزل فارجرسـون علـى الأقـل ثلاثـين دقيقـة بالسـيارة عـن جزيـرة بادجيـت ، وكـان الشهود الأربعة واثقين تمام الثقة من أن دانى كان إما فـى مكتبـه أو فى مكان قريب للغاية منه فى فترة الظهيرة .

سـأل ماكنـات : " وكـم واحـد مـن هـؤلاء الشـهود يحمـل اسـم بادجيت ؟ " .

قال لوشيان بطريقة المحامين المعتادة : " إننا لم نـدخل مرحلـة الإعلان عن الأسماء بعد " .

وبعدها بأحد عشر يومًا في الثالث من يونيو ، أطلق النار على مو تيل في حوالى الساعة التاسعة وخمس عشر دقيقة صباحًا . وفي تلك اللحظة بالذات كان دانى واقفا إلى جوار طريق مرصوف حديثًا في مقاطعة تيبا ، يحصل على وثائق موقعة من أحد كبار عمال شركة بناء بادجيت . وكبير العمال هذا بالإضافة إلى عاملين آخرين على أتم استعداد للإدلاء بشاهدتهما بشأن مكان تواجد بادجيت في ذلك الوقت . وكان الطريق يبعد على الأقل مسافة ساعتين عن مزرعة نيد راى زوك في شرق مقاطعة فورد .

وبذلك فقد تقدم لوشيان بحجتى غياب غير قابلتين للشك بالنسبة لجريمتى القتل على الرغم من أن جمهوره الصغير كان متشككا فيهما للغاية . فبالطبع سوف ينكر آل بادجيت كل شىء . ومع الوضع في الاعتبار مقدرتهم على الكذب وكسر الأرجل والرشوة بمبالغ طائلة ، فبإمكانهم إيجاد أشخاص يشهدون على أى شىء .

وقد عبَّر الشريف ماكنات عن تشككه فيما سمعه . وقد أوضح للوشيان أنه سيستمر في تحقيقاته ، وحينما يصبح بحوزته الدليل الدامغ فسوف يحصل على مذكرة اعتقال يذهب بها إلى الجزيرة . ولقد تحدث كثيرًا مع شرطة الولاية ، وإن كان بحاجة إلى مائة شرطى ليقبض على دانى فسوف يزودونه بهم .

وقال لوشيان إن ذلك لن يكون ضروريًا . فإن استطاع أن يحصل على مذكرة اعتقال فسوف يبذل قصارى جهده ليقبض على الفتى بنفسه .

قال ماكنات : " وإن حدثت جريمة قتل أخرى ، فسوف تعم الفوضى في هذا المكان . فسوف يعبر مائة من المتطوعين الجسر ويطلقون النار على أى شخص يجدونه من عائلة بادجيت " .

وقال باكلى إنه قد تحدث إلى القاضى ؛ عمر نوس مرتين بخصوص جرائم القتل ، وكان واثقًا من أن نوس " شبه مستعد " أن يصدر مذكرة باعتقال دانى . وقد أمطره دانى بأسئلة حول الأدلة الكافية والدامغة . وقد جادله باكلى بأن تهديد بادجيت للمحلفين فى أثناء المحاكمة يعد سببًا كافيًا لاتهامه بجريمتى القتل تلك .

وقد تحول الاجتماع إلى حالة من الفوضى حيث تجادل الاثنان بحرارة حولٍ مختلف التشريعات . وقد فض الشريف الاجتماع أخيرًا قائلا بأنه سمع ما يكفى وخرج من مكتب لوشيان . وقد تبعه باكلى . وقد بقى هارى ريكس قليلا وتحاور مع لوشيان فى أجواء أكثر هدوءًا .

تذمَّر هارى ريكس بينما كان يجوب غرفتى بعدها بساعة : " إنها زمرة من الكاذبين يحمون زمرة من الكاذبين . إن لوشيان يتحرى الصدق فقط حينما يكون ذلك فى صالحه ، وبالنسبة له ولزبائنه لا يحدث ذلك كثيرًا . وآل بادجيت لا يعرفون شيئًا يسمى الصدق " .

سألت : " هل تتذكر ليديا فينس ؟ " .

" من ؟ " .

" تلك العاهرة فى المحاكمة ، تلك التى وضعها ويلبانكس على منصة الشهود تحت القسم . لقد أخبرت المحلفين بأن دانى كان فى فراشها وقت قتل رودا . فقد وجدها آل بادجيت واشتروا شهادتها وسلموها إلى لوشيان . إنهم مجموعة من السارقين الكاذبين " .

" وبعد ذلك قتل زوجها السابق ، أليس كذلك ؟ " .

" بعد المحاكمة مباشرة . ربما أطلق عليه النار أحد رجال بادجيت . ولم يكن هناك أية أدلة سوى الرصاصات . ولم يتهم أحد . لا شيء . يبدو هذا مألوفًا " .

قال : " لم يصدق ماكنات أى شيء قاله لوشيان ، وكذلك باكلى " .

" وماذا عنك ؟ " .

" الآن . لقد رأيت لوشيان من قبل يبكى أمام المحلفين . وهو يستطيع أن يكون مقنعًا للغاية فى بعض الأحيان ، ليس دائمًا ولكن أحيانًا . إن دانى هو الفاعل وقد حصل على بعض المساعدة " .

" وهل يصدق ماكنات هذا ؟ " .

" نعم ، لكن ليس لديه دليل . إن اعتقاله سوف يكون بمثابة إهدار للوقت " .

" سوف يمنعه من أن يجوب الطرقات " .

" بشكل مؤقت ، بدون ضمان لن تستطيع إبقاءه فى السجن للأبد . إنه صبور . فقد ظل ينتظر تسع سنوات " .

على الرغم من عدم استطاعة أحد تحديد هوية محبى المزاح حيث إنهم عادة ما يكونون أذكياء بما فيه الكفاية لدفن أسرارهم معهم فى قبورهم ، إلا أنه كان هناك اعتقاد واسع النطاق فى الأشهر التالية أنهما كانا ولدا عمدتنا المراهقين . فقد تم رؤية ولدين مراهقين يفران من المكان بسرعة شديدة وكأنهما يخشيان أن يضبطهما أحد . وولدا العمدة لهما سجل طويل ومتنوع كمحبين للمزاح مبتكرين ووقحين .

قط بأنه فعل ذلك ـ وتفريغ اثنتى عشرة طلقة فى الأشجار . وبدون شك كان الآخرون سوف يبدأون فى إطلاق النار ، ومن يعلم كم سيكون عدد الضحايا إن حدث هذا لولا أن صاح الشرطى الآخر جيمى بصوت مرتفع قائلاً : " كفوا عن إطلاق النار أيها الحمقى ! " .

وبذلك توقف إطلاق النار على الفور ، ولكن المفرقعات لم تكن قد انتهت من عرضها بعد . وعندما انفجرت آخر واحدة ، انطلق الحراس ناحية الجزء الداخن من الأعشاب واكتشفوا الخدعة . فقد عرف الجميع أنها مجرد ألعاب نارية . اختلس السيد إيرل يورى النظر من البوابة الأمامية وفى النهاية خرج من المنزل .

وفى نهاية الشارع سمعت السيدة أليس وود صوت الانفجارات وهرعت إلى مؤخرة منزلها لتوصد الباب حينما رأت المراهقين ينطلقان هاربين وهما يضحكان بهستيرية . وقد أبلغت أنهما كانا من البيض وفى حوالى الخامسة عشر من عمرها .

وعلى بعد ميل من لوتاون ، كنت أهبط درجات شرفة منزل السيدة كالى الأمامية حينما سمعت الانفجارات من بعيد . وقد قفز حراس الدورية الليلة ـ سام وليون واثنان من رجال الدين ـ على أقدامهم وأخذوا يحدقون ناحية مصدر الصوت . وقد بدا الصوت كأنه خارج من مدفع قذاف . شرعنا فى الانتظار حتى عم السكون ثانية وحينها قال ليون : " يبدو الصوت وكأنه مفرقعات نارية " .

تسلل سام للداخل ليطمئن على والدته . خرج وقال : " إنها نائمة " .

قلت : " سوف أذهب لأعرف ما يحدث . وسوف أتصل بكم إن كان شيئًا مهمًا " .

كان الشارع الذى يقطن فيه السيد يورى يعمه الصخب ، حيث كانت تصطف به اثنتا عشرة سيارة شرطة تملأ أنوارها الحمراء

والزرقاء المكان . وقد اختنق المرور حيث كان يحاول الكثير من الفضوليين الآخرين الاقتراب من المكان . وجدت سيارة باستر واقفة في أحد الأزقة ، وحينما وجدته بعد بضع دقائق أخبرني بما حدث . قال : " مجرد طفلين يمزحان " .

وقد وجدت الأمر طريفا ، ولكنى كنت ضمن فئة قليلة للغاية ممن اعتبروا الأمر كذلك !

الفصل الحادى والأربعون

فـي خلال التسع سنوات التى تلت شرائى للتايمز لم أبتعد عنها مطلقاً أكثر من أربعة أيام . فكنا نطبع كل ثلاثاء وننشر كل أربعاء ، وفى كل يوم خميس كنت أواجه مشكلة الموعد النهائى الكبرى .

وكان أحد أسباب نجاحها هو حقيقة أننى كنت أكتب الكثير من الأشياء عن كل شىء فى مدينة لا يحدث بها إلا القليل . وكانت كـل طبعة تشتمل على ست وثلاثين صفحة . ومع إنقاص خمس صـفحات خاصة بالإعلانات المبوبة ، وثلاثة خاصـة بالتنويهـات القانونيـة ، ونحو ست صفحات للإعلانات ، فكنت مضطر أسبوعيًا أن أمـلأ نحـو اثنتين وعشرين صفحة بالأخبار المحلية .

وكانت أخبار الوفيات تحتـل نحـو صـفحة واحـدة ، وكنـت أنـا المسئول عن كتابة كل كلمة فيها . وكان دانى بيجماوث مسـئولاً عـن الصفحتين الرياضيتين ، على الرغم من أننى فى العادة كنت أسـاعده فى كتابة ملخص عن مباراة كرة قـدم فـى المدرسـة الثانويـة أو قصـة عاجلة عن ضربة هائلة أحرزها فتى فـى الثانيـة عشـرة مـن عمـره .

وكانت مارجريت مسئولة عن الصفحة الدينية وصفحة أخرى لحفلات الزفاف وأخرى للإعلانات المبوبة . أما باجى الذى كان إنتاجه منذ تسع سنوات ضعيفًا وسيئًا فى أغلب الأحوال ، فقد استسلم الآن لتعاطى الخمر ، ولا يكتب إلا قصة واحدة فى الأسبوع ، والتى كان يريد بالطبع نشرها دومًا فى الصفحة الأولى . وكان مراسلو الجريدة يذهبون ويأتون بانتظام . وكان لدينا واحد ـ وفى بعض الأحيان اثنان ـ يعمل لدينا بدوام كلى ، ولكن كانت متاعبهم تفوق ما يقدمونه لنا من فائدة . فكنت أضطر لتصحيح وتحرير عملهم لدرجة أننى كنت أتمنى لو قمت بكتابته بنفسى .

وبهذا كنت أكتب الكثير . وعلى الرغم من أننى درست الصحافة ، لم أكن أعرف أنه ينبغى على الصحفى كتابة كل هذا الكم من الكلمات فى مثل تلك الفترات الوجيزة . ولكن بمجرد أن امتلكت الجريدة فجأة وكان علىّ أن أختار ما بين تركها تغرق أو تطفو على السطح ، اكتشفت أن لدى قدرة هائلة على كتابة قصص عاصفة ورائعة حول كل شىء وأى شىء . فتحطم إحدى السيارات الذى لم يسفر عن أية ضحايا كان خبرًا ينشر فى الصفحة الأولى مع استشهادات بأقوال شهود عيان وقائدى سيارات الإسعاف . والتوسع فى أحد المصانع كنت أجعله يبدو وكأن طفرة حدثت فى إجمالى الإنتاج القومى . وكنت أستطيع أن أنسج قصة مكونة من ثمانمائة كلمة عن بيع الخبز بإحدى الجمعيات الخيرية . وكنت أجعل اعتقال الشرطة لأحد مروجى المخدرات يبدو وكأن الكولومبيين يغيرون على أطفال كلانتون الأبرياء . وكنت أجعل مشاجرة دموية عند أحد النوادى تبدو وكأن الحرب هى السبب ، حيث إنها توتر أهل البلدة . أما خبر سرقة ثلاث شاحنات فى أسبوع واحد فكان يبدو فى جريدتنا وكأن الجريمة المنظمة قد شقت طريقها إلى بلدتنا .

وكنت أكتب عن مواطني مقاطعة فورد . وكانت قصة السيدة كالى هي أول قصة إنسانية مؤثرة أكتبها ، وعلى مدار السنوات ، كنت أحاول كتابة قصة إنسانية واحدة على الأقل شهريًا . فكان هناك أحد الناجين من مذبحة باتان ، وآخر محارب محلى اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، وبحار كان يعمل في بيرل هاربور ، ورجل دين خدم طائفة بلدة صغيرة طوال خمسة وأربعين عامًا ، وموظف عجوز عاش واحد وثلاثين عامًا فى الكونغو ، وخريج حديث كان يرقص في الحفلات الموسيقية فى برودواى ، وسيدة عاشت فى اثنتين وعشرين ولاية ، ورجل تزوج سبع مرات وكان يتوق لتقديم النصائح للمتزوجين الجدد ، والسيد ميلتو ـ المهاجر المميز ـ ومدرب كرة سلة المتقاعد ، والطاهى بمطعم تى شوبى الذى لا يتوقف عن قلى البيض . والقائمة طويلة . وكانت هذه القصص تحظى بشعبية واسعة .

إلا أنه بعد انقضاء تسع سنوات أصبحت الأسماء على قائمة الشخصيات المثيرة فى مقاطعة فورد قليلة للغاية .

وكنت أحاول الكتابة . عشرون صفحة فى الأسبوع ولمدة اثنين وخمسين أسبوعًا فى العام .

وكنت أستيقظ كل صباح وأنا أفكر إما فى قصة جديدة أو منظور جديد لقصة قديمة . وكانت أية أخبار أو أحداث غير تقليدية تعتبر بمثابة إلهام لى لكتابة قصة وإسقاطها بمكان ما فى الجريدة . كنت أكتب عن الكلاب والشاحنات القديمة وإعصار أسطورى ، ومنزل مسكون بالأشباح ، وفرس مفقود ، وكنز الحرب الأهلية ، وأسطورة العبد مقطوع الرأس ، وظربان أمريكى سريع . بالإضافة إلى الأخبار المعتادة ـ الدعاوى القضائية والانتخابات ، والجرائم ، والمشروعات

الجديدة ، وحالات الإفلاس ، والشخصيات الجديدة بالبلدة . ولكننى سئمت الكتابة .

كما أننى سئمت كلانتون . فبعد الكثيرٍ من التردد تقبلتنى البلدة ، وخاصة حينما تبين أننى لست راحلاً . ولكنها كانت بلدة صغيرة للغاية ، وكنت فى بعض الأوقات أشعر بالاختناق ، كما كنت أمضي الكثير من عطلات نهاية الأسبوع بالمنزل ، لا أجد ما أفعله سوى القراءة والكتابة ، لدرجة أننى اعتدت على ذلك . وقد أحبطنى ذلك الأمر بشدة . حاولت الاشتراك فى ليالى البوكر مع بوبا كروكيت وعصابة فوكس هول أو جحر الثعلب ، أو نزهات الشواء مع هارى ريكس ورفاقه . ولكننى لم أشعر قط بالانتماء إليهم .

كانت كلانتون تتغير ولم أكن سعيدًا بما يطرأ عليها من تغيير . فشأنها شأن معظم المدن الصغيرة بالجنوب كانت تمتد فى كل الاتجاهات مع عدم وجود خطة معينة لتطورها . وكان بارجين سيتى فى حالة ازدهار ، وكانت المنطقة المحيطة بها تجتذب كل أنواع مطاعم الأطعمة السريعة . وكانت منطقة وسط المدينة في حالة انهيار على الرغم من أن قاعة المحكمة وحكومة المقاطعة كانتا دومًا تجتذبان الناس . فكانت البلدة بحاجة إلى قادة سياسيين وأناس ذوى رؤية ثاقبة . ولكن كان هناك نقص حاد فيهما .

من ناحية أخرى ، كنت أعتقد أن البلدة بدأت تمل منى . فبسبب اعتراضى على حرب فيتنام كان ينظر الآخرون لى دومًا بصفتى راديكالى ليبرالى . وأنا لم أفعل سوى القليل لأمحو هذه السمعة . وبنمو الجريدة وزيادة الأرباح زادت خبرتى واشتد عودى ، وأصبحت أعبر عن رأيى بجرأة أكبر . كنت أشجب الاجتماعات المغلقة التى يعقدها مجلس المدينة ، وهيئة مشرفى

المقاطعة . وقد رفعت دعاوى قضائية لأحصل على السجلات العامة . وقد أمضيت عامًا تقريبًا أشكو من عدم وجود تقسيم للمناطق أو إدارة أراضى فى المقاطعة ، وعندما أتت بارجين سيتى أبديت الكثير من التذمر . كما شجبت قوانين تمويل حملة الولاية ، والتى كانت موضوعة لتسمح للأغنياء بانتخاب من يفضلونه . وحينما أطلق سراح دانى بادجيت ، قمت بشن هجوم شنيع على نظام إطلاق السراح .

ففى خلال السبعينات ، كنت بمثابة الخطيب ، وفى حين أن ذلك كان يتمخض عن قصص مثيرة ويروج للجريدة ، فقد حولنى كذلك إلى شخص شاذ . فقد اعتبرنى الآخرون حانقا يقف دومًا على منبر الوعظ . وأنا لم أعتقد مطلقًا أننى شخص مستأسد ، وكنت أحاول جاهدًا ألا أكون كذلك . ولكن بالنظر للخلف فقد كانت هناك الكثير من المشاجرات التى افتعلتها ليس فقط بسبب اقتناعى بوجهة نظرى ، ولكن أيضًا بسبب الملل .

وبينما كنت أزداد نضجًا ، كنت أرغب فى أن أكون مواطنًا عاديًا . فكان الآخرون ينظرون إلىّ دومًا بوصفى غريبا ، ولكن ذلك لم يعد يزعجنى . لقد أردت الذهاب والعودة ، أن أعيش فى كلانتون فى الوقت الذى يحلو لى ، ثم أسافر لفترات طويلة حينما أشعر بالملل . إنه لأمر عجيب حقا كيف يمكن أن يغير مفهوم المال مستقبل المرء .

وقد أصبحت مهووسًا بفكرة مغادرة كلانتون ، أن آخذ إجازة طويلة فى مكان ما لم أذهب إليه من قبل ، أن أرى العالم .

وكان لقائى التالى مع جراى ماكجرو فى أحد المطاعم فى توبيلو . وكان قد جاء إلى مكتبى عدة مرات . وإن زارنى مرة أخرى فسوف يبدأ فريق العمل فى الشك بأن ثمة شىء يحدث . وفى أثناء الغداء ، ألقينا نظرة أخرى على عرض زبونه وخططه وتفاوضنا بشأن شتى

الأمور . فإن بعت له الجريدة أريد منه احترام عقد الخمس سنوات الذى حددته مع دافى بيجماوث باس وهاردى ومارجريت . أما باجى فإما إنه سيتقاعد قريبًا أو سيموت إثر إصابته بتسمم الكبد . وويلى يعمل منذ البداية بدوام جزئى ، وكان اهتمامه بملاحقة الأحداث لالتقاط الصور قد بدأ يصيبه الوهن . وكان هو الموظف الوحيد الذى أخبرته بشأن المفاوضات ، وقد شجعنى على أخذ المال والهرب بعيدًا .

وقد أراد منى زبون ماكجرو البقاء لعام على الأقل - براتب مغر للغاية - كى أدرب المحرر الجديد . وأنا لم أوافق على ذلك . فإنْ اخترت الابتعاد فسوف أبتعد ، ولم أكن أرغب فى أن يترأسنى أحد أو أن أشهد التوتر الذى سيعقب بيعى لجريدة المقاطعة لشركة كبيرة من خارج الولاية .

وكان عرضهم هو ١,٣ مليون دولار . وقد ثمَّن استشارى قمت باستئجاره فى نوكسفيل الجريدة بسعر ١,٣٥ مليون دولار .

قال ماكجرو فى نهاية غداء طويل للغاية : " لقد قمنا بشراء الصحف فى مقاطعتى تايلر وفان بورن . فالأمور أصبحت فى نطاقها الصحيح " .

لقد كان أميناً للغاية معى . وقد وافق مالك الجريدة فى تايلر على البيع مبدئيًا ، ولكنهم لم يوقعوا العقد .

قال : " ولكن هناك عائقاً . فهناك احتمال أن تعرض الجريدة فى مقاطعة بولك للبيع . وبصراحة نحن قد نشتريها إن لم نعقد صفقة معك . فهى أرخص كثيرًا " .

قلت : " آه ، إنكم تضغطون علىّ " .

وكان عدد قراء جريدة هيرالد بمقاطعة بولك يبلغ أربعة آلاف قارئ ، وذات إدارة سيئة . فكنت أراها كل أسبوع .

قال : " أنا لا أحاول الضغط عليك . أنا فقط أقدم لك أفضل ما لدىَّ " .

قلت : " أنا أريد مليون ونصف دولار " .

قال : " هذا أكثر من الحد الأقصى لدينا يا ويلى " .

قلت : " إنه ثمن مرتفع ، ولكنه سيرجع إليك فى صورة أرباح . وقد يستغرق ذلك بعض الوقت ، ولكن فكر فيما ستجنيه خلال العشر سنوات القادمة " .

قال : " أنا لست واثقًا من أننا نستطيع ربح مثل هذا المبلغ " .

قلت : " سوف تضطر لهذا إن كنت تريد الجريدة " .

تولد لديه شعور باللهفة ، ثم ألمح إلى وعد نهائى وقال أخيرًا : " إننا نتباحث منذ أشهر الآن ، وموكلى يرغب فى التوصل إلى نتيجة . إنه يريد إتمام الصفقة قبل بداية الشهر القادم أو إنه سيبحث له عن جريدة أخرى " .

وهذا الأمر لم يثر اهتمامى كثيرًا . فأنا كنت قد سئمت من التحدث أيضًا . فإما أن أبيع أو لا . لقد حان وقت اتخاذ القرار .

قلت : " إذن فأمامى ثلاثة وعشرون يومًا " .

قال : " نعم " .

قلت : " حسنًا " .

جاءت أيام الصيف الطويلة وجاءت معها درجة الحرارة غير المحتملة والرطوبة المرتفعة واللذان يبقيان مدة الثلاثة أشهر المعتادة . وقد واصلت جولاتى فى زيارة دور العبادة الموجودة على قائمتى ، وملاعب الكرة اللينة ، ودورة الجولف المحلية ، ومزارع

قطف البطيخ . ولكن كلانتون كانت تنتظر ، ولم نكن نتحدث عن شيء سوى الانتظار .

وقد بدأ التوتر الذى يعانى منه أعضاء هيئة المحلفين فى التلاشى تدريجيا . فقد تعبوا من كونهم سجناء منازلهم ، وتغيير روتين حياتهم ، وبقاء مجموعات من الجيران يحرسون منازلهم فى أثناء الليل . لقد بدأوا المخاطرة ومحاولة استئناف حياتهم السابقة .

ولكن القاتل لم يفقد ولو قدر ضئيل من صبره . فهو يعلم أن الوقت لصالحه ، وأن ضحاياه سيسأمون من كل تلك الحماية . وكان يعلم أن تلك الحراسة ستنتهى يومًا ويرتكبون خطأ ما . وكنا نعلم ذلك أيضًا .

وبعد تفويت ثلاثة أسابيع متتالية لأول مرة فى حياتها ، صممت السيدة كالى على الذهاب إلى دار العبادة . وبصحبة كل من سام وإيساو وليون دلفت السيدة كالى إلى دار العبادة وصلت كما لو أنها لم تصل منذ عام . وقد عانقها أخوتها وإخواتها ، ودعوا من أجلها كثيرًا . وقد دارت خطبة سمال حول هذا الموضوع ، ودعا الله أن يحمى رعاياه . وقال سام إن خطبته استمرت ثلاث ساعات .

وبعد ذلك بيومين ، جلست السيدة كالى فى المقعد الخلفى بسيارتى المرسيدس . وبعدما جلس إيساو بجانبها وأمسك إيساو بالبندقية هرعنا خارج كلانتون مع وجود شرطى يتبعنا . وقد توقف عند خط الولاية وبعدها بساعة وصلنا إلى ممفيس . كان هناك مركز تجارى جديد صاخب للغاية بشرق المدينة ، والذى حلمت السيدة كالى برؤيته ـ فأكثر من مائة متجر كانت توجد تحت سقف واحد ! فلأول مرة فى حياتها تتناول البيتزا ، وترى حلبة تزحلق على الجليد ، ورجلين يمسكان بأيدى بعضهما البعض ، عائلة من أعراق مختلفة . وقد استحسنت حلبة التزحلق فقط .

وبعد ساعة كاملة من البحث ، وجدنا أخيرًا المقبرة فى جنوب ممفيس . فباستخدام خريطة حصلنا عليها من البلدية ، حددنا موقع قبر نيكولا روزيتى ديجارنيت . وقد وضعت السيدة كالى إكليلا من الزهور كانت قد اشترته من كلانتون على قبرها ، وحينما بدا واضحًا أنها ترغب فى إمضاء بعض الوقت هناك ابتعدنا جميعًا وتركناها وحدها .

وفى ذكرى نيكولا ، أرادت السيدة كالى تناول طعام إيطالى . لذا فقد حجزت طاولة بمطعم جريزانتى - أحد المطاعم البارزة فى ممفيس - وتناولنا عشاءً طويلاً وجميلاً مكونًا من اللازانيا والرافيولى المحشوة بالجبن . وقد استطاعت أن تتغلب على بغضها لإهدار الأموال فى المطاعم ، ولحمايتها من ارتكاب أى إثم فقد صممت على دفع الفاتورة .

ولم نكن نرغب فى مغادرة ممفيس . فطوال ساعات قليلة هربنا من الخوف من المجهول وتعب الانتظار . وقد بدت كلانتون على بعد ألف ميل ، وكان ذلك قريبًا للغاية ، وفى أثناء عودتنا فى وقت متأخر من الليل ، وجدت أننى أقود سيارتى ببطء شديد .

وعلى الرغم من أننا لم نتحدث عن هذا ، وانحسر الحوار بشكلٍ كبيرٍ باقترابنا من كلانتون ، فإننا كنا نعلم جميعًا أن هناك قاتلا طليقًا فى مقاطعة فورد . وكان اسم السيدة كالى على قائمته . ولولا وجود الجثتين ما كان لأحد أن يصدق مثل هذا الأمر .

ووفقًا لباجى والبحث الذى أجريته فى أرشيف التايمز ، لم يفلت أى قاتل بفعلته خلال هذا القرن . فكل جريمة قتل تقريبًا كانت نتاج عمل متهور وشهدها العديد من الشهود . وفى العادة يتم اعتقال المتهم ومحاكمته وإدانته بسرعة . أما الآن فلدينا قاتل ذكى للغاية وطليق ، والجميع يعلم قائمة الأشخاص الذين يرغب فى

قتلهم . وفي مجتمع يتقيد بالقانون وورع مثل مجتمع كلانتون ؛ كان هذا الأمر صعب التصديق !

وقد تجادل كل من بوبي وآل وماكس وليون كثيرًا مع السيدة كالى لتذهب لتقيم مع أحدهم لمدة شهر أو أكثر . وقد تشاركت أنا وسام وحتى إيساو في هذه المجادلات الحارة ، ولكنها لم تنصت لأحد ! فقد كانت على صلة وثيقة بالله وهذا وحده كفيل بحمايتها .

وفي خلال تسع سنوات ، كانت المرة الأولى التى أفقد فيها أعصابى مع السيدة كالى ، والمرة الأولى التى عنفتنى فيها هى فى أثناء تجادلنا بشأن قضاء مدة شهر في ميلووكى مع بوبى . قالت : " إن تلك المدن الكبيرة خطيرة للغاية " .

أجبتها : " لا يوجد مكان في مثل خطورة كلانتون الآن " .

ولاحقًا حينما رفعت صوتى ، قالت لى إنها مستاءة من قلة الاحترام الذى أبديته تجاهها ، وسرعان ما أطبقت فمى .

وحينما دخلت مقاطعة فورد متأخرًا في هذه البلدة ، بدأت فى مراقبة مرآة المشهد الخلفي . كان ذلك سخيفًا ، ولكنه لم يكن كذلك في هذا الوقت . وفي لوتاون كان منزل آل روفين يحرسه شرطى وصديق لإيساو بالشرفة .

قال الصديق : " لقد كانت ليلة هادئة " . بمعنى آخر لم يطلق أحد النار من بندقيته أو يقتل أحد .

لعبت أنا وسام الشطرنج لمدة ساعة بالشرفة فى الوقت الذى ذهبت فيه السيدة كالى للفراش .

وواصلنا الانتظار !

الفصل الثانى والأربعون

كان عام ١٩٧٩ هـو عـام الانتخابـات المحليـة فـى المسيسيبى ، وثالث انتخابـات لى كمصوت مسـجل . كانـت أهـدأ كـثيرًا مـن أول اثنتين . فلم يكن هناك تسابق للحصول على منصب الشريف ؛ الأمر الذى كان جديدًا وغير مسبوق . فكانـت هنـاك شـائعة تفيـد بـأن آل بادجيت قد اشتروا مرشحًا جديـدًا ولكـن بعـد كارثـة إطـلاق سـراح دانى تراجعوا عن ذلك . وكان للسيناتور ثيـو مورتـون خصـم واحـد أحضر لى إعلانًا طرح فيه هذا السؤال الجرئ ـ " لماذا قام عضو مجلس الشـيوخ مورتـون بـإطلاق سـراح بادجيـت ؟ المـال ! إن هـذا هـو السبب ! " . وبقدر ما كنت أرغب فى نشر هذا الإعلان فلم يكن لدىَّ لا الوقت ولا الجهد لتحمل عواقب رفع دعوى قذف وتشهير ضدى .

أما الصراع الحقيقى فكان حول منصب موظف الأمـن فـى " بيت فور " ، حيث كان هناك ثلاثة عشر مرشحًا ، ولكن خلاف ذلك فـإن المنافسات الأخرى لم تكـن محتدمـة . فكـان تركيـز سـكان المقاطعـة منصبًا على حادثتى قتـل فارجرسون وتيـل ، والأهـم مـن ذلـك مـن

سيكون التالى . وقد قام الشريف ماكنات ومحققو شرطة الولاية والمعمل الجنائي بدراسة كل الأدلة بشكل دقيق . ولم يكن فى وسع أحد فعل شيء آخر سوى الانتظار .

وباقتراب يوم الرابع من يوليو ، لم يشعر أحد بحماسة للاحتفال بالذكرى السنوية . فعلى الرغم من أن الجميع كانوا يشعرون بالأمان إلا أنه كانت هناك سحابة سوداء تخيم على المقاطعة . فالغريب أن انتشرت شائعات تفيد بأن شيئًا ما سوف يحدث إن اجتمعنا جميعًا حول دار المحكمة فى اليوم الرابع من يوليو . وعلى الرغم من ذلك فلم يسبق مطلقًا أن كانت الشائعات بمثل هذا الابتكار أو انتشرت بمثل هذه السرعة مثلما حدث فى شهر يونيو .

فى يوم الخامس والعشرين من يونيو فى مكتب محاماة فخم فى توبيلو ، قمت بتوقيع مجموعة من الوثائق التى نقلت ملكية التايمز لشركة إعلانات يمتلكها جزئيًا السيد راى نوبل من أتلانتا . وقد سلمنى السيد نوبل شيكًا قيمته ١,٥ مليون دولار ، وقمت بعد ذلك بالإسراع فى توتر إلى نهاية الشارع حيث كان صديقى الجديد ستو هولاند ينتظرنى فى مكتبه الفسيح فى بنك التجاريين . فأنباء مثل هذه الوديعة فى كلانتون كانت لتنتشر كالنار فى الهشيم ، لذا فقد دفنت المبلغ لدى ستو ، وقدت سيارتى إلى المنزل .

كانت تلك أطول ساعة أقود فيها السيارة . فقد كنت أشعر بالبهجة لأننى بعت الجريدة بأعلى من سعر السوق . لقد غنمت مبلغًا كبيرًا من مشتر ثرى وحسن السمعة والذى لن يقوم سوى

بإحـداث تغـييرات طفيفـة فـى جريـدتى . كانـت المغـامرة تنـادينى وكانت بحوزتى الوسائل المطلوبة لتلبية ندائها .

ولكننى كنت حزينًا أيضًا لأننى تخليت عن جزء كبير ومجز من حياتى . فلقد نضجت أنا والجريدة معًـا ، فقـد أضـحيت أنـا شخصًـا بالغًا وأصبحت هى وحدة مربحـة . لقد أصبحت مـا يجـب أن تصـبح عليه أى جريدة ببلدة صغيرة ، شاهد حى على الأحداث الجاريـة ، مؤرخ للتـاريخ ، معلـق علـى القضـايا الاجتماعيـة والسياسـية . أمـا بالنسبة لى ، فقد كنـت شـابًا قـام ببراعـة ببنـاء شـىء مـن الصـفر . وأعتقد أننى كان يجب أن أتمتـع بمرحلتـى السـنية ، ولكـن كـل مـا أريده الآن هو إيجاد شاطئ ثم فتاة جميلة .

وعندما عدت إلى كلانتون دخلت مكتب مارجريت وأغلقت الباب وأخبرتها بشأن صفقة البيع . وقد انفجرت فى البكاء وقبل أن يمضى وقت طويل اغرورقت عيناى بالدموع كذلك . إن إخلاصها للعمل كـان يفاجئنى دومًا ، وعلى الرغم مـن أنهـا ـ شـأنها شـأن السـيدة كـالى ـ كانت قلقة للغاية بشأن روحى فإنها أحبتنى بشـدة . وقـد أخبرتهـا بأن المالكين الجدد أناس رائعون حقًا ولا يخططون لإحداث تغييرات جذرية ووافقوا على تجديد عقدها لمدة خمس سنوات براتـب أكـبر . وقد جعلها كلامى هذا تبكى أكثر .

أما هاردى فلم يبك . ففى ذلك الوقت كان قد مضى علـى طباعتـه للتايمز نحو ثلاثين عامًا . كـان متقلـب المـزاج ومشاكسًـا ويفـرط فـى الشـراب مثلـه مثـل معظـم رجـال الطباعـة ، وإن لم يحبـه المـالكون الجدد فسوف يقوم ببساطة بالاستقالة والذهاب لصيد السـمك . وهـو لم يقدر كثيرًا عقده الجديد بأى حال من الأحوال .

وكذلك فعل دافى بيجماوث باس . لقد صدمته الأخبـار ، ولكنـه ابتهج لفكرة كسب مزيد من الأموال .

كان باجي في إجازة في مكان ما خارج ويست مع أخيه ـ وليس زوجته . وقد عزف السيد راى نوبل عن تجديد عقد مدته خمس سنوات أخرى لباجي نظير عمله الواهن . وأنا لم أستطع ـ من بابٍ مراعاة الضمير ـ أن أجعله جزءًا من الصفقة . فباجي كان جامحا للغاية .

وكان لدىّ خمسة موظفين آخرين ، أعلمت كل واحد منهم بشكل شخصي بالأخبار الجديدة . وقد استغرق مني هذا الأمر طوال فترة بعد الظهيرة ، وحينما انتهيت شعرت بالإنهاك . قابلت هارى ريكس في الغرفة الخلفية بمطعم بيب واحتفلنا معًا .

كنت متلهفًا على مغادرة البلدة والذهاب إلى مكان ما ، ولكن كان ذلك مستحيلاً حتى تنتهي عمليات القتل .

طوال شهر يونيو كان أساتذة عائلة روفين الجامعيون يجيئون ويذهبون . فقد كدحوا للحصول على مهمات وإجازات حتى يضمنوا أن اثنين أو ثلاثة منهم على الأقل متواجدون دومًا مع السيدة كالى . وكان سام نادرًا ما يغادر المنزل . فقد ظل في لوتاون لحماية والدته ، ولكنه أيضًا كان مقلاً في الظهور علانية ، وفي الأماكن العامة . فالشرطي دورانت لايزال على مسافة غير بعيدة على الرغم من أنه تزوج ثانية وغادر ولداه المكان .

كان سام يمضى ساعات بالشرفة يقرأ بضراوة أو يلعب الشطرنج مع إيساو أو أى شخص آخر يمر بهم لتولى أمور الحراسة لبرهة . وقد ظل يلعب لعبة الطاولة معي حتى فطن استراتيجيات اللعبة ، وكان يصمم أن نتراهن بدولار على كل دور . وقبل أن يمضى وقت

طويل ، كنت مدينًا له بمبلغ خمسين دولارًا . ومثل هذه المقامرة كانت سرية وحرصنا ألا تعلم السيدة كالى عنها شيئًا .

وقد اجتمع شمل الأسرة سريعًا فى الأسبوع السابق للرابع من يونيو . ولأن منزلى كان يحتوى على خمس غرف نوم شاغرة ويفتقر إلى النشاط الإنسانى بشدة ، فقد صممت أن يملأه أفراد عائلة روفين . فقد تزايد عدد أفراد الأسرة بشكل كبير بعد أن قابلتهم للمرة الأولى فى عام ١٩٧٠ . فقد تزوج جميع الأبناء فيما عدا سام ، وأصبح هناك الآن واحد وعشرون حفيدًا . وبذلك وصل عدد أفراد الأسرة إلى خمسة وثلاثين دون عد سام والسيدة كالى وإيساو ، وقد جاء إلى كلانتون أربعة وثلاثين منهم . فكان والد زوجة ليون مريضًا فى شيكاغو .

ومن بين الأربعة والثلاثين ، انتقل ثلاثة وعشرون إلى منزل هوكيت لبضعة أيام . وهم قد جاءوا من مختلف أنحاء البلاد ، فى الغالب من الشمال ، فى صورة أفواج تصل فى جميع ساعات اليوم ، وكان كل فوج يتلقى ترحيبًا حارًا . فحينما وصلت كارلوتا وزوجها وطفلاها الصغيران فى الساعة الثالثة صباحًا من لوس أنجلوس ، تم إضاءة جميع أضواء المنزل ، وشرعت بونى زوجة بوبى فى طهى الفطائر .

وكانت بونى هى المسئولة عن مطبخى وكنت أذهب ثلاث مرات يوميًا إلى متجر البقالة بقائمة المشتريات التى تحتاجها سريعًا . وكنت أشترى كميات كبيرة من المثلجات ، وسرعان ما أدرك الأطفال أننى سآتيهم بها فى أى وقت من اليوم .

وبما أن شرفات منزلى كانت طويلة وعريضة ونادرة الاستخدام انجذب آل روفين إليها . وقد أحضر سام السيدة كالى وإيساو فى وقت متأخر من بعد ظهيرة هذا اليوم للزيارة . فكانت تتوق بشدة

لمغادرة لوتاون ، حيث إن منزلها الدافئ الصغير قد تحول إلى سجن .

وفى الكثير من الأوقات ، كنت أسمع أولادها يتحدثون بقلق بالغ عن صحتها . فقد كانوا يتحدثون عن صحتها أكثر من حديثهم عن خطر تعرضها للقتل . وعلى مر السنوات استطاعت إنقاص نحو ثمانين رطلاً من وزنها ـ وكان العدد يتغير بتغيير راوى الحكاية . والآن استعادت هذه الأرطال ثانية ، وأصبح ضغط دمها مصدر قلق معالجيها . كما أن التوتر كان يزيد من حالتها سوءًا . وقد قال إيساو إنها كانت تنام نومًا متقطعًا ، وهو الأمر الذى ألقت اللوم فيه على العقاقير . ولم تكن مرحة كعادتها ولا تبتسم كثيرًا وبالطبع أقل حيوية .

وكان كل ذلك بسبب المتاعب التى تثيرها عائلة بادجيت . فبمجرد أن يتم القبض عليه وتتوقف عمليات القتل ستعود السيدة كالى إلى طبيعتها ثانية .

وكان هذا هو الرأى المتفائل والوحيد الذى يتشارك فيه جميع الأبناء .

وفى يوم الاثنين الموافق الثانى من يوليو ، أعدت بونى والنساء الأخريات غداءً خفيفًا مكونًا من بيتزا وسلاطة . وكل أفراد عائلة روفين تقريبًا كانوا حاضرين ، وقد تناولنا الطعام فى شرفة جانبية أسفل مراوح الأماليد بطيئة الحركة وعديمة الفائدة . ولكن كان هناك نسيم لطيف ، ومع استقرار درجة الحرارة عند التسعينات ، استطعنا التمتع بوجبة طويلة وبطيئة .

وكان علىّ أن أنتظر اللحظة المناسبة حتى أخبر السيدة كالى بأننى بعت الجريدة . وكنت أعلم أنها ستصدم ، بل ربما ستصاب بالإحباط . ولكننى لم أفطن لسبب يجعلنا لا نواصل تناول الغداء معًا

فى يوم الخميس . فقد يكون حتى أكثر إمتاعًا عد أخطاء شخص آخر النحوية والمطبعية .

ففى خلال تسع سنوات ، كنا نتناول الغداء معًا كل أسبوع فيما عدا سبع مرات بسبب مرض أحدنا أو زيارة طبيب الأسنان .

وقد وصل حديثنا التالى لتناول الغداء إلى نهاية مفاجأة . فقد سمعنا صوت صافرات الإنذار عن بعد ، فى مكان ما عبر البلدة .

كان حجم الصندوق اثنتا عشرة بوصة وعمقه خمس بوصات وأبيض اللون وذا نجوم وتقليمات حمراء وزرقاء . وقد جاء فى طرد هدايا من مزرعة بولان بيكان فى هازيلهرست ، مسيسيبى ، مرسل إلى السيدة ماكسين روت من أختها فى كونكورد ، كاليفورنيا . فكانت هدية من جوز البقان الأمريكى الأصل بمناسبة يوم الاستقلال . وقد وصل الطرد بريديًا وسلمه ساعى بريد فى فترة الظهيرة حيث وضعه فى صندوق بريد ماكسين روت ، ثم دخل للمنزل أمام الحارس الوحيد الذى كان يجلس أسفل شجرة فى الفناء الأمامى ، ثم إلى المطبخ حيث رأته ماكسين .

كان قد مر نحو شهر على سؤال الشريف ماكنات لماكسين عن تصويتها فى هيئة المحلفين . وقد اعترفت بعد تردد بأنها كانت معارضة لإصدار حكم بالإعدام على دانى بادجيت وتذكرت أن المحلفين اللذين انضما إليها كانا لينى فارجرسون ومو تيل . وحيث إنهما الآن ميتان ، فقد أبلغها الشريف ماكنات أنها قد تكون الضحية التالية .

وطوال سنوات بعد المحاكمة ظلت ماكسين تتصارع مع هذا الحكم . فالمدينة كانت ساخطة لإصدار مثل هذا الحكم وقد شعرت

بعدوانيتها تجاهها . ولحسن الحظ أن المحلفين لم يعلنوا عما صوتوا به ، فبذلك استطاعت هي ولينى ومو تجنب أى عدوان إضافى . وبمرور الوقت نجحت فى أن تنأى بنفسها عن آثار الكارثة التى أحدثتها .

والآن يعلم العالم بما صوتت ، ويطاردها رجل معتوه . كانت أعصابها مدمرة ولم تستطع النوم وسئمت الاختباء بمنزلها ، ومن فناء ممتلأ بالجيران الذين يجتمعون كل ليلة وكأن هناك مناسبة اجتماعية ، سئمت من الاختباء أسفل كل نافذة . وقد كانت تتعاطى العديد من الحبوب التي كانت تتعارض مع بعضها البعض لدرجة أنها لم تكن تجدى شيئًا .

رأت صندوق البقان وشرعت فى البكاء . فشخص ما هنالك مازال يحبها . لقد كانت أختها العزيزة جين تفكر فيها . كم كانت تتمنى أن تكون فى كاليفورنيا مع جين فى هذه اللحظة .

بدأت ماكسين فى فتح الطرد حينما خطرت على بالها فكرة . ذهبت إلى الهاتف واتصلت بجين . فهما لم تتحدثا منذ أسبوع .

كانت جين بالعمل وقد ابتهجت حينما تلقت مكالمة من أختها . ظلتا تتحدثان عن مختلف الأمورٍ وعن الوضع الرهيب فى كلانتون . قالت ماكسين : " من اللطيف حقا أن ترسلى لى هذا البقان " .

سألت جين : " أى بقان ؟ " .

سادت فترة من الصمت ثم قالت : " صندوق الهدايا من بولان بيكانز فى هازيلهرست . صندوق كبير ، ثلاثة أرطال " .

سادت فترة صمت أخرى ثم قالت جين : " لست أنا يا أختاه . لابد وأن يكون المرسل شخصًا آخر " .

أغلقت ماكسين الخط بعد ذلك بلحظات ، وبدأت تتفحص الصندوق . كان هناك ملصق على الجانب الأمامي يقول ـ هدية من

جين بارهام . وهى بالطبع لم تكن تعرف امرأتان تدعيان جين بارهام .

وبحرص بالغ حملت الصندوق . وقد بدا ثقيلاً بعض الشىء بالنسبة لصندوق يحتوى على ثلاثة أرطال من البقان .

وبالمصادفة مر الشرطى بالدوام الجزئى ترافيس بالمنزل ، وكان بصحبته تيدى راى ، ذلك الفتى ذو الوجه المغطى بالبثور والذى يرتدى زيًا كبيرًا بعض الشىء ويحمل مسدسًا لم يطلق منه النار مطلقاً . أدخلتهما ماكسين إلى المطبخ حيث كان يوجد الصندوق المزركش باللون الأحمر والأبيض والأزرق فوق الطاولة . وقد دخل الحارس أيضًا المنزل وطوال دقيقة طويلة ظل الأربعة يحدقون فى الطرد . وقد أعادت ماكسين على مسامعهم حرفيًا حوارها مع جين .

وبتردد بالغ ، حمل ترافيس الصندوق وهزه برفق . قال : " يبدو ثقيلاً بالنسبة لصندوق يحتوى على البقان " . نظر إلى تيدى راى والذى كان شاحب اللون بالفعل والجار الذى يحمل بندقية وبدا مستعدًا لإطلاق النار على أى شىء .

سأل الجار : " هل تعتقد أنها قنبلة ؟ " .

همست ماكسين وبدت على وشك الانهيار : " يا إلهى ! " .

قال ترافيس : " ربما " ، ثم حدق ببله فيما كان ممسكًا به .

قالت ماكسين : " خذها للخارج " .

سأل تيدى راى بصعوبة : " ألا ينبغى أن نتصل بالشريف ؟ " .

قال ترافيس : " أعتقد هذا " .

سأل الجار : " ماذا إن كان بها مؤقت أو شىء من هذا القبيل ؟ " .

تردد ترافيس للحظة ثم قال بنبرة شخص لا يمتلك أية خبرة : " أنا أعلم ماذا ينبغى أن نفعل " .

دخلوا إلى شرفة ضيقة موجودة بالمطبخ والتى تمتد بطول مؤخرة المنزل . وضع ترافيس الصندوق بحرص على أقصى حافة على بعد ثلاث أقدام تقريبًا من الأرض وحينما أخرج مسدسه الماجنم عيار ٤٤ قالت ماكسين : " ماذا تفعل ؟ " .

قال ترافيس : " سوف نرى إن كانت قنبلة أم لا " . انطلق راى والجار من الشرفة واختبأوا فى مكان آمن بالفناء على بعد خمسين قدمًا .

قالت ماكسين : " هل ستطلق النار على البقان الخاص بى ؟ " .

قال ترافيس : " هل لديك فكرة أفضل ؟ " .

قالت : " لا أعتقد هذا " .

ومع وجود معظم جسده داخل المطبخ ، اتكأ خارج باب الشرفة مع بسط ذراعه الأيمن والتصويب . كانت ماكسين تقف خلفه مباشرة وهى رابضة وتختلس النظر من حول خصره .

وقد أخطأت الطلقة الأولى الشرفة تمامًا على الرغم من أنها أفزعت ماكسين بشدة . صاح تيدى راى : " طلقة موفقة " ، ثم ضحك هو والجار .

صوب ترافيس وأطلق النار مجددًا .

وقد حطم الانفجار الشرفة تمامًا وأحدث ثقبًا فى الجدار الخلفى خلف المطبخ ونثر الشظايا على مسافة مائة ياردة . لقد أدى إلى تحطم النوافذ وتصدع الألواح الخشبية كما أصاب المشاهدين الأربعة بجروح . وقد أصيب كل من تيدى راى والجار بأجزاء من الشظايا المعدنية فى ساقيهما وصدريهما . وقد تشوهت تمامًا ذراع ترافيس ويده التى كان يصوب بها . وقد أصيبت ماكسين بجرحين فى الرأس ـ فقد مزقت قطعة زجاج شحمة أذنها اليمنى واخترق مسمار صغير فكها الأيمن .

وطوال دقيقة ، أصيب الأربعة بالإغماء ، حيث أصابتهم ثلاثة أرطال من المتفجرات المحملة بالمسامير والزجاج .

بدأت جميع صافرات الإنذار تعوى عبر المدينة وقد ذهبت إلى الهاتف واتصلت بويلى ميك . كان على وشك الاتصال بى . قال : " لقد حاولوا تفجير ماكسين روت " .

وقد أخبرت عائلة روفين بأن ثمة حادث ما وتركتهم بالشرفة . وحينما اقتربت من منزل روت ، كانت الشوارع الرئيسية مغلقة وتم تحويل المرور لمكان آخر . هرعت إلى المستشفى ووجدت طبيبًا شابًا . قال إن هنالك أربعة مصابين ، ولكن لا يبدو أن أيًا منهم فى حالة خطيرة .

كان القاضى عمر نوس يترأس إحدى المحاكمات فى كلانتون فى ظهيرة هذا اليوم . فى الواقع ، لقد أكد لاحقًا أنه سمع الانفجار . وقد تقابل معه روفس باكلى والشريف ماكنات فى إحدى الغرف الخلفية بالمحكمة لأكثر من ساعة ، وما ناقشوه لم يصرح به قط . وبينما كنا ننتظر فى قاعة المحكمة ، كان هارى ريكس ومعظم المحامين الآخرين الذى يتسكعون هناك واثقين من أنهم يتباحثون بشأن كيفية إعداد مذكرة اعتقال لدانى بادجيت فى الوقت الذى لا يملكون فيه دليلاً كافيًا بأنه اقترف أى خطأ .

ولكن يجب القيام بشىء ما . لابد من اعتقال شخص ما . إن الشريف لديه بلدة لابد أن يحميها ، لابد أن يتخذ إجراء ما ، حتى وإن لم يكن صحيحًا مائة بالمائة .

وقد تلقينا تقريرًا يفيد بأن ترافيس وتيدى راى تم نقلهما إلى إحدى المستشفيات في ممفيس لإجراء جراحة . أما ماكسين والجار فكانا تحت الجراحة في هذه اللحظة . ومرة أخرى أكد الأطباء أن جميعهم كانوا في حالة مستقرة ، على الرغم من أن ترافيس قد يفقد ذراعه اليمنى .

كم عدد الأشخاص في مقاطعة فورد الذين يعرفون كيف يصنعون قنابل طردية ؟ من يستطيع التعامل مع المتفجرات ؟ من لديه الحافز ؟ بينما كنا نناقش هذه الأسئلة في قاعة المحكمة كان القاضي والشريف وباكلى يتباحثون فيها كذلك في الغرفة الخلفية . وهؤلاء الثلاثة انتخبهم أهل البلدة ليتقلدوا مناصب رسمية . فأهل البلدة الصالحون كانوا بحاجة لحمايتهم . وبما أن دانى بادجيت هو المتهم الوحيد ، أصدر القاضي نوس أخيرًا مذكرة بالقبض عليه .

وقد أبلغ لوشيان بذلك ، وقد تلقى الأخبار دون أدنى اعتراض . ففى هذه اللحظة لم يكن حتى باستطاعة محامى بادجيت أن يعترض طريق عملية الاعتقال . فبإمكانهم دومًا أن يطلقوا سراحه بعد ذلك .

وبعد الخامسة ببضع دقائق ، انطلقت قافلة من سيارات الشرطة خارج كلانتون متجهة إلى جزيرة بادجيت . والآن هارى ريكس يمتلك جهازٍ إرسال أخبار الشرطة (وكان عدد هذه الأجهزة الجديدة قليلا في لوتاون) وجلسنا في مكتبه نحتسى المشروبات ونستمع إليه وهو يصرخ معلنًا عن الأخبار . سيكون هذا بالتأكيد أحد أكثر الاعتقالات إثارة في تاريخ كلانتون ، والعديد منا أرادوا التواجد هناك . فهل سيقوم آل بادجيت بسد الطريق وإعاقة عملية الاعتقال ؟ هل سيكون هناك تبادل لإطلاق النار ؟ أو حرب صغيرة ؟

من خلال الحوار الجارى ، استطعنا أن نستنبط معظم ما كان يحدث . ففى الطريق ٤٢ ، التقى الشريف ماكنات ورجاله بعشر

" وحدات " من شرطة الولاية . وقد افترضنا أن " وحدة " لا تعنى شيئًا أكثر من مجرد سيارة ، ولكن استخدام هذه الكلمة أضفى مزيدًا من الجدية على الحوار . توجهوا إلى الطريق ٤٠١ ثم انحرفوا إلى الطريق المؤدى إلى الجزيرة ، وفوق الجسر ، حيث توقع الجميع حدوث بعض المتاعب ، كان دانى يجلس فى سيارة بصحبة محاميه .

كانت الأصوات بجهاز الإرسال سريعة ومتوترة :

" إنه بصحبة محاميه ! " .

" ويلبانكس ؟ " .

" نعم " .

" دعنا نطلق النار على كليهما " .

" إنهما يخرجان من السيارة " .

" إن ويلبانكس يرفع ذراعيه . يا له من وغد ذكى ! " .

" إنه دانى بادجيت بالفعل . يرفع ذراعيه كذلك " .

" أرغب فى محو تلك الابتسامة من فوق وجهه " .

" لقد كبلوه بالأصفاد " .

صاح هارى ريكس وهو يجلس على المكتب : " اللعنة ! لقد أردت أن يتبادلوا بعض الطلقات ، كما كان يحدث فى الأيام الخوالى " .

كنا عند السجن بعد ذلك بساعة حينما أتت سيارات الشرطة مندفعة بأضوائها الحمراء والزرقاء . وكان من الحكمة أن وضع الشريف ماكنات بادجيت فى إحدى سيارات شرطة الولاية وإلا فإن رجاله كانوا ليبرحوه ضربًا أثناء الرحلة بالسيارة . فكان اثنان من

زملائهم يجريان جراحة بالمستشفى ، ومازالت مشاعرهم بالغضب متأججة .

وقد احتشد مجموعة من الناس خارج السجن ، والتى أخذت فى السخرية من دانى وسبه بينما كان يقوده رجال الشرطة للداخل ، إلى أن صاح عليهم الشريف فى غضب بالذهاب إلى منازلهم .

ورؤية دانى مكبلا بالأصفاد بثت شعورًا بالطمأنينة فى نفوسنا . وأخبار زجه بالسجن كانت بمثابة البلسم للبلدة برمتها . فالسحابة السوداء قد انزاحت . فلقد استعادت كلانتون صفوها فى هذه الليلة .

وعندما عدت إلى منزل هوكيت بعد حلول الظلام ، كان أفراد عائلة روفين مبتهجين . فكانت السيدة كالى هادئة ومسترخية ، كما اعتادت أن تكون قبل فترة طويلة . جلسنا بالشرفة لفترة طويلة نقص الحكايات ونضحك ونستمع إلى أريثا فرانكلين بل وإلى صوت الألعاب النارية .

الفصل الثالث والأربعون

دون أن يدرى أحد ، عقد لوشيان ويلبانكس والقاضى نوسٍ صفقة فى الساعات المحمومة السابقة للاعتقال . فقد كان القاضى قلقا بما قد يحدث إن اختار دانى بادجيت الاختباء فى أعماق الجزيرة ، أو الأسوأ من ذلك مقاومة الاعتقال بالقوة . فكانت المقاطعة عبارة عن صندوق من البارود ينتظر الاشتعال . فكان رجال الشرطة متعطشين لإطلاق النار بسبب ما حدث لتيدى راى وترافيس ، واللذين تم تجاهل حماقتهما بشكل مؤقت إلى أن يتعافيا من جراحهما . كما كانت ماكسين سليلة عائلة حازمة وصعبة المراس تعمل بالأخشاب وتصطاد على مر العام ، وتعيش على أرضها ولا تهرب من وجه أى تحد .

وقد تفهم لوشيان الوضع . وقد وافق على تسليم موكله بشرط واحد ـ عقد جلسة استماع فورية لإطلاق سراحه . فكان لديه عشرة شهود على الأقل مستعدين لتقديم حجة غياب دامغة لدانى ، وكان لوشيان يرغب فى أن يستمع سكان كلانتون لشهادة هؤلاء الشهود .

فكان يؤمن بشدة بأن شخصًا آخر هو ما كان وراء جرائم القتل ، وكان من المهم إقناع البلدة بذلك .

وكان أمام لوشيان شهر واحد قبل أن يشطب من جدول المحامين كلية بسبب مشكلة لا علاقة لها بما يحدث فى البلدة حاليًا . فكان يعلم أن نهايته اقتربت ، وأن جلسة إطلاق السراح تلك ستكون آخر أداء له .

وقد وافق القاضى على هذا الشرط وحدد موعدًا للجلسة فى العاشرة صباحًا فى اليوم التالى الموافق الثالث من يوليو . وفى مشهد مشابه لذلك الذى شهدناه منذ تسع سنوات ، استطاع دانى بادجيت ثانية أن يجتذب حشدًا كبيرًا من الجماهير إلى قاعة محكمة مقاطعة فورد . كان حشدًا عدوانيًا ، متلهفًا لإلقاء نظرة عليه ، ومتمنيًا لو يشنقونه فى أثناء هذه المحاكمة . وقد وصلت عائلة ماكسين مبكرًا وجلست بالقرب من المقاعد الأمامية . كانوا غاضبين وأقوياء ومعظمهم رجال لهم لحية يرتدون مآزر . ولقد أفزعوني ولكننا كنا نحارب بنفس الجبهة ، وقد ترامى إلى مسامعنا أن ماكسين كانت تتعافى سريعًا ومن المتوقع أن تعود لمنزلها في غضون أيام قليلة .

ولم يكن لدى آل روفين الكثير ليفعلونه فى هذا الصباح ، لذا فلم يكن بمقدورهم تفويت إثارة المحاكمة . وقد أصرت السيدة كالى نفسها على الحضور مبكرًا وحجز مقعد جيد . لقد كانت سعيدة لأنه كان باستطاعتها الذهاب إلى منطقة وسط المدينة ثانية . ارتدت ثوبًا أنيقًا وكانت سعيدة لأنها كانت تحضر مثل هذا التجمع العام ويحوطها أفراد أسرتها .

وكانت التقارير الآتية من مستشفى ممفيس متنوعة . فقد تمت خياطة جروح تيدى راى وكان يتعافى سريعًا . أما ترافيس فقد مر بليلة سيئة وكان هناك قلق بالغ بشأن المقدرة على إنقاذ ذراعه .

وكان جميع زملائهما من رجال الشرطة محتشدين بقاعة المحكمة فى انتظار فرصة أخرى للانقضاض على صانع القنبلة .

وقد رأيت السيد والسيدة فارجرسون يجلسان بالمؤخرة ، قبل نهاية الصفوف بصفين ، ولم أستطع أن أتخيل ما كانا يفكران فيه .

ولم يكن حاضرًا أى شخص من عائلة بادجيت ، فقد كانوا حكماء بما فيه الكفاية كِي يبتعدوا عن قاعة المحكمة . فكان ظهور أى واحد منهم كفيلاً بإثارة عملية شغب . وقد قال لى هارى ريكس هامسًا إنهم مجتمعون بالأعلى فى غرفة المحلفين موصدة الباب . ونحن لم نرهم مطلقا .

وقد وصل روفس باكلى مع حاشية ليمثل ولاية المسيسيبى . وكانت إحدى مميزات بيع التايمز هى أننى لن أضطر أبدًا لتمضية وقت معه . فقد كان متعجرفًا ومغرورًا وكل شىء يفعله كان من أجل الوصول إلى منصب الحاكم .

وبينما كنت أنتظر وأشاهد قاعة المحكمة وهى تمتلأ عن آخرها ، أدركت أن تلك هى آخر مرة سأقوم فيها بتغطية إحدى المحاكمات من أجل التايمز . وأنا لم أشعر بالحزن جراء ذلك . فقد فصلت نفسى ذهنيًا عن التايمز وبدأت ذهنيًا أيضًا فى إنفاق بعض المال . والآن بما أن دانى بادجيت أصبح رهن الاعتقال ، ازدادت لهفتى على الهرب من كلانتون ورؤية العالم .

وسوف تكون هناك محاكمة أخرى فى خلال شهور قليلة . سيرك آخر أبطاله آل بادجيت ، ولكننى لم أعتقد أنها ستعقد فى مقاطعة فورد . وأنا لم أهتم لذلك حقيقة . فسوف تكون تلك قصة يكتبها شخص آخر .

وفى العاشرة صباحًا ، كانت جميع المقاعد مشغولة وصفوف من الناس تقف بجوار الجدران . وبعدها بخمس عشرة دقيقة كانت

هناك جلبة خلف المنصة ثم فتح أحدهم الأبواب ودخل لوشيان ويلبانكس . لقد كنا نشعر وكأننا فى حدث رياضى ، فقد كان لاعبًا وقد أردنا جميعًا الهتاف استهجانًا . وقد تبعه حاجبان سريعًا ، وقال أحدهما : " فلينهض الجميع ! " .

سار القاضى نوس بتمهل مرتديًا روبه الأسود وجلس فوق عرشه . قال فى مكبر الصوت : " اجلسوا من فضلكم " . نظر إلى الحشد وبدا مذهولاً من عدد الحاضرين الكبير .

أومأ برأسه ، ففتح الحاجب بابًا جانبيًا دخل منه دانى بادجيت وهو مكبل بالأصفاد فى يديه وكاحليه ويرتدى مئزر السجن البرتقالى الذى كان يرتديه من قبل ، ويقوده ثلاثة رجال شرطة . وقد استغرق الأمر ثلاث دقائق لحل قيوده ، وحينما أصبح حرًا أخيرًا اتكأ للأمام وهمس شيئًا إلى لوشيان .

أعلن نوس بينما ساد الصمت قاعة المحكمة : " إن تلك هى جلسة استماع لإطلاق السراح . فليس هناك داع ألا نجعلها منصفة ومختصرة " .

وقد كانت مختصرة أكثر مما كان يمكن لأى شخص أن يتوقع .

دوى طلق نارى فى مكان ما فوق رؤوسنا ، ولجزء من الثانية ظننت أن احدهم يطلق النار على جميع الحاضرين . فقد قعقع شىء ما بحدة خلال هواء قاعة المحكمة الثقيل ، وبالنسبة لبلدة شديدة العصبية ، فقد أدى هذا الصوت إلى تجمدنا جميعًا فى أماكننا ونحن غير مصدقين ما يحدث . بعد ذلك ، نخر دانى بادجيت كرد فعل متأخر وخرجت الأمور عن نطاق السيطرة . فقد صرخت النساء وصاح الرجال ، وقال شخص ما : " اهبطوا لأسفل ! " ، بينما ربض

نصف الحاضرين للأسفل وبعضهم انبسط فوق الأرض تمامًا . وقد صاح أحدهم : " لقد أصابته الطلقة ! " .

قمت بخفض رأسى بضع بوصات ولكننى لم أرغب فى تفويت أى شيء . وقد أخرج كل شرطي مسدسه وبدأ ينظر فى جميع الاتجاهات بحثًا عن شيء يطلق عليه النار . وقد صوبوا بالأعلى والأسفل ، للأمام والخلف ، هنا وهناك .

وعلى الرغم من أننا تجادلنا بخصوص هذا الأمر لسنوات ، إلا أن الطلقة الثانية قد تبعت الأولى في أقل من ثلاث ثوان . وقد أصابت دانى فى الضلوع ، ولكنها لم تكن ضرورية . فقد اخترقت الأولى رأسه . وقد لفتت الطلقة الثانية انتباه شرطي موجود بمقدمة قاعة المحكمة . وكنت رابضًا للأسفل ، ولكن كان باستطاعتى رؤيته يصوب إلى الشرفة .

فتح باب قاعة المحكمة المزدوج وبدأ الفرار الجماعى . وفى الفترة الجنونية التى تلت ذلك مكثت فى مقعدى محاولاً رؤية كل شيء . وأنا أتذكر رؤيتى للوشيان ويلبانكس وهو متكأ فوق موكله . وكان رفس باكلى يمشى على يديه وركبتيه أمام صفوف المحلفين محاولاً الهرب . وأنا لن أنسى مطلقًا القاضى نوس الذى كان يجلس فى هدوء على منصته ونظارة القراءة مثبتة على طرف أنفه ويراقب الفوضى كما لو أنه يراها كل أسبوع .

وكانت كل ثانية تبدو وكأنها دقيقة كاملة .

وقد أُطلِقَت الطلقتان اللتان أصابتا دانى من السقف الذى يعلو الشرفة . وعلى الرغم من أن الشرفة كانت مكتظة بالأشخاص ، فلم ير أحد البندقية وهى تهبط بضع بوصات على بعد عشر أقدام من رؤوسهم . فإنهم مثلنا تمامًا ، كانوا منشغلين بمحاولة إلقاء نظرة على دانى بادجيت .

وقد قامت المقاطعة بتجديد قاعة المحكمة عدة مرات على مدار العقود ، كلما أصبح فى الإمكان توفير بعض المال من خزينة البلدة . وفى أواخر الستينات ، فى محاولة لتحسين الإضاءة ، قاموا ببناء سقف منخفض . وقد عثر القناص على مكان مثالى على أنبوب حرارة فوق أحد الألواح مباشرة بالسقف . وهناك فى هذا المكان الضيق والمظلم ، انتظر فى صبر وهو يراقب قاعة المحكمة بالأسفل عبر شق طوله خمس بوصات أحدثه برفع أحد الألواح .

وحينما ظننت أن إطلاق النار قد توقف ، زحفت مقتربًا من القضيب . كان رجال الشرطة يصيحون على كل شخص كى يغادر قاعة المحكمة . كانوا يدفعون الناس ويصدرون كل أنواع الأوامر المتضاربة . كان دانى أسفل الطاولة ويقف بجواره لوشيان وعدة ضباط . كان بإمكانى رؤية قدميه ، والتين لم تكونا تتحركان . وقد مرت دقيقة أو اثنتين وبدأ التوتر يخمد قليلاً . وفجأة سمعنا المزيد من الطلقات ولكنها كانت بالخارج . نظرت خارج نافذة قاعة المحكمة ورأيت الناس يندفعون داخل المتاجر بالميدان . ورأيت رجلاً يشير لأعلى إلى شىء ما أعلى رأسى فوق قاعة المحكمة .

فقد عثر الشريف ماكنات على الشق حينما سمع صوت الطلقات النارية فوقه . وقد تسلق هو واثنان من نوابه الدرجات حتى الطابق الثالث ، ثم تسلق فى بطء الدرجات الدائرية الضيقة عبر القبة . وكان باب القبة مغلقًا ، ولكن فوقها مباشرة كان باستطاعتهم سماع وقع أقدام القناص ، والخرطوشات وهى تسقط فوق الأرض .

وكان هدفه الأوحد هو مكاتب لوشيان ويلبانكس خاصة النوافذ العلوية . فكان يفجرها عن عمد واحدة تلو الأخرى . وبالأسفل كانت إيثل توينى أسفل مكتبها تصيح وتصرخ فى ذات الوقت .

وأخيرًا غادرت قاعة المحكمة واندفعت إلى الطابق الرئيسى ، حيث كان الحشد ينتظر غير واثق مما يجب فعله . وكان رئيس الشرطة يأمر الجميع بالبقاء فى الداخل . وبين دوى الطلقات النارية كانت الثرثرة مرتفعة وكان التوتر على أشده . وحينما بدأ إطلاق النار ، أخذنا نحدق فى بعضنا البعض ببله . فقد شرع كل منا فى التفكير " إلى متى سيستمر هذا ؟ " .

انضممت إلى عائلة روفين . وقد أصيبت السيدة كالى بالإغماء حينما دوت أول طلقة بقاعة المحكمة . وكان ماكس وبوبى يمسكان بها وهما متلهفان لنقلها إلى المنزل .

بعد أن أخذ البلدة كرهينة لمدة ساعة ، نفدت ذخيرة القناص . وقد احتفظ برصاصة أخيرة لنفسه وحينما جذب الزناد سقط بقوة على الممر الصغير على أرض القبة . انتظر الشريف ماكنات دقائق قليلة ثم دفع الباب بشدة ليفتحه . كانت جثة هانك هوتن عارية مرة أخرى .

هرع شرطى على الدرجات وصاح : " لقد انتهى الأمر ! لقد مات ! إنه هانك هوتن ! " .

كانت عباراته المرتبكة شبه مضحكة . هانك هوتن ؟ ردد الجميع الاسم ولكن لم يخرج صوت من فم أحد . هانك هوتن ؟

" هذا المحامى الذى جن جنونه " .

" لقد ظننت أنهم أخذوه بعيدًا " .

" ألا يقيم فى وايتفيلد ؟ " .

" لقد ظننت أنه مات " .

سألتنى كارلوتا : " من هو هانك هوتن ؟ " ، لكنى كنت متوترًا ولم أستطع الإجابة عن سؤالها . توجهنا إلى الخارج وانتظرنا قليلا تحت ظل الأشجار ، غير واثقين إن كان ينبغى أن ننتظر عسى أن يحدث شيء مهيب آخر أو نذهب إلى المنزل ونحاول استيعاب ما حدث للتو . وقد غادرت عائلة روفين سريعًا ، فلم تكن السيدة كالى تشعر أنها على ما يرام .

وفى النهاية حملت سيارة إسعاف جثة دانى بادجيت من قاعة المحكمة وغادرت دون إسراع . وكان نقل جثمان هانك هوتن أكثر أهمية ، ولكن بعد قليل ، أنزلا جثته وأخرجوها من قاعة المحكمة فوق محفة مغطاة من الرأس وحتى أصابع القدمين بملاءة بيضاء .

سرت إلى مكتبى حيث كانت مارجريت وويلى يحتسيان القهوة وينتظرانى . وقد كنا مصدومين لدرجة أعجزتنا عن إجراء حوار عقلانى . لقد أصيبت البلدة بالكامل بالخرس .

وقد قمت بإجراء بعض المكالمات الهاتفية ، ووجدت من أريده ، وفى فترة الظهيرة غادرت مكتبى . وبينما كنت أقود سيارتى بالميدان رأيت السيد ريكس برات - صاحب شركة الزجاج المحلية والذى كان ينشر إعلانًا بالتايمز كل أسبوع - فى شرفة لوشيانٍ يخلع الأبواب الفرنسية ويضع ألواحًا زجاجيةً جديدة . وكنت واثقًا من أن لوشيان كان بالمنزل فى هذا الوقت واقفًا فى شرفة منزله حيث يستطيع رؤية قبة قاعة المحكمة .

كانت وايتفيلد تبعد ثلاث ساعات عن جنوب كلانتون . ولم أكن واثقًا من أننى أستطيع قطع هذه المسافة ، لأننى فى أية لحظة قد أنحرف يمينًا وأتوجه غربًا عابرًا النهر عند جرينفل أو فيسكبرجٍ كى أصل إلى تكساس بحلول الغسق . أو أنحرف يسارًا وأتوجه للشرق وأتناول العشاء فى مكان ما بالقرب من أتلانتا .

يا لها من أحداث جنونية . كيف يمكن أن ينتهي الحال بهذه البلدة الصغيرة اللطيفة بمثل هذا الكابوس ؟ لقد أردت فقط الهرب . وكنت قد اقتربت من جاكسون قبل أن أفيق من غشيتي .

كانت مستشفى الأمراض العقلية التابعة للولاية على بعد عشرين ميلاً من شرقي جاكسون وتقع علي طريق فاصل بين ولايتين . وقد شققت طريقي عبر المستشفى مستخدمًا اسم طبيب كنت قد عرفته عن طريق الاتصالات الهاتفية .

كان دكتور فيرو مشغولاً للغاية ، وظللت أقرأ في المجلات لمدة ساعة خارج مكتبه . وحينما أبلغت السكرتير أنني لن أغادر وأنني سوف أتبع الطبيب لمنزله إن اضطررت لذلك ، استطاع أن يجد وقتًا لإدخالي .

كان لفيرو شعر طويل ولحية رمادية . وكانت لكنته تدل على أنه من الولايات الغربية الشمالية . فالدبلومتان المعلقتان على الجدار تقولان إنه كان يرتاد جامعتي نورث ويسترن وجونز هوبكنز ، ولكنني لم أستطع قراءة التفاصيل بسبب إضاءة المكتب الضعيفة .

وقد أخبرته بما حدث هذا الصباح في كلانتون . وبعد سردي للحكاية قال : " لا أستطيع التحدث عن السيد هانك هوتن ، فنحن متفقان على الحفاظ على سرية كل ما يقوله المريض للطبيب " .

قلت : " كنتما متفقين " .

قال : " هذا الاتفاق لا يبطل بمضي الوقت يا سيد تراينور . وأخشى أنني لا أستطيع التحدث عن هذا المريض " .

ولكنني كنت قد أمضيت مع هارى ريكس فترة طويلة علمتنى ألا أقبل بـ " لا " كإجابة لأى سؤال . تحدثت إليه طويلا وتفصيليًا عن قضية بادجيت ، بداية من الجلسة وحتى إطلاق سراحه الشهر الأخير حيث ساد التوتر في كلانتون . وقد أخبرته عن رؤيتى لهانك هوتن متأخرًا ذات ليلة في دار عبادة وكيف أنه بدا أن لا أحد يعرف أى شيء عما حدث له في السنوات الأخيرة من عمره .

وكانت وجهة نظرى أن البلدة كانت بحاجة لأن تعرف ما الذى جعله يفقد عقله . إلى أى مدى هو مريض ؟ لماذا غادر المستشفى ؟ كانت هناك العديد من الأسئلة ، وقبل أن نستطيع نسيان هذه المأساة فإننا نحتاج إلى أن نعلم الحقيقة . وقد ظللت أستجديه لإمدادى بالمعلومات .

سألنى وقد لان قليلاً : " كم ستطبع مما سأقوله لك ؟ " .

قلت : " سوف أطبع القدر الذى ستسمح لى بطباعته . فإن كان هناك شيء لا يمكن نشره ، فقط أخبرنى بذلك " .

قال : " دعنا نتمشى قليلاً " .

وعلى مقعد خرسانى فى إحدى الحدائق جلسنا نحتسى القهوة فى أكواب ورقية . بدأ فيرو : " إن هذا هو ما تستطيع طباعته . دخل السيد هوتن هذه المستشفى فى يناير عام ١٩٧١ . وقد تم تشخيص حالته على أنها انفصام فى الشخصية ، واحتجزناه وعالجناه هنا إلى أن تم السماح له بالخروج فى أكتوبر ١٩٧٦ " .

سألت : " ومن الذى شخّص حالته ؟ " .

قال : " الآن هذا الكلام غير قابل للنشر ، موافق ؟ " .

قلت : " موافق " .

قال : " لابد أن تعدنى بعدم إفشاء هذه المعلومات يا سيد ترايـنور " .

وضعت القلم والدفتر جانبًا وقلت : " أقسم لك أنني لن أنشر كلمة واحدة مما ستقول " .

تردد طويلاً وأخذ عدة رشفات من قهوته ، ولدقيقة اعتقدت أنه ربما لن يقول لى شيئًا ويطلب منى المغادرة . ثم استرخى قليلاً وقال : " لقد قمت بعلاج السيد هوتن فى البداية . إن أسرته لها تاريخ مرضى في الإصابة بانفصام الشخصية . فأمه وربما جدته كانتا مصابين بهذا المرض ، وكثيرًا ما تلعب الجينات دورًا كبيرًا في الإصابة بالأمراض . وقد دخل مستشفى الأمراض العقلية حينما كان فى الجامعة ، ولكنه نجح بطريقة ما فى أن يتخرج من كلية الحقوق . وبعد طلاقه الثانى ، انتقل إلى كلانتون فى منتصف الستينات باحثًا عن مكان يبدأ فيه حياته ثانية . وقد طلق امرأة ثالثة . فقد كان يعشق النساء ، ولكنه لا يستطيع الارتباط بإحداهن لفترة طويلة . وقد كان مغرمًا برودا كاسيلو وادعى أنه طلب منها الزواج عدة مرات . وأنا واثق من أن الشابة كانت خائفة منه بعض الشيء . وكان قتلها مأساويًا للغاية . وحينما رفض أعضاء هيئة المحلفين إصدار حكم بالإعدام على قاتلها ، جن جنونه وأصبح من الصعب السيطرة عليه " .

قلت : " شكرًا لك لاستخدامك لغة أفهمها " . فقد تذكرت التشخيص الذى استخدمه أهالى البلدة " وغد معتوه " .

قال : " كان يسمع أصواتًا ، أكثرها صوت رودا كاسيلو . وكان طفلاها الصغيران يتحدثان إليه أيضًا . فقد كان يتوسلان إليه لحمايتها وإنقاذها . وكانا يصفان له مدى الرعب الذى عانياه وهما يشاهدان أمهما تغتصب وتقتل فى فراشها ، وقد ألقيا عليه اللوم لعدم إنقاذها . وكان قاتلها ـ السيد بادجيت ـ يعذبه كذلك من السجن ، حيث كان يسخر منه . وفي العديد من المرات كنت أراقب

عن كثب السيد هوتن وهو يصيح على دانى بادجيت من حجرته هنا " .

سألته : " هل أتى على ذكر المحلفين ؟ " .

قال : " نعم ، طوال الوقت . وقد كان يعلم أن ثلاثة منهم ـ السيد فارجرسون والسيد تيل والسيدة روت ـ قد رفضوا إصدار حكم بالإعدام على دانى . وقد كان يصرخ بأسمائهم فى منتصف الليل " .

قلت : " هذا غريب . فقد أقسم المحلفون بألا يتحدثوا قط عما حدث فى المباحثات . نحن لم نعلم ماذا صوتوا إلا منذ شهر مضى " .

قال : " حسنًا ، لقد كان مساعد المدعى العام " .

قلت : " نعم " . وقد تذكرت على الفور كيف كان يجلس هانك هوتن إلى جوار إيرنى جاديس فى المحاكمة دون أن ينطق بكلمة واحدة وهو يبدو شارد الذهن وغير مدرك لما يحدث . " هل عبر عن رغبته فى الانتقام ؟ " .

أخذ رشفة من القهوة وسكت قليلاً وهو يفكر إن كان ينبغى أن يخبرنى بهذا أم لا ، ثم قال : " نعم . لقد كان يبغضهم . وقد أراد موتهم وكذلك السيد بادجيت " .

قلت : " إذن لماذا أخرجتموه من المستشفى ؟ " .

قال : " لا أستطيع التحدث عن هذا الأمر يا سيد ترايبنور . أنا لم أكن هنا فى هذا الوقت ، وقد تكون هناك مسئولية قانونية من جانب المستشفى " .

سألته : " وأنت لم تكن هنا ؟ " .

قال : " لقد سافرت مدة عامين للتدريس فى شيكاغو ، وعندما عدت منذ ثمانية عشر شهرًا ، كان السيد هوتن قد غادر بالفعل " .

قلت : " ولكنك قمت بمراجعة ملفه " .

قال : " نعم ، وقد تحسنت حالته كثيرًا حينما كنت بعيدًا . فقد وجد الأطباء التركيبة الصحيحة من عقاقير الأمراض النفسية والتى أدت إلى انحسار أعراضه كلية . وقد تم إخراجه على أن يتولى علاجه برنامجا طبيًا فى توبيلو ، وهناك سقط من مراقبتنا . فأنا لست بحاجة إلى أن أقول لك يا سيد ترواينور إن العلاج النفسي ليست له أية أولويات فى هذه الولاية ، أو فى كثير من الولايات الأخرى . فنحن نعانى بشدة من نقص فى العمالة ونقص فى التمويل " .

سألته : " هل كنت لتقوم بإخراجه إن كنت هنا ؟ " .

قال : " لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال . وأعتقد يا سيد تراينور أننى قد قلت ما فيه الكفاية " .

شكرته على وقته وصراحته ووعدته ثانية بالحفاظ على سرية هذه المعلومات . وقد طلب منى أن أرسل له نسخة مما سوف أنشره عن هذا الموضوع .

توقفت عند مطعم للأطعمة السريعة فى جاكسون لأبتاع شطيرة بورجر بالجبن . وباستخدام هاتف العملة ، اتصلت بالمكتب وأنا أتساءل إن كان فاتنى بعض الطلقات النارية . وقد ارتاحت مارجريت لسماع صوتى .

قالت : " لابد أن تأتى على الفور يا ويلى ؟ " .

قلت : " لماذا ؟ " .

قالت : " لقد أصيبت كالى روفين بسكتة دماغية ، وهى الآن فى المستشفى ! " .

سألتها : " هل حالتها خطيرة ؟ " .

قالت : " أخشى أن تكون كذلك " .

الفصل الرابع والأربعون

في عام ١٩٧٧ خصصت الولاية مبلغًا لتجديد مستشفانا . وبأحد أطراف الطابق الرئيسي كانت هناك دار عبادة حديثة ، وإن كانت مظلمة كنت قد ذهبت إليها ذات مرة مع مارجريت وأسرتها حينما توفيت والدتها . وهناك وجدت عائلة روفين ، الأبناء الثمانية ، والأحفاد الواحد والعشرين جميعًا ، وجميع الزوجات فيما عدا زوجة ليون . وكان رجل الدين ثيرستون سمال هناك مع حشد كبير من رواد دار العبادة . وكان إيساو بالأعلى في وحدة الرعاية المركزة خارج غرفة السيدة كالي .

وقد أخبرني سام أنها استيقظت من غفوتها على ألم حاد بذراعها الأيسر ، ثم تنميل بساقها ، وقبل أن يمضي وقت طويل كانت تهذي بعبارات غير مفهومة . وقد أخذتها عربة الإسعاف سريعًا إلى المستشفى . وكان الطبيب واثقًا من أنها سكتة دماغية ، والتي قد تعجل بالإصابة بأزمة قلبية خفيفة . كانت تأخذ العديد من العقاقير وموضوعة تحت الرعاية المكثفة . وكان آخر تقرير كتبه

الطبيب عن حالتها فى الساعة الثامنة مساء ، وقد وصف حالتها بأنها " خطيرة ولكن مستقرة " .

وكان غير مسموح بالزيارة ، لذا فلن يكون فى الإمكان فعل شىء سوى الانتظار والدعاء وتحية الأصدقاء بينما كانوا يأتون ويذهبون . وبعد مضى ساعة على وجودى فى دار العبادة كنت أرغب فى النوم بشدة . وقد قام ماكس ـ ثالث أكبر الأبناء والقائد الناجح ـ بتنظيم جدول للمبيت . فعل الأقل سيبقى اثنان من أبناء السيدة كالى فى مكان ما بالمستشفى طوال الوقت .

وقد سألنا الطبيب ثانية عن حالة السيدة كالى فى حوالى الساعة الحادية عشر ، وقد بدا متفاءلاً لأن حالتها مازالت مستقرة . لقد كانت " نائمة " كما قال ، ولكن بعد توجيه المزيد من الأسئلة اعترف بأنهم هم من يخدرونها لتتجنب الإصابة بسكتة أخرى . قال : " اذهبوا للمنزل واستريحوا . فقد يكون غدًا يومًا طويلا " . تركنا ماريو وجلوريا فى دار العبادة وذهبنا جميعًا إلى منزل هوكيت حيث تناولنا المثلجات فى شرفة جانبية . وقد اصطحب سام إيساو إلى منزلهما فى لوتاون . وقد سعدت لأن باقى أفراد الأسرة فضلوا الإقامة فى منزلى .

كان الجميع منهكا ، خاصة الأطفال . فقد بدأ اليوم بمغامرة إلى قاعة المحكمة لإلقاء نظرة على الرجل الذى كان يرهب بلدتنا . وقد بدا هذا الوقت وكأنه أسبوع كامل . وفى منتصف الليل تقريبًا ، جمع آل جميع أفراد الأسرة فى غرفتى للصلاة . " صلاة جماعية " كما أطلق عليها ؛ حيث كان كل بالغ وطفل يشكر الله على شىء ما ويدعوه بشفاء السيدة كالى . وبينما كنت جالسًا هناك على الأريكة ممسكا بيد بونى ويد زوجة ماريو شعرت بالقرب من الله . وكنت أعلم أن صديقتى العزيزة ـ والدتهم وجدتهم ـ ستكون على ما يرام .

وبعد ساعتين كنت مستلقيًا على الفراش وأنا ما أزال مستيقظًا أستمع إلى صدى صوت الطلقات التى دوت فى قاعة المحكمة هذا الصباح ، صوت الرصاصة المكتوم التى أصابت داني والذعر الذى تلا ذلك ، وقد تذكرت كل كلمة قالها لى دكتور فيرو وتساءلت عن الجحيم الذى كان يعيش فيه هانك هوتن على مدار السنوات الماضية . لماذا أطلقوه على المجتمع مرة أخرى ؟

وقد كنت قلقًا بشأن السيدة كالى على الرغم من أن حالتها بدت تحت السيطرة وأنها بين أيدى أمينة .

وقد نمت أخيرًا لمدة ساعتين ثم استيقظت لأجد ماريو وليون يحتسيان القهوة على طاولة المطبخ . وكان ماريو قد غادر المستشفى قبل ساعة ، وأكد أنه لم يطرأ تغيير على حالتها . وكانا يضعان معًا خطة محكمة سوف تفرضها الأسرة على السيدة كالى لتنقص وزنها حينما تعود للمنزل ، وسوف تبدأ فى ممارسة الرياضة والتى ستشمل السير لمسافات طويلة كل يوم فى كلانتون . هذا بالإضافة إلى إجراء فحوصات منتظمة وأخذ الفيتامينات وتناول الطعام الخالى من الدهون .

وقد كانا جادين بشأن هذا النظام الصحى الجديد على الرغم من أن الجميع كان يعرف أن السيدة كالى ستفعل فقط ما تريده هى .

وبعدها بساعات قليلة ، بدأت مهمة جمع حاجياتي فى صندوق والخردة التى أخذت فى جمعها على مدار تسع سنوات وتنظيف مكتبى . وكانت المحررة الجديدة سيدة لطيفة من مريديان ، المسيسيبى وقد أرادت البدء فى نهاية الأسبوع . وقد عرضت مارجريت علىّ المساعدة ، ولكننى أردت أن أحزم ببطء وأسترجع

ذكرياتى بينما أقوم بتفريغ الأدراج والملفات . كانت لحظة شخصية ، وكنت أفضل أن أكون وحدى .

وأخيراً ، أخذت كتب السيد كاودل من فوق الرفوف المتربة حيث كانت تستقر لفترة طويلة قبل أن آتى لهذا المكان . وقد خططت لتخزينها فى مكان ما بمنزلى ، فى حالة ما ظهر أحد أفراد أسرته يطالب بها .

وكانت مشاعرى متضاربة . فكل شىء كنت أمسه كان يذكرنى بقصة أو موعد نهائى أو رحلة فى أعماق المقاطعة للتنقيب عن سبق صحفى أو مقابلة شاهد أو شخص ما أتمنى أن يكون مثيرًا بما فيه الكفاية لأكتب قصة عنه . وبمجرد أن أنتهى من حزم أشيائى سوف أهرع لمغادرة المبنى واللحاق بإحدى الطائرات .

وقد اتصل بوبى روفين فى التاسعة وثلاثين دقيقة . لقد قامت السيدة كالى وتجلس الآن لاحتساء الشاى وقد سمحوا لها بالزيارة لمدة دقائق قليلة . هرعت إلى المستشفى حيث قابلنى سام فى الردهة وقادنى عبر متاهات الغرف والمهاجع فى وحدة العناية المركزة . قال بينما كنا نسير معًا : " لا تتحدث عن أى شىء مما حدث بالأمس ، حسنًا ؟ " .

قلت : " بالتأكيد " .

قال : " فلابد أن نحرص على عدم إثارتها . إنهم حتى لم يسمحوا بإدخال الأحفاد ، خشية أن يزيد ذلك من ضربات قلبها . فكل شىء هناك هادئ للغاية " .

كانت بالكاد مستيقظة . كنت أتوقع رؤية عينيها البراقتين وابتسامتها الجميلة ، ولكن السيدة كالى لم تكن فى كامل وعيها . ولقد تعرفت علىّ واحتضنتها وقمت بالتربيت على يدها اليمنى .

فكانت تحقن بالوريد عن طريق يدها الأخرى . وكان سام وإيساو وجلوريا بالغرفة .

كنت أرغب فى البقاء معها بضع دقائق بمفردنا حتى أستطيع أن أقول لها إننى بعت الجريدة ، ولكنها لم تكن فى حالة تسمح لها بتلقي مثل هذا الخبر . لقد ظلت مستيقظة طوال ساعتين تقريبًا والآن بدا من الواضح أنها بحاجة للنوم . ربما نستطيع أن نتحدث قريبًا عن هذا الموضوع معاً باستفاضة .

وبعد خمس عشرة دقيقة دخل الطبيب وطلب منا الرحيل . وقد غادرنا وعدنا ثانية واستمرت دورية البقاء معها خلال الرابع من يوليو على الرغم من أنهم لم يسمحوا لنا ثانية بدخول وحدة العناية المركزة .

قرر العمدة عدم إطلاق الألعاب النارية فى الرابع من يوليو . فقد سمعنا ما يكفينا من الطلقات النارية والانفجارات . وبسبب التوتر الذى كان يسود البلدة ، لم يعترض أحد . وقد خرجت الفرق فى مسيراتها وسار الموكب وتوالت الخطب السياسية كالسابق على الرغم من وجود مرشحين أقل . وكانت خطبة عضو مجلس الشيوخ ثيو مورتون سيئة للغاية . كانت هناك المثلجات وعصير الليمون والمشويات وحلوى غزل البنات ـ أى الأطعمة والمأكولات المعتادة بمرجة قاعة المحكمة .

فكانت البلدة تشعر بالقهر ، أو ربما أنا فقط الذى كنت أشعر بذلك . ربما لأننى مللت من المكان لدرجة أننى أصبحت أرى أن ما من شيء صحيح . ولكن بالتأكيد كان لدىَّ العلاج لهذا .

بعد الخطب ، غادرت الميدان وقدت سيارتى إلى المستشفى ، فى تلك الرحلة التى بدأت أجدها مملة . تحدثت إلى فازى الذى كان يتولى أمر كنس مرآب المستشفى ، ورالف الذى ينظف زجاج الردهة . وقد توقفت عند الكافيتريا وابتعت كوباً آخر من عصير الليمون من هازل ، ثم تحدثت إلى السيدة إيثر إلين تروسيل التى كانت تترأس مكتب الاستعلامات الأمامى بالنيابة عن الممرضات الأخريات . وفى حجرة الانتظار بالطابق الثانى وجدت بوبى مع زوجة آل يشاهدان التلفاز كجثتين . وكنت قد فتحت لتوى إحدى المجلات حينما جاء سام إلينا مسرعًا .

قال : " لقد أصيبت بأزمة قلبية أخرى " .

قفزنا نحن الثلاثة من أماكننا كما لو أنه هناك مكان من الممكن أن نذهب إليه .

قال : " لقد أصيبت بها لتوها ! إن الفريق الطبى كله هناك ! " .

قلت : " سوف أتصل بالمنزل " ، وتوجهت إلى هاتف العملة بالردهة . أجاب ماكس على المكالمة ، وبعدها بخمس عشرة دقيقة كانت عائلة روفين تتوافد إلى دار العبادة .

وقد استغرق الأطباء فترة طويلة بدت كالدهر قبل أن يخبرونا بآخر التطورات . وكانت الساعة الثامنة مساءً تقريبًا حينما دخل طبيبها المعالج دار العبادة . وكان من الصعب معرفة ما يجول بفكر الأطباء ، ولكن عينيه الغائرتين وحاجبيه المقطبين كانوا يبعثون برسالة لا لبس فيها وحينما قال : " سكتة قلبية شديدة " ؛ صعق أبناؤها الثمانية . فهى الآن تتنفس صناعيًا ، فلم يعد بإمكانها التنفس وحدها .

وفى خلال ساعة كانت دار العبادة مكتظة بأصدقائها . وكان رجل الدين ثيرستون سمال يدعو من أجلها مع مجموعة من الأشخاص ، وكان الناس يواصلون الانضمام إليها ومغادرتها وقتما شاءوا . كان إيساو المسكين يجلس فى الصف الأخير فى حزن شديد . وكان أحفادها يحوطونه ، فى هدوء واحترام بالغين .

وطوال ساعات أخذنا ننتظر . وعلى الرغم من أننا مللنا من التبسم والتفاؤل فكنا نشعر جميعًا بالاكتئاب . كان الأمر يبدو وكأن مراسم الجنازة قد بدأت بالفعل .

جاءت مارجريت وشرعنا فى التحدث فى الردهة . بعد ذلك ، وجدنى السيد والسيدة فارجرسون وطلبا التحدث إلى إيساو . قدتهما إلى دار العبادة حيث رحب بهما آل روفين بحرارة ، وعبر جميعهم عن حزنهم البالغ لفقدانهما ولدهما .

وبحلول منتصف الليل ، كنا متعبين وبدأنا نفقد الإحساس بالوقت . كانت الدقائق تمر ، وكنت أنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط وأتساءل كيف مرت الساعة الماضية . أردت الرحيل أو حتى الخروج وتنفس بعض الهواء النقى . ولكن الأطباء طلبوا منا أن نظل على مقربة منها .

وقد حانت اللحظة التى كنا نخشاها حينما جمعنا الطبيب وقال إن الوقت قد حان " للقاء أخير مع الأسرة " . تعالت أصوات الشهقات ثم انسابت الدموع . ولن أنسى قط سماعى لسام وهو يقول بصوت مرتفع : " لقاء أخير ؟ " .

سألت جلوريا فى ذعر بالغ : " هل هذه هى النهاية ؟ " .

وفى فزع وارتباك ، تبعنا الطبيب إلى خارج دار العبادة ثم عبر الردهة وصعد الدرجات وجميعنا يتحرك بقدمين ثقيلتين لشخص

يسير إلى حيث سيتم إعدامه . ساعدتنا الممرضات فى عبور متاهة وحدة الرعاية المركزة ووجوههن تعلن لنا ما كنا نخشاه .

وبينما كانت الأسرة تدخل الغرفة الصغيرة لمس الطبيب ذراعى وقال : " إن الأمر يجب أن يقتصر على الأسرة فقط " .

قلت وأنا أتوقف : " نعم ، هذا صحيح " .

قال سام : " لا بأس بهذا . إنه معنا " .

احتشدنا حول السيدة كالى وأجهزتها ، والتى كانت مفصولة عنها فى معظمها . وقد اعتلى أصغر حفيدين لها أسفل فراشها . وقف إيساو على مقربة منها وأخذت يتلمس وجهها برقة . كانت عيناها مغلقتين ، ولم يبد أنها تتنفس .

كانت تبدو فى سلامٍ . أخذ زوجها وأطفالها يتلمسونها وكان صوت البكاء موجعًا حقًا . كنت أقف فى أحد الأركان خلف زوج جلوريا وزوجة آل ، ولم أكن أصدق ببساطة أين أنا أو ماذا أفعل !

وحينما استطاع ماكس تمالك نفسه والسيطرة على مشاعره لمس ذراع السيدة كالى وقال : " دعونا نصلى " . خفضنا رءوسنا وتوقف معظمنا عن البكاء لدقيقة واحدة . " يا إلهى ! إنها مشيئتك وليست مشيئتنا . فبين يديك نترك هذه السيدة الورعة . أدخلها فسيح جناتك يا رب العالمين . آمين " .

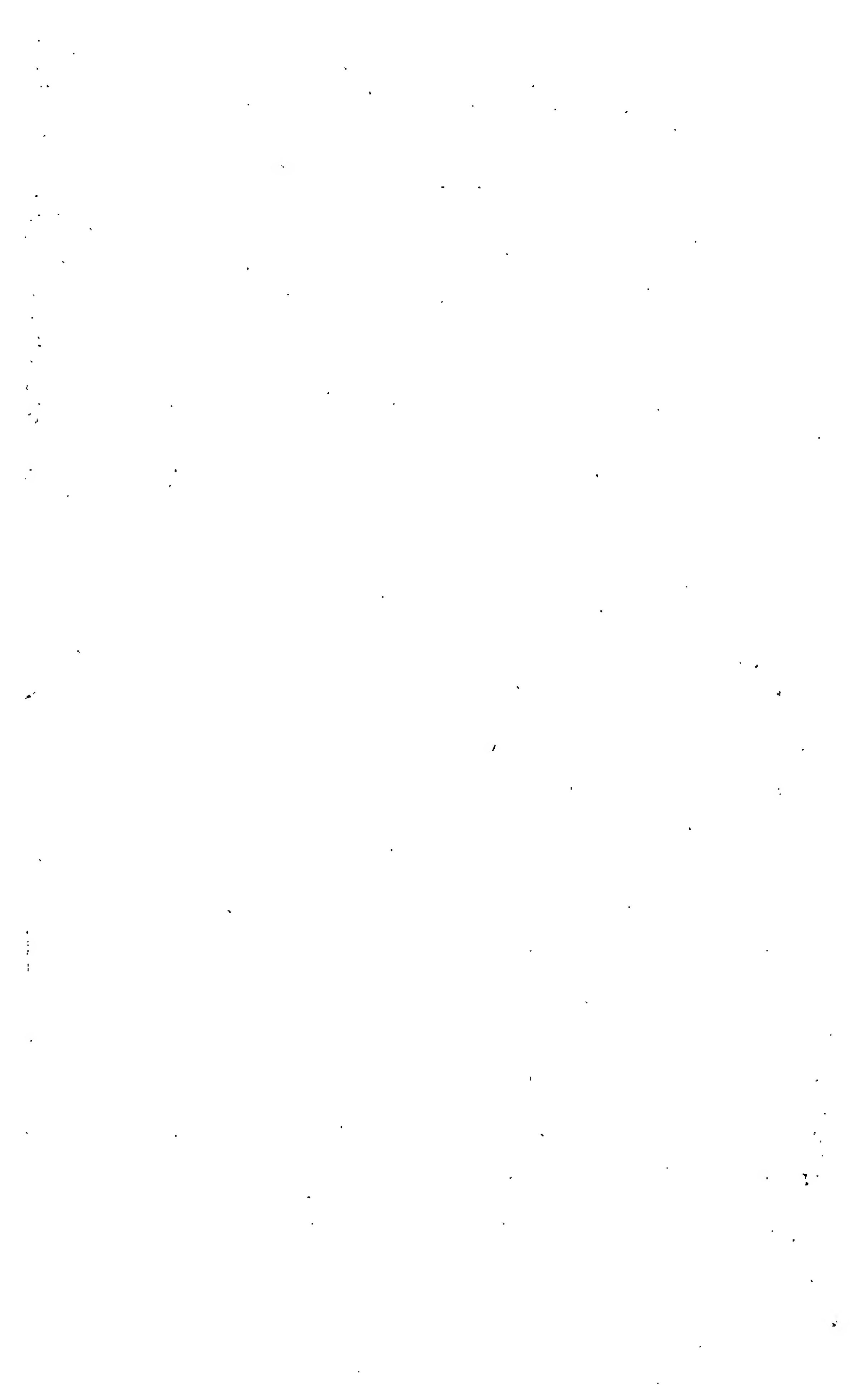
وعند شروق الشمس ، كنت أجلس بالشرفة خارج مكتبى . كنت أريد البقاء بمفردى ، والبكاء وحدى . وكان صوت البكاء فى منزلى أكثر من قدرتى على الاحتمال .

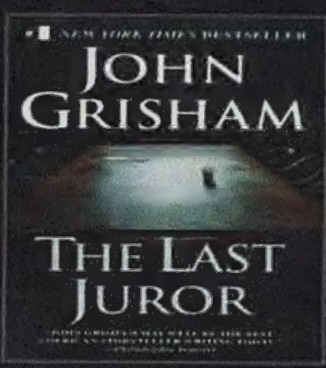
فبينما كنت أحلم بالسفر حول العالم ، كنت أتخيل عودتى إلى كلانتون حاملاً هدايا للسيدة كالى . كنت سأجلب لها زهرية فضية

من إنجلترا ، وبياضات من إيطاليا لم ترها من قبل ، وعطوراً من باريس ، وشيكولاتة من بلغاريا ، ووعاء معدنيًا من مصر ، وجوهرة صغيرة من مناجم جنوب أفريقيا . كنت سأقدم لها هذه الهدايا في شرفتها قبل أن نتناول الغداء ، ثم نتحدث عن الأماكن التي جلبتها منها . كنت سأرسل لها بالبطاقات من كل مكان . وكنا سنتحدث عن الصور التي أخذتها تفصيليًا . فمن خلالي ، كانت سترى العالم أجمع . كانت ستبقى هناك دومًا من أجلي تنتظرني وتتلهف لعودتي ورؤية ما جلبته لها . كانت ستملأ منزلها بأجزاء صغيرة من العالم وتمتلك أشياء لا يمتلكها غيرها سواء أبيض أو أسود ، أشياء لم ترها كلانتون من قبل .

لقد تألمت لفقدان صديقتي العزيزة . كان موتها المفاجئ قاسيًا ، كما ظل دومًا هكذا . وكان جرح حزني إثر وفاتها عميقًا لدرجة أنني لم أعرف قط كيف سأتعافى منه !

وبينما دبت الحياة ثانية في البلدة بالأسفل سرت إلى مكتبي ودفعت بعض الصناديق من طريقي وجلست . أخذت قلمي ولفترة طويلة شرعت في التحديق في الورقة البيضاء . وفي النهاية وببطء شديد وأسى بالغ بدأت في كتابة النعي الأخير .





«لا يمكننا أبداً أن نقول إن هذا الرجل لا يعرف كيف يغزل خيوط قصة مذهلة».

ـ إنترتاينمنت ويكلي

في عام ١٩٧٠، جاء ويلي تراينور إلى كلانتون في المسيسيبي في سيارة من طراز تريومف سبيتفاير وهو يحمل فيضاً من الطموحات الجامحة. وخلال عام، وجد الشاب الذي يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً نفسه صاحب جريدة مقاطعة فورد الوحيدة، والمشهورة بأخبار الوفيات المصوغة جيداً. وفي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تعاني من اضطرابات جمّة، كانت كلانتون تعيش على حافة عهد آخر حتى هزّتها جريمة قتل بشعة لأم شابة ألقت بويلي في منتصف العاصفة.

فجرأته على نشر الحقائق المرعبة للجريمة، أكسبته عدداً كبيراً من الأصدقاء والأعداء في الوقت عينه. وقد كان خلال العقد التالي يتساءل كيف جاء إلى هذا المكان في المقام الأول. لكنه لم يستطع مطلقاً نسيان الجريمة التي حطّمت أعصابه أو المجرم الذي ترك شرّه وصمة عار لا تمحى. وقد بدأت أشباح الماضي في الجنوب تتجمع معاً وشرع التوتر يكتنف كلانتون حين بدأ أعضاء هيئة المحلفين الذين شاركوا في المحاكمة منذ تسع سنوات، يقعون قتلى واحداً تلو الآخر. حيث بدأ قاتل مجهول عملية الانتقام..

«إن جون غريشام هو أحد أفضل كاتبي القصص في الولايات المتحدة اليوم»

ـ قسم التعليق على الكتب في صحيفة نيويورك تايمز

تم اختيار هذه الروا… أفضل الكتب من قبل منتدى أفضل الكتب الشهرية، ون… الكتاب، ونادي الروايات البوليسية.

زوروا موقع جون غري… www.jgrisham.c…



